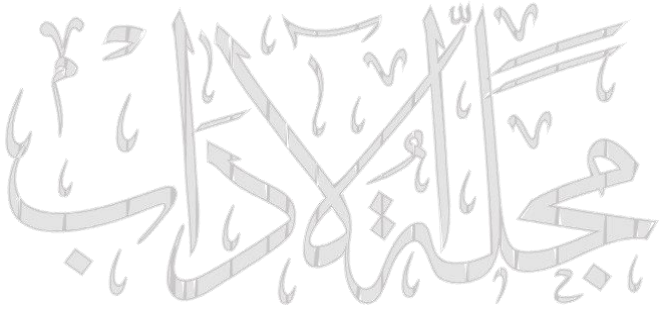

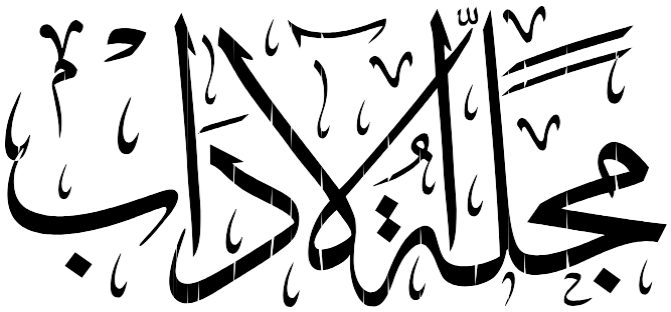

دورية علمية محكمة

تصدر عن جامعة الملك سعود

المجلد السابع والثلاثون –العدد الثالث (ورقي)

المجلد السادس –العدد الثالث (إلكتروني)

رمضان ١٤٤٦هـ /مارس ٢٠٢٥م

https://chss.ksu.edu.sa/ar/content/journal-faculty-arts
theartsjournal@ksu.edu.sa

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبد الله بن سعد الجاسر
جامعة الملك سعود

أ.د. البندري بنت عبد العزيز العجلان
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. ظافر بن عبد الله الشهري
جامعة الملك فيصل

أ.د. إبراهيم بن سالم الصاعدي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رئيس التحرير

د. فهد بن عبد العزيز العبده

مدير التحرير

م. باسم موفق حبوباتي

هيئة التحرير

أ.د. رمضان خميس القسطاوي

أ.د. سلمى بنت محمد هوساوي

أ.د. ثريا أحمد البدوي

أ.د. خولة بنت عبد الله السبتي

أ. د .محمد محمد بكير

أ. د. حصة بنت زيد المفرح

د. هند بنت خالد العتيبي

د. عبد الله بن ناصر الحبيب

د. لميعة بنت عبدالعزيز الجاسر

د. رشيد ولد بو سيافة

سكرتير المجلة

محمد بن عبد الوهاب الماص

المراجعة والإخراج

م. باسم موفق حبوباتي

تعتذر دار جامعة الملك سعود للنشر عند نشر العدد ورقياً عن عدم وضوح بعض الصور والأشكال حال عدم وضوحها من المصدر

© ٢٠٢٤ (١٤٤٦هـ) جامعة الملك سعود

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من المجلة أو نسخه بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

دورية علمية محكمة، تصدر المجلة أربع مرات في العام (ابتداء من بداية كل عام دراسي جامعي) من جامعة الملك سعود (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية). تنشر البحوث العلمية التي لم يسبق نشرها، بالعربية أو بالإنجليزية، في حقول :الإعلام، والتاريخ، والجغرافيا، والدراسات الاجتماعية، واللغتين العربية والإنجليزية وآدابهما، وعلوم المكتبات والمعلومات.

صدر المجلد الأول من المجلة بعنوان ((مجلة كلية الآداب)) في العام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م، واستمرت سنوية إلى أن تحولت إلى نصف سنوية منذ المجلد الحادي عشر عام ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م . وفي عام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م صدرت بعنوان ((مجلة جامعة الملك سعود :الآداب)). وفي العام ١٤٣٤ هـ /٢٠١٣ م صارت مجلة الآداب، وأصبحت تصدر ثلاث مرات في السنة، وفي العام ١٤٤٣ هـ/ ٢٠٢٢ م أصبحت تصدر أربع مرات في السنة.

الـرؤيـــة

تسعى المجلة لأن تكون رائدة ومميزة في مجال النشر العلمي في الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وتصنَّف ضمن أشهر أوعية النشر العربية والعالمية، وضمن قواعد المعلومات العالمية.

الـرسـالة

الإسهام العلمي من خلال نشر البحوث والدراسات المحكمة في الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وفق معايير مهنية عالمية متميزة.

الأهـــداف

١ -أن تكون المجلة مرجعاً علمياً للباحثين في الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية.
٢ -تلبية حاجة الباحثين في حقول الآدب والعلوم الاجتماعية والإنسانية للنشر.
٣ -تطوير المعرفة الأدبية والاجتماعية والإنسانية والإسهام في تقدم المجتمع.

للمراسلة

((مجلة الآداب)) ص.ب. ٢٤٥٦ – الرياض ١١٤٥١

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية -جامعة الملك سعود -الرياض -المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٧٥٤٠٨ – ٠١١ فاكس ٤٦٧٥٤٠٢ – ٠١١

البريد الإلكتروني theartsjournal@ksu.edu.sa

ترسل الأبحاث عبر نظام التحرير الإلكتروني:https://japksu.com/index.php/jarts/index

الموقع الإلكتروني https://chss.ksu.edu.sa/ar/content/journal-faculty-arts

الاشتراك والتبادل

دار جامعة الملك سعود للنشر، جامعة الملك سعود، ص .ب ٦٨٩٥٣. ، الرياض ١١٥٣٧، المملكة العربية السعودية.

سعر النسخة الواحدة :١٥ ريالاً سعودياً، أو ما يعادله بالعملة الأجنبية، يضاف إليها أجور البريد.

رقم الإيداع (ورقي): ١٤١٦/٣٥٥٢

رقم الردمد (ورقي):٣٦١٢ – ١٠١٨

رقم الإيداع (النشر الإلكتروني): ١٤٤٠/٩٨٠٢

رقم الردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

قواعد النشر

مجالات النشر:

تنشر المجلة البحوث التي لم يسبق نشرها، بالعربية أو بالإنجليزية، في حقل الآداب والعلوم الإنسانية، وتشمل بالتحديد:

- اللغة العربية وآدابها
- اللغة الإنجليزية وآدابها
- الدراسات الاجتماعية
- الإعلام
- التاريخ
- علم المعلومات
- الجغرافيا

المواد المنشورة:

يقتصر النشر في مجلة الآداب على الأبحاث العلمية – فقط – التي تقدم إضافة معرفية في مجالها، وعلى هذا المجلة لا تنشر مُستلات الأطروحات العلمية، ولا المداخلات، ولا التقارير، ولا المراجعات النقدية.

معلومات النشر

شروط النشر في المجلة:

١. يعد تقديم البحث للمجلة تعهداً ضمنياً بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه لم يقدم ولن يقدم للنشر فـي جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه فـي المجلة.

٢. ألا يتجاوز عدد كلمات البحث كاملًا (١٠ آلاف كلمة) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والكلمات المفتاحية، والمراجع، والملحقات.

٣. الالتزام بنظام التوثيق المتبع لدى المجلة، وهو نظام شيكاغو الإصدار السابع عشر (Chicago Style 17th edition)، ويشمل ذلك التوثيق في المتن وفي قائمة المراجع، مع بعض التعديلات الطفيفة التي اعتمدتها المجلة على هذا النظام. والأبحاث التي لا تلتزم بهذا النظام يُعتذر لأصحابها عن عدم نشرها. ولا يقبل غير ذلك من أنظمة التوثيق كنظام توثيق المراجع داخل المتن، ولا توثيق المراجع في نهاية البحث، ولا التوثيق في الهوامش.

٤. يجب على الباحثين استخدام الحواشي السفلية، مع ضرورة ترقيم كل صفحة على حدة.

٥. يجب أن يسبق نصَّ المقال ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية، على ألا يقل كل منهما عن (١٠٠) كلمة ولا يتجاوز (٢٠٠) كلمة.

٦. أن يُسبَّق كل ملخص بكلمات مفتاحية (Keywords) تشير إلى جوهر موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، وذلك بعد عنوان البحث، وقبل الملخص في نسختيه العربية والإنجليزية، ولا يتجاوز عددها ستَ كلمات.

٧. ألا يُذكر اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث أو هوامشه أو قائمة مراجعه، صراحة، أو بأية إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وتُستخدم بدلاً من ذلك كلمة "الباحث" أو "الباحثين" أو نحوهما.

٨. يجب أن تُستَخدَم اختصارات عناوين الدوريات العلمية كما هو وارد في "القائمة العالمية للدوريات العلمية (The World List of Scientific Periodicals) "، وتستخدم الاختصارات المقننة دولياً، مثل: سم، مم، م، كم، سم٢، مل، مجم، كجم، ق، ٪ ...إلخ.

٩. يجب على الباحثين عمل قوائم للمصادر والمراجع، بحيث تتكون القائمة من :

أ-قائمة للمصادر والمراجع العربية .

ب- قائمة للمصادر والمراجع الأجنبية.

في قائمة المراجع توضع المراجع العربية أولاً، ثم المراجع الأجنبية، وفقا لترتيبها الألفبائي.

يجب أن تفصل المراجع الأجنبية عن المراجع العربية في قائمة المصادر والمراجع، وتأتي المراجع/ المصادر العربية أولًا في الأبحاث العربية، والمراجع/ المصادر الإنجليزية أولًا في الأبحاث الإنجليزية. ولا تقبل أيّ تقسيمات أخرى كفصل المجلات عن الكتب أو المراجع الإلكترونية عن الورقية.

أخلاقيات الباحثين:

- مراعاة أخلاقيات البحث العلمي المنصوص عليها في اللائحة الموحدة للبحث العلمي، وضرورة التقيد بالأعراف البحثية المتعارف عليها.
- مراعاة حقوق الملكية الفكرية للأخرين، وتجنب الانتحال، فلا يقتبس شيئًا من أعمال غيره وينسبه إلى نفسه، أو يعرضه خلوًا من التنصيص أو التوثيق، أو يجري تغييرًا طفيفًا على النصّ الأصلي ويثبته بلا تنصيص؛ لِيُفْهِمَ القارئَ أنه أسلوبه ومن بنات أفكاره. وهذا شكل من أشكال السرقة العلمية.

- عدم استخدام المعلومات الحصريَّة دون موافقة خطيَّة من الجهة التي تملكها.
- إتاحة الوصول إلى أدلة الدراسة متى طلبت المجلة ذلك، مع الحفاظ على سريتها.
- الأمانة العلمية في النقل، فلا يتعمد التلفيق فيما يثبته من مادة علمية أو آراء بحثية. ويتحمل الباحث تبعات ذلك من الناحيتين: الأدبية والقانونية.
- الدقة الكاملة في التوثيق العلمي، وفق قواعد التوثيق العلمي المقررة (نظام شيكاغو بتعديلاته التي أقرتها هيئة التحرير).
- الحياد والموضوعية. ويتحقق ذلك بالبعد عن الأهواء الشخصية في كل ما يتعلق ببحثه.
- تجنب محاولات التأثير على هيئة التحرير أو المحكمين، فلا يحاول التواصل معهم؛ لِيُمَيَّزَ عن غيره من الباحثين في موعد النشر أو التحكيم.
- مراعاة الأصالة في البحث العلمي، فلا يجوز أن يكون منشورًا في مجلة أخرى، ولا يُعاد أو يتزامن نشره أو نشر جزء منه في أي وعاء آخر، سواء كان ذلك بالنقل الكامل أو بتغيير عنوان الدراسة أو تغيير بعض أجزائها.
- عدم التحيُّز في نتائج البحث، فيثبتها كما هي بلا تعديل أو تغيير، ولا يثبت استنتاجات غير واقعية متأثرًا بميوله أو توجهاته الشخصيَّة.
- الالتزام بتعديل البحث وتجويده في ضوء ملاحظات السادة المحكمين.

إجراءات النشر:

١. يُعد إرسال الباحث بحثه تعهداً منه بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه لم يقدم ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة، وإذا تبيّن أن البحث أرسل إلى وعاء نشر آخر خلال فترة تحكيمه لدى مجلة الآداب، فللمجلة أن تتخذ بحقه الإجراء المناسب.

٢. تقوم المجلة بعمل فحص أولي للأبحاث لتقرير صلاحيتها لاستكمال إجراءات تحكيمها أو رفض التحكيم.

٣. تخضع جميع الأبحاث بعد إجازتها من هيئة التحرير للتحكيم العلمي على نحو سري مزدوج، لا يعرف فيه المحكمون اسم الباحث، ولا يعرف الباحث أسماء المحكمين.(Double-Blind Review)

٤. يرسل البحث إلى اثنين من المحكمين المختصين في موضوعه، فإن اختلف رأياهما أرسل إلى محكم ثالث، ويكون رأيه حاسماً.

٥. الأبحاث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد لأصحابها مرة واحدة فقط لإجراء التعديلات، على ألا يتأخر الباحث في إعادة البحث للمجلة عن أسبوعين، ثم تعاد الأبحاث للمجلة لإرسالها للمحكمين مرة أخرى للتأكد من إجراء التعديلات، والتوصية بما يرونه من قبول للبحث أو رفض له.

٦. عند قبول البحث للنشر لا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقي أو إلكتروني دون موافقة مجلس هيئة تحرير المجلة، والحصول على كتاب (خطاب) من رئيس التحرير.

٧. يبلغ أصحاب الأبحاث بنتيجة التحكيم قبولًا أو رفضًا بعد استكمال إجراءات تحكيمها.

أخطاء شائعة:

أخطاء شائعة تتسبب في تكرار الطلب من الباحث تصويبها أو رفض البحث (نأمل من كل باحث التأكد من خلو البحث من كل الأخطاء الآتية –وغيرها مما يوجد من أخطاء–):

١. إعادة إرسال الباحث بحثه للمجلة عدة مرات دون إجراء كامل التعديلات الأولية التي تطلبها منه إدارة التحرير، لأن هذا سيؤدي إلى رفض البحث، وعدم إحالته للتحكيم. وعندما تطلب إدارة التحرير من الباحث إجراء التعديلات اللازمة والالتزام بقواعد النشر ومعلوماته قبل إحالة البحث للتحكيم، فإن الباحث يمنح فرصتين فقط لعمل التعديلات المطلوبة، فإن لم يلتزم الباحث بالمتطلبات، فستعتذر المجلة عن عدم إحالة البحث للتحكيم.

٢. عدم الالتزام الدقيق بنظام التوثيق الذي تتبعه المجلة حاليًا وهو نظام شيكاغوChicago Style ، سواء في التوثيق في متن البحث أو في تسمية الجداول والأشكال، أو تنسيق العناوين، أو قائمة المراجع ونحو ذلك مما يخالف هذا النظام.

٣. عدم الالتزام بعدد الكلمات المسموح به (وهو عشرة آلاف كلمة للبحث كاملًا من أوله إلى آخره بما في ذلك الملخصان).

٤. ازدواجية التاريخ داخل النص، حيث يستعمل الباحث التاريخ الهجري أحيانًا والتاريخ الميلادي أحيانًا أخرى للتوثيق، فينبغي توحيد التاريخ لكل المراجع .

٥. وضع حرف الميم (م) بعد التاريخ الميلادي في التوثيق .

٦. وضع مسافة بين علامات الترقيم والكلمات التي تسبقها، فالمسافة دائماً بين علامات الترقيم والكلمات التي تليها، إلا علامات الترقيم التي لحصر ما بينها مثل: القوسين ( ) والشولتين " " والشرطتين – –، فإنها تُفصل بمسافة عما قبل الحصر بهما وعما بعده، ولكنهما بلا مسافة عما يحصرانه بينهما. مثال: (مجلة الآداب)، "مجلة الآداب"، –مجلة الآداب–.

٧. استعمال علامات الترقيم الإنجليزية في النص العربي أو العكس. مثال: ياسر, وبدر, وعبدالرحمن... الفاصلة هنا هي الفاصلة الإنجليزية وليست العربية. ومثل ذلك استعمال الفاصلة العربية في النص الإنجليزي مثل: Yasser، Bader، and Abdulrahman. لذا، يجب أن يتأكد الباحث من كونه يستعمل علامات الترقيم التي تتوافق مع لغة البحث.

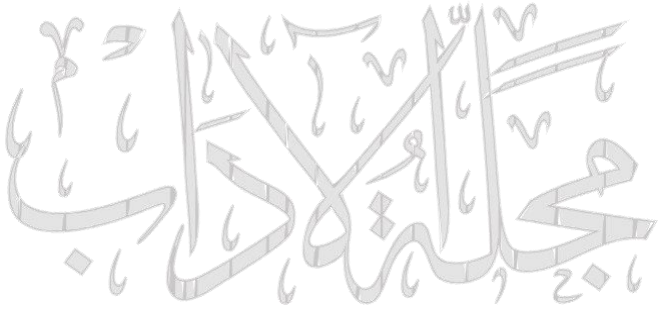
مجلة الآداب

كلمة رئيس التحرير

يسعد هيئة تحرير مجلة الآداب أن تقدم لقرائها العدد الثاني من المجلد السابع والثلاثين في حقل الآداب والعلوم الإنسانية الذي جاء غنياً وثريًّا بما ضَمّه من أبحاث متخصصة، أسهم فيها الباحثون بإثراء عدد من مجالات المعرفة، حيث احتوى العدد على أحد عشر بحثًا.

ففي حقل اللغة العربية تضمن العدد سبعة أبحاث، هي:

١- العبد بوصفه مسيطرًا: دراسة في مدونة الرقيق.

٢- التعليل اللُّغوي لِما امتَنع من أوجه القراءات.

٣- صورةُ الذّاتِ بينَ (الأنا) والآخر: (كمستير) لجَعْفر العُقَيْلي و(صحراء التّتار) لدينو بوزّاتي نموذجًا.

٤- (القبح) في اللغة العربية بوصفه نموذجًا أوَّليًّا: تحليلٌ دلاليٌّ إدراكيٌّ.

٥- لغة العلوم في ضوء النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة لهاليداي.

٦- أثر استخدام تقنيات السينما في القصيدة العربية المعاصرة: (يوميات كهل صغير السنّ) لأمل دنقل نموذجًا.

٧-في الخطاب اليومي والعادات الكلامية التداولية.

وفي حقل التاريخ تضمن العدد بحثًا واحدًا، هو:

٨- The Religious Life of the Andalusians Between the Malikis' Prohibition of Survival in al-Andalus and the Castilian Persecution after 1492.

وفي حقل علم المعلومات تضمن العدد بحثًا واحدًا، هو:

٩- آراء أمناء المكتبات الجامعيَّة في المملكة العربيَّة السعوديَّة في البيانات الضخمة.

وفي حقل الإعلام تضمن العدد بحثًا واحدًا، هو:

١٠- إدمان اتصال الإنترنت وعلاقته بتعزيز القلق النفسي لدى الشباب اليمني: دراسة ميدانية.

وفي حقل الدراسات الاجتماعية تضمن العدد بحثًا واحدًا، هو:

١١- فاعليَّة العلاج بالمعنى وأثره في تطوير الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة.

وجاءت هذه الأبحاث بصورتها الحالية بعد قراءة واعية ومتأنية من المحكمين والباحثين، الذين حرصوا على أن تكون فيها الإضافة العلمية المنشودة.

ولا يسعني هنا إلا أن أُقدِّم شكري لجميع الباحثين الذين وثقوا بالمجلة، وللمحكمين الذين أثروا هذه الأبحاث العلمية بملحوظاتهم النيرة والدقيقة، وأحكامهم السديدة، وأشكر زملائي في هيئة التحرير، وجميع القائمين على أعمال المجلة، كما أتقدم بالشكر الجزيل لإدارة الجامعة على دعمها المستمر للمجلات العلمية، سائلاً الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً لخدمة العلم والبحث العلمي والباحثين، في هذا الصرح العلمي الشامخ، جامعة الملك سعود.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس هيئة تحرير مجلة الآداب

د. فهد بن عبد العزيز العبده

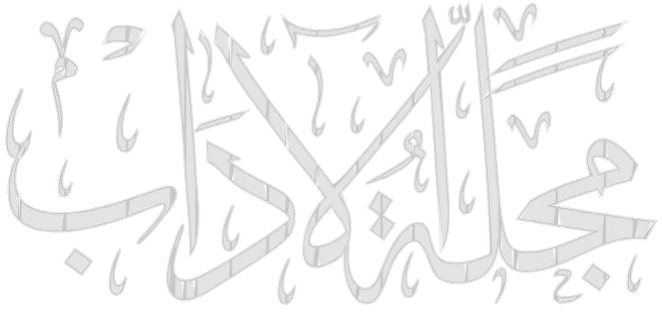
مجلة الآداب

المحتويات

أبحاث العدد

القسم العربي

- **العبد بوصفه مسيطرًا: دراسة في مدونة الرقيق**

أريج بنت محمد السويلم ٣

- **التعليل اللُّغوي لِما امتَنع من أوجه القراءات**

عبد الله بن فهد الدوسري ١٩

- **آراء أمناء المكتبات الجامعيَّة في المملكة العربيَّة السعوديَّة في البيانات الضخمة**

صقر بن مويسان العتيبي ٣٩

- **صورةُ الذّاتِ بينَ (الأنا) والآخر: (كمستير) لجَعْفر العُقَيْلي و(صحراء التّتار) لدينو بوزّاتي نموذجًا**

خلدون بن أحمد الجعافرة ٦٥

- **إدمان اتصال الإنترنت وعلاقته بتعزيز القلق النفسي لدى الشباب اليمني: دراسة ميدانية**

مجيب بن أحمد الشميري ٨٧

- **(القبح) في اللغة العربية بوصفه نموذجًا أوَّليًّا: تحليلٌ دلاليٌّ إدراكيٌّ**

نادية بنت سيد عبد الواحد عبد المجيد ١١٣

- **لغة العلوم في ضوء النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة لهاليداي**

ليلى بنت محمد إبراهيم قحل، و إلهام بنت البرعي فرج ١٣٥

- **أثر استخدام تقنيات السينما في القصيدة العربية المعاصرة: (يوميات كهل صغير السنّ) لأمل دنقل نموذجًا**

سمر بنت كمال السقا ١٥٥

- **في الخطاب اليومي والعادات الكلامية التداولية**

ذكرى بنت يحيى القبيلي ١٧٧

● **فاعليَّة العلاج بالمعنى وأثره في تطوير الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة**

خلود بنت برجس العبدالكريم ١٩٧

القسم الانجليزي

● **الحياة الدينية للأندلسيين بين تحريم المالكية للبقاء في الأندلس واضطهاد قشتالة بعد عام ١٤٩٢م**

The Religious Life of the Andalusians Between the Malikis' Prohibition of Survival in al-Andalus and the Castilian Persecution after 1492

مشعل بن محمد العنزي..... ٢

أبحاث العدد

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ٣-١٧، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 3-17, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

العبد بوصفه مسيطرًا: دراسة في مدونة الرقيق

أريج بنت محمد السويلم

أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، السعودية.

(قدم للنشر في ١٤/ ٤/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ٨/ ٧/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-1

الكلمات المفتاحية: الرَّقيق، العبيد، الجواري، جدلية السيد والعبد، القهرمانة، الإماء.

ملخص البحث: تنطلق هذه الدراسة من الأخبار المتصلة بالرق والعبودية في مدونة النثر العربي القديم، ونحن إذ نستخدم لفظ العبد في دراستنا فإننا نقصد دلالتها التي تحيل إلى الأنا المملوكة التي تباع وتشترى، سواء أكانت ذكرًا أم أنثى. مستأنسين بقراءة تلك الأخبار ضمن جدلية السيد والعبد كما جاءت عند هيغل، وتأتي أهمية الدراسة من قلة الدراسات المستقلة التي تُعنى بالرَّقيق في المدونة الأدبية، فهي تهدف بشكل أساس إلى النظر في أنا العبد بوصفه مسيطَرًا عليه من جانب ومسيطِرًا على سيّده من جانب آخر. أما الجانب الأول فبدهي، وأما الجانب الآخر فهو ما سنركز عليه في دراستنا، ساعين إلى التقاط المضمر من هذه الثنائية المقلوبة، ومكمن الطرافة فيها هي تلك المفارقة التي تجعل من العبد مستقلًا بذاته أو مسيطرًا.

The Slave as a Master: A Study in the Narrative of Slavery

Areej Mohammed Alsuwailem
Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, College of Humanities and Social Sciences, King Saud University, Saudi Arabia.
(Received: 14/ 4/1446 H, Accepted for publication 8/ 7/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-1

Keywords: slavery, slaves, concubines, master-slave dialectic, Qahramana, bondwomen.
Abstract. This study draws on accounts related to slavery in the corpus of classical Arabic prose. In using the term slave in this study, we refer specifically to its meaning denoting the "owned self"—a person bought and sold, whether male or female. The analysis is inspired by examining these accounts through the lens of Hegel's master-slave dialectic.The significance of this study lies in the lack of independent scholarly works focusing on slavery within the literary corpus. Its primary aim is to examine the self of the slave as both controlled and, paradoxically, as controlling their master. While the former role is evident, the latter is the central focus of this study, as it seeks to uncover the implicit and often overlooked aspects of this inverted duality. The intrigue of this paradox lies in the notion of the slave as autonomous or even as a master in their own right.

المقدمة

شغلت النصوص التي تحدثت عن الرق والعبودية حيزًا ليس باليسير من مدونة النثر العربي القديم، وقد تنوعت تلك النصوص ما بين نصوص سردية أو ما يُعرف بـأدب الأخبار، فنجد العبد في مثل تلك الأخبار شخصية من شخصيات الخبر، ونصوص أخرى سيرية عن العبيد مثل النصوص التي تترجم لهم وتذكر مناقبهم، وفي مقابل ذلك نجد نصوصًا واصفة تندرج في برمجة الرَّقيق بوصفهم شيئًا- إن جاز التعبير - من مثل ذكر الصفات اللازم توفرها عند شراء العبد، وطريقة فحصه، وبيعه، ونحو ذلك على نحو ما جاء في رسالة ابن بطلان الشهيرة *"رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرَّقيق وتقليب العبيد"* .

تنطلق هذه الدراسة من مدونة الرقيق، ونحن إذ نستخدم لفظ العبد في دراستنا فإننا نقصد دلالتها التي تحيل إلى الأنا المملوكة التي تباع وتشترى، سواء أكانت ذكرًا أو أنثى.

وتأتي أهمية الدراسة من ضمور دراسات مستقلة تُعنى بالرَّقيق في المدونة الأدبية، فهي تهدف بشكل أساس إلى النظر في أنا العبد بوصفه مسيطَرًا عليه من جانب ومسيطِرًا على سيّده من جانب آخر. أما الجانب الأول فبدهي، وأما الجانب الآخر فهو ما سنركز عليه في دراستنا، ساعين إلى التقاط المضمر من هذه الثنائية المقلوبة، ومكمن الطرافة فيها هي تلك المفارقة التي تجعل من العبد مستقلًا بذاته أو مسيطرًا ضمن ثنائية السيد والعبد.

وفي حدود ما اطلعنا عليه فإننا لم نجد دراسة تعنى بدراسة الرَّقيق المسيطِر، وما عثرنا عليه غالبًا لا يخرج عن أصناف أربعة، إما دراسات تأخذ بعدًا تاريخيًا أو جغرافيًا فتتبع حركة الرقيق في فضاء جغرافي معين وزمان محدد مثل كتاب (الجواري والغلمان في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي)[١] الذي يتتبع فيه الباحث حياة الجواري والغلمان في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي، أو دراسات تأخذ بعدًا اجتماعيًا، فتدرس دورهم الاجتماعي نحو (الرَّقيق والحياة الاجتماعية ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام)[٢]، و(الرَّقيق وأثرهم الاجتماعي والعلمي في صدر الإسلام)[٣]، و(الرَّقيق السود في ظل الإسلام).[٤] أو دراسات تُعنى بنوع محدد من الرَّقيق وعلاقته بالأدب كالدراسات المؤلفة في القيان مثل (القيان والأدب في العصر العباسي الأول)[٥] وهو كتاب يدرس التجربة الإبداعية للقيان فحسب، وكتاب (الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي)[٦] الذي يركز على التجربة الشعرية للشعراء السود. أو دراسات ثقافية تنطلق من العرق أو الجنس منها (تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)[٧]وهي دراسة سعى الباحث فيها إلى دراسة تمثيلات السود خاصة وقراءة الصور النمطية والمرجعيات الثقافية التي ساهمت في هذا التنميط، وكتاب الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية:

---

(١) نجوى كمال كيرة: *الجواري والغلمان في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي*، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٧م، ط١.

(٢) مخالد حسين محمود: *الرقيق والحياة الاجتماعية ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام*، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩ م، ط١.

(٣) سناء نصيف حسام الدليمي: *الرقيق وأثرهم الاجتماعي والعلمي في صدر الإسلام*، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٩م، ط١.

(٤) بشام أكرم جميل داود: *الرقيق السود في ظل الإسلام*، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠١٩م، ط.١

(٥) ليلى حرميّة الطبوبي: *القيان والأدب في العصر العباسي الأول*، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت،٢٠١٠ م، ط١.

(٦) عبده بدوي: *الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨ م، ط١.

(٧) نادر كاظم: *تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م، ط١.

مقاربة جندرية)[٨] الذي يركز على الأدوار الاجتماعية والثقافية للجواري والغلمان وفي منظور الدراسات الجندرية. في حين أن دراستنا تركز بدرجة أولى على الرَّقيق بوصفه كائنًا معترفًا به ومسيطرًا على سيده دون الاقتصار على عرق أو جنس أو فضاء جغرافي محدد، وفي حدود النصوص النثرية فحسب.

ولأن موضوع الدراسة ينهض على مقولة مجردة تتصل بمدونة الرقيق، فإنها تفترض مساراً وصفياً وتحليلياً، وتستأنس بقراءة تلك الأخبار ضمن جدلية السيد والعبد كما جاءت عند هيغل.

واعتمدنا في هذه الدراسة على نصوص نثرية متشذرة ومضمنة في مؤلفات من النثر القديم من مثل (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) و(نهاية الأرب في فنون الأدب) ورسالة (شرى الرَّقيق وتقليب العبيد) لابن بطلان، وبعض المؤلفات التاريخية والجغرافية مثل (الصلة في تاريخ أئمة الأندلس) و(أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) و (معجم البلدان) للحموي.

وقد اقتضت منهجية البحث تقسيم هذه الدراسة إلى قسمين، يوضح القسم الأول منها المراد بتشيؤ العبد والممارسات المتصلة بهذا المعنى، ونقف في القسم الثاني منها على ثنائية السيد والعبد في مدونة الرَّقيق كما ظهرت في نماذج من النثر القديم.

أولاً: تشيؤ الرَّقيق

يستدعي دال الرَّقيق شبكة من الدوال من مثل العبيد والإماء والقيان والجواري والخصيان، حيث تحيل جميعها إلى فكرة الهوية المملوكة من أنا أخرى، ويحيل بعض منها على دلالات أكثر خصوصية؛ فثمة دوال تحيل على الهوية الأنثوية المملوكة مثل (الأمة) و(القينة) و (الجارية)، جاء في اللسان "والقَيْنةُ: الأَمة المُغنّية، تكون من التزَيُّن لأَنها كانت تَزَيَّنُ" ويرى صاحب اللسان أنها قد تستخدم للرجال أيضًا، وللأمة مغنية كانت أو غير مغنية

وربما قالوا للمُتَزَيِّن باللباس من الرجال قَيْنة، وقيل: القَيْنة الأَمة، مُغَنّية كانت أَو غير مغنية. قال الليث: عَوامُّ الناس يقولون القَيْنة المغنّية. قال أَبو منصور: إِنما قيل للمُغنّية قَيْنةٌ إِذا كان الغناءُ صناعة لها، وذلك من عمل الإِماء دون الحرائر. والقَيْنُ: العبد، والجمع قِيانٌ[٩].

وهي تحيل في عموم هذه الدلالات المذكورة إلى أنا مملوكة.

ومن الدوال التي تحيل في كثير من الأخبار على الأنثى المملوكة دال (الجارية)، حيث يتردد هذا الدال في كثير من الأخبار بمعنى المملوكة، فقد استخدمه الأصفهاني في الأغاني بهذا المعنى، غير أن النظر في المعاجم يجعل من دلالاتها دلالة تشمل الحرة والمملوكة على حد سواء، فقد حددها ابن سيده الأندلسي بقوله: "الجارية: الفتية من النساء بينة الجراية"[١٠] وعن سبب تسميتها ذكر الزمخشري "سميت الجارية لأنها تستجرى في الخدمة"[١١] وفي المحيط "سميت الجارية لأنها تجري في الحوائج"[١٢] ولم نقف – في حدود ما اطلعنا عليه– على معجم يجعل من دلالة الجارية نقيضًا لدلالة الحرة، غير أن التعريفات للفظة الجارية تحيل إلى أمرين: صغر سنها، ووظيفتها المقتصرة على قضاء الحوائج.

(٨) وفاء الإدريسي: *الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية : مقاربة جندرية*، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٦م، ط١

(٩) مادة (ق.ي.ن)، اللسان.

(١٠) ابن سيده الأندلسي: *المحكم والمحيط الأعظم*، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ط١، ج٧، ص ٥٠٦.

(١١) الزمخشري: *أساس البلاغة*، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ط١، ج١، ص١٣٦.

(١٢) مادة (ج.ر.ي)، القاموس المحيط.

أما دال (الأمة) فالتعريفات التي وجدناها جميعها تحيل إلى دلالة التملك جاء في اللسان" الأَمَةُ: المَمْلوكةُ خِلاف الحُرَّة (...) الأَمَ المرأَة ذات العُبُودة، وقد أَقرّت بالأُمُوَّة"[١٣]

في مقابل ذلك نجد دوال تتصل بالمملوكين من الرجال كدال (العبد)، حيث تستخدم بمعنى المملوك من الرجال[١٤]، غير أن الدلالة المعجمية تتسع لتشمل الإنسان حرًا كان أو رقيقًا، جاء في اللسان: "العبد: الإِنسان، حرّاً كان أَو رقيقاً، يُذْهَبُ بذلك إِلى أَنه مربوب لباريه، جل وعز"[١٥]. وفي القاموس المحيط فقد جاء (العبد) بمعنى: "الإِنْسانُ حُرّاً كان أو رقيقاً، والمَمْلوكُ"[١٦] فيحمل الدال بذلك دلالتين إحداهما عامة تحيل على الإنسان على وجه العموم، والأخرى دلالة مخصوصة تحيل على الأنا المملوكة فحسب.

ولعل الدال الأشمل- فيما نحن معنيين بدراسته - الذي يحمل الدلالة المحضة لفعل التملك شاملًا الذكر والأنثى هو دال (الرَّقيق)، جاء في اللسان "الرِّقُّ، بالكسر: المِلك والعُبودِيَّةُ. ورَقَّ: صار في رِقٍّ... والرَّقيق: المملوك، واحد وجمع، فَعِيل بمعنى مفعول وقد يُطلق على الجماعة كالرَّفيق، تقول منه رَقَّ العبدَ وأَرَقَّه واسْترقَّه: الرَّقيق والرَّقيق: المَمْلوكُ بَيِّنُ الرِّقِّ"[١٧] وفي القاموس "والرَّقيق: المَمْلوكُ بَيِّنُ الرِّقِّ، بالكسر، للواحِدِ والجَمْعِ، وقد يُجْمَعُ على رِقاقٍ"[١٨]. وبذلك فإن دال (الرَّقيق) يحيل على عوالم المملوكين المحضة رجالًا كانوا أو نساءً، على خلاف بقية الدوال التي قد تحيل إلى الملوك تارة، والحر تارة أخرى من مثل (العبد) و (الجارية)، أو قد تحيل إلى جنس محدد من الرَّقيق من مثل (القينة) و (الأمة)، أو إلى فئة مخصوصة من المملوكين من مثل(الخصيان).

وإذا استقرت في أذهاننا هذه الدلالات جاز لنا أن نعرّف الرَّقيق بوصفه كائنًا بشريًا ذا جسد بيولوجي ويمتلك قدرات عقلية مكافئة لسيده أو تفوق عليه، غير أنه مسلوب الإرادة والاختيار، ويُمارَس عليه ما يحوله من كائن بشري ذي إرادة واختيار إلى (شيء) كباقي الأشياء يؤخذ ويعطى ويباع ويوهب، ويغدو بذلك مسلوبًا لكينونته البشرية.

ونحن إذ نستخدم التشيؤ فإننا نعني به تحول هذا الكائن البشري إلى شيء مستلب لحريته وخاضع لإرادة غيره،[١٩] فالخطف، والسبي، والشراء، والعبودية المتوارثة، جميعها ممارسات تمارس على العبد جبرًا، ولا تخضع لإرادته واختياره، وعلى الرغم من أن هذا التشيؤ طارئ وقابل للتقويض؛ ذلك أن فعل العتق يعيد العبد إلى كينونته الأصل التي تريد وتختار، إلا أن العتق بطبيعة الحال لا يخضع إلا لإرادة السيد، وبذلك فإن ابتداء التشيؤ وانتهاءه يتم على نحو لا إرادي بالنسبة إلى العبد.

وبالعودة إلى النصوص الأدبية فإن التشيؤ يتحقق بممارسات أبرزها:

---

(١٣) مادة (أ.م.ا)، اللسان.

(١٤) وهذه الدلالة هي الشائعة، والأمثلة على هذا الاستخدام أكثر من أن تحصى.

(١٥) مادة (ع.ب.د)، اللسان.

(١٦) مادة (ع.ب.د)، القاموس المحيط.

(١٧) مادة (ر.ق.ق)، اللسان

(١٨) مادة (ر.ق.ق)، القاموس المحيط

(١٩) نلفت نظر القارئ إلى أن التشيؤ الذي نقصده هو التحول من البشري إلى الشيء، من صيغة (تفعُّل)،وليس المراد به به مطابقة مفهوم التشيؤ كما هو عند لوكاتش الذي يرد بوصفه مفهومًا فلسفيًا لمفاهيم اقتصادية تتصل بتحليل البنية الاقتصادية في المجتمع الرأسمالي يقول: "هذا التشيؤ أي ظهور العمل الإنساني في صورة شيء جامد مستقل عن العامل هو أصل استلاب الإنسان وفقدانه لحريته حيث يعد خاضعًا لقوة خارجة عن إرادته" انظر: العروي، عبدالله: *مفهوم الأيديولوجيا*، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩٣ م، ط٥، ص٨٧.

للاستزادة : لوكاش، جورج: *التاريخ والوعي الطبقي*، تر: حنّا الشاعر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢م، ط٢ ، ص ٧٩ ومابعدها.

وإن كان مقاربًا له فيما يتصل باستلاب الحرية والخضوع لقوة خارجة عن إرادة المرء

١-تسليع الرَّقيق

٢-برمجة الرَّقيق

ونحن إذ نستخدم تعبير (التسليع) فإننا ندرج فيه كل فعل يجعل من هذا الكائن البشري سلعة تباع وتشترى بدءًا من الممارسات التي تحوله إلى سلعة من مثل الخطف والسبي، مرورًا بطريقة تسليعه في أسواق الرَّقيق وانتهاءً ببيعه أو بتملكه تركةً. أما (البرمجة) فنعني بها جملة الصفات والمعايير والأحكام التي سنتها المؤسسة الاجتماعية مع هذه الفئة المتشيئة التي لا تملك لها حولًا ولا قوة، ويمكننا أن نتملس شيئًا منها في المصنفات الأدبية والفقهية كما سيتبين لنا.

١- تسليع الرَّقيق:

يتحول الرَّقيق بفعل الخطف والسبي والعبودية المتوارثة إلى سلعة توهب وتورّث وتباع وتشترى في الأسواق، وكانت الأسواق على أنواع فمنها ما تقتصر بضاعته على الرَّقيق المجلوب من الأسواق الأخرى في البلاد الإسلامية، ونعثر في المدونة التراثية على إشارات لأسواق خاصة ببيع الرَّقيق، مثل سوق الرَّقيق في بغداد [٢٠]، ودار الأنماطي في العهد الفاطمي،[٢١] ودار الزنج في مكة،[٢٢] والمعرض والبركة[٢٣]،وسوق الخدم والعبيد في المغرب. ومنها أسواق بضاعتها مجلوبة من الدول الأخرى، وهي أشبه بنقاط توزيع، فبيعها يكون غالبًا للأسواق الإقليمية داخل البلاد الإسلامية، وغالبًا ما تكون في المقاطعات القريبة من مصادر جلب الرَّقيق، مثل سوق سمرقند، وسوق عمان، وسوق عدن، وسوق نهاوند. وتجدر الإشارة إلى أن ثمة أسواقًا موسمية خاصة ببيع الرَّقيق تحظى بنشاط كبير، وقد أشار القزويني إلى مثل هذه الأسواق فذكر أن السوق الموسمية تقام كل عام في أول الربيع مدة أربعين يومًا وتسمى (بيلة)[٢٤] وتخضع لشروط مختلفة عن الأسواق القارة فالبضاعة فيها أقل ثمنًا، ولا يسمح بردها.

وكما أن للنخبة أسواقًا وبضائع خاصة، فإن نقاط بيع الرَّقيق أيضًا كانت تخضع لمثل تلك التراتبية، فثمة أسواق خاصة للرقيق الجيد تعقد في منازل التجار للأثرياء وأصحاب الجاه، أو يتكفل التاجر نفسه بتوصيلها إلى المشتري، وكان الرَّقيق المعروض فيها مميزًا في صفاته الشكلية أو خبراته المهارية أو حصيلته المعرفية، على خلاف الرَّقيق المعروض في أسواق العوام الذي قد يكون عرضة للابتذال أو الانتهاك حسب المشتري.

ولكل سوق سياسات خاصة به ومن ذلك أن الحاكم بأمر الله الفاطمي جعل ارتياد مثل هذه الأسواق مقصورًا على الباعة والمشترين فحسب؛ لأن جزءًا من مرتادي هذه

(٢٠) قال ياقوت الحموي: " شَارِعُ دارِ الرَّقيق: محلة ببغداد باقية إلى الآن وكان الخراب قد شملها، وهي ناحية على دجلة كان يباع الرَّقيق فيها قديما، وهي بالجانب الغربي متصلة بالحريم الطاهري، وفيها سوق" الحموي، ياقوت: *معجم البلدان*، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ط٢، ج٣، ص ٣٠٧.

(٢١) رمضان، هويدا عبد العظيم: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ج١، ص ١٩٩.

(٢٢) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني: *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ص٢٥٢.

(٢٣) سوق البركة هو أول سوق بناه المسلمون عند فتح مصر وخصص لبيع الرَّقيق، للاستزادة انظر رمضان، هويدا عبد العظيم: *المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي*، ص ١٩٨.

ومما جاء أيضًا: تطلق البركة على سوق النخاسة التي يباع فيها العبيد ببعض المدن المغربية، انظر: *معلمة المغرب*، مادة البركة، ج٤، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ١٩٩١، ص ١١٨٤.

(٢٤) القزويني، زكريا: *آثار البلاد وأخبار العباد*، دار صادر، بيروت، ص٥٣١.

الأسواق إنما يرتادونها للفرجة، كما أنه خصص يومًا لبيع الجواري ويومًا آخر لبيع الغلمان[٢٥].

ويجتهد النخاس[٢٦] غاية الاجتهاد في إبراز البضاعة، فيقيم الرَّقيق على منصات ليتمكن المشترون والمتفرجون من رؤيتهم، ومما يروى في هذا الصدد أن الجارية عنان جارية الناطفي بباب الكرخ أقيمت على سرير كي يتمكن الناس من مشاهدتها [٢٧]،ونعثر على ممارسات كثيرة تمارس قسرًا على هؤلاء الرَّقيق لغرض التسويق، ومن ذلك طلاء أجساد الجواري بالورس[٢٨]؛ لأن العرب يميلون إلى لون البشرة الضارب في الصفرة، وقد يصنع للجارية شوارب خضراء محاكاةً للغلمان، وقد يكتب على ملابس الرَّقيق وأجسادهن أيضًا[٢٩].

وتجدر الإشارة إلى أن عملية تقليب الإماء وفحصهن إنما تتم بضوابط خاصة لأولئك اللاتي يبعن في الأسواق العامة، فقد كان يوكل لـ(الأمينة)الإشراف على تقليبهن، وقد تحمل الجواري إلى ديار من يطلبهن باسم الشراء وتشارك الأمينة في التقليب، وتتقاضى أجرًا[٣٠].

وبذلك يتبين لنا أن انتشار الأسواق وتنوعها، وضوابط التسليع والإرجاع، واشتراطات الفحص والتقليب، لتبرهن على أن عملية تسليع الرَّقيق قد استقرت وحظيت بقبول المؤسسة الاجتماعية وفق ضوابط وسياسات معينة، ومن جانب آخر تكشف عن تشيؤ الرَّقيق وانتزاعه من كينونته البشرية بتجريده التام من حق الاختيار.

٢- برمجة الرَّقيق:

لاتقف حدود تشيؤ الرَّقيق عند عملية البيع والشراء؛ فقد وثّقت كثير من المؤلفات – التي جعلت من الرَّقيق موضوعًا لها – جملة من الصفات والشروط التي ينبغي تحققها عند شراء الرَّقيق، على سبيل المثال ما جاء في مقدمة رسالة ابن بطلان الشهيرة (شري الرَّقيق وتقليب العبيد):

ومقالتنا هذه تشتمل على فنون خمسة: الأول منها: في وصايا ينتفع بها في البيع والشرى، الثاني منها: فيما يتفقّد من أعضاء الرَّقيق بحسب ما يراه الأطباء، الثالث: في معرفة أخلاق العبيد بقياس الفراسة على مذهب الفلاسفة، الرابع: في معرفة صور كل جنس وما يصلحون له من الأعمال بحسب خواص بلادهم والمنشأ، الخامس في كشف تلبيسات يدلس بها النخاسون الرَّقيق على المشتري، يجري مجرى الحسبة.[٣١]

---

(٢٥) "ومنع أن يدخل أحد إلى سوق الرَّقيق إلا أن يكون بائعًا أو مشتريًا؛ وأفرد الجواري من الغلمان، وجعل لكل منهم يوم" المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر: *اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*، تح: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦، ط ١، ج٢، ص ٧٦.

(٢٦) النخاس تاجر الرَّقيق واللفظ ذاته يطلق على تاجر الدواب، وكثيرًا ما كان النخاس يجمع بين هذين النوعين من التجارة، جاء في اللسان " نَخَسَ الدَّابَّةَ وغيرها يَنْخُسُها ويَنْخَسُها ويَنْخِسُها؛ الأَخيرتان عن اللحياني، نَخْساً: غَرَزَ جنبها أَو مؤخّرها بعود أَو نحوه، وهو النَّخْسُ. بائع الدواب، سمي بذلك لنَخْسِه إياها حتى تَنْشَط، وحِرْفته النِّخاسة والنَّخاسة، وقد يسمى بائعُ الرَّقيق نَخَّاساً، والأَول هو الأصل". مادة (ن.خ.س) ، اللسان.

(٢٧) الأصفهاني، أبو الفرج: *الأغاني*، تح: علي السباعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٢٣، ص٩١.

(٢٨) جاء في لسان العرب "الوَرْس: شيء أَصفر مثل اللطخ يخرج على الرِّمْثِ بين آخر الصيف وأَوَّل الشتاء إِذا أَصاب الثوبَ لَوَّنَه".

(٢٩) أورد الوشّاء أخبارًا عن ما كتب على ملابس الرّقيق وأجسادهن للاستزادة انظر: الوشّاء، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى: *الموشّى*، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٣م، ط١، ص ٢١٩ – ٢٤٠

(٣٠) السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد: ***آداب الحسبة***، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة إرنست لورو، باريس، ١٩٣١م، ج٢١، ص٤٨.

(٣١) ابن بطلان، *رسالة جامعة لفنون نافعة فى شرى الرَّقيق وتقليب العبيد* [مطبوع ضمن كتاب «نوادر المخطوطات»]، تح: عبد السلام

لقد خصص ابن بطلان ثلاثة أقسام من أصل خمسة تندرج ضمن الاشتراطات ينبغي أن تتوفر في الرَّقيق، فقد ضمّن في القسم الثاني من هذه الفنون الاشتراطات التي تتصل بالصورة المثالية لجسد الرَّقيق، حيث عرج على اللون المثالي للرقيق ونوع البشرة وتناسب الأعضاء، ثم خصص ثلاثين فصلًا، لكل عضو من أعضاء الجسد وما ينبغي أن يكون عليه نافذًا إلى تفاصيل في غاية الدقة.

وفي القسم الثالث من كتابه تفصيل لأخلاق العبيد وما يفهم منها بالفراسة، قسمه إلى واحد وتسعين فصلًا، فصّل فيها الصورة المثالية التي ينبغي أن تكون عليها أخلاق الإناث والذكور والخصيان، وبيّن مذهب الفلاسفة على حد تعبيره في الفراسة لكل صفة خلقية من صفات الجسد المشترى، فصفة شعر العبد ولونه على سبيل المثال تكشف عن خلق فيه كما يرى، ومن ذلك قوله:

دلائل الشعر سبعة أشياء: تفصيلها: اللين منه يدل على الحمق، الخشن دليل الشجاعة، كثرته على البطن دليل شبق، كثرته على الصلب دليل الشجاعة أيضًا، كثرته على العنق والكتفين دليل حمق أيضًا، كثرته على الصدر دليل قلة الفطنة، قيام الشعر دليل جبن.[٣٢]

أما القسم الرابع من الكتاب فيتضمن برمجة سافرة تصنف الرَّقيق وفق الأعمال المناسبة لهم تبعًا لأعراقهم، ومثال ذلك:

(الحبشيات) الغالب عليهن نعمة الأجسام ولينها وضعفها، يتعاهدهن السلّ والدق، ولا يصلحن للغناء ولا للرقص، دقاق، لا يوافقهن غير البلاد التي نشأن فيها، وفيهن خيرية ومياسرة، وسلاسة انقياد، يصلحن للائتمان على النفوس، يخصهن قوة النفوس وضعف الأجسام، كما يخص النوبة قوة الأجسام على دقتها وضعف النفوس، قصار الأعمار لسوء الهضم/ و (المكّيات) خناث مؤنثات ليّنات الأرساغ، ألوانهنّ البياض المشرب بسمرة، قدودهن حسنة، وأجسامهن ملتفة، وثغورهن نقية باردة، وشعورهن جعدة، وعيونهن مراض فاترة...[٣٣]

ونلفت نظر القارئ إلى أن تصنيف الأخلاق، وتصنيف المهام المناسبة للرقيق وفق العرق ليس حكرًا على مؤلَّف ابن بطلان فحسب، وإنما يتردد في ثنايا خطاب الرَّقيق بالمجمل، وكذلك نعثر على اشتراطات ومعايير جسدية خاصة بالرَّقيق في مؤلفات أخرى[٣٤]، واقتصرنا في الأمثلة التي ذكرنا على كتاب ابن بطلان بوصفه نموذجًا ضمن نماذج أخرى كثيرة تحدثت عن الرَّقيق؛ لإيجازه ولاقتصاره على موضوع الرَّقيق من جهة، وخشية الإطالة على القارئ من جهة أخرى.

ولعل ما أوردناه من أمثلة تتصل بالحرص على استيفاء الاشتراطات لمختلف الجوانب الجسدية والأخلاقية والصحية والعرقية عند الرَّقيق، وبلوغ تلك الاشتراطات حدًا يمكن أن يتنافى مع الطبيعة البشرية، وتصل إلى حد التطفل على أدق تفاصيله[٣٥]، ما يبرهن على أن الرَّقيق يكاد أن يُخرَج من طبيعته البشرية لغرض الاستخدام المحض، ويسفر عن خضوع فئة الرَّقيق لبرنامج مؤسسي؛ فالمؤسسة الاجتماعية تشترط مهارات معينة ينبغي تحققها في الرَّقيق، كما أنها تؤطره بمهام معينة تبعًا لعرقه، وتندب إتقانه لقواعد الألعاب

هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٢، ط٢، ص ٣٥١-٣٥٢.

(٣٢) المرجع السابق، ص ٣٦٦.

(٣٣) المرجع السابق، ٣٧٥.

(٣٤) ومن ذلك ما ذكره الجاحظ في رسالة (القيان) للاستزادة انظر: الجاحظ: *رسائل الجاحظ*، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤، ج٢، ص١٦٠ وما بعدها.

(٣٥) يمكننا أن نتبين ذلك في القسم الثاني من رسالة ابن بطلان (ما يتفقد من أعضاء الرَّقيق بحسب ما يراه الأطباء)، ومن ذلك اشتراط ألا يكون جفن الرَّقيق غليظًا، وأن تكون لهاته مسترخية، وألا ينام على وجهه.

واللهو في بعض المواضع، مما يعني أن المؤسسة قد أولت عناية كبيرة لهذا الجانب من جهة، ومن جهة أخرى فإن ما ذكرناه يبتعد تمام البعد عن التفاعلات الإنسانية، فالرَّقيق يستحضر بوصفه شيئًا ذا معايير واشتراطات معينة كباقي الأشياء التي تؤخذ وتعطى وتباع وتوهب، ويغدو بذلك مسلوبًا لكينونته البشرية، ويستخدم تبعًا لغاية صاحبه، فقد تكون تلك الغاية خدمةً أو حراسةً أو تأنسًا أو تلذذًا ونحو ذلك.

ولا شك أن ما يملكه المرء خاضع لسيطرته، وعليه فالعبد مسيّر من سيده ومسيطَر عليه، بيد أننا إذا نفذنا هذه العلاقة أدركنا أن السيد ما تحققت له تلك السيادة إلا بامتلاك هذا العبد، ولو لم يكن العبد موجودًا لما كان هذا الكائن سيدًا.

وتدفعنا هذه الحقيقة إلى سؤال: هل يمكن أن نعد العبد مسلوب الإرادة –وفق هذا الفهم– ذا سيطرة على سيده؟

ثانيًا: جدلية السيد والعبد

الإنسان يتجاوز مستوى الشعور البسيط، فهو يمتاز عن سائر الكائنات الأخرى بوعيه الذاتي، وهذه الأنا الواعية كما يذهب هيغل هي أنا الرغبة، وإذا كانت المعرفة –التي هي في مقابل الرغبة– تجعل المرء مطمئنًا، فإن الرغبة في منظور هيغل تنهض على خلاف ذلك؛ فهي تدفع المرء إلى إروائها بالسلب والتدمير، فلإشباع رغبة الجوع على سبيل المثال لا بد من تدمير الغذاء. ولا يفهم من ذلك أن الرغبة فعل تدمير محض على الدوام؛ لأن هذا التدمير في ظاهره يبدع للمرء واقعه الخاص ويحفظه بسلب الواقع الآخر (الغريب والخارجي عنه) عبر فعلي التقطيع والهضم.

نفهم من هذا أن أنا الرغبة لا يتحقق إلا بفعل تدمير اللا–أنا، وأن الكائن الإنساني لا يتحقق واقعه إلا بالصراع والتدمير، فحتى يحقق الكائن واقعه الخاص، عليه أن يسلب هذا الآخر ويدمره على الدوام، وهذا يقود للحديث عما أسماه هيغل جدلية السيد والعبد[٣٦]، التي تنهض بوصفها صراعًا بين ذات تحاول أن تحقق استقلاليتها متمثلة في (السيد) من خلال تدمير استقلال الموضوعات الأخرى المتمثلة في هذه العلاقة بـ(العبد)، ويمكن تلخيصها على النحو الآتي:

(السيد) الأنا التي تغلب (العبد)

(السيد) معترَف به من قبل أنا مغايرة (العبد)

(العبد) يخضع لكيان متعالٍ يتمثل في (السيد)

(العبد) لا يستطيع أن يتسيّد على (السيد)

(السيد) لا تتحقق كينونته إلا بـ(العبد)

ومكمن الصعوبة هنا أن التدمير في هذه العلاقة ليس مع موضوعٍ من اليسير أن تُلغى تجربته كالطعام على سبيل المثال الذي يتم تدميره بفعل التقطيع والهضم، إن التدمير هنا مع ذات (العبد)، وهنا تكمن الإشكالية؛ فكل ذات تبحث هي الأخرى عن تدمير موضوعات أخرى لتحقق استقلاليته[٣٧].

يهبط العبد في هذه الثنائية إلى مستوى (الشيء) كما فصلنا في القسم الأول من الدراسة، حيث يباع ويشترى ويفحص كما تفحص الدواب، ويبرمج وفق مواضعات مؤسسية. وإذا نفذنا إلى هذه الثنائية بحس دقيق ما يلي:

---

(٣٦) تُرجمت جدلية السيد والعبد(Herrschaft und knechtschaft) بزوج الرياسة والخدمة أو الرئيس والخادم في كتاب (فنومينولوجيا الروح)، حيث فضّل المترجم ناجي العونلي استخدام زوج الرئيس والخادم على زوج السيد والعبد لسببين من وجهة نظره: استلهامًا لما ذهب به الفارابي في أراء أهل المدينة الفاضلة (القسم الثاني، المقالة السادسة: في ترتيب القوى من حيث الرئاسة والخدمة) ومن بعده ابن سينا في كتاب (النجاة) ، واحترازًا من خلط قد يقع بين الرياسة والسيادة، فزوج السيد والعبد مقترن بإحالة تاريخية بل أنثروبولوجية، في حين أن هذه المرحلة من الوعي كما يذهب المترجم مازالت دون مقام التنظيم السياسي والاجتماعي. للاستزادة انظر: جورج ويلهالم فريديريش، يغل: *فنومينولوجيا الروح*، تر: ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ط١، ص ٢٦٧ .

(٣٧) ما سبق عرض شديد الإيجاز لجدلية السيد والعبد عند هيغل، للاستزادة انظر: هيغل: *فنومينولوجيا الروح*، ص ٢٦٧ – ٢٧٨.

-أن (السيد) لكي يحقق استقلاليته فإنه يعتمد اعتمادًا كليًا على (العبد)، أي أن السيد مضطر لهذا الآخر (العبد)، وشعور الاعتراف بالسيادة لا يتأتّى إلا من هذا الآخر.

-أن (العبد) بملازمة سيده وتنفيذ طلباته يتطور وعيه تدريجيًا، وتطور الوعي يعني الرغبة في الاستقلال.

-يجد (السيد) نفسه مضطرًا إلى الاعتراف بالآخر (العبد) ويقبله بوصفه وعيًا ذاتيًا آخر.

-إدراك العبد لوجوده المستقل يدفعه لخوض الصراع مع سيده ومحاولة تدمير هذا الآخر في سبيل إرواء رغبته في الاعتراف.

تزخر المؤلفات بأخبار ومصنفات عن العبد المسلوب من إنسانيته، المجرد من حقه في الاختيار حينًا، ومن كرامته الإنسانية حينًا آخر، والأمثلة في هذا السياق أكثر من أن تعدّ. وإذا نحن أمعنا النظر وفق ما ذكرناه أثناء الحديث عن (جدلية السيد والعبد) ألفينا في مقابل ذلك أخبار وتراجم -في ثنايا تلك المصنفات – تخبر عن العبد ذي الوجود المستقل المعترف بذاتيته والواعي بها، وتكشف عن اعتراف السيد بعبده وحاجته إليه، بل وقد تنبئ عن سيطرة العبد عليه.

١- الرَّقيق المسيطِر

إن الناظر في النصوص الأدبية التي جعلت من الرَّقيق موضوعًا لها، سيلفي في بعضها اختراقًا لمنوال السيد المسيطِر والرَّقيق المسيطَر عليه، فالرَّقيق في تلك الأخبار التي عثرنا عليه يأمر ويطلب وينهى، مما أسهم في صنع غيريات جديدة تجعل من الرَّقيق كائنًا ملبسًا يباع ويشترى من جهة، ويسيطِر ويتسيّد من جهة أخرى.

وفي حدود ما اطلعنا عليه من الأخبار التي تخبر عن ممارسات تقلب الثنائية المألوفة للسيد والعبد، يمكننا تصنيف عوامل السيطرة فيها إلى عاملين:

٢- التلذذ بوصفه أداة للسيطرة

التلذذ بالعبد واحدٌ من مبررات ابتياع السيد له، يتلذذ السيد بالعبد المتمثل في الجواري أو الغلمان، ويأخذ هذا التلذذ صورًا مختلفة، كالتلذذ بجسده أو صوته أو مجلسه وحديثه، في مقابل ذلك قد يتحول هذا التلذذ تدريجيًا إلى أداة بيد العبد يدمر بها سيده ويحركه كيفما شاء، فيغدو التلذذ وفق هذا الفهم واحدًا من أهم أدوات تحرر العبد حينًا أو سيطرته حينًا آخر.

تحفظ لنا المدونتان التاريخية والأدبية أخبارًا كثيرة عن جوارٍ تعلق بهن أسيادهن، وانتهى بهن المطاف إلى عتقهن من إسار الرق، ولا يسمح المقام بضرب أمثلة كهذه؛ فالمقام إنما هو عن سيطرة العبد الذي مازال في إسار الرق.

يروي لنا صاحب نفح الطيب خبرًا عن سبب بناء الخليفة الناصر لمدينة الزهراء، فقد رغب الخليفة في بادئ الأمر أن يفك أسرى المسلمين بمال كثير تُرك له بعد وفاة صاحبته، ثم تحولت هذه الرغبة إلى بناء مدينة لجاريته الزهراء التي طلبت أن تبُنى لها مدينة كاملة باسمها، وما كان يرفض لها طلبًا، جاء في الخبر:

وأخبرني بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء أن الناصر ماتت له سريّة، وتركت له مالًا كثيرًا، فأمر أن يفك بذلك المال أسرى المسلمين (...) فقالت له جاريته الزهراء – وكان يحبها حبًا شديدًا – : اشتهيت لو بنيت لي مدينة تسميها باسمي، وتكون خاصة لي، فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل (...) وجعلها مستنزهًا ومسكنًا للزهراء وحاشية أرباب دولته، ونقش صورتها على الباب، فلما قعدت الزهراء في مجلسها نظرت إلى بياض المدينة وحسنها في حِجر ذلك الجبل الأسود، فقالت: يا سيدي، ألا ترى حسن هذه الجارية الحسناء في حجر ذاك الزنجي؟ فأمر بزوال ذلك الجبل، فقال بعض جلسائه: أعيذ أمير المؤمنين أن

يخطر له ما يشين العقل سماعه، لو اجتمع الخلق ما أزالوه حفرًا ولا قطعًا، ولا يزيله إلا من خلقه، فأمر بقطع شجره وغرسه تينًا ولوزًا، ولم يكن منظر أحسن منها، ولا سيما في زمان الإزهار وتفتح الأشجار.[٣٨]

يمكننا رصد عدد من الإشارات في هذا الخبر:

-الجارية لم تتوسل أو تلمح على الرغم من عظم الطلب، وإنما صدّرت طلبها بعبارة "اشتهيت لو بنيت لي مدينة" وعبارة كهذه لا تصدر إلا من أنا اعتادت الطلب وتنفيذه.

-المدينة بنيت تحت جبل متنزهًا للجارية ولحاشية الخليفة، أي أنها مدينة غير عادية.

-نقش الخليفة صورة الجارية على الباب دون صورته.

-لم تكتفِ الجارية بطلب بناء مدينة خاصة بها وباسمها، وإنما طلبت طلبًا آخر يكاد أن يستحيل تحقيقه، فقد لمّحت إلى إزالة الجبل الأسود الذي يفسد حسن المدينة – من وجهة نظرها – وكاد الخليفة أن يزيله.

- حقق الخليفة طلبات الجارية جميعها باستثناء إزالة الجبل، فقد كاد أن يفعل وعدل عن ذلك خوفًا بعد أن نُصح " ولا يزيله إلا من خلقه" وقطع من أجلها أشجار الجبل.

في هذا الخبر تنقلب الأدوار بين السيد والعبد، فالجارية المملوكة- في هذا الخبر- إنما هي كائن مستقل يدمر الآخر بطلباته التي يكاد تحقيقها أن يكون مستحيلًا لعظمها؛ فالرغبة بفك أسرى المسلمين تحولت إلى تحقيق رغبة الجارية بامتلاك مدينة خاصة بها. إنها لم تسعَ إلى تدمير الآخر ضمانًا لاستقلاليتها فحسب، بل سعت إلى تدمير ملحقاته أيضًا، فالمدينة الخاصة بها أضحت لحاشية الخليفة مستقرًا، مما يعني امتثالهم لها، ولم تكتفِ بذلك، وإنما طالبت بإزاله الجبل أيضًا، وهو أمر يتجاوز إمكانات القدرة البشرية آنذاك.

ولا يُظنّ أن السيطرة بفعل التلذذ كانت مقتصرة على النساء فحسب؛ فقد روى أبو الفرج الأصفهاني خبرًا عن هارون ابن مخارق- المغني المملوك عند هارون الرشيد -أنه قال:

كان أبي إذا غنّى هذا الصوت:

[البسيط]

يا رِبْعَ سَلْمَى لقَدْ هَيّجْتَ لِي طَرباً
زِدْتَ الفؤادَ على علّاته وصَبَا
رَبْعٌ تبَدّلَ ممّن كَان يَسْكُنهُ
عفر الظّبَاءِ وظُلْمانَا بِهِ عُصبا

يبكي ويقول: أنا مولى هذا الصوت. فقلت له: كيف يا أبت؟ فقال: غنّيته مولاي الرشيد، فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال: أحسنت يا مخارق! فسلني حاجتك؛ فقلت: تعتقني يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار؛ فقال: أنت حرّ لوجه الله تعالى، فأعد الصوت فأعدته؛ فبكى وشرب رطلا، ثم قال: أحسنت يا مخارق! فسلني حاجتك؛ فقلت: ضيعة تقيمني غلّتها؛ فقال: قد أمرت لك بها، أعد الصوت فأعدته؛ فبكى وقال: سل حاجتك؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، تأمر لي بمنزل وفرس وخادم؛ فقال: ذلك لك، أعد الصوت فأعدته.[٣٩]

إن التلذذ بصوت مخارق كان سببًا كافيًا لتحقيق طلبه المتمثل بالعتق من العبودية، ولم يكتفِ هو الآخر بالحصول على حريته واستقلاليته، وإنما استمر مسيطرًا على سيده بقدر ما ينتجه من لذة لهذا السيد، ففي كل مرة يطلب الرشيد/ السيد منه أن يكرر الصوت متلذذًا بصوته مرة أخرى، كان مخارق/ العبد يسيطر عليه أكثر فأكثر، لقد حصل في المرة الأولى على حق التحرر من إسار العبودية، وضمن في الثانية دخلًا ماديًا متمثلًا في تخصيص غلة ضيعة له، وانتهى به الأمر إلى امتلاك مأوى خاص به، وفرس تنقله، وخادم يخدمه دون

(٣٨) المقري، أحمد محمد: *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج١، ص ٥٢٣.

(٣٩) النويري، شهاب الدين: *نهاية الأرب في فنون الأدب*، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ط١، القاهرة، ج٤، ص٣١٤.

أن يبذل أي جهد لإقناع سيده الذي تحول إلى منفذ لما يطلب منه.

إن مخارق/العبد استطاع أن يحقق واقعه بالسلب والصراع مع الآخر على حد تعبير هيغل كما بينا سابقًا، لقد استمر يسلب سيده من نهم السيطرة في كل مرة يطلب فيها سيده منه أن يغني، حتى تحول إلى تابع له، وأضحى العبد سيدًا منذ تلك اللحظة. ولعل في طلب مخارق الأخير المتمثل في خادم يخدمه ما ينبئ أن الدائرة مستمرة، فواقعه الجديد لن يتحقق إلا بالصراع والتدمير وسلب الخادم- الذي سيمتلكه – من استقلاليته، الذي سيتطور وعيه هو الآخر بالصراع مع سيده محاولًا تدميره في سبيل إرواء رغبته في الاعتراف.

٣- الهيمنة بالديني والسياسي

لم يكن التلذذ بالعبد بمختلف أنواعه هو الأسلوب الوحيد لاستقلالية العبد أو هيمنته؛ ذلك أننا نعثر في كتب التراجم والطبقات خاصة على إماء بلغن قدرًا من الاستقلالية، ووصل الأمر بهن إلى تنفيذ قرارات غاية في الخطورة، ولم تكن قدرتهن الإغرائية هي السبب، فالنماذج التي عثرنا عليها في هذا السياق هي لنساء نلن نصيبًا وافرًا من العلم، ومهارة في الإدارة والتخطيط أكسبتهن استقلالًا ونفوذًا من نوع آخر.

لعل الصورة السافرة للهيمنة تظهر في وظيفة (القهرمانة) وهي وظيفة تعنى بالأمور المالية من الدخل والخرج في قصور الخلافة وقد تتجاوز مهام القهرمانة الدخل والخرج إلى تنفيذ قرارات سياسية في نواحٍ شتى، ومن ذلك ما روي عن (أم موسى) القهرمانة أنها كانت تتحدث باسم مرؤوسيها وتنفذ إجراءات العزل والتعيين، ومن ذلك عزل الوزير علي بن عيسى:

جاءت أمّ موسى القهرمانة لتتفّق معه على ما يحتاج إليه حرم الدار والحاشية التي للدار من الكسوات والنفقات فوصلت إليه وهو نائم فقال لها حاجبه: إنه نائم ولا أجسر أن أوقظه فاجلسي في الدار حتى يستيقظ، فغضبت من هذا وعادت، واستيقظ الوزير في الحال، فأرسل إليها حاجبه وولده يعتذر فلم تقبل منه، ودخلت إلى المقتدر وخاطبته في عزله وحرّضته على ذلك فعزله عن الوزارة.(٤٠)

وما يلفت النظر في هذا الخبر ليس مسألة عزل الوزير فحسب – وإن كانت أمارة على تسيدها واستقلاليتها – وإنما اللافت حقًا مبرر عزله، فالعزل إنما يكون رد فعل على إساءة أو مكيدة، في حين أن مبرر العزل في هذا الخبر جاء نتيجة طلب الحاجب من القهرمانة الانتظار حتى يستيقظ الوزير، وتبع ذلك أن الوزير أرسل حاجبه وولده للاعتذار منها خشية منها، مما يبرهن على مكانتها آنذاك، ومع ذلك أمرت بعزله، ونُفّذ أمرها، وعوقب الوزير رغم اعتذاره منها.

ومما يروى في هذا الصدد جلوس (ثمل) القهرمانة مع القضاة والفقهاء للنظر في المظالم والتوقيع عليها :

أمرت أمُّ المقتدر ثَمَل القَهْرَمانة أن تجلس بالتُرْبة التي بنتها بالرُّصافة للمظالم، وتنظر في رِقاع الناس في كل جمعة، فكانت تجلس في كل جمعة، وتُحضر القضاةَ والفقهاء والشهود والأعيان، وتَبرز التواقيع وعليها خطها، وكان القاضي في هذه السنة أبو الحسين الأُشناني، فكانت القهرمانة تنظر في القصص وتدفعها إلى القاضي، فيقف عليها ويستدعي الأجوبة[قال القاضي علي بن أحمد: وهذا شيء لم يَجْرِ في دولة أبدًا].(٤١)

---

(٤٠) المرجع السابق، ج٢٣، ص٣٤.

(٤١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، دار الرسالة العالمية، دمشق،٢٠١٣، ط١، ج ١٦، ص ٤٥٦.

مما يسفر عن مستوى السيادة التي كانت بأيدي كثير من القهرمانات آنذاك، فهذه الأمة التي هي مملوكة لسيدها في ظاهر الأمر إنما هي متسيدة في باطنه، وتملك حق التصرف- لا فيما يخصها فحسب- وإنما في شؤون الرعية أيضًا، وتمتلك سلطة دينية قانونية، ولا يخفى على القارئ مكانة هذه السلطة.

وتمدنا الأخبار بنوع آخر من استقلالية الرَّقيق، نابع من التفقه في الدين الذي يجعل من صاحبه – وإن كان مملوكًا – ذا هيمنة ونفوذ أيضًا، ومن ذلك ما روي في نفح الطيب :

من النساء الداخلات الأندلس من المشرق (عابدة المدنية)، أم ولد حبيب ابن الوليد المرواني، المعروف بدحون. وكانت جارية سوداء من رقيق المدينة، حالكة اللون، غير أنها تروي عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة، غيره من علماء المدينة، حتى قال بعض الحفاظ: إنها تروي عشرة آلاف حديث. وقال ابن الأبار: إنها تسند حديثاً كثيراً(٤٢).

وإسناد الحديث ينم عن هيمنة ونفوذ للرجل بطبيعة الحال، وتحققه مع أمة مملوكة يضاعف من تلك الهيمنة والنفوذ.

ونعثر على إشارة عند الفقيه أبي محمد بن خزرج لا تقل أهمية عن سابقتها، يتحدث فيها عن (راضية) مولاة عبدالرحمن الناصر الأموي قال فيها: *"عندي بعض كتبها"* (٤٣) وإن لم نجد لكتبها أثرًا أو تحقيقًا في وقتنا الحاضر، إلا أن هذه العبارة تؤكد ما ذكرناه من هيمنة الرَّقيق واستقلالهم ونفوذهم، فتأليف الكتب وتداولها لا يتأتّى من أنا خاضعة لا تملك إرادتها.

بقي لنا أن نشير إلى مسألة في غاية الأهمية، فلقد استقر في التراث العربي حرص الخلفاء والنخاسين على تثقيف الأمة وحفظها للشعر وتعلمها للمنطق، وتلك مسألة أخرى بعيدة الغور عن سياقنا؛ فحرص النخاس على تثقيف الأمة غايته تسويقية نفعية رغبةً في بيعها بسعر أعلى. وحرص الخليفة على تثقيفها منصبٌّ في صالحه وإمتاعه ومشاركتها إياه لذة المحادثة وحلاوة المؤاكلة، وفي ذلك وجه من أوجه تكريس عبوديتها. غير أن الإشارات التي ذكرناها مختلفة غاية الاختلاف فالقهرمانة على سبيل المثال ذات وجود مستقل عن سيدها وواعية بذاتها على حد تعبير هيغل، تدير ولا يدار عليها، وقد تعزل وتعين في شؤون العامة بمعزل عن شؤونها الخاصة، في محاولة لتدمير هذا الآخر رغبةً في الاعتراف، وتحضر مجالس القضاة والفقهاء، وتنفذ التواقيع، وتروي الحديث وذاك شأن قد لا يتأتّى للحرة، وهي ممارسات تنمّ عن تمكن وسيطرة، كما أنها مجردة من الغاية الإمتاعية للسيد.

الخاتمة

سعينا في هذه الدراسة – التي جعلت من مدونة الرقيق في نصوص متشذّرة من التراث العربي موضوعًا لها- إلى التقاط المضمر في ثنائيّة السيد والعبد.

فكشفت لنا أن العبد بوصفه شيئًا يباع ويشترى وتمارس عليه المؤسسة الاجتماعية برمجة محددة الاشتراطات لمختلف الجوانب الجسدية والأخلاقية والصحية والعرقية عند الرَّقيق إلى حد يمكن أن يتنافى مع الطبيعة البشرية، ليس هو التصور الوحيد للرقيق في هذه الثنائية؛ حيث يتسلل تصورٌ آخر في نصوص مفارِقة لعب فيها الرقيق دور المسيطِر لا المسيطَر عليه.

ويتحقق فعل السيطرة بممارسات عديدة، وقد اقتصرنا في هذه الدراسة على فعلين، فعل السيطرة بالتلذذ ونعني به سيطرة العبد الناتجة عن تلذذ السيد به، ويأخذ هذا التلذذ

---

(٤٢) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد: *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب*، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧، ط١، ج٣، ص ١٣٩ – ١٤٠.

(٤٣) ابن بشكوال، *أبو القاسم خلف بن عبد الملك الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥، ط٢، ص١٥٥.

أشكالًا مختلفة كالتلذذ بالجسد أو الصوت ونحوهما. وفعل السيطرة بالديني أو السياسي على اعتبار أنهما فعلا سيطرة مضاعف يتجاوز فيها العبد السيطرة على سيده إلى السيطرة على الآخرين أيضًا. مستأنسين بما جاء به هيغل في جدلية السيد والعبد، فالعبد إنما وعيه في تطور مستمر، وفي سعي دائم لمحاولة لتدمير هذا الآخر رغبة في الاعتراف وسعيًا للاستقلال.

وما دراستنا إلا تصور واحد من بين تصورات مختلفة يمكن أن تدرس مدونة الرقيق في الأدب، ولعلها مدخلٌ لمشاريع مختلفة مستقبلية نسعى فيها إلى مدارسة الرقيق من مداخل أخرى.

المصادر والمراجع

الإدريسي، وفاء. الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية: مقاربة جندرية. الرباط: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٦م.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني. *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*، تح. رشدي الصالح ملحس، الطبعة الثالثة، ج٢، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٣م.

الأصفهاني، أبو الفرج: *الأغاني*، تح: علي السباعي، ج٣، ج٢٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

بدوي، عبده. الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ م.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك. *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، تح. السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م.

ابن بطلان، أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون. رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرَّقيق وتقليب العبيد [مطبوع ضمن كتاب «نوادر المخطوطات»]، تح. عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٧٢م.

الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر. *رسائل الجاحظ*، تح. عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، ج٢، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٦٤م.

حجي، محمد (الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر). *معلمة المغرب*، سلا: مطابع سلا، ١٩٩١م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*. دمشق: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣م، الطبعة الأولى، ج ١٣.

الحموي، ياقوت. *معجم البلدان*، الطبعة الثانية، ج٣، دار صادر: بيروت، ١٩٩٥ م

داود، بشام أكرم جميل. *الرقيق السود في ظل الإسلام*، الطبعة الأولى، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث،٢٠١٩م.

الدليمي، سناء نصيف حسام. الرقيق وأثرهم الاجتماعي والعلمي في صدر الإسلام. عمان: دار أمجد للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.

رمضان، هويدا عبدالعظيم. *المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

الزمخشري. أبو القاسم محمد بن عمر. *أساس البلاغة*، تح. محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد. *آداب الحسبة*، تح. ليفي بروفنسال، ج٢١. باريس: مطبعة إرنست لورو، ١٩٣١م.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي. *المحكم والمحيط الأعظم*، تح. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ج٧. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

الطبوبي، ليلى حرميّة. *القيان والأدب في العصر العباسي الأول*، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي،٢٠١٠ م.

العروي، عبد الله. *مفهوم الأيديولوجيا*، الطبعة الخامسة، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م.

القزويني، زكريا. *آثار البلاد وأخبار العباد*، بيروت: دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

كاظم، نادر. تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م.

كيرة، نجوى كمال. *الجواري والغلمان في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي*، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،٢٠٠٧م.

لوكاش، جورج. *التاريخ والوعي الطبقي*، تر: حنّا الشاعر، الطبعة الثانية، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.

محمود، خالد حسين. *الرقيق والحياة الاجتماعية ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام*، الطبعة الأولى، القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩ م.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد. *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب*، تح. إحسان عباس، الطبعة الأولى، ج١٣، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر. *اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*، تح. محمد حلمي محمد أحمد، الطبعة الأولى ج٢، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٦ م.

النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب في فنون الأدب، تح. مفيد قميحة، الطبعة الأولى، ج٢٣، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢م.

جورج ويلهالم فريديريش، هيغل. *فنومينولوجيا الروح*، تر. ناجي العونلي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م .

الوشّاء، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى. *الموشّى*، تح. كمال مصطفى، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي،١٩٥٣م.

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ١٩-٣٨، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 19-38, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

التعليل اللُّغوي لِما امتَنع من أوجه القراءات

عبد الله بن فهد الدوسري

أستاذ فقه اللغة المشارك، قسم الدراسات الإسلامية والعربية، كلية الدراسات العامة، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، السعودية.

(قدم للنشر في ٢٨/ ٦/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ١٩/ ٧/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-2

الكلمات المفتاحية: الاختيار، القراء، الوجه، التجانس، التعليل.

ملخص البحث: يتوجَّه هذا البحث إلى تتبُّع الأوجه الممتنِعة في القراءات القرآنية ممَّا ورَد في طُرق الرواة، بتقصِّي ذلك في أحد كتُب القراءات، وتسليط الضوء على جوانبَ من التعليل اللُّغوي القائم على اتِّجاهين من مستويات التحليل اللُّغوي الدَّلالي والصوتي، مع بيان أثَره العميق في امتناع بعض أوجه القِراءات القرآنية، وإثبات أنَّ الاختيار ضربٌ من ضروب التوسِعة في أداء القراءات، وانحصار ذلك – في غالبه – بما ورد في طُرق الرُّواة؛ إذ هو محلُّ الاجتهاد والنظر. وقد انتهى الباحثُ إلى بعضٍ من المسائل التي لا تطَّرد وَفقَ قواعد التجانُس الصوتي، ومراعاة الجانب الدَّلالي ممَّا محلُّه الرِّواية والتلقِّي عن الأشياخ، وخلَص الباحثُ إلى جُملة من الأمور منها أهميَّة مراعاة التجانُس الصَّوتي في اختيار الأوجه، وامتناعها بما ينزع بالنصِّ إلى اتِّساق السَّبك، وسلامة التأليف، وبيان الفَرْق بين الاختيار والوجه في اصطلاح القُرَّاء، واختيار التسليم بما انتهى إليه السَّماعُ عند عوَز موجِب القياس، وتتبُّع النظائر، والخروجِ عن مُقتضيات التجانُس الصوتي، منتهياً إلى نتيجة قلَّة الأوجه الممتنِعة والمخالِفة لأصول الرِّواية، وقواعد التجانُس الصوتي، بما يُثبت عنايةَ الرواة بمراعاة هذه المقاييس.

The linguistic reasoning for the inadmissibility of certain forms of Qur'anic readings

Abdullah Fahd Al-Dosari

Associate Professor of Philology, Department of Islamic and Arabic Studies, College of General Studies, King Fahd University of Petroleum and Minerals, Saudi Arabia.

(Received: 28/ 6/1446 H, Accepted for publication 19/ 7/1446 H)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-2

Keywords: Selection, Reciters, Reciting form, Harmony, Reasoning.

Abstract. This study aims to trace the unattainable aspects of Quranic readings as found in the narrators' methods, by investigating these in one of the books on Quranic readings and highlighting certain aspects of linguistic reasoning based on two levels of linguistic analysis: semantic and phonological, indicating its profound impact on the unattainability of some aspects of Quranic readings, and proving that the process of selection serves as a means of flexibility in the performance of readings, while being largely confined to what has been authentically transmitted through the narrators. This realm remains an area for scholarly reasoning and analysis. The researcher arrived at some unique findings that deviate from the established rules of phonetic harmony and semantic consideration, as narrated and received from the scholars. The findings reveal critical insights: (1)The paramount importance of considering phonetic harmony in the selection of variant readings is underscored by the fact that its absence can disrupt the text's coherence and structural integrity; (2) The distinction between "selection" and "reading form" within the understanding of Quranic readers; (3) Accepting the outcomes of auditory transmission when analytical reasoning and analogy fall short, particularly when these readings deviate from phonological consistency or established parallels; (4) The rarity of unattainable aspects that deviate from the foundational principles of narration and phonetic harmony underscores the meticulous care with which the transmitters have adhered to these criteria.

المقدِّمة:

الحمد لله وحْدَه، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعدَه، وعلى آله الطيِّبين الأطهار، وصحابته الأخيار، والتابعين الأبرار، أمَّا بعد:

فلا يزال البحث اللُّغويُّ في القِراءات القرآنية ثرًّا لا ينقطع مددُه، ولا يَغيض مِدادُه، وثمَّة مسائلُ في القراءات القرآنية لم تَحْظَ بجانب من النظر اللُّغوي؛ لغلبة منهجيَّة التلقِّي والسماع عند القُرَّاء في مُجمَل ما انتهى إليهم من قِراءات قرآنيَّة؛ متواترةً كانت أم شاذَّةً، ولم يكن اللُّغويون ليدعوا للقُرَّاء هذا الاستئثار، فعمدوا إلى دراسة هذه القِراءات وتوجيهها وَفْقَ القواعد المستنبَطة من كلام العرب، فاجتهدوا؛ فمنهم المصيب وهو الغالب، ومنهم المخطئ وهو القليل، ولا شكَّ أنهم قد خالفوا في منْح هذه القواعد سُلطةً قاهرةً على ما ورد من القراءات انتهوا به إلى تخطِئة القَرَأَةِ، ومُجافتهم برمْيهم بعدم التمييز.

وقد عُني اللُّغويون بتوجيه ما رُوي عن القُراء العشرة وغيرهم ممَّا تواتَر أو شذَّ، والبحوث في ذلك كثيرةٌ ومتناثرة في مجالات لُغوية مختلفة نحوًا، وصرفًا، وصوتًا، وكل ذلك متوجِّه إلى القراءة والرِّواية بحسَب اصطلاح القراءة، وما جاء به هذا البحث ممَّا هو مُغفَل في جُلِّ ما وقفتُ عليه من دراسات هو توجيهُ الوارد في تحريرات هذه القِراءات ممَّا جاء منسوبًا في بعض الطُّرق عن الرُّواة، وكان له حظٌّ من النظر والاختيار.

وحسبي من الاقتناع أنَّ مسائل التحريرات في القراءات القرآنية تستحقُّ مزيدَ نظرٍ من قِبل الباحثين اللُّغويين بتوجيه ما ورد فيها من أوجهٍ جائزةٍ أو ممتنِعة، وقد وقفتُ على جملة صالحة منها تُمهِّد لتوسيع النظر وتَرْداده فيها، وغناء الأمر أن يكون هذا البحث ربيئة لبحوثٍ أشملَ في هذا المجال.

أسئلة البحث

يتوجَّه البحث من خلال السُّؤالات الآتية:

ما المرادُ بالأوجه الممتنِعة في القِراءات القرآنية؟ وما وجه امتناعها؛ أهو لمانعٍ من الرواية أم الدراية؟ وما علاقةُ هذه الأوجه بالاختيارات الجائزة عند القِراء.

أهداف البحث:

١ – إبراز أهميَّة مراعاة الجانب اللُّغوي في تعليل امتناع بعض الأوجه القُرآنية.

٢ – إثبات أنَّ الأصل في اختيار بعض الأوجه دون بعض مبنيٌّ في مُجمَله على محْض الرواية وطريق السماع.

٣ – أهمية مراعاة التجانُس الصوتي والموافقة السِّياقية في اختيارات القَرَأة.

أهمية البحث:

١ – بيان أهميَّة مراعاة الجوانب اللُّغوية في توجيه ما ورد من القراءات القرآنية قبولًا وردًا.

٢ – إثبات أنَّ البحث في القِراءات القرآنية لا يزال موئِلًا خصبًا للدِّراسات اللُّغوية، ورافدًا متنوِّعًا لمناحي الفِكر اللُّغوي العربي.

٣ – إثبات وجود الاختيار المبنيِّ على القِياس، ومراعاة النظير عند القُرَّاء.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدِّراسة على ما ورد من امتناع بعض الأوجه القرآنية في كتاب (البدور الزاهرة في القِراءات العشر المتواترة) للشيخ عبد الفتاح القاضي.

منهج البحث:

انتهج البحث المنهج الوصفي التحليلي بتقصِّي ما ورد من صُور امتناع بعض الأوجه القرآنية، ثمَّ تحليلها وردِّ أصول هذا المنْع إلى موانعَ دَلاليَّةٍ، وأخرى صوتيَّة.

الدِّراسات السابقة:

بحسب اطِّلاعي لا أعلم أنَّ هناك دراسةً لُغويةً لها مسيسُ صِلة بالبحث سبقتني إلى العناية بالأوجه الممتنِعة في طُرق القراءات، وكل ما سبقني هو في حدود التوجيه والاحتجاج للقِراءات القرآنية، والإشارة إلى الأوجه الجائزة والممتنِعة ممَّا هو من قَبيل الرِّواية.

خُطة البحث:

انتظمت خُطة البحث في مُقدِّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: التعليل اللُّغوي، مفهومه ومظاهره.

المبحث الثاني: الأوجه الممتنِعة من القِراءات القرآنية، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: المانع الدلالي.

المطلب الثاني: المانع الصوتي.

الخاتمة.

التمهيد:

في بداية البحث يحسن بنا الوقوفُ على بعض المفاهيم وشرْح مصطلحاتها في عِلم القراءات، ممَّا له صلةٌ بهذا البحث؛ لتتجلَّى معالِمُ البحث، وتتَّضح معاقدُ أُزره؛ إذ لا تنكشف مسائلُ العلم في أيِّ حقل معرفي إلا بالوقوف على مِثل هذا الأمر، وإلا حصَل الغُموضُ والاختلال في مسائله، فانتهى الباحث أو المتلقِّي إلى الشَّطط في الأحكام، والخطأ في النظر، وحصَل التنازُعُ في غير محلِّه، فازداد الأمرُ غموضًا وإبهامًا.

ثمَّةَ أربعةُ مصطلحاتٍ أستفتح ببيان مفاهيمها، وتجلية ما للبحث من نصيب في الدراسة والنظر، وهي: القراءة، والرِّواية، والطريق، والوجه، وبيان مفهومها كالآتي:

القراءة: هي كلُّ خلاف نُسِبَ لإمام من الأئمَّة العشرة ممَّا أجمع عليه الرُّواة، كقولهم: (مالك) بالألف قِراءةُ عاصِم والكسائي، ودون ألف قراءةُ البقيَّة من العشرة.

أما الرِّواية: فهي كلُّ ما نُسِب للرَّاوي عن القارئ الإمامِ، كأنْ يُقال: السِّين في (صراط) هي رِواية قُنبل عن ابن كثير.

أمَّا الطريق: فهي كلُّ ما نُسِبَ للآخِذ عن الراوي وإن سَفُل.

وما سبَق من المنسوب إلى القرَّاء يلزم الأخذُ بها، ولا عدولَ لقارئ القرآن عنها، ولا مجال للنظر والاجتهاد فيها بعدَ استقرار عمَل القُراء في القديم، وهي تُعدُّ من الخلاف الواجب[(١)].

أمَّا الوجه فيعد من الخِلاف الجائز محلِّ الاجتهاد والنظر في غالب مسائله، وإن كان ثمَّة ما يعوزنا بيانُ وجه امتناعه أو جوازه ممَّا سيُبيَّن لاحقًا في هذا البحث، وممَّا يلزم التنبُّه إليه أنَّ كثيرًا من هذه الأوجه أو التحريرات لا تكاد تجدها في كتب المتقدِّمين، بل هي شائعةٌ في كتب المتأخِّرين، وأُلِّفت فيها رسائلُ تخصُّها وتبيِّنُ مسائلَها ومنازعَ القول فيها، ولعلِّي أبسطُ القول في بيانها من خلال التمثيل بما يأتي:

١ - أوجه البسملة حالَ الفصل بها بين السُّورتينِ[(٢)].

٢ - أوجه الوقِف على العارض للسُّكون على نحو: (نستعينُ)؛ ففيها من الأوجه سبعةٌ: المد، والتوسُّط، والقصْر مع السكون، ومثلها مع الإشمام، والرَّوْم مع القصر فقط[(٣)].

وثمَّة ما يحسُن إيرادُه فيما يخصُّ الأوجهَ المرويَّةَ عن القُراء اللاحقين، ممَّا هو جديرٌ بالتنبيه قبْل الإفاضة ببسْط القول في

---

(١) سراج الدين النشار، *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة* (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م)، ١٨.

(٢) سراج الدين النشار، *المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر* (القاهرة: دار الصحابة، ١٩٩٧)، ٢٨؛ شهاب الدين البنا، *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر* (القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٩٦٠)، ١/ ١٦٢.

(٣) سراج الدين النشار، *المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر*، ٢٩؛ النشار، *البدور الزاهرة*، ١٧؛ محمد سالم محيسن، *المهذب في القراءات العشر* (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٠)، ١/ ٢٣.

مسائل اختيار الأوجه، وهي جوازُ إطلاقها على الطرق، نحو قولهم: أوجه البَدل مع ذات الياء لورش[٤]، فتكون من الخِلاف الواجب مراعاتُه، ولا تخيير للقارئ فيها، وإنما عُبِّر عنها بذلك من باب التجانُس والمؤاخاة[٥] بذِكرها في آخر كل مسألةٍ كما جرَت عادتهم بذِكر الأوجه من التحريرات في آخِر كل مسألة أو باب؛ فهي لا تعْدو أن تكون من باب المُشاكَلة[٦].

الأمر الآخَر: اختار بعضُهم عدم التعبير عن هذه الأوجه الاختيارية بالقِراءات، أو الروايات، أو الطُّرق[٧]، بل هي محضُ أوجه مختارة من قِبل القَرَأة، وهي ما يُثبت أنَّها في دارة النظر والاجتهاد، ومراعاة النظائر، وإنْ كان هناك مَن يُنازع في المصير إليها، ونظَمها في سَلْك الرِّواية والسماع ممَّا لا يحلُّ مخالفتُه، والمشاقَّةُ فيه.

وجديرٌ بالتنبيه أنَّ بعضًا ممَّا عُدَّ من مختلفات الأوجه مبنيٌّ على الاعتداد بالعارض وعدمه عند القُراء، من ذلك تجويزُ كلِّ القراء حال وصْل: (الم) بلفظ الجلالة وجهين:

الأول: المد المُشبَع؛ نظرًا للأصل، وعدم الاعتداد بالعارض.

الثاني: القصر؛ اعتدادًا بالعارض[٨].

الاختيار في القِراءات:

الاختيار لُغة: مِن خار الشيءَ واختاره، إذا فضَّله على غيره واصطفاه، والخِيَرة هي الاسمُ من اختار؛ يُقال: اخترت فلانًا على فلان إذا فضَّلته عليه، ومنه قوله تعالى: {ۇ ۆ ۆ ۈ ۈۇ}[٩].

أمَّا في الاصطلاح فإنَّ المرادَ باختيار القِراءة أن يَعمِد القارئُ إلى اصطفاء قِراءة من قراءات تلقَّاها عن أشياخه؛ لاستجماعِها معاييرَ اتَّخذها لنفْسه من نحو استفاضة القِراءة، وموافقة رسْم المصحف، وجريانها على المشهور من لُغات العرب؛ فهو اختيارٌ من مقروء مُتَلَقّى لا على التشهِّي ومحْض الاختيار[١٠].

ولا يعني الاختيارُ بين القراءات تفضيلا مفضياً إلى القَدْح في المرجوح، والإزراءَ بقارئها، وقد ذُكر سابقًا أنَّه اختيارٌ من مقروء مُتْبَعٍ له نقَلَتُه ورُواتُه، والقراءة سُنَّة متبعة يأخذها الآخِرُ عن الأوَّل.

قال أبو حيَّان: "وقد تقدَّم لنا غيرَ ما مرَّةٍ أنَّا لا نُرجِّح بين القِراءتين المتواترتين"[١١].

ونصوص الأئمَّة في هذا كثيرةٌ متوافرة، لا يمنعنا من نقْلها إلا خشيةُ الإطالة والخروجُ عن مقصود البحث.

ومن أمثلة الاختيار لدَى أئمَّة القراءة المتأخِّرين: ما

---

(٤) القاضي، *البدور الزاهرة*، ١٧.

(٥) قد يعبر عن مثل ذلك بالموافقة، أو التناسب، أو التوافق بما هو جار مجرى جمع الأمر إلى ما يناسبه. أحمد الدمنهوري، *حلية اللب المصون في شرح الجوهر المكنون* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، ٤٣٩.

(٦) المُشاكَلة: هي ذِكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صُحبته تحقيقًا أو تقديرًا، نحوَ قوله تعالى: {ھ ھ ے ے ۓ}، والأصل: جزاء سيئة عقوبة مثلها. جلال الدين القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦)، ٤٩٣؛ الدمنهوري، *حلية اللب المصون*، ٤٤٣.

(٧) القاضي، *البدور الزاهرة*، ١٨.

(٨) النشار، *البدور الزاهرة*، ١/ ٢١٦؛ البناء، *إتحاف فضلاء البشر*، ١/ ٢١٨.

(٩) إسماعيل بن حماد الجوهري، *تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠)، ٢/ ٦٥٢؛ ابن منظور، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧)، ٤/ ٢٦٧.

(١٠) مكي بن أبي طالب، *الإبانة عن معاني القراءات* (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٣)، ٨٩؛ القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن* (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤)، ١/ ٤٦؛ الجزري، *النشر في القراءات العشر* (القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٨٤)، ١/ ٢١؛ محمد بالوالي، *الاختيار في القراءات والرسم والضبط* (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥)، ١١.

(١١) أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣)، ٤/ ٤٥٥.

استفتح به مكيُّ بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)[١٢] باب نقْل الهمز إلى الساكن قبْلها بسؤاله: فما الاختيارُ في نقْل الحركة؟

فأجاب بقوله: إنَّ الاختيار هو الهمز، وترك الحركة، مُعلِّلًا ذلك بما يأتي:

١ - إجماع الرُّواة عن نافع عليه، ما عدا ورشًا.

٢ - الاحتجاج بأصل الهمز، وعدم سُقوط الحرف إلا لمُقتَضٍ تصريفي.

٣ - لزوم الهمز في الابتداء بإجراء الوصْل على الوقف، بثبوته وقفًا ووصلًا؛ فهو أَوْلى من المخالفة في الحالين دون مُقتَضٍ.

٤ - أنَّ باب التخفيف الصوتي في أواسط الكلِم وأواخرها لا في أوائلها[١٣].

الفرق بين الاختيار والوجه:

لم أجِد فيما اطلعتُ عليه من مصادر مَن تعرَّض لهذه المسألة وعقَد مقارنةً بين هذين المصطلحين، ولعلَّ الفرق ينماز بأنَّ الاختيار أعمُّ من الوجه؛ فالاختيارُ حصَل في العصور المتقدِّمة والمتأخِّرة[١٤] في مقابل أنَّ الوجه غلَب مصطلحًا مع ظهور كتُب تحريرات القراءات، حتى انتهى ببعضهم إلى المبالغة في تَعدادِ الأوجه الجائزة والمحتمَلة.

المبحث الأول: التعليل اللُّغوي، مفهومه ومظاهره

التعليل لُغة: من مادَّة (علل) الدائرة على عِدَّة معانٍ؛ منها: العَلَل، وهو الشُّرب الثاني بعد الشُّرب الأول الذي يُسمَّى بالنَّهَل، ويُقال: عَلَّه ماءً، إذا سقاه سَقَيةً ثانية.

والعِلَّة هي المرض، ومنه اعتلَّ جِسمُه إذا لحقه وهَنٌ فأضعفه، وهي تشتركُ والمعنى الأول في أنَّ العِلَّة جاءت بعدَ كمال صحَّة وعافية؛ فهي ثانيةٌ من أحوال المرء المنتقل من صحة إلى اعتلال.

التعليل في الاصطلاح: لعلَّ مِن أوفق ما وقفتُ عليه من تعريف بما يتناسب وطبيعة البحث اللُّغوي دون إغراقٍ في البحث المنطقي أو الفلسفي هو تعريفُ د. مازن مبارك بأنَّه: "الوصف الذي يكون مَظِنَّة وجه الحِكمة في اتِّخاذ الحُكم"[١٥].

وقد حاول بعضُهم ربْطَ المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللُّغوي من جِهة أنَّ العلة النحويَّة تَشغَل النحويَّ في محاولته الوصولَ إليها عن كل ما عداها، وتتطلَّب منه كدَّ الفِكر، وإعمالَ النظر مرَّةً بعد أخرى حتى يطمئنَّ إلى سلامتها، وصحَّة الوثوق بها[١٦].

وكأني به حاوَلَ لفْتَ النظر إلى المعنيينِ اللُّغويينِ للعِّلة، وهما المرض، والثانوية؛ فالمرض الإعياءُ في الوصول إلى هذه العِلة، والثانوية أنَّه جاء بعد تكرير النظر مرَّةً بعد أخرى.

وعليه يمكن القول: إنَّ العلة هي السببُ في تغيُّر الصِّيغة، أو التركيب، أو المعنى من حالٍ إلى أخرى، وهذا بافتراض أنَّ مقتضى هذا التعليل هو خروجُ الكلمة أو التركيب أو المعنى عن القاعدة المستمرَّة إلى حالٍ طارئة؛ وعليه فما جاء على أصْله وقاعدته المستمرَّة لا يُسأل عن سَببِه.

ويتلخَّص ممَّا سبق أنَّ التعليل سعيٌ وراءَ أسباب حدوث الظاهرة اللُّغوية بالوقوف على كُنه قوانين تصريفاتها، واكتشاف مقوِّماتها.

---

(١٢) إنَّما اخترت مكيًّا ولم أختر غيرَه من المتقدِّمين؛ لأبين امتدادَ مصطلح الاختيار حتى القرن الخامس الهجري.

(١٣) مكي بن أبي طالب، *الكشف عن وجوه القراءات السبع* (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١)، ١/ ٩٣.

(١٤) أعني بالمتأخِّرة فيما أدَّى إليه اجتهادي كتُب العلماء التي اعتمدها ابنُ الجزري أصولًا لكتابه (النشر في القراءات العشر).

(١٥) مازن المبارك، *العلة النحوية وأثرها في الدراسات اللغوية* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣)، ٩٠.

(١٦) حسن عبد الغني الأسدي، *التعليل في الدرس النحوي* (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢)، ٢٥.

والغاية من التعليل تحقيقُ أمور؛ منها:

١ – تعزيز القاعدة اللُّغوية في ذِهن مفسِّرها بتتبُّع أسرار بناء المفردات، والتركيبات.

٢ – الإفادة منها في تيسير تعليم قواعِد تصريف الكلمات إفرادًا وتركيبًا على مُدرِّسها ومُتعلِّمها.

٣ – محاولة من الواصف اللُّغوي إيجادَ تفسير منطقيٍّ وطبيعيٍّ للنظام اللُّغوي يكشف من خلاله عن القوانين المطَّردة للظواهر اللُّغوية.

ومِن أهم مظاهِر التعليل اللُّغوي التعليلُ الصَّوتي الكاشِف عن أسباب التغيرات الحاصِلة في بِنية الكلمات العربية، سواء كانت مفردةً أم متَّصلةً بغيرها في إطار نسَق لُغوي جامع ومؤثِّر، وهي تغيرات في مُجملها تقَع وَفق قوانين صوتيَّة حاكِمة لها أثرٌ ظاهر تنبَّه له المتقدِّمون من علماء العربية بدءًا بسيبويه في الكتاب؛ فالتعليل أو العِلَّة كانت مقارنةً لنشأة النحو العربي، ومنذ البَدْء لم يكن فَهْم النحو أو إفهامه إلَّا ببيان سبب بناء المفردة على شكلٍ ما، أو مجيء التركيب على نمطٍ معيَّن، وممَّا يؤكِّد أهميةَ التعليل للمسائل اللُّغوية، وأنها لم تكن مستحكِمةً أو مقتصِرةً على ذِهن مفسِّر القواعد العربية، بل إنَّها جرَت على ألْسنة الرُّواة بما يشبه أن يكون حالةً فطريةً يقتضيها النظر اللُّغوي الصرف، وأمارة ذلك ما رواه ابن جِني عن أبي عَمرو بن العَلاء أنَّ رجلًا قال: فلان لَغوب جاءتْه كتابي فاحتقرَها، فقال له أبو عمرو: أتقول جاءتْه كتابي؟ قال: نعم، أليس بصحيفةٍ؟[١٧].

قال ابن جِني معلِّقًا على ذلك: "أفترَاكَ تريد من أبي عَمرو وطبَقتِه، وقد نظروا، وتدرَّبوا، وقاسوا، وتصرَّفوا أن يسمعوا أعرابيًّا جافيًا غفلًا يُعلِّل هذا الموضعَ بهذه العلَّة، ويحتج لتأنيث المذكَّر بما ذكره، فلا يهتاجوا هُمْ لِمثله، ولا يسلكوا فيه طريقَه، فيقولوا: فعلوا كذا لكذا، وصنَعوا كذا لكذا، وقد شرَع لهم العربيُّ ذلك، ووقَفهم على سمْتِه وأَمَّه"[١٨].

وما جاء هذا التعليل إلا مِن خلال تفسير الظواهر اللُّغوية المختلِفة، ومحاولة إيجاد المُسوِّغ اللُّغوي والمعرفي لها تعضيدًا لها في ذِهنية الواصِف اللُّغوي بما يُمكِّنه من إيجاد النظائر لِمثل هذه الأنماط التي تكفُل له مواجهةَ ما يعتري اللُّغةَ من عوادي التغيير والتلاشي.

وتبعًا لمستويات البحث اللُّغوي تنقسم العِلَّةُ إلى:

العِلَّة النحوية: وهي البحث عن أسرار التغيُّر الإعرابي وَفْق اشتراطات النمط التركيبيِّ للجملة في النحو العربي.

والعلَّة التصريفية، وهي البحث عن أسباب التغيُّر الخاصِّ بالبِنية العربية، وما يطرأ عليها من حذْف، أو إدغام، أو إعلال، أو قلب.

والعلة الصوتية: هي البحث عن أسباب التغيُّر الصوتي الطارئ على المفردة العربية، وتفسير هذا التغيُّر الحاصل بالإدغام، أو الإعلال، أو الإمالة وغيرها، ومعرفة سبب هذه التغيرات، وهو ما يهمُّنا في هذه الدراسة.

ويقسم ابن جني العِلل النحويَّة من جِهة القَبول واقتناع النفْس الواصفة لها إلى قسمين:

الأول عِلل واجبة، لا محيد عن القَبول بها؛ لأنَّ النفس لا تتَّجه إلى سواها.

الثاني: عِلل يُعْتَلُّ لها على وجه من التكلف والاستكراه[١٩].

التعليل الصوتي:

أخَذ التعليل الصوتي جانبًا مهمًّا في تفسير الكثير من الظواهر

(١٧) ابن جني، *الخصائص* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ١/ ٢٥؛ كمال الدين الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف* (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٦)، ٢/ ٦٢٨.

(١٨) ابن جني، *الخصائص*، ١/ ٢٥٠؛ وللخليل بن أحمد كلامٌ في غاية النفاسة عن العلة وغاية تعليل النحويين ووجهه، نقَله أبو القاسم الزجاجي، *الإيضاح في علل النحو*، تحقيق عبد الله الجبوري (بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٨٠)، ٦٥.

(١٩) ابن جني، *الخصائص*، ١/ ٨٩.

اللُّغوية قديمًا، وإنْ لم يستقلَّ بمبحث خاصٍّ، إلا أنه جاء منثورًا في الكتاب[٢٠] لسيبويه (ت١٨٠هـ)، والمقتضب[٢١] للمبرد (ت٢٨٥هـ)، وأصول النحو لابن السراج (ت٣١٦هـ)، وشروح الكتاب[٢٢] للسيرافي (ت٣٦٨هـ) والفارسي والرماني(٣٨٤هـ)، والخصائص[٢٣] لابن جني وغيرهم، كما أنَّ اللُّغويين المُحْدَثين[٢٤] أَوْلَوه غايةَ العناية في تفسير الظواهر اللُّغوية وارْتكنوا منه إلى ركن وثيق؛ إذ التعليل الصوتيُّ هو الأليقُ بتفسير الظاهرة اللُّغوية، والأقرب إلى طبيعتها؛ فاللغة في المقام الأوَّل منها ألفاظٌ، والألفاظ أصوات لها معانٍ، وجُلُّ المباحث التصريفية قائمةٌ على القوانين الصوتية، وحسن بنا أن نعرض لبعض التعليلات الصوتيَّة لبعض المسائل النحْويَّة أو التصريفيَّة.

التعليل بالمجاورة:

ومن أمثلة ما يُوجَّه صوتيًّا في هذا الباب ما ورد عن بعض العرب في قولهم: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، «فجرى نعتًا على غير وجه الكلام، فالوجه الرفعُ، وهو أكثرُ كلام العرب وأفصحِهم، وهو القياس؛ لأنَّ الخرب نعتُ الجحر»[٢٥].

قال د. تمام حسان: "وكان الداعي إلى ذلك داعيًا موسيقيًّا جماليًّا هي المناسَبة بين المتجاورينِ في الحركة الإعرابية، وقد سمَّاها النحاةُ المجاورة"[٢٦].

التعليل بالمُشاكَلة:

والمُشاكَلة ضربٌ من مراعاة الألفاظ بعضها لبعضٍ على نحوٍ من التجانس، وتُعرف بأنها ذِكر "الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صُحبته"[٢٧]، وغايتها تحقيقُ التجانُس بين الألفاظ التي يؤثِّر بعضها في بعض لتواصُل النُّطق بها، وتخفيف الجُهد المبذول على أعضاء النُّطق[٢٨].

ومِن أمثلتها: ما جاء في الحديث: "اللهمَّ ربَّ السموات وما أظْلَلْنَ، وربَّ الأرَضين وما أقْلَلْنَ، وربَّ الشياطين وما أَضْلَلْنَ"، والجاري على القِياس أن يقول: وما أضلوا، إلا أنَّ قصد التشاكُل، ومراعاة التجانُس الصوتي حمَل على إيقاع النون موقعَ الواو[٢٩].

التعليل بكثرة الاستعمال المبنيِّ على جانب صوتي:

ففي الاحتجاج بالإلْف والعادة وكثرة دورانه على الأَلْسُن؛ قال سيبويه: "قولهم: منَ الله، ومنَ الرسول، ومنَ المؤمنين، لَمَّا كثرت في كلامهم، ولم يكُن فعلًا، وكان الفتحُ

---

(٢٠) انظر مثلًا: ٤ / ١١٧، ٤ / ٣٣٤.

(٢١) انظر مثلًا: ١ / ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢٢) أبو سعيد السيرافي، *شرح السيرافي* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ٤/ ٢٣٩، ٤٨٣؛ أبو علي الفارسي، *شرح الفارسي* (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨)، ٣/ ١٩٢، ٤/ ١٦١؛ أحمد الرماني، *شرح الرماني* (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٣)، ٩٤، ٧٥١.

(٢٣) انظر مثلًا: ١/ ١٥٢، ٢/ ١٤٤.

(٢٤) من الكتُب ذات الصلة: *التصريف العربي من خلال عِلم الأصوات الحديث* للدكتور الطيب البكوش؛ *المنهج الصوتي للبنية العربية* للدكتور عبد الصبور شاهين؛ *دراسات في علم أصوات العربية* لداود عبده؛ *أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة* للدكتور فوزي الشايب. "

(٢٥) سيبويه، *الكتاب*، تحقيق عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٨)، ١/ ٤٣٦؛ انظر المسألة من الكتاب نفسه في: ١/ ٦٧.

(٢٦) تمام حسان، *اللغة العربية معناها ومبناها* (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٠)، ٢٣٤.

(٢٧) جلال الدين القزويني، *الإيضاح*، ٤٩٣؛ الدمنهوري، *حلية اللب المصون*، ٤٤٣.

(٢٨) إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥)، ١٢٦.

(٢٩) ابن مالك، *شواهد التوضيح* (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥٩)، ١٣٢؛ ابن مالك، *شرح التسهيل*، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠)، ١/ ١٤٣.

أخفَّ عليهم فتحوا وشبَّهوها بـ: أينَ، وكيفَ"[٣٠]

فقد راعى سيبويه في النصِّ السابق عِدَّةَ جوانبَ صوتيَّة: كثرة الاستعمال، والخفَّة الصوتيَّة، ومراعاة النظير.

التجانُس الصوتي:

ولأنَّ جُلَّ ما اعتللت له من الأوجه الممتنِعة من القراءات القرآنية هي من باب التجانُس/ التلاؤم الصوتي لعله؛ فيحسُن هنا مزيد بسْط في إيضاح هذه العِلَّة الصوتية عند اللُّغويين، وبيان أثرها في السِّياق اللُّغوي وَفقَ ما يسع البحثَ إيرادُه، ولو على وجه الإلْماع.

أخَذ هذا المفهومُ حظَّه من الدرس في بحوث البلاغة والنقد الأدبي قديمًا وحديثًا بإبراز أهميَّة الإيقاع الصوتي في تشكيل الصِّيَغ والتراكيب العربية، وبيان أثرها في المعنى، وجذْب السامع.

والأصل في تحقيق هذا التجانُس يبدأ من تلاؤم أصوات الكلمة بتعديل نِقاط مخارج أصواتها، على نحوٍ متَّسق دون نُشوزٍ أو إعضال عند تجاوُر أصوات الكلمة الواحدة.

قال الرُّمَّاني (ت٣٨٤هـ): "التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديلُ الحروف في التأليف"[٣١]

وهذا التحسين الإيقاعيُّ في إيراد الكَلِم ومراعاته في السلسلة الكلامية من عبارة، أو جُمَل، أو نصوص ليس من باب النَّغم المجرَّد، وإنما هو نوعٌ أشبه ما يكون بالفونيمات فوق القطعيَّة كالنبر والتنغيم والفاصلة، ولسْنا في ذلك بِدع من القول؛ فنحن مسبوقون بأسلافنا الذين أشاروا إلى أهميَّة هذا الجانب.

يقول الجاحظ في هذا الجانب: إنَّ "حُسْن البيان يحتاج إلى تمييز وسِياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمامِ الآلة، وإحكام الصَّنعة، وإلى سهولة المخرَج، وجَهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وإنَّ حاجة المنطق إلى الطَّلاوة والحَلاوة كحاجته إلى الجَلالة والفَخامة، وإنَّ ذلك من أكبر ما تُستمال به القلوب، وتَثْني إليه الأعناقُ، وتُزَيَّن به المعاني"[٣٢].

ولعلَّ هذه العناية بالإيقاعيَّة في رصْف الكلمات، ونظمها في سَلْك متَّسق الأنحاء، ومعتدل الأجزاء يؤول إلى جانبٍ نفسيٍّ يتماهى مع طبيعة البيئة العربية، ونَحيزة نفْس ابن الصحراء حتى ابتدع فنونًا بلاغيَّة، وتلاوين صوتيَّة تَلَذُّ لها الأذن، وتهُشُّ لها النفس، وتَطرَب الرُّوح.

وهذا ما عناه أحمد أمين حين قال في تفسير نحو ما سبَق: إنما جاء "ليْل العرب إلى الإيقاع، وشيوعه في القول العربيِّ بشكلٍ لافِت للنظر، إنَّما هو التركيبُ النفسيُّ للشخصية العربية القديمة التي طبعتْها الصحراءُ الرتيبة بإيقاعها الرتيب ذي النَّغمة الواحدة المتكررة"[٣٣].

وإذا كان الشِّعر العربي قد ازدان بإيقاع الوزن العَروضي ضِمنَ بُحوره السِّتَّة عَشرَ، وقوافيه المتنوعة؛ فإنَّ النثر لم يخْلُ من توشيته بموسيقا داخلية، أو توشيحه بأخرى خارجية تمثَّلت بـــ "التنوين، والإعراب، والتسجيع، والتوازُن، والازدواج، والإتْباع، وأنواع البديع اللفظي، وقوانين الإعلال، والإدغام، كل ذلك ما هو إلا لاهتمام العربيِّ المفرِطِ بجمال الرَّنَّة، وحسن الإيقاع"[٣٤].

عوامل الجِناس الصوتي في بناء الجملة:

ثمَّة عوامل مهمَّة في تحقيق قدْر كبير من التجانُس والموافقة بين الكلمات عند تركيب الجملة، يُراعيها المنشئُ

(٣٠) سيبويه، *الكتاب*، ٤/ ١٥٤.

(٣١) أبو الحسن الرماني، *النكت في إعجاز القرآن* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ٩٤.

(٣٢) الجاحظ، *البيان والتبيين* (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨)، ٢٣.

(٣٣) أحمد أمين، *فجر الإسلام* (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧)، ٤٥.

(٣٤) روز غريب، *النقد الجمالي وأثره في النقد العربي* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣)، ١٣٢.

العربيُّ عند إبداعه أيِّ نصٍّ أدبي؛ منها:

١ – مراعاة النسيج الصوتي للمُفرَدة العربية قبْل تضمينها النصَّ، ولا يتحقَّق ذلك إلا باختيار ما حسُن ائتلافه من أصوات الكَلِم، والنأي عمَّا تنافر من أصوات الكلم، وأغرب في الحوشية، وثقُل على اللِّسان المَذْلُ به.

٢ – يُسر الانتقال من كلمة إلى أخرى باختيار الكَلِم المتشاكِلة الصوتيَّة، ومراعاة آليات التخلُّص من التقاء الساكنينِ عند وصْل الكلمات، وحُسْن الوقف والابتداء عند ازدواج الكلم، أو تسجيعها.

٣ – تلوين النصِّ بالفنون البديعيَّة الإيقاعيَّة، وتشكيل نصٍّ متماسِك متلاحِم الأجزاء له أثرُه في النفْس المتلقية اتساقًا وانسجامًا[٣٥].

المبحث الثاني:

الأوجه الممتنِعة من القِراءات القرآنية

المطلب الأول: المانع الدَّلالي

الدَّلالة لُغةً: من دلَّ فلان إذا اهتدى، ودلَّه على الشيء يدلُّه دلًّا ودَلالةً، إذا أقامه على الطريق المستقيم، والدَّلالة إبانةُ الشيء بأَمَارة تَتَعَلَّمها، ويُقال دَلالة، ودِلالة[٣٦].

وفي الاصطلاح: "ما يُفهم من اللَّفظ عند إطلاقه"[٣٧].

وعند المناطِقة: "كون أمر بحيث يُفهم منه أمرٌ آخَر، والمراد بالأمر الأوَّل الدال، وبالثاني المدلول"[٣٨].

وعرَّفها من المُحْدثين ستيفن أولمان بأنَّها: "علاقة متبادَلة بين اللفظ والمدلول، علاقةٌ تُمَكِّن كلَّ واحد منهما من استدعاء الآخَر"[٣٩].

ومراعاة الجانب الدَّلالي له حظُّه الوافر في الدراسات القرآنية، وليس هذا محلَّ عرضها، وبسْط القول فيها؛ إذ يُعدُّ الدرس الدلاليُّ الغايةَ من الاستخدام اللُّغوي، وما قبْله من المستويات اللُّغوية إنَّما هي قوالبُ تَحْوي المعنى أو الدَّلالة، وإنما حظِي منها ما يتعلَّق بالوجه الممنوع من القراءة به، وعلَّته مانعٌ دَلاليٌّ طارئٌ عند وصْل الجمل بعضها ببعض.

البسملة

محلُّ ما يجوز من أوجه في البسملة، وما يمتنِع هو وصْلُها بما بعدَها وبما قبْلها، وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: وصْل ما بين السورتينِ دون بسملة، أو سكْت، أو وقْف، وهذا هو المتواتِر عن حمزةَ براوييه دون خُلْفٍ[٤٠]، واعتُلَّ له بأمرين:

١ – بيان إعراب أواخِر الكَلِم من السورة المتقدِّمة.

٢ – أنَّ القرآن عنده في حُكم السورة الواحدة[٤١].

واعتلَّ مَن اختار السكْت من القراء[٤٢] الإعلام بانقضاء

---

(٣٥) محمد عبد الله دراز، *النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن* (القاهرة: دار القلم، ١٩٥٧)، ١٠٢؛ محمد إبراهيم شادي، *البلاغة الصوتية في القرآن* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥)، ٥٩؛ عبد الكريم الخطيب، *إعجاز القرآن* (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٧)، ٣٤١.

(٣٦) أحمد بن فارس، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق عبد السلام هارون (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٩)، ٢/ ٢٥٩؛ ابن منظور، *لسان العرب*، *(د ل ل)*، ٥/ ٢٩١.

(٣٧) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، *المعجم الكبير*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨١)، (د ل ل)، ٧/ ٤٩٥.

(٣٨) إبراهيم الباجوري، *حاشية الباجوري على السلم* (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٢)، ٤٠.

(٣٩) ستيف أولمان، *دور الكلمة في اللغة*، ترجمة كمال بشر (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠)، ٢٦١.

(٤٠) أبو عمرو الداني، *التيسير في القراءات السبع*، تحقيق أوتو برتمان (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٨)، ١٧.

(٤١) علم الدين علي بن محمد السخاوي، *فتح الوصيد في شرح القصيد* (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٠)، ٢/ ٢٠٤.

السورة المتقدِّمة، والبَدء باللاحقة[٤٣].

وإنَّما أوردتُ ما سبق – وإن لم يكن ثمَّةَ وجهٌ ممتنع فيه – لأمرين:

١ – التمهيد لما امتنَع من أوجه البسملة حالَ وصْلها؛ لصلته به.

٢ – دفْع الإشكال الوارد في إطلاق مصطلح الوجه على الاختيار، فما سبَق لا يُعَدُّ وجهًا؛ إذ هو في أصله مسنَدٌ إلى القراء السَّبعة؛ فهو ضربٌ من الاختيار اقتضاه داعٍ دلاليٌّ وتركيبيٌّ بُيِّنَ في محلِّه.

المسألة الثانية: الأوجه الممتنعة في البسملة:

أولًا: للعُلماء في جواز الإتيان بالبسملة في أوساط السُّور[٤٤] وجهان:

الأول: الجواز مطلقًا.

الثاني: التفصيل؛ فهي جائزةٌ عند مَن مذهبه الفصل بين السُّورتين بالبسملة، وممتنعة عند من مذهبُه السكْت أو الوصْل[٤٥] بين السورتين.

"وعلى هذا المذهب تكون أوساطُ السور تابعةً لأوَّلها"[٤٦].

أمَّا وجه مَن اختار وجه الجواز مطلقًا فلا يتَّسق نظمًا، ويتلاءم مع البَدء بالبسملة إلا مع مَن اختار البَدء بها في أوائلها؛ إذ أوساطُ السور تبعٌ لأوائلها من جِهة أنَّها أوَّل بالإضافة، وعليه فالوجهُ الثاني من التفصيل هو الأحظُّ بالنظر، والأقومُ في مراعاة أصول[٤٧] كلٍّ من القراء في البَدء بالبسملة في مطالع السُّور.

فما امتنع البَدء بالبسملة في أوساط السور عند ورش وأبي عمرو وابن عامر إلَّا طردًا لاختيارهم السكْتَ أو الوصْل بين السورتين، وهذا جارٍ من التعديل ومراعاة النظير جمعًا بين التجانس الصوتي، والدلالي.

ثانيًا: وصْل آخِر السورة بالبسملة مع الوقف عليه[٤٨].

ووجه امتناع هذا الوجه أنه يُوهِم السامعَ أنَّ البسملة لأواخر السور، وإنَّما هي لأوائلها؛ ولذلك إذا وصلتَ آخِر السورة بالبسملة تعيَّن عليك وصْل البسملة بأوَّل السورة اللاحقة؛ لدفْع مثل هذا الإيهام.

ثالثًا: إذا وصلت السورة اللاحقة لسورة التوبة بأول التوبة، فقد اختار الشيخ عبد الفتاح القاضي تعين الوقف، وامتنع السكْت والوصل[٤٩].

ووجه ذلك – فيما أظنُّ – الاتفاقُ على أنَّ وصْل أواخِر السور اللاحقة بما قبلها مقتضٍ للبسملة أصلًا، وقد اتَّفق القَرَأة على امتناع البسملة في أوَّل سورة التوبة، وعليه فلا بدَّ من الوقف التامِّ ثم استئناف أوَّل براءة دون بسْملة، أو سكْت.

ووجه آخَر يُمكن إيرادُه في هذا المقام، وهو مراعاةُ ترتيب

---

(٤٢) ورش، وأبو عمرو بن العلاء، وابن عامر. أبو عمرو الداني، *التيسير في القراءات السبع*، ١٧.

(٤٣) السخاوي، *فتح الوصيد*، ٢/ ٢٠٤.

(٤٤) المراد "بأوساط السور: ما بعدَ أوائلها، ولو بآية أو كلمة" القاضي، *البدور الزاهرة*، ٢٨.

(٤٥) المراد بالوصل وصْل آخِر السورة بأوَّل لاحقتها دون بسملة.

(٤٦) القاضي، *البدور الزاهرة*، ٢٨.

٤٧–المراد بالأصول في عرف القراء: « كل حكم كلي جارٍ في كل ما تحقق فيه شرطه، فهي تطلق على الأحكام الكلية والخلافات المطردة التي تندرج تحتها الجزئيات المتماثلة؛ كصلة هاء الضمير، وصلة ميم الجمع، والمدود، وتسهيل الهمزات أو تغييرها » ويقابله الفرش، وهو « ما كان من خلاف غير مطرد في حروف القراءات مع عزو كل قراءة إلى صاحبها » . صفحات في علوم القراءات:١٥ .

(٤٨) القاضي، *البدور الزاهرة*، ٣٠؛ علي محمد الضباع، *مختصر بلوغ الأمنية في القراءات السبع* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ٣١.

(٤٩) القاضي، *البدور الزاهرة*، ٣١، والنشار، البدور الزاهرة: ١/ ١١٢ .

السور في المصحف[٥٠]، ولا شك أنَّ مراعاة المصحف له وجوهٌ في الاعتبار عند أئمَّة القِراءة في أكثرَ من موطن؛ فمنها لا اعتبارَ لقِراءةٍ خالفتْ رسمَ المصحف، ومنها كذلك الاعتدادُ برسم المصحف حالَ الوقف على بعض الكلِم[٥١]، ولهذا امتدادٌ لا يسع البحث إيراده.

رابعًا: وصْل آخِر التوبة بأوَّلها[٥٢].

وهذا جارٍ على أصول القُراء، ومتَّسق مع الوجه الممتنِع السابق؛ فلا وجه لإعادته.

مباحث في التكبير[٥٣]:

وهذا ذو صِلة بما سبَق من أوجه البسملة؛ لصِلة التكبير بها، وفيها مسائل:

المسألة الأولى:

امتناع وجه وصْل التكبير بآخِر السورة موصولًا بالبسملة مع الوقْف عليها.

ووجه المنع: أنَّ البسملةَ ليستْ لأواخر السورة، بل لأوائلها، وعليه فما وُجِّه سابقًا يُغني عن إعادته، وبيانه فيما يأتي:

[وأمَّا بنعمة ربك فحدِّثِ اللهُ أكبرُ بسم الله الرحمن الرحيم * ألم نشرح لك صدرك]

المسألة الثانية:

وهو مختصٌّ بوصل الناس بأوَّل الفاتحة، على تقدير أن يكونَ التكبير لأوَّل السورة[٥٤]، وفيها وجهان ممنوعان[٥٥]:

الأول: قطْع التكبير عن آخِر سورة الناس، ووصْله بالبسملة مع الوقف عليها، ثم الابتداء بأوَّل الفاتحة.

الثاني: قطْع التكبير عن آخِر سورة الناس، ووصْله بالبسملة، مع وصْل البسملة بأوَّل الفاتحة.

ووجه المنع في الوجهين: إيهامه أنَّ التكبير لآخِر سورة الناس، وليس كذلك، بل التكبير لأوائل سور الختْم، وهذا مُفَرَّعٌ على أحد وجهي الخِلاف في مواضع بَدْء التكبير.

المطلب الثاني: المانع الصوتي

هناك أوجهٌ ممتنِعة لداعٍ صوتي مُجملُه في مدى تحقُّق التجانس الصوتي في أداء هذه الأوجه؛ فما جاء متجانسًا في الاختيار أخَذ به بين القُرَّاء، وما جاء على جِهة النَّشاز، والتنافُر الصوتي السِّياقي بين الكلِم رُدَّ ومُنِع، ولا شكَّ أن مراعاة ذلك تُحقِّق تلاؤمًا صوتيًّا للكلام المنثور أشبهَ ما يكون بمراعاة الوزن في الشِّعر.

---

(٥٠) القاضي، *البدور الزاهرة*، ٢٨.

(٥١) للاستزادة، ينظر: شهاب الدين أبو شامة، *إبراز المعاني من حرز الأماني* (القاهرة: دار الحديث، ١٩٨٥)، ١/ ٢٧٣؛ الجزري، *النشر في القراءات العشر*، ١/ ١٢٨.

(٥٢) القاضي، *البدور الزاهرة*، ٣١.

(٥٣) التكبير مرويٌّ سندًا عن ابن كثير، وقد اختاره كثير من أئمَّة القراءة، وهو ذِكر مندوبٌ إليه في خواتم أواخِر بعض السور، حاله حال التعوُّذ في أوائلها قبل البسملة، وقد أُجْمِع على أنه ليس من القرآن، وليس مكتوبًا في المصاحف مطلقًا كالاستعاذة، وهذا الحُكم عامٌّ داخلَ الصلاة وخارجها، إلا أنه يُستحسن الإسرارُ به في الصلاة؛ سريَّةً كانت أم جهريةً، وصِيغته: (الله أكبر)، وورد عن بعضهم زيادة (لا إله إلا الله) قبْل التكبير. أبو عمرو الداني، *التيسير في القراءات السبع*، ٢٢٦؛ أبو شامة، *إبراز المعاني من حرز الأماني*، ٧٣١؛ الجزري، *النشر في القراءات العشر*، ٢/ ٤٠٥؛ القاضي، *البدور الزاهرة*، ٧٠٠.

(٥٤) اختلف القُرَّاء في موضع ابتداء التكبير وانتهائه؛ فمِن قائل إنَّه من أوَّل سورة الضحى حتى أوَّل سورة الناس، وذهب فريقٌ آخَرُ إلى أنه من آخر سورة الضحى إلى آخر سورة الناس. الداني، *التيسير في القراءات السبع*، ٢٢٦؛ القاضي، *البدور الزاهرة*، ٧٠٤، والنشار، البدور الزاهرة: ٢/ ٤٣٤، وتحريرات الطيبة: ٤٧٨، والنشار، المكرر: ٥١٧ .

(٥٥) القاضي، *البدور الزاهرة*، ٧٠٦.

يقول ابن القيِّم (ت٧٥١هـ) في مِثل هذا الشأن: "الانسجام، وهو أن يأتيَ الكلامُ سهلَ المساقَ، عذبَ المذاق، حسَب الاتِّساق، منحدرًا في الأسماع كتحدُّر الماء المنسجم، حتى يكون للجملةِ من المنثور والبيت من الموزون موقعٌ في النفوس، وعذوبة في القلوب ما ليس لغيره"[٥٦].

ولعلَّ الأمر يتَّضح بعرْض نماذج ممَّا وقفتُ عليه من أوجه ممتنِعة تخلَّف فيها هذا الاشتراط الصوتي من التجانُس والائتلاف.

- قوله تعالى: **(قل أءنتم)**:

فيه ستة أوجه لخلف عن حمزة، خمسةٌ منها جائزة، وواحد ممتنع، فالجائزة:

١ - السَّكْت على اللام مع تسهيل الهمزة الثانية.

٢ - السَّكْت على اللام مع تحقيق الهمزة الثانية.

٣ - ترْك السَّكْت مع تسهيل الهمزة الثانية.

٤ - ترْك السَّكْت مع تحقيق الهمزة الثانية.

٥ - نقْل حركة الهمزة الأولى إلى اللام مع تسهيل الثانية.

أمّا الوجه السادس الممتنع، فهو نقْل حركة الهمزة الأولى إلى اللام مع تحقيق الهمزة الثانية[٥٧].

والنَّقْل لُغةً: تحويل الشيء من موضِعه إلى موضِعٍ آخَر[٥٨].

وفي الاصطلاح: إلْقاء حركة الهمزة إلى الحرف الصحيح الساكن قبْلها، ثم حذْف الهمزة[٥٩]، والنقل قد يكون في الكلمة الواحدة، نحو: مَسَلَة في (مسألة)، أو الكلمتين نحو: (قدَ افلح)، ويُعدُّ حذف الهمزة في هذا الموطن حذفًا جزئيًّا؛ لبقاء حركة الهمزة، وهذا نظيرُ الإدغام الناقِص، حيث تبقى إحدى صِفات الحرف المدغَم في غيره.

قال سيبويه (ت١٧٠هـ): "واعلم أنَّ كلَّ همزة متحرِّكة كان قبْلها حرفٌ ساكن، فأردتَ أن تُخفِّف حذفْتَها، وألقيتَ حركتَها على الساكن الذي قبْلها، وذلك قولك: منَ بوك، ومَنُ مُّك، وكَمِ بِلك"[٦٠]

ونسَب سيبويه التخفيفَ إلى أهل الحجاز[٦١].

وسِمة التخفيف في نقْل حركة الهمزة إلى الساكن قبْلها وحذفها هو ما عناه الشاطبيُّ (ت٥٩٠هـ) بقوله:

وَحَرِّك بِهِ مَا قَبْلَهُ مُتَسَكِّنًا وَأَسْقِطْهُ حَتَّى يرجعَ اللَّفْظُ أَسْهَلَا[٦٢]

ومِن المتقرِّر عند علماء القِراءات أنَّ نقْل حركة الهمزة إلى الساكن قبْلها نوعٌ من تخفيف الهمزة؛ فالهمزةُ صوتٌ ثقيلٌ في نطقه، بعيدٌ في مخرجه، وقد اتَّجهت العربُ إلى تخفيفه بطُرق؛ منها: النقل على نحو ما أسلفنا في تعريفه.

جاء عند المتقدِّمين أنَّها تخرج من أقْصى الحَلْق مهتوتةً مضغوطةً[٦٣].

قال ابن خالويه (ت٣٧٠هـ): "العرب تتَّسع في الهمزة ما لا تتَّسع في غيره، فتُحقِّق وتُليِّن، وتُبدل وتطرح"[٦٤].

وهي عند طائفةٍ مِن المُحْدَثين صوتٌ لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، وعلَّة ذلك أنَّ الوترينِ الصوتيينِ لا يتذبذبانِ عند النطق بها.

---

(٥٦) ابن القيم، *فوائد المشوق إلى علوم القرآن* (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٠)، ٢١٩.

(٥٧) القاضي، *البدور الزاهرة*، ٨٧.

(٥٨) ابن منظور، *لسان العرب*، ١١/ ٦٧٤.

(٥٩) ابن يعيش، *شرح المفصل* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١)، ٥/ ٢٦٧.

(٦٠) سيبويه، *الكتاب*، ٣/ ٥٤٥.

(٦١) سيبويه، *الكتاب*، ٣/ ٥٤٥.

(٦٢) الشاطبي، *متن الشاطبية* (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ١٩.

(٦٣) الخليل بن أحمد، *العين*، تحقيق عبد الله درويش (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)، ١/ ٥٢.

(٦٤) ابن خالويه، *الحجة في القراءات السبع* (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥)، ٦٩.

وإنَّما امتنع هذا الوجهُ للتضادِّ الحاصِل بين مُطلق التخفيف[٦٥] بالنقل، والثقل الحاصل بتحقيق الهمزة الثانية، فلا يجريانِ على نسَق واحد، بل هو تنافُرٌ وخروجٌ عن المهيع المتَّسق، واشتراط الاعتدال الصوتي، وقد ذكرنا سابقًا أنَّ من شروط التجانُس الصوتي حصول يسر الانتقال من كلمة إلى كلمة على نحوٍ سلس دون عائق، ولا شكَّ أن الانتقال من خفيف إلى ثقيل فيه عُسرٌ وكُلفة على النُّطق، ومن أجله امتنع.

ومِثل هذا من الاختيار لا الوجه: أنَّ السُّوسي عن أبي عمرو يقرأ بالإدغام دون الدوري مع أن مطلق كلام الشاطبي له بالروايتين، فمن أين "يؤخذ من الشاطبية من تخصيصه بإبدال الهمز المفرد، وقصر المنفصل، والقاعدة أن إدغام القراء مع الإبدال فقط، فيكون الإدغام لمن أبدل، وهو السُّوسي، والإظهار لمن حقَّق، وهو الدُّوري»[٦٦].

فالإدغام وإبدال الهمز ضربانِ من ضروب التخفيف، ومقابله تحقيق الهمز مع الإظهار، كما هو اختيارُ الدُّوري، فجرَى الأمرُ على مراعاة التجانُس الصوتي تحقيقًا لهذه الغاية؛ فلكلٍّ سَمْتُه وسُنَّته.

ونظير ما ذكرناه ما قاله الرُّمانيُّ في المفاضلة الصوتيَّة بين قوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ}، وقول العرب المأثور: (القتْل أنفى للقتْل)، حيث قال: "وأمَّا الحُسن بتأليف الحروف المتلائِمة فهو مُدرَكٌ بالحس، وموجود في اللفظ؛ فإنَّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدلُ من الخروج من اللام إلى الهمزة لبُعد الهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدلُ من الخروج من الألف إلى اللام؛ فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغَ منه وأحسن"[٦٧]

- قوله تعالى: **(ذكرًا)**:

فيه لورش مفردًا وجهانِ؛ التفخيم - وهو المقدَّم أداءً - والترقيق، أمَّا عند وصله بما تقدَّم عليه من كلمة فيها مَدُّ بَدَلٍ نحو (آباءكم)، ففيه ستة أوجه، خمسة منها جائزة، وهي على النحو الآتي:

١ - قصْر البَدَل مع التفخيم.
٢ - قصْر البَدَل مع الترقيق.
٣ - مدُّ البَدل مع التفخيم.
٤ - مدُّ البَدل مع الترقيق.
٥ - توسُّط البَدل مع التفخيم.

ويمتنِع الوجه السادس، وهو توسُّط البَدل مع الترقيق[٦٨].

ويُمكن عرْضُ ما سبَق على نحو أوفق بما يأتي:

التفخيم، وعليه ثلاثة البدل.

والترقيق، وعليه قصْر البَدل ومدُّه.

ويمتنع الترقيقُ مع توسُّط البَدل.

ونلحظ أنَّ هذا الاختيار جاء معارضًا ما عرفناه لورش من ترقيق ذات الياء مع توسُّط البَدل، وعليه فجَرْيًا على مراعاة التجانُس الصوتي وتلاؤمه كان الأَوْلى امتناع ترقيق الراء مع قصْر البَدل، وجوازه مع توسطه.

ولعلَّ وجه الخُلف في ذلك، وامتناع إلحاق النظير بنظيره هو أنَّ الأصل في الياء عند ورش الفتح لا التقليل[٦٩]، وفي الراء

(٦٥) تخفيف الهمزة عند القراء إما بالنقل، أو الحذف، أو الإبدال، أو التسهيل.

(٦٦) الضباع، *مختصر بلوغ الأمنية*، ٣٥.

(٦٧) الرماني، *النكت في إعجاز القرآن*، ٧٨.

(٦٨) القاضي، *البدور الزاهرة*، ١٠٠؛ المتولي، فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم،٨٣، الضباع، *مختصر بلوغ الأمنية*، ١٢٠، الزيات، شرح تنقيح فتح الكريم،٢٥، شرف، تحريرات الطيبة، ٥٤ .

(٦٩) جمهور الرواة عن نافع على الفتح، وهو موافق للبيئة الحجازية التي لا تعرف الإمالة التي اختصت بها قبائل نجد وما جاورها. ابن الجزري، *إبراز المعاني من حرز الأماني*، ٢٠٤؛ أبو حيان، *ارتشاف الضرب من لسان العرب* (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٠)، ٢/ ٥١٨.

التفخيم[٧٠] فلأجْل ذلك تباينا، ولم يجريا على مَهْيَع واحد.

قال أبو شامة (ت٦٦٥هـ): "والغرَض من الإمالة والترقيق مطلقًا اعتدالُ اللفظ، وتقريب بعضه من بعض بأسبابٍ مخصوصة"[٧١].

فجُلُّ الباب قائمٌ على مراعاة التجانس الصوتي، وما أحرانا بنقْل ما يقوله ابن جني في هذا السِّياق حيث يقول: "فأمَّا مقابلة الألفاظ بما يُشاكِل أصواتها من الأحداث، فبابٌ عظيم واسع، ونهجٌ مُتْلَئِبٌّ عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمْت الأحداث المعبَّر بها عنها، فيُعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر ممَّا نقدره، وأضعاف ما نستشعره"[٧٢]

- قوله تعالى: **(فِصالا):**

لورش في (فِصالا) تغليظ اللام، وترقيقها، والتغليظ مُقَدَّمٌ في الأداء، فإذا ضُمَّتْ إلى البدل في قوله تعالى: (آتيتم)، كان له خمسة أوجه جائزة، وواحد ممتنع؛ فالجائزة هي:

١ - ترقيق اللام مع قصْر البدل.

٢ - ترقيق اللام مع توسُّط البدل.

٣ - ترقيق اللام مع مد البدل.

٤ - تغليظ اللام مع توسُّط البدل.

٥ - تغليظ البدل مع مدِّ البدل.

ويمتنع تغليظُ اللام مع قصْر البدل[٧٣].

وما نلحظه في هذه الأوجه جوازًا، وامتناعًا هو أنَّ الترقيق أوسع بابًا من التغليظ في اقترانه بأوجه مدِّ البدل الثلاثة، مع أنَّ التغليظ مقدَّمٌ عليه في الأداء.

ووجه امتناع تغليظ اللام مع قصْر البَدل له نظيرٌ بامتناع تقليل ذات الياء مع قصْر البدل كما هو معروفٌ لورش.

وامتناع تغليظ اللام وقصْر البَدل جارٍ على أصل مراعاة أنَّ ترقيق لام أصل في هذا الباب لورش، كما أنَّ الفتح أصلٌ له في ذات الياء، وإنما كان الترقيق أصلًا في هذا الباب لما يأتي:

١ - أنَّ التغليظ خلافُ لُغة العرب.

قال أبو شامة: "ولا شكَّ أنه إنْ ثبَت [التغليظ] لغةً، فهو لغةٌ ضعيفة مستثقَلة؛ فإنَّ العرب عُرِف من فصيح لُغتها الفرارُ من الأثقل إلى الأخفِّ، والتغليظ عكس ذلك"[٧٤].

٢ - أنَّه لا يتجانس صوتيًّا مع اختيارات ورش العامَّة من ترقيق الراءات، وإمالة بين بين، وتخفيف الهمز بالنقل، والتسهيل، والإبدال.

٣ - أنَّ التغليظ خلافُ المرويِّ عن الرواة عن ورش، وإنما انفرد به الأزرق عنه[٧٥].

٤ - أنَّ هذا التغليظَ مشروطٌ بفتح اللام، وأن تُسبَق بصاد، أو طاء، أو ظاء، مفتوحاتٍ، أو ساكنات[٧٦].

إنما غُلظت اللام في هذا الموطن مجاورةً للصاد، الصوت المستعلي المُطبَق المفتوح، ولم يُعْتَدَّ بالفاصل الساكن؛ لأنه حاجزٌ غير حصين[٧٧].

---

(٧٠) وما ذكرناه في فتح ذوات الياء هو مِثله في تفخيم الراء؛ إذ ترقيق الراء ضربٌ من الإمالة، والتعبير جارٍ به عنه في كتب علماء القراءات، محمد بن محمد الفاسي. *شرح الفاسي على الشاطبية*. تح: عبد الرازق بن علي موسى. (الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ١/ ٤٥٤، أبو شامة، *إبراز المعاني من حرز الأماني*، ٢٤٨.

(٧١) أبو شامة، *إبراز المعاني من حرز الأماني*، ٢٤٩.

(٧٢) ابن جني، *الخصائص*، ٢/ ١٥٩.

(٧٣) القاضي، *البدور الزاهرة*، ١٠٦؛ الضباع، *مختصر بلوغ الأمنية*، ١٢٣، الزيات، شرح تنقيح فتح الكريم،٢٩ .

(٧٤) أبو شامة، *إبراز المعاني من حرز الأماني*، ٢٦١.

(٧٥) أبو شامة، *إبراز المعاني من حرز الأماني*، ٢٦١؛ الجزري، *النشر في القراءات العشر*، ٢/ ١١١.

(٧٦) الداني، *التيسير في القراءات السبع*، ٥٨.

(٧٧) ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر*، ١/ ٤٤٥، ٢/ ١١٤.

اجتماع البَدل مع ذات الياء:

نحو (المآب)، وقبله (الدنيا) في سورة آل عمران، أولًا، فيه الأربعة الأوجه المعروفة إذا وصل بما بعده، وهي:

١ – فتح (الدنيا) وعليه قصر البدل.

٢ – فتح (الدنيا) وعليه مد البدل.

٣ – تقليل (الدنيا) وعليه توسط البدل.

٤ – تقليل (الدنيا) وعليه مد البدل.

أمَّا لو وقف على (المآب)؛ ففيه عشرة أوجه:

١ – فتح (الدنيا) وقصر البدل مع السكون.

٢ – فتح (الدنيا) وقصر البدل مع الروم.

٣ – فتح (الدنيا) ومد البدل مع السكون.

٤ – فتح (الدنيا) ومد البَدل مع الرَّوْم.

٥ – فتح (الدنيا) وتوسُّط البدل مع السكون[٧٨].

قال القاضي: "التوسُّط مع السكون المحض باعتبار العُروض، ويمتنع معه الرَّوم؛ لأنَّ التوسُّط إنما جازَ للوقف فقط"[٧٩].

وهذا جارٍ على أصل ورش في اختصاص التوسُّط بإمالة ذات الياء، وإنما جاز فتْحُ ذات الياء مع التوسُّط مراعاة للمدِّ العارض للسكون الذي يجوز فيه الأوجه الثلاثة، ومن ضمنها التوسُّط، والمدُّ العارض أقوى من مدِّ البَدل، قال السمنودي:

أَقْوَى المُدودِ لازمٌ فمَا اتَّصَلْ فعارِضٌ فذُو انفِصالٍ فبَدَلْ[٨٠]

ورَوم آخر (مآب) وإن كان وقفًا إلا أنَّه معدودٌ فيما حُرِّك، وبه خرَج من مراعاة العارض للسكون إلى مدِّ البدل، وليس ثمَّةَ توسُّطٌ للبَدل مع فتح ذات الياء.

وعليه فما منع من هذا الوجه إلا لمخالفته أصولَ ورش، والخروج به عن نظائره على نحو ما أسلفنا؛ فهو منْعٌ جاء محقِّقًا للتجانس السِّياقي وإلْحاق كل نظير بنظيره.

فيما يخصُّ التقليلَ منها، ففيه الأوجه الجائزة:

٦ – التقليل مع توسُّط البدل والسكون.

٧ – التقليل مع توسُّط البدل والروم.

٨ – التقليل مع مدِّ البدل والسكون

٩ – التقليل مع مدِّ البدل والروم.

١٠ – التقليل مع قصْر البَدل والسكون، نظرًا للعروض[٨١].

ووجهُ جواز التقليل مع قصْر البدل مع مخالفته لأصل ورش مراعاةُ حال الوقف على العارض للسكون بتسكين آخر (مآب) تسكينًا محضًا؛ إذ هو المعتبَر والأقوى عند تزاحُمه مع البَدل على ما نحو ما بيَّناه سلفًا، فهو مدٌّ عارض للسكون وإنْ جاء في صورة البَدل.

– قوله تعالى: (التوراة) مع قصْر المنفصل وتوسُّطه، وصلة ميم الجمع وسكونها.

لقالون فتح (التوراة) وإمالتها، وله قصرُ المنفصل وتوسطه، وعليهما سكون الميم الجمع وصلته، فتصير ثمانيةَ

---

(٧٨) القاضي، *البدور الزاهرة*، ٧٧؛ الضباع، *مختصر بلوغ الأمنية*، ٥٧، ٦٠، الزيات، شرح تنقيح فتح الكريم،٢١، شرف، تحريرات الطيبة، ٩٢ .

(٧٩) القاضي، *البدور الزاهرة*، ١٢٣.

(٨٠) يتخرَّج عن هذه القاعدة العامَّة قاعدتان؛ **القاعدة الأولى:** إذا اجتمع مدان مختلفان في آية واحدة، فإنْ تقدَّم القويُّ منهما على الضعيف مائَل الضعيفُ القويَّ ونزل عنه، وإن تقدَّم الضعيفُ منهما على القويِّ مائَل القويُّ الضعيفَ وعلا عنه.

القاعدة الثانية: عند اجتماع سببين للمدِّ الفرعي من كلمة واحدة، فيعمل بالسبب القوي، ويُلغى السبب الضعيف، نحو (آمَّين) حيث اجتمع مدان: بدل، ولازم، فيُقدم اللازم ويُقرأ بالإشباع سِتَّ حركات، ولا يُعلم خلافٌ بين القُرَّاء في ذلك، وفي هذا يقول السمنوديُّ:

وسببًا مَدٍّ إذا ما وُجِدَا فإنَّ أقْوَى السَّببينِ انفَرَدَا. إتحاف البريد بضبط متن التحفة السمنودية: ٤٧ .

(٨١) القاضي، *البدور الزاهرة*، ١٢٣.

أوجه؛ خمسة جائزة، وثلاثة ممتنِعة[٨٢]، وهي كالآتي:

الأوجه الجائزة:

١ – فتْح التوراة، وقصر المنفصل، وصلة ميم الجمع.

٢ – فتْح التوراة، وتوسُّط المنفصل، وسكون ميم الجمع.

٣ – تقليل التوراة، وقصْر المنفصل، وسكون الميم.

٤ – التقليل، وتوسُّط المنفصل، وسكون الميم.

٥ – التقليل، وتوسط المنفصل، وصلة ميم الجمع.

والممنوع من الأوجه:

١ – فتْح التوراة، وقصْر المنفصل، وسكون ميم الجمع.

٢ – فتْح التوراة، وتوسُّط المنفصل، وصلة ميم الجمع.

٣ – تقليل التوراة، وقصْر المنفصل وصلة ميم الجمع.

وقبْل بيان وجه امتناع هذه الأوجه يلزم معرفةُ أنَّ القصر عند قالون مُقَدَّمٌ أداءً على التوسُّط، والتقليلَ في (التوراة) مُقَدَّمٌ على الفتح، وسكونَ ميم الجمع مُقَدَّمٌ على صِلتها.

وقد استفرغت الوُسع في الوقوف على عِلَّة امتناع هذه الأوجه من جِهة تحقُّق التجانس الصوتي، أو مراعاة النظائر فيما وردَ عن قالون، إلا أنَّني عَييتُ في تلمُّس ذلك، فما وجدتُ سوى محْض الرواية، ومتابعة التلقِّي عن الأشياخ، بَيْدَ أني بعدَ معاودة النظر، وإجالة الفكر في امتناع هذه الأوجه انتهيتُ إلى معيار قد يكون صالحًا في تفسير ذلك، مؤدّاه عدمُ مراعاة الأوجه المقدَّمة أداءً، إلا أنه يتعارَض مع ما وردتْ به الرواية، وعليه فلو كان لي سَعةٌ من القول في هذا لمنعتُ من الأوجه ما يأتي:

١ – فتْح (التوراة) توسُّط المنفصل صلة ميم الجمع.

فهذا وجهٌ مرجوع، وهو موافقٌ لما جاءتْ به الرواية.

٢ – فتْح (التوراة) توسُّط المنفصل سكون ميم الجمع.

وإنَّما منعتُه لغلبة الأوجه المرجوحة فيه بفتْح (التوراة) وتوسُّط المنفصل.

٣ – تقليل (التوراة) توسُّط المنفصل صلة ميم الجمع.

وهذا وجهٌ منعتُه بعلَّةِ سابقِه؛ إذ فيه توسُّط المنفصل، وصلة ميم الجمع، وكلاهما وجهان مرجوحان.

الخاتمة

خلص البحث إلى جملة من النتائج:

– أهمية الدراسة الصوتيَّة في تفسير الظواهر اللُّغوية من جِهة أنَّها وصفية تحليلية، تعتمد على واقعية النُّطق البشريِّ دون إيغالٍ في مفهوم البِنية العميقة الذي شاع مع المنهج التوليديِّ عند بعض المُحْدَثين.

– أنَّ القُرَّاء يتفاتون في مراعاة التجانُس الصوتي وتلاؤمه في اختيار الأوجه المختلفة.

– غالب ما وقفتُ عليه من الأوجه جوازُ أكثرها، وقلَّة مُمتنِعها.

– كثير من وجوه امتناع الأوجه حاصلٌ من التعارُض بين التحقيق والتخفيف بضروبه المختلفة.

– ما جاء من الأوجه مخالفًا للتجانُس الصوتيِّ المرعيِّ في أصول الراوي مَرَدُّه إلى محْض الرواية والسماع.

– أهمية مراعاة أصول القارئ أو الراوي في جواز الأوجه، وامتناعها.

– انتهى الباحثُ إلى تحقيق الفرق بين الاختيار والوجه، بعموم الأوَّل وبنائه على السماع، وخصوص الثاني وبنائه على مراعاة النظير وأصول الرِّواية.

– المراد بالتجانُس الصوتيِّ في مراعاة جواز الأوجه وامتناعها، هو في مراعاة التركيب، وحُسن الاعتدال، وتوازن الإيقاع، والتلاؤم في جرس النَّغمة في العبارة القرآنية؛ ليبلغ أثرُها الغايةَ في النفوس باشتباه أوَّل الكلام بآخِره، ونظْم هاديه بعَجُزه.

(٨٢) القاضي، *البدور الزاهرة*، ١٣٠؛ الضباع، *مختصر بلوغ الأمنية*، ١٧٤.

المصادر والمراجع:

ابن الجزري، محمد بن محمد. *النشر في القراءات العشر*. تحقيق: علي بن محمد الضباع. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم، شمس الدين أبو محمد. *فوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن جني، عثمان بن جني. *الخصائص*. تحقيق: محمد علي النجار. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد. *الحجة في القراءات السبع*. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. بيروت: دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.

الرماني، علي بن عيسى. *النكت في إعجاز القرآن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*. تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام. القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

ابن فارس، أحمد بن زكريا. *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن مالك، محمد بن عبد الله. *شرح تسهيل الفوائد*. تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

ابن مالك، محمد بن عبد الله. *شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح*. تحقيق: طه محسن. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا، شرح المفصل، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل. *إبراز المعاني عن حرز الأماني*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأسدي، حسن عبد الغني. "التعليل في الدرس النحوي: نظرة في أصول اللغة". *مجلة جامعة كربلاء العلمية*، المجلد السابع، العدد الرابع، ٢٠٠٩م.

أمين، أحمد. *فجر الإسلام*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، ١٩٦٥م.

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*. بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

الأندلسي، أبو حيان. *ارتشاف الضرب من لسان العرب*. تحقيق: رجب عثمان محمد. القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

الأندلسي، أبو حيان. *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥).

الباجوري، إبراهيم. *حاشية الباجوري على السلم في علم المنطق*. القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد صبيح وأولاده، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

بالوالي، محمد. *الاختيار في القراءات والرسم والضبط*. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الجاحظ، عمرو بن بحر. *البيان والتبيين*. تحقيق: فوزي عطوي. بيروت: دار صعب.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. *تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

حسان، تمام. *اللغة العربية معناها ومبناها*. بيروت: عالم الكتب، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الخطيب، عبد الكريم. *إعجاز القرآن*. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٤م.

الداني، عثمان بن سعيد. *التيسير في القراءات السبع*. تحقيق: أوتو تريزل. بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

دراز، محمد عبد الله. *النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن*. الدوحة: دار الثقافة، ١٩٨٥م.

الدمنهوري، أحمد بن عبد الرحمن. *حلية اللُّبِّ المصون بشرح الجوهر المكنون*. تحقيق: محمد سعيد الفجيجي، وأبي يعلى البيضاوي. الكويت: دار الضياء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

الدمياطي، أحمد بن محمد البناء. *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر*. تحقيق: أنس مهرة. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

الزجاجي، أبو القاسم. *الإيضاح في علل النحو*. تحقيق: مازن المبارك. بيروت: دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الزيات، أحمد عبدالعزيز، شرح تنقيح فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم، القاهرة، ١٩٩٧م .

ستيف أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠).

السخاوي، علم الدين علي بن محمد، فتح الوصيد في شرح القصيد (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٠).

سيبويه، عمرو بن عثمان. *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

السندي، عبد القيوم عبد الغفور. صفحات في علوم القراءات. مكة المكرمة، مكتبة الإمداد العلمي. ٢٠٢١م.

السيرافي، الحسن بن عبد الله. *شرح كتاب سيبويه*. تحقيق: أحمد مهدلي، وعلي سيد علي. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

شادي، محمد إبراهيم. *البلاغة الصوتية في القرآن*. القاهرة: شركة الرسالة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

الشاطبي، القاسم بن فيره. *حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع*. تحقيق: محمد تميم الزعبي. جدة: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

شرف، جمال الدين. تحريرات الطيبة على ما جاء في عمدة العرفان للإزميري. القاهرة، دار الصحابة،٢٠٠٢م.

الضباع، محمد علي. *مختصر بلوغ الأمنية شرح تحرير مسائل الشاطبية*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

غريب، روز. *النقد الجمالي وأثره في النقد العربي*. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م.

الفارسي، الحسن بن محمد. *التعليقة على كتاب سيبويه*. تحقيق: عوض القوزي. الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

الفاسي، محمد بن محمد. *شرح الفاسي على الشاطبية المسمى بـ"اللالئ الفريدة في شرح القصيدة"*. تحقيق: عبد الرازق بن علي موسى. الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

القاضي، عبد الفتاح. *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة*. إشراف ومراجعة: عبد العزيز قارئ. جدة: معهد الإمام الشاطبي، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

القرطبي، محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

القزويني، الخطيب. *الإيضاح في علوم البلاغة*. بيروت: دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

القيسي، مكي بن أبي طالب. *الإبانة عن معاني القراءات*. تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

القيسي، مكي بن أبي طالب. *الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها*. تحقيق: محيي الدين رمضان. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

-مأمون، أحمد، إتحاف البرية بضبط متن التحفة السمنودية. القاهرة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ١٤٣٠هـ.

المبارك، مازن، العلة النحوية وأثرها في الدراسات اللغوية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣)

المبارك، مازن. *العلة النحوية: نشأتها وتطورها*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م.

المبرد، محمد بن يزيد. *المقتضب*. تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة. بيروت: عالم الكتب.

محيسن، محمد سالم. *المهذب في القراءات العشر*. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م.

المتولي، فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم، تحقيق: د. ياسر المزروعي، الكويت، غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان،٢٠١٤م.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، *المعجم الكبير*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨١).

النشار، عمر بن زين الدين. *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة*. تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، عادل عبد الموجود. بيروت: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

النشار، عمر بن قاسم. *المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر*. تحقيق: أحمد محمود الحفيان. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

المخطوطات:

الرماني. *شرح الرماني لكتاب سيبويه*. المجلد الرابع، المكتبة المركزية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرقم ١٠٩٠٧.

.

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ٣٩-٦٤، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 39-64, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

آراء أمناء المكتبات الجامعيَّة في المملكة العربيَّة السعوديَّة في البيانات الضخمة

صقر بن مويسان العتيبي

أستاذ علم المعلومات المشارك، قسم المعلومات ومصادر التعلم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، السعودية.

(قدم للنشر في ٢٨/ ٦/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ٢٦/ ٧/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-3

الكلمات المفتاحية: البيانات الضخمة، المكتبة الجامعيَّة، أمناء المكتبة، السعوديَّة.

ملخص البحث: هدفت هذه الدراسةُ إلى استكشافِ درجةِ وعي أمناء المكتبات الجامعيَّة بالبيانات الضخمة، ودرجة معرفتهم بمصادر البيانات الضخمة وأشكالها، وأهم المهارات اللازمة لأمناء المكتبات للتعامل مع البيانات الضخمة، وتحديد مجالات الاستفادة منها في المكتبات الجامعيَّة، بالإضافة إلى استكشاف أيّ فروقٍ ذات دلالة إحصائية في مدى وعي أمناء المكتبات بين الجامعات المستهدفة. وقد استخدم الباحثُ المنهجَ الكميَّ المسحيَّ معتمداً على استبيانٍ لجمعِ البيانات من (٦٩) أمين / أمينة مكتبة في جامعة طيبة وجامعة الملك عبد العزيز.وقد توصَّلت الدراسُة إلى أن أمناء المكتبات لديهم وعيٌ مرتفع بالبيانات الضخمة وأهميتها في المكتبات وبأنواعها وخصائصها، وعلى معرفة كبيرة بمصادر البيانات الضخمة وأشكالها، كما تبين أنهم على دراية ومعرفة بعدد من المهارات اللازمة وبالمجالات المختلفة لاستخدام البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة، وتبين كذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مدى وعي أمناء المكتبات بالبيانات الضخمة بين الجامعات. وتكتسب هذه الدراسة أهميتها النظريَّة والعمليَّة؛ من ندرة الدراسات التي تناولت البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة في الخليج العربي على وجه الخصوص، وتسليطها الضوء على أهمية تبني إدارة البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة.

The Perceptions of University Librarians in Saudi Arabia on Big Data

Saqr Moisan Alotaibi
Associate Professor of Information Science, Department of Information and Learning Resources, College of Arts and Humanities, Taibah University, Saudi Arabia.
(Received: 28/ 6/1446 H, Accepted for publication 26/ 7/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-3

Keywords: Big data, university library, librarians, Saudi Arabia.
Abstract. This study aimed to explore the extent of university librarians' awareness of big data, their knowledge of its sources and forms, the most important skills needed to deal with big data, and to identify its fields of use in university libraries, in addition to exploring any statistically significant differences in the librarians' awareness between the targeted universities. The researcher used the quantitative survey method using a survey questionnaire to collect data from 69 librarians at Taibah University and King Abdulaziz University. The study found that the librarians have high awareness of big data, its importance in libraries, its types, and characteristics, and have high knowledge of its sources and forms. The study also showed that the librarians are familiar with a number of necessary skills and the various fields of using big data in university libraries, and that there are no statistically significant differences in the librarians' awareness between the universities. This study is of theoretical and practical importance due to the scarcity of studies addressig big data in university libraries in the Arabian Gulf particularly and highlighting the importance and usefulness of adopting big data management in university libraries.

المقدمة

تُعَدُّ الكتبُ سلمَ التقدمِ البشريِّ، وتُعَدُّ المكتبةُ مخزنَ الكتب ومنبعَ المعرفة؛ إذ يتمثل دورها في التعرف على المصادر الثمينة واختيارها والمحافظة عليها وتنظيمها، بجانب منح مستخدميها حقَّ الدخول إليها. ووفقاً لخبراء تكنولوجيا المعلومات فإنه يجب على المكتبات الجامعيَّة استغلال البيانات الضخمة؛ إذ يلزم في وقتنا هذا معالجة الكميات الضخمة من البيانات المتدفقة؛ للمساعدة في اتخاذ قرارات إدارية وتقديم خدمات للمستفيدين في المكتبات الجامعيَّة [١]. فإلى جانب التغيرات التكنولوجيَّة في عصر تكنولوجيا المعلومات، تألقت البيانات الضخمة في معظم المجالات [٢]، جنباً إلى جنب مع إدارة المكتبات وخدماتها. بإمكان تحليل البيانات الضخمة مساعدة المكتبات الجامعيَّة في إنشاء إدارة معلومات للكتب والمجلات الدوريَّة والمراجع وغيرها من المصادر وكذلك للمؤلفين والناشرين، وتسهيل الاستعلام عن الكتب والتواريخ والأماكن الجغرافيَّة والتصنيف الموضوعي [٣]، بالإضافة إلى تعزيز كفاءة العمل ومستوى الخدمة.

ولا يقتصر استخدامات البيانات الضخمة على البحث العلمي فقط، بل على عمل أمناء المكتبات العاملين فيها. ولقد سبق بيان تأثير التحسينات والتحديات في القرن الحادي والعشرين على أمناء المكتبات لتضمين تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الأنشطة العادية للمكتبات الجامعيَّة من أجل تقديم خدمات ناجحة تتسم بالكفاءة للمستخدمين[٤]. ومع انتشار البيانات الضخمة، أصبح من المهم أن يدرك أمناء المكتبات كيف يمكن جعل مجموعات البيانات الضخمة مريحة ويسهل الوصول إليها ومحسوسة من خلال خلق التصنيفات، وتخطيط نماذج البيانات الوصفية، وتنظيم تقنيات استرجاع المعلومات. وفي الوقت الذي يتم فيه معالجة البيانات الضخمة، يتعين على أمناء المكتبات استيعاب أنفسهم في المراحل الأولى من سلسلة المعلومات، حتى وإن كانوا يتوقعون تقليديًا إدارة المنتجات البحثية[٥] نظرًا لوجود البيانات الضخمة بشكل كثيف في العصر الحديث، ويحتاج أمناء المكتبات إلى معرفة العناصر الأساسية للبيانات الضخمة وكيفية تأثيرها على البحث الأكاديمي[٦].

وبالإضافة إلى دورها في توفير الكتب والمراجع اللازمة لمستخدميها، فإن المكتبات الجامعيَّة تعتبر مكتبات بحثية توفر الكثير من المعلومات والمعرفة[٧]. إذ أصبح دور المكتبات الجامعيَّة في عصر البيانات الضخمة ذا طبيعة مبتكرة من ناحية تقديم موارد معلومات محددة لمستخدمي المكتبة[٨] خاصة في ظل التطورات المتلاحقة في عالم التكنولوجيا والاتصالات.و تُعَدُّ البيانات في المكتبات الجامعيَّة ضخمة

(1) Nain Tara, Muhammad Rafi, and Khurshid Ahmad, "Evaluating the implementations of big data analytics in academic libraries: a structural equation model-based approach". Performance Measurement and Metrics, 25, 3/4 (2024): 1467-8047.

(٢) صقر العتيبي،" البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة: دراسة استطلاعية"، مجلة الآداب، ٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩.

(٣) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية: دراسة حالة لمكتبة الجامعة الأردنية"، (المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة/ فرع الخليج العربي البيانات الضخمة وآفاق استثمارها: الطريق نحو التكامل المعرفي، ٦-٨ مارس، ٢٠١٨، مسقط، سلطنة عُمان).

(4) Samson Akinola, "Management of academic library services in the 21st century digital dispensation." Alexandria, 32, 2-3 (2022): 90-104.

(5) Saqar Alotaibi, "Big data analysis role in advancing the various activities of digital libraries: Taibah university case study-Saudi Arabia." International Journal of Computer Science & Network Security, 21, 8 (2021): 297-307.

(٦) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة:" مجلة الآداب،٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩.

(7) Nove Anna, and Endang Mannan, "Big data adoption in academic libraries: a literature review." Library Hi Tech News, 37, 4 (2020): 1-5.

(8) Ming Zhan, and Gunilla Widén, "Public libraries: roles in big data." The Electronic Library 36, 1 (2018): 133-145.

ومعقدة للغاية، مما يستدعي تنفيذ تحليلات لهذه البيانات الضخمة؛ لذا يجب أن تبدأ المكتبات الجامعيَّة في تبني واعتماد تحليلات البيانات الضخمة لدعم خدمات المكتبة[٩] ؛ إذ يمكن لأمناء المكتبات الجامعيَّة تحديد المعلومات والاحتياجات البحثية لمستخدمي المكتبة من خلال فهم كميات ضخمة من البيانات وتحليلها[١٠] مما يمكنهم من إعادة تصميم خدمات المكتبة بما يلائم احتياجات المستخدمين. وبالتالي، تساعد البيانات الضخمة أمناء المكتبات الجامعيَّة في اتخاذ القرارات الصائبة القائمة على الأدلة[١١] من خلال استخدام التقنيات اللازمة.

مشكلة الدراسة

اكتسبت البيانات الضخمة اهتماماً كبيراً في مختلف القطاعات في ضوء تزايدها الكبير بشكل يومي [١٢] حتى أصبح من الضروري إدراك مفهوم البيانات الضخمة وأهميتها وخصائصها وتطبيقاتها ومجالات الاستفادة منها. وقد بَيَّنَ الغبيري وحسن [١٣] والعتيبي[١٤] أن القطاعات الحكومية في المملكة العربيَّة السعوديَّة أصبحت تولد وتنتج كميات هائلة من البيانات الضخمة. إلا أن هناك نقصًا في رأس المال البشري القادر على القيام بالمهام التحليليَّة والإداريَّة اللازمة للاستفادة القصوى من هذه البيانات. وتولد المكتبات الجامعيَّة-كمثيلاتها من المؤسسات التي تعمل على نشر العلم والمعرفة والفكر- كمياتٍ ضخمةً من البيانات التي سيتيح فهمها وتحليلها استخداماً أكثر فائدة للمكتبات، وتطويراً أكثر تماسكاً للأبحاث حول هذا الموضوع[١٥].

وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات [١٦،١٧،١٨] التي تناولت موضوع البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة في الخليج العربي، إلا أن هذه الدراسات لا تُعَدُّ كافية، فما زال مفهوم البيانات الضخمة ودورها ومجالات الاستفادة منها في المكتبات الجامعيَّة بحاجة للمزيد من الدراسة والبحث[١٩]، لذا لم ينل هذا المجال حظَّه بشكل كافٍ من البحث والدراسة، خاصة في ضوء الدور الهام الذي تلعبه المكتبات الجامعيَّة في

(9) Nain Tara, Muhammad Rafi, and Khurshid Ahmad, "Evaluating the implementations of big data analytics in academic libraries." Performance Measurement and Metrics, 25, 3/4 (2024): 1467-8047.

(10) Jun Li, Ming Lu, Guowei Dou, and Shanyong Wang, "Big data application framework and its feasibility analysis in library." Information Discovery and Delivery, 45, 4 (2017): 161-168.

(11) Younghee Noh, "Imagining library 4.0: Creating a model for future libraries." The Journal of Academic Librarianship, 41, 6 (2015): 786-797.

(١٢) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة: ما هي وما أهميتها وفوائدها وخصائصها المميزة؟" مجلة دراسات المعلومات، ٢٤، ٢٤ (٢٠٢٠): ٦٩-٨٤.

(١٣) محمد الغبيري، وعبد الرحمن حسن، "البيانات الضخمة وأثرها في تحقيق رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠: دراسة تطبيقية. "مجلة الاستراتيجية والتنمية، ٩، ٣ (٢٠١٩): ٣٢-٥١.

(١٤) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة" مجلة الآداب، ٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩

(15) De Mauro, Andrea, Marco Greco, and Michele Grimaldi, "What is big data? A consensual definition and a review of key research topics." AIP Conference Proceedings, 1644, 1(2015), 97-104.

(١٦) أحمد المزين، "البيانات الضخمة والتكامل المعرفي في المكتبات الوطنية: مكتبة الكويت الوطنية أنموذجاً." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات،١، ٢ (٢٠١٩): 282-237.

(١٧) لطيفة شنيشن، "البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً." المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، ٩، ٣ (٢٠٢٠)" ١٣٣-١٧٢

(١٨) خالد عبد الله، وعبد الله الهنائي، "البيانات الضخمة في مكتبات جامعة السلطان قابوس: واقعها وأثر دور المدراء كمتغير وسيط للإستفادة منها في تحسين الخدمات." المجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات، ٩، ١ (٢٠١٨): ٢٣-٥٢.

(19) Nove Anna, and Endang Mannan, "Big data adoption in academic libraries: a literature review." Library Hi Tech News, 37, 4 (2020): 1-5.

توليد المعرفة ونشرها. أضف إلى هذا أنه على مستوى المملكة العربيَّة السعوديَّة فإن الباحث لم يجد سوى دراستين: إحداهما تتناول تأثير البيانات الضخمة على الاتجاه نحو تبني استخدامها في التخطيط لرؤية المملكة[٢٠] والأخرى تتناول مدى وعي أمناء المكتبة بمفهوم البيانات الضخمة واستخدامها داخل المكتبة. وعليه فإن الباحث يرى ضرورة إجراء دراسة تتناول البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة لاستكشاف معرفة أمناء المكتبات ووعيهم بالبيانات الضخمة وأهميتها للمكتبات الجامعيَّة.

غرض الدراسة وأسئلتها

إن الغرض من هذه الدراسة هو استكشاف آراء أمناء المكتبات الجامعيَّة حول البيانات الضخمة وخصائصها وأنواعها ومصادرها ومجالات الاستفادة منها في المكتبات الجامعيَّة السعوديَّة. وتجيب عن الأسئلة الآتية:

١.ما مدى وعي أمناء المكتبات الجامعيَّة بالبيانات الضخمة وأنواعها وخصائصها؟

٢.ما درجة معرفة أمناء المكتبات الجامعيَّة بمصادر البيانات الضخمة وأشكالها؟

٣.ما أهم المهارات اللازمة لأمناء المكتبات الجامعيَّة للتعامل مع البيانات الضخمة؟

٤.ما مجالات الاستفادة من البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة من وجهة نظر أمناء المكتبات؟

٥.هل يوجد فروق ذات دلالة إحصائية في مدى وعي أمناء المكتبات بالبيانات الضخمة بين الجامعات المستهدفة؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة نظريًّاً في أنها ستضيف إلى الأدب النظري؛ إذ إنها تتطرق إلى البيانات الضخمة من منظور هام ألا وهو المكتبات الجامعيَّة وبالأخص في المملكة العربيَّة السعوديَّة، مع ندرة الدراسات التي تناولت هذا الجانب في الخليج العربي وخاصة السعوديَّة. وكذلك تنال هذه الدراسة أهميتها من ناحية موضوعها الذي يتمثل في الوعي بالبيانات الضخمة وأهميتها ومجالات الاستفادة منها في المكتبات الجامعيَّة، بالإضافة إلى المهارات اللازمة لأمناء المكتبات؛ ولذا فإن هذه الدراسة تسعى لسد النقص في الأدب النظري في هذا المجال الجديد، والذي بات ينال أهمية كبرى بسبب قيمة البيانات المتولدة. أمَّا عمليًّاً فإن هذه الدراسة تسعى إلى نشر الوعي بأهمية البيانات الضخمة للمكتبات الجامعيَّة لمسؤولي المكتبات؛ لمساعدتهم في استخلاص المعلومات والبيانات لإدارة المكتبات أو اتخاذ القرارات أو إعداد الميزانيات أو تحليل البيانات؛ للتعرف على احتياجات المستخدمين وتلبية متطلباتهم في مختلف المجالات. كما ستساعد نتائج الدراسة أمناء المكتبات في فهم أكبر للبيانات الضخمة وفوائدها والتعرِّف على المهارات اللازمة للتعامل معها. وبالإضافة لذلك تأمل الدراسة أن تسلط الضوء على أهمية البيانات الضخمة للمكتبات مما يدفع إلى إدراج البيانات الضخمة مادةً أساسيَّةً في المقرر الدراسي لأقسام علم المكتبات والمعلومات.

مراجعة الأدب النظري

تعريفات البيانات الضخمة

تنوعت تعريفات البيانات الضخمة إلا أن جميع التعريفات تدور حول حجمها وتحليلها ومعالجتها. فعلى

(٢٠) محمد الغبيري، وعبد الرحمن حسن، "البيانات الضخمة وأثرها في تحقيق رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠." مجلة الاستراتيجية والتنمية، ٩، ٣ (٢٠١٩): ٣٢-٥١

سبيل المثال يعرفها الشوابكة [٢١] بأنها "حقائق أوليَّة خام غير مهيكلة وغير منظمة وغير مرتبطة ببعضها، ولا تُفهم أو يُفاد منها إلا بعد معالجتها، فهي المعطيات الأوليَّة أو البكر التي تُستخلص منها المعلومات، والتي تعرف بأنها البيانات المعالجة والمهيكلة والمنظمة والمترابطة والمعدة للاستخدام". في حين أن الغبيري وحسن[٢٢] يُعرفان البيانات الضخمة بأنها "كمية هائلة من البيانات المعقدة التي تحقق مستويات عالية في التوزيع، ومصادر بيانية ضخمة الكم، وسرعتها فائقة وتنوعها كبير، ويفوق حجمها قدرة البرمجيات والحاسبات الآلية التقليدية على تخزينها، ومعالجتها، وتوزيعها، وتأخذ أشكالاً متنوعة". لذا تُعرف البيانات الضخمة بأنها كمية هائلة من البيانات المعقدة ذات حجم ضخم بحيث يصعب على البرمجيات والحواسيب التقليدية تخزينها وتحليلها ومعالجتها وتوزيعها[٢٣،٢٤].

في حين يرى العتيبي[٢٥] أن البيانات الضخمة تعبير شامل يُستخدم لوصف حجم هائل من البيانات المهيكلة وغير المهيكلة معاً، والتي تعتبر كبيرة وصعبة جداً بحيث يصعب معالجتها باستخدام قاعدة بيانات تقليدية بل جنباً إلى جنب مع تقنيات البرمجيات. كما تصف البيانات الضخمة أيَّ كمية هائلة الحجم من البيانات غير المنظمة وشبه المنظمة والمنظمة[٢٦]، والتي تتحرك بسرعة ولا تلائم بنية أي قاعدة بيانات، ويجب إيجاد طريقة بديلة لمعالجة هذه البيانات كي يتم استخراجها للحصول على معلومات بغية الاستفادة منها[٢٧،٢٨،٢٩].

إذن يمكن القول بأن التعريفات السابقة للبيانات الضخمة تتفق وتتشابه من ناحية الحجم والتعقيد والتكنولوجيا، والتي تعتبر جميعها عوامل أساسية للغاية[٣٠]. لذا فإن حجم مجموعات البيانات الضخمة كبير جداً، كما أن بنية مجموعات البيانات الضخمة ذات طبيعة معقدة، أما التقنيات التكنولوجية المستخدمة لمعالجة مجموعات البيانات الضخمة فهي تقنيات غير تقليدية وغير مألوفة.

ومن الجدير بالذكر أنه نظراً لكون حجم البيانات الضخمة هائل جداً؛ فإن قياسها يكون إمَّا بوحدة تيرابايت أي: ألف جيجابايت، وإمَّا بوحدة بيتابايت أي ألف تيرابايت، أو وحدة إكسابايت أي: ألف بيتابايت، أو وحدة

(٢١) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية: دراسة حالة لمكتبة الجامعة الأردنية." المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨، مسقط، سلطنة عُمان.

(٢٢) محمد الغبيري، وعبد الرحمن حسن، "البيانات الضخمة وأثرها في تحقيق رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠. "مجلة الاستراتيجية والتنمية، ٩، ٣ (٢٠١٩): ٣٢-٥١.

(٢٣) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(24) Nain Tara, Muhammad Rafi, and Khurshid Ahmad. "Evaluating the implementations of big data analytics in academic libraries." Performance Measurement and Metrics, 25, 3/4 (2024): 1467-8047

(٢٥) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة " مجلة الآداب، ٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩.

(٢٦) لطيفة شنيشن، "البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً." المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، ٩، ٣ (٢٠٢٠): ١٣٣-١٧٢.

(٢٧) علي الأكلبي، "البيانات الضخمة واتخاذ القرار في جامعة الملك سعود: دراسة تقييمية لنظام اتقان.": ١-١٢.

(28) Raghav Toshniwal, Kanishka Ghosh, and Asoke Nath. "Big data security issues and challenges." International Journal of Innovative Research in Advanced Engineering, 2, 2 (2015):15-20

(29) Nove Anna, and Endang Mannan. "Big data adoption in academic libraries: a literature review." Library Hi Tech News, 37, 4 (2020): 1-5.

(٣٠) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة: ما هي وما أهميتها وفوائدها وخصائصها المميزة؟" مجلة دراسات المعلومات، ٢٤، ٢٤ (٢٠٢٠): ٦٩-٨٤.

زيتابايت أي: ألف إكسابايت[٣١،٣٢]. وتُعَدُّ البيانات الضخمة قاعدة بيانات كبيرة للغاية يمكن التحقيق فيها بشكل تقديري للكشف عن الاتجاهات والمجموعات والأنماط، لا سيما المرتبطة بسلوك الأفراد واتصالاتهم. وتمثل عملية التعامل مع البيانات الضخمة مشكلة حقيقية بالنسبة للمنظمات والمؤسسات بسبب تزايد حجمها بوتيرة متسارعة وحاجتها إلى مساحات تخزين ضخمة غير متاحة، وعدم قدرة المنظمات على إدارتها بما يعود بالفائدة على تلك المنظمات[٣٣].

مصادر وأشكال البيانات الضخمة

تتعدد مصادر توليد وجمع البيانات الضخمة مثل قواعد البيانات الجغرافية المكانية والزمنية[٣٤،٣٥]. ومن تلك المصادر: أجهزة تتبع البيانات المستمدة من الهواتف المحمولة، ونظام GPS لتحديد المواقع، بالإضافة إلى مصادر البيانات السلوكية مثل عدد مرات تصفح موقع ما على الإنترنت أو البحث في الإنترنت عن معلومات معينة أو عن منتج أو خدمة[٣٦،٣٧،٣٨].

ومن مصادر البيانات الضخمة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي[٣٩] التي لا تتبع نموذجاً أو تنسيقاً محدداً مسبقاً، أو من الإنسان بشكل مباشر، كما يمكن أن تتولد من قواعد أو مستودعات البيانات أو من أجهزة السيرفرات وأجهزة الاستشعار[٤٠]. ووفقاً للمزين[٤١]، فإن من مصادر البيانات الضخمة ما يُعرف بالمصادر الناشئة والمصادر التجارية، أمَّا الأولى فهي ما ينشأ عن إدارة البرامج الحكومية أو غير الحكومية مثل السجلات الطبية الالكترونية وسجلات التأمين والسجلات المصرفية وبنوك الطعام. وأمَّا الثانية فهي ما يتعلق بالمعاملات مثل المعاملات بين كيانين أو معاملات البطاقات الائتمانية أو المعاملات التي تتم بواسطة الإنترنت[٤٢،٤٣]. ومن المصادر الأخرى للبيانات الضخمة مصادر شبكات أجهزة الاستشعار مثل أجهزة استشعار

(٣١) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية " المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨.

(٣٢) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة: ما هي وما أهميتها وفوائدها وخصائصها المميزة؟" مجلة دراسات المعلومات، ٢٤، ٢٤ (٢٠٢٠): ٦٩-٨٤.

(٣٣) الأكلبي، علي. "البيانات الضخمة واتخاذ القرار في جامعة الملك سعود: دراسة تقييمية لنظام اتقان." ١-١٢.

(٣٤) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(35) Saqar Alotaibi, "Big data analysis role in advancing the various activities of digital libraries: Taibah university case study-Saudi Arabia." International Journal of Computer Science & Network Security, 21, 8 (2021): 297-307

(٣٦) الأكلبي، علي. "البيانات الضخمة واتخاذ القرار في جامعة الملك سعود: دراسة تقييمية لنظام اتقان." : ١-١٢،

(٣٧) لطيفة شنيشن، "البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً." المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، ٩، ٣ (٢٠٢٠): ١٣٣-١٧٢.

(٣٨) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف: دراسة استطلاعية." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، ١٦ (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

(٣٩) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(٤٠) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة " مجلة الآداب، ٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩

(٤١) أحمد المزين، "البيانات الضخمة والتكامل المعرفي في المكتبات الوطنية: مكتبة الكويت الوطنية أنموذجاً." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات،١، ٢ (٢٠١٩): 282-237.

(٤٢) علي الأكلبي، "البيانات الضخمة واتخاذ القرار في جامعة الملك سعود: دراسة تقييمية لنظام اتقان." ١-١٢،

(٤٣) لطيفة شنيشن،."البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً" المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، ٩، ٣ (٢٠٢٠): ١٣٣-١٧٢.

الطرق والمناخ وتلوث الهواء وأجهزة التصوير بالأقمار الصناعية[٤٤،٤٥]. وبالإضافة إلى ما سبق تتمثل مصادر البيانات الضخمة في تطبيقات المستخدمين، مواقع الويب، البرامج السحابية، وسائل التواصل الاجتماعي، الفواتير والإيصالات الإلكترونية[٤٦].

أما فيما يخص أشكال البيانات الضخمة فيمكن تقسيمها إلى بيانات اجتماعية وهي ما يتولد عن منصات وسائل التواصل الاجتماعي، ومن أمثلتها: تغريدات وإعادة تغريدات تويتر، ومنشورات وتعليقات فيسبوك وانستاجرام وتويتر ولينكدن ويوتيوب ومثيلاتها من منصات، والإعجابات بمنشور أو تعليق أو فيديو معين[٤٧،٤٨،٤٩،٥٠،٥١].

أما الشكل الثاني من أشكال البيانات الضخمة فهو بيانات المفاهيم مثل المفاهيم اللغوية أو الرياضية، أو قد تكون مفاهيم رمزية خالية من المعنى الظاهري لكنها تمثل الأشخاص والأحداث[٥٢]. كما أن هناك البيانات الآلية التي تنتج عن الآلات والأجهزة مثل أجهزة الاستشعار الذكية، والأجهزة الطبية، والأجهزة القابلة للارتداء، وكاميرات الطريق، وأجهزة إنترنت الأشياء، والأقمار الصناعية، وأجهزة الكمبيوتر المكتبية، والهواتف المحمولة، والآلات الصناعية، وأجهزة قياس الطقس[٥٣،٥٤]. ومن أشكال البيانات الضخمة أيضاً البريد الإلكتروني والكتابات النصيَّة وملفات المستندات، والصور ومقاطع الفيديو والصوت، ورسائل ونقرات مواقع الإنترنت[٥٥]. وأخيراً فإن هناك البيانات التي تنتج عن المعاملات سواء على الإنترنت أو بدون الإنترنت من خلال نقاط البيع المختلفة مثل: وقت المعاملة وموقعها ومكانها، وأنواع وأسعار المنتجات المشتراة وأسعارها، وطرق الدفع والخصومات أو القسائم المستخدمة، وغيرها من المعلومات المتعلقة بالمعاملات والقابلة للقياس الكمي[٥٦].

(٤٤) علي الأكلبي، "البيانات الضخمة واتخاذ القرار في جامعة الملك سعود: دراسة تقييمية لنظام اتقان." ١- ١٢، وشنيشن، لطيفة. "البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً": ١٣٣-١٧٢.

(٤٥) عدنان البار، وخالد المرحبي، "البيانات الضخمة ومجالات تطبيقها" منتدى أسبار الدولي، ٢٠١٨. تم الوصول في ١٥ سبتمبر ٢٠٢٤.

(46) Rohit Sharma, “Sources of big data: Where does it come from?”. UpGrad, 2024. Accessed on October 10, 2024, https://www.upgrad.com/blog/sources-of-big-data/

(٤٧) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة: ما هي وما أهميتها وفوائدها وخصائصها المميزة؟" مجلة دراسات المعلومات، ٢٤، ٢٤ (٢٠٢٠): ٦٩-٨٤.

(٤٨) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤

(٤٩) جمال يوسف، "مدخل مقترح لتقييم أهمية تطوير المحاسبة في ظل بيئة البيانات الضخمة." الفكر المحاسبي، ٢٢، ٤ (٢٠١٨): ١٢٢٥-١٢٧٢.

(٥٠) لطيفة شنيشن،."البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً" المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، ٩، ٣ (٢٠٢٠): ١٣٣-١٧٢

(51) Rohit Sharma, “Sources of big data: Where does it come from?”. UpGrad, 2024. Accessed on October 10, 2024.

(٥٢) محمد الغبيري، وعبد الرحمن حسن، "البيانات الضخمة وأثرها في تحقيق رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠. "مجلة الاستراتيجية والتنمية، ٩، ٣ (٢٠١٩): ٣٢-٥١.

(٥٣) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة: ما هي وما أهميتها وفوائدها وخصائصها المميزة؟" مجلة دراسات المعلومات، ٢٤، ٢٤ (٢٠٢٠): ٦٩-٨٤

(54) Rohit Sharma, “Sources of big data: Where does it come from?”. UpGrad, 2024. Accessed on October 10, 2024.

(٥٥) عدنان البار، وخالد المرحبي، "البيانات الضخمة ومجالات تطبيقها" *منتدى* أسبار الدولي، ٢٠١٨. تم الوصول في ١٥ سبتمبر ٢٠٢٤.

(56) Rohit Sharma, “Sources of big data: Where does it come from?”. UpGrad, 2024. Accessed on October 10, 2024.

البيانات الضخمة والمكتبات الجامعيَّة

بدأ نموذج المكتبة في التطور من المكتبة 2.0 التي ركزت على مشاركة المستخدم، إلى المكتبة ٣,٠ التي كانت تدور حول تسهيل إدارة المحتوى الذي يُنشئه المستخدم، ثم إلى المكتبة ٤,٠ حيث لا يتوفر الاستدلال والبحث فحسب، بل النظام الذي يحلل المعلومات نفسها ويناقش النتائج في الوقت نفسه[٥٧]، وتلعب المكتبة الجامعيَّة دوراً حيويَّاً في الربط بين الجامعة والمؤسسات البحثية والحكومية والمجتمع؛ لأنها تتعامل مع البيانات باختلاف أنواعها، ومن ثم تقوم بتصنيفها ومعالجتها وتخزينها. ووفقاً لدراسة عبدالله[٥٨]: "تُسبب البيانات الضخمة حضورًا واسع النطاق في عالم المعلومات، ومن المحتمل أن تؤثر على جميع أنواع المكتبات"؛ لذا يتطلب الإنتاج الضخم للبيانات في المكتبة تحويلها إلى معلومات، ومن ثم إلى معرفة ليتم استخدامها بواسطة الطلبة والباحثين والأكاديميين[٥٩].

ولا يخفى على أحد أن المكتبات الجامعيَّة تضم أنواعاً مختلفة من البيانات الضخمة، بما في ذلك الكتب والمصادر الأخرى المتاحة داخل المكتبة، وتلك التي يمكن الوصول إليها من خلال اشتراكات في قواعد بيانات متعددة[٦٠]؛ إذ تمتلك هذه المكتبات ثروة هائلة من البيانات، بما في ذلك الكتب والمراجع والدوريات والتقارير والمجلات العلمية والأطروحات، الموجودة في قواعد بيانات المكتبة أو فهارسها، كما أن هناك الكثير من البيانات الموجودة في المكتبات الجامعيَّة التي تتنوع بين بيانات الكتالوج الإلكتروني، وبيانات الكتالوج الوصفي، والمحتويات الرقمية والإلكترونية بأشكال مختلفة عالية التنظيم، وكميات البيانات غير المهيكلة، وتتزايد هذه البيانات بشكل متسارع بمعلومات متاحة على الويب؛ مما يجعل من الصعب على المكتبات استيعاب هذه الكميات الهائلة من البيانات[٦١].

هذا وتُعَدُّ البيانات الضخمة حالياً وثيقة الصلة بالمكتبات؛ إذ تولد المكتبات الجامعيَّة اليوم كمية كبيرة من البيانات المنظمة وشبه/ وغير المنظمة، فأضحت لا تركز فقط على الكتب والمجلات وبيانات الكتالوج، بل على جميع أنواع البيانات وأشكالها بما في ذلك النصوص، والصور، وملفات الصوت والفيديو، وبيانات البحث، والبرمجيات، والمواد الرقمية ثلاثية الأبعاد[٦٢]. هذا بالإضافة إلى البيانات التي تتعلق بالمستخدمين مثل الاستفسارات المرجعية وما يتعلق بالإعارة وتفاعلاتهم على شبكات التواصل الاجتماعي[٦٣]. إنّ كل هذا يعني أن المكتبات الجامعيَّة لديها كميات ضخمة من البيانات التي تستدعي وجود برامج وأجهزة خاصة لمعالجتها وتحليلها. فمع بداية ظهور البيانات الضخمة؛ أصبح من الأهمية بالنسبة للمكتبات الجامعيَّة أن تعرف كيفية جعل البيانات الضخمة أكثر فائدة، وكيفية الوصول إليها عن طريق إنشاء تصنيفات وتصميم مخططات وصفية للبيانات، وتنظيم أساليب الوصول إليها .

(57) Younghee Noh, "Imagining library 4.0: Creating a model for future libraries.": 786-797.

(٥٨) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، ١٦ (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

(59) Saqar Alotaibi, "Big data analysis role in advancing the various activities of digital libraries: Taibah university case study-Saudi Arabia." International Journal of Computer Science & Network Security, 21, 8 (2021): 297-307.

(٦٠) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، ١٦ (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

(61) Adeyinka Tella, and Kehinde Kadri. "Big data and academic libraries: is it big for something or big for nothing?." Library Hi Tech News , 38, 2 (2021): 15-23.

(62) Adeyinka Tella, and Kehinde Kadri. "Big data and academic libraries: is it big for something or big for nothing?." Library Hi Tech News , 38, 2 (2021): 15-23.

(٦٣) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، ١٦ (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

وتغتنم المكتباتُ الجامعيَّةُ -مثل العديد من المؤسسات الأخرى- الفرصَ التي توفرها البيانات الضخمة لتحسين خدماتها وعملياتها. وتقدم البيانات الضخمة وتحليلاتها القدرة على تلبية جميع متطلبات التخزين وخفض التكاليف الاقتصادية للمكتبات[٦٤،٦٥]. كما تساعد على تحقيق الكفاءة في العمليات التنظيمية وزيادة المردود التنظيمي[٦٦]، وكذلك يمكن تنفيذ تحليلات البيانات الضخمة لضمان تقديم خدمات أفضل في مجال البحث العلمي من خلال توفير قواعد بيانات تفصيلية تتسم بالدِقة والكفاءة والمصداقية[٦٧،٦٨]. بالإضافة إلى أن تحليل البيانات الضخمة يساعد المكتبة في تقييم خدمات المعلومات المقدمة للمستخدمين وتطويرها، ومن ثم التخطيط لتحسين هذه الخدمات، أو تقديم خدمات جديدة لتلبية حاجات المستخدمين[٦٩،٧٠].

الاستفادة من البيانات الضخمة في المكتبات

لا شك أن البيانات الضخمة ذات أهمية وفائدة للمكتبات بشكل عام، وللمكتبات الجامعيَّة بشكل خاص "فهي تقدم ميزة تنافسية عالية للمكتبات إذا استطاعت الاستفادة منها ومعاجلتها؛ لأنها تقدم فهماً أعمق للمستفيدين ومتطلباتهم"[٧١]. وعليه يستعرض هذا الجزء من الأدب النظري مجالات الاستفادة المتعددة من البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة.

١. يمكن للمكتبات إدارة مجموعاتها من الكتب والمصادر المختلفة بطرق جديدة لمعرفة الثغرات في مقتنيات المكتبة من خلال تحليل البيانات الضخمة؛ مما يساعد أمناء المكتبة على تقييم مقتنياتها، وبالتالي معرفة أوجه القصور والزيادة في المقتنيات[٧٢،٧٣]. وهذا بدوره يساعد المكتبة في اتخاذ القرار بتنمية المقتنيات سواء عن طريق شراء المزيد، أو مشاركة المصادر مع المكتبات الأخرى؛ لسد الفجوات لديها.

٢. يبين الشوابكة[٧٤] أن معالجة البيانات الضخمة وتحليلها يساعد إدارة الموارد البشرية في المكتبة في تطوير هذه الموارد

(٦٤) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة " مجلة الآداب، ٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩.

(65) Atiquil Islam, Khurshid Ahmad, Muhammad Rafi, and Zheng JianMing, "Performance-based evaluation of academic libraries in the big data era." Journal of Information Science, 47, 4 (2021): 458-471.

(66) Ifeyinwa Ajah, and Henry Nweke, "Big data and business analytics: Trends, platforms, success factors and applications." Big data and cognitive computing , 3, 2 (2019): 32.

(٦٧) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة: ما هي وما أهميتها وفوائدها وخصائصها المميزة؟" مجلة دراسات المعلومات، ٢٤، ٢٤ (٢٠٢٠): ٦٩-٨٤.

(68) Atiquil Islam, Khurshid Ahmad, Muhammad Rafi, and Zheng JianMing, "Performance-based evaluation of academic libraries in the big data era." Journal of Information Science, 47, 4 (2021): 458-471.

(٦٩) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية " المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨.

(٧٠) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(٧١) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(٧٢) أحمد سيد، "أدوات التنقيب عن البيانات مفتوحة المصدر." مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، ٥، ١٠ (٢٠١٦): ٧٩١-٨٦٥.

(٧٣) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، ١٦ (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

(٧٤) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية " المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨.

البشرية من ناحية تنمية المهارات وصقلها، ومساعدة أمناء المكتبات في تعلم ما يلزمهم لأداء عملهم على أكمل وجه. ويساعد كذلك في إعادة توزيع أمناء المكتبات داخل الأقسام والوحدات المختلفة في المكتبة[٧٥]؛ مما يمكنهم من تطوير أنفسهم وفهم احتياجات المستخدمين بشكل أفضل.

٣.يمكن أن يُسهم تحليل البيانات الضخمة في إعداد قواعد بيانات خاصة بالمستخدمين من خلال دراسة سلوكهم تجاه مقتنيات المكتبة سواء في البيئة التقليدية أو البيئة الرقمية[٧٦،٧٧]. ومن هذه البيانات نوعية الكتب وغيرها من المصادر التي يميل المستخدمون إلى استعارتها، وعدد مرات الولوج إلى الموقع الرسمي للمكتبة أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وطبيعة التعليقات والطلبات أو الشكاوى من المستخدمين.

٤.يبين سيد[٧٨] أن القدرة في فهم البيانات الضخمة وتحليلها يمكن أن يساعد الإدارة المالية في المكتبات على تخطيط أفضل لأوجه صرف الميزانية والموارد المالية، فبطبيعة الحال، بعد إعادة التنظيم الجديد لإدارة المكتبة؛ يمكن أن يكون هناك بعض الترشيد في النفقات وتوفير في الميزانية للجوانب الجديدة التي لم يتم تغطيتها بشكلٍ كافٍ.

٥.تساعد البيانات الضخمة إدارة المكتبة في توقع الاحتياجات الجديدة والمتغيرة لمستخدمي المكتبة من خلال البيانات الواردة عبر أدوات الاتصال المتعددة بين المستخدمين والمكتبة، وبالتالي تقديم خدمات معلومات مطورة وأفضل للمستخدمين، أو العمل على ابتكار خدمات جديدة من خلال توقع احتياجاتهم[٧٩].

٦.بالإضافة لذلك، فإن البحث المتعلق بالبيانات الضخمة في المكتبات يمثل فرصة كبيرة للأكاديميين والباحثين المتخصصين في علم المكتبات والمعلومات على تطوير المكتبات، لا سيما في التسهيل على المستخدمين للوصول مفتوح المصدر إلى المعلومات اللازمة، كما يتيح لأمناء المكتبات فرصة لتطوير مهاراتهم في مجال تكنولوجيا المعلومات على وجه الخصوص[٨٠].

٧.تستطيع المكتبات الأكاديمية باستخدام البيانات الضخمة اتخاذ القرارات الصائبة، إذ يمكن للمكتبة استخدام تقنيات استخراج البيانات التعاونية وتحليلات النصِّ؛ لتحسين مجموعات المكتبة لتوليد نتائج بحث أفضل وتقديم توصيات للكتب. وهذا من شأنه أن يُحسِّنَ رضا المستخدمين عن طريق توفير خدمة أفضل واستخدام فعال لموارد المكتبة[٨١].

٨.تساعد البيانات الضخمة المكتبات على تقديم خدمات جديدة أكثر جاذبية للمستخدمين[٨٢] وتطوير الخدمات

(٧٥) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

(٧٦) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية " المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨.

(٧٧) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١

(٧٨) أحمد سيد، "أدوات التنقيب عن البيانات مفتوحة المصدر." مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، ٥، ١٠ (٢٠١٦): ٧٩١-٨٦٥

(٧٩) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(80) Nove Anna, and Endang Mannan, "Big data adoption in academic libraries." Library Hi Tech News, 37, 4 (2020): 1-5.

(81) Adeyinka Tella, and Kehinde Kadri, "Big data and academic libraries: is it big for something or big for nothing?." Library Hi Tech News , 38, 2 (2021): 15-23.

(٨٢) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية " المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨.

الموجودة مثل الخدمات المرجعية وخدمة الإمداد؛ نتيجة لتوافر النسخ الرقمية من مصادر المعلومات المختلفة والاعتماد على قواعد البيانات[٨٣]، وخدمات المعرفة وتحليل فشل حصول المستخدم على المعلومات المرغوبة، واتخاذ القرارات بمساعدة البرمجيات الذكية، والتنبؤ بأخطاء المصادر[٨٤].

المهارات اللازمة لأمناء المكتبات

لم تَعُدْ أهميةُ البياناتِ الضخمةِ مقتصرةً على مجال البحوث الأكاديمية فحسب، بل امتدت إلى العمل اليومي لأمناء المكتبات؛ مما أدى إلى تغير في مهامهم ووظائفهم[٨٥]. ويشمل هذا التغيير تحولهم إلى دور عالم البيانات ومنسق البيانات ومدير الخدمات الرقمية، فقد بات أمناء المكتبات يشاركون في جمع البيانات وتنظيمها ومعالجتها وتحليلها[٨٦]. وهذا بدوره يستلزم اكتسابهم مهارات جديدة وتعلمهم لمعارف مختلفة، من شأنها أن تساعدهم في تطوير أنفسهم؛ لذا يحتاج أمناء المكتبات إلى معرفة أساسيات البيانات الضخمة، وكيفية تأثيرها على طبيعة العمل، وكيفية تصنيفها ومعالجتها وتحليلها واستخدامها. كما يجب عليهم أن يتحلوا بالقدرة على تمييز البيانات المفيدة، والقدرة على الاستفادة من هذه البيانات[٨٧]، وكذلك القدرة على تمييز البيانات المهيكلة من البيانات غير المهيكلة.

كما يجب على أمناء المكتبات أيضاً أن يكونوا على دراية بأدوات وبرمجيات تحليل البيانات الضخمة، بما في ذلك فهم تطبيقات الويب الدلالي، وأهمية الانطولوجيا في ظل وجود محركات بحث متعددة يختلف تصنيف صفحات الويب بها بشكل موضوعي [٨٨] .ولأن المكتبات الجامعيَّة تضم كميات هائلة من المعلومات المطبوعة والإلكترونية المتنوعة، فإن ذلك يستدعي وجود أمناء مكتبات يتقنون أساليب إدارة البيانات والوصول إليها[٨٩]. ويمتلكون مهارات في استخدام برامج التحليل الإحصائي[٩٠] التي يمكن أن تساعد أمناء المكتبات في جمع واستكشاف وعرض كميات كبيرة من البيانات حول أنماط المستخدمين واتجاهاتهم الموضوعية. وأيضاً المعرفة بالبرامج الحسابية والأدوات المستخدمة في معالجة البيانات الضخمة وتحليلها[٩١].

(٨٣) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(84) Nove Anna, and Endang Mannan, "Big data adoption in academic libraries." Library Hi Tech News, 37, 4 (2020): 1-5.

(85) Nain Tara, Muhammad Rafi, and Khurshid Ahmad, "Evaluating the implementations of big data analytics in academic libraries." Performance Measurement and Metrics, 25, (2024): 1467-8047.

(86) Khurshid Ahmad, Zheng JianMing, and Muhammad Rafi, "An analysis of academic librarians' competencies and skills for implementation of big data analytics in libraries." Data Technologies and Applications, 53, 2 (2019): 201-216.

(٨٧) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤

(٨٨) سعد الزهري، "تعليم المعلومات والمكتبات في المملكة العربية السعودية وتوجهاته المستقبلية: دراسة وصفية تحليلية." المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات ٦، ١(٢٠١٩): ٦٦-١٠٢

(٨٩) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤

(٩٠) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١

(٩١) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤

وبالإضافة لذلك، يُعتبر دور أمناء المكتبات في استخدام البيانات الضخمة في المكتبات هامٌّ جداً لبناء قواعد بيانات المكتبات، وذلك بالتعاون مع كلٍ من محللي ومهندسي ومنسقي وعلماء البيانات، وأيضاً أخصائيي تكنولوجيا المعلومات[٩٢]؛ إذ تتمثل مهمة أمين المكتبة هنا في تحديد البيانات الوصفية -ميتاداتا- وإنشاء قاموس المرادفات وإنشاء مؤشرات أو محددات البحث[٩٣]. ويحتاج أمناء المكتبات أيضاً لمعرفة كيفية استخدام تقنيات التنقيب عن البيانات وتطبيقات الهادوب في تحليل البيانات وتخزينها؛ إذ إن تقنيات التنقيب عن البيانات تهدف إلى استنتاج المعرفة[٩٤]، عن طريق تحليلها "وذلك بتحويلها من مجرد معلومات متراكمة وغير معروفة إلى معلومات قيّمة يمكن استخراج أنماط معرفيّة منها"[٩٥].

ومن ضمن المهارات الأخرى التي بينت الدراسات أهميتها لأمناء المكتبات: تعلم الأخلاقيات وحقوق الملكية الفكرية والخصوصية اللازمة للقيام بتحليل البيانات الضخمة في المكتبات[٩٦] والقدرة على تمييز محتوى البيانات المرئية مثل الصور والفيديوهات، وتنظيمها وتحليلها واسترجاعها بشكل منظم وسريع، والإلمام بالاحتياجات المختلفة للمستخدمين من البيانات المهيكلة وغير المهيكلة[٩٧]، والمعرفة باختلاف البيانات الضخمة عن البيانات العلمية الأخرى، وتأثير البرامج والأجهزة الناشئة المستخدمة في تحليلها[٩٨]، والمعرفة بلغات البرمجة المرتبطة بالبيانات الضخمة وبالبرامج المستخدمة في تحليل البيانات الضخمة مثل: التحليلات التنبؤية، والنمذجة التنبؤية، والتعلم الآلي[٩٩].

الدراسات السابقة

هدفت دراسة الأكلبي [١٠٠] إلى معرفة استفادة جامعة الملك سعود من البيانات الضخمة في اتخاذ القرار واقتراح نماذج تنبؤية تساعد في إدارة البيانات الضخمة. واستخدم الباحث المنهج الوصفي من خلال تقييم لنظام إتقان المستخدم في الجامعة. وتوصل الباحث إلى أن استفادة الجامعة من البيانات الضخمة محدود، واقترح نماذج تنبؤية تعتمد على تحليل / ومراجعة البيانات الضخمة؛ لتطوير نظام إتقان للمساعدة في اتخاذ القرار. وهدفت دراسة العتيبي [١٠١] إلى معرفة آراء

(92) Nove Anna, and Endang Mannan, "Big data adoption in academic libraries." Library Hi Tech News, 37, (2020): 1-5.

(93) Vanessa Johnson, "Leveraging technical library expertise for big data management." Journal of the Australian library and information association, 66, 3 (2017): 271-286.

(٩٤) أحمد سيد، "أدوات التنقيب عن البيانات مفتوحة المصدر." مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، ٥، ١٠ (٢٠١٦): ٧٩١-٨٦٥.

(٩٥) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، (٢٠٢٣): ٢٧٠.

(96) Khurshid Ahmad, Zheng JianMing, and Muhammad Rafi, "An analysis of academic librarians' competencies and skills for implementation of big data analytics in libraries." Data Technologies and Applications, 53, 2 (2019): 201-216

(٩٧) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤

(٩٨) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١

(٩٩) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة " مجلة الآداب، ٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩.

(١٠٠) علي الأكلبي، "البيانات الضخمة واتخاذ القرار في جامعة الملك سعود: دراسة تقييمية لنظام اتقان." ١- ١٢، وشنيشن، لطيفة. "البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً": ١٣٣-١٧٢.

(١٠١) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة " مجلة الآداب، ٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩.

الهيئة التدريسية في كلية الآداب في جامعة طيبة بالبيانات الضخمة وأهميتها وتقنياتها. واستخدم الباحث المنهج الكمي المسحي لجمع البيانات من ٢٥ مدرساً، وقد وجد أن لدى المدرسين معرفة جيدة بالبيانات الضخمة وأهميتها والتقنيات المستخدمة للتعامل معها. واستكشفت دراسة Eneh et al.[١٠٢] وعي المدرسين واستخدامهم لأنظمة إدارة البيانات الضخمة في خمس جامعات نيجيرية باستخدام المنهج الكمي المسحي لجمع البيانات من ١٤٨ مشاركًا. وكشفت النتائج أن المدرسين ليس لديهم دراية بالبيانات الضخمة، ولا يعرفون كيفية استخدام أدوات نظام إدارة البيانات الضخمة.

أما دراسة الشوابكة[١٠٣] فهدفت إلى معرفة وعي أمناء المكتبة في الجامعة الأردنية بالبيانات الضخمة وخصائصها وتحدياتها ومجالات الاستفادة منها في المكتبات الجامعيَّة. واستخدمت الدراسة المنهجَ الوصفيَّ المسحيَّ لجمع البيانات من ٥٠ مشاركاً، وقد كشفت النتائج أن درجة وعي أمناء المكتبة بالبيانات الضخمة وخصائصها وتحدياتها ومجالات الاستفادة منها مرتفعة. وفي دراسة مماثلة قام عبدالله[١٠٤] باستكشاف وعي أمناء المكتبة في بعض كليات جامعة بني سويف بالبيانات الضخمة وخصائصها ومصادرها ومجالات الاستفادة منها، وكذلك المهارات اللازمة لإدارة البيانات الضخمة. واعتمد الباحثُ المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ لجمع البيانات من ٢٨ مشاركاً. وقد بينت النتائج عدم وعي المشاركين بمفهوم البيانات الضخمة، إلا أن وعيهم بخصائصها كان متوسطًا نسبياً. أما معرفتهم بمصادرها فكانت مرتفعة إلى حد ما، في حين لم يكن لديهم المعرفة الكافية بالمهارات اللازمة. كما بينت النتائج وعي المشاركين بمجالات الاستفادة من البيانات الضخمة في المكتبة.

أما دراسة محمد[١٠٥] فقد استكشفت آراء أمناء مكتبة كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية في الاستفادة من تحليلات البيانات الضخمة لتطوير الخدمات المكتبية والمهارات اللازمة للتعامل مع البيانات الضخمة، باستخدام استبيان ومقابلات مع ١٩ مشاركًا. وقد وجدت الباحثة أن المشاركين على دراية عالية بالبيانات الضخمة وتحليلاتها ومجالات الاستفادة منها للتنبؤ باحتياجات المستخدمين، وبالمهارات اللازمة للتعامل مع البيانات الضخمة. وقد هدفت دراسة شنيشن[١٠٦] إلى التعرف على وعي العاملين في مكتبة الملك عبدالله بجامعة أم القرى بالبيانات الضخمة ومصادرها ومجالات الاستفادة منها وصعوبات التعامل معها. وكشفت النتائج أن درجة معرفة العاملين بالبيانات الضخمة متوسطة، وأن قواعد البيانات وفهرس المكتبة أهم المصادر، وتعدد مجالات استخدامها بشكل مرتفع. أما دراسة عبدالله والهنائي[١٠٧] فهدفت إلى معرفة رأي العاملين في مكتبة جامعة السلطان قابوس بواقع استخدام البيانات الضخمة. وقد وجدت

(102) Anthonia Eneh, Beatrice Oviri, and Vincent Opara, "Awareness and Utilization of Big Data Management System by Lecturers in Universities: A Survey of Universities in Nigeria." NIU Journal of Educational Research, 10, 1 (2024): 117-126.

(١٠٣) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية " المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨.

(١٠٤) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

(١٠٥) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(١٠٦) لطيفة شنيشن،."البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً" المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، ٩، ٣ (٢٠٢٠): ١٣٣-١٧٢.

(١٠٧) خالد عبد الله، وعبد الله الهنائي. "البيانات الضخمة في مكتبات جامعة السلطان قابوس." المجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات، ٩، ١ (٢٠١٨): ٢٣-٥٢.

الدراسة استخدامًا متوسطًا للبيانات الضخمة في المكتبة؛ بسبب قلة الخبرة والمعرفة بالبيانات الضخمة والأخلاقيات والخصوصية المتعلقة بها.

واستكشف Tella[١٠٨] تصورات أمناء المكتبات العامة في نيجيريا حول الفرص المرتبطة باستخدام البيانات الضخمة فقد قام بجمع البيانات من ٣٥ أمين مكتبة باستخدام استبيان. وكشفت النتائج أن استخدام البيانات الضخمة في المكتبات يمكن أن يؤدي إلى تحسين عمليات المكتبة والوظائف الداخلية فيها، مما سيحسن في النهاية تجربة المستخدمين في البحث واسترجاع المعلومات، وكذلك سيمكن استخدام البيانات الضخمة من تقديم خدمات فعَّالة للمستخدمين، وتقليل التكاليف، والاستجابة السريعة لاحتياجات المستخدمين من المعلومات والمصادر. أما دراسة Anna &Mann[١٠٩] فقد هدفت إلى تحليل الدراسات المنشورة عن البيانات الضخمة في قاعدة بيانات سكوبس. وقد وجد الباحثان أن استخدام البيانات الضخمة في المكتبات الأكاديمية لا يزال في مرحلة مبكرة، وأنها لا تزال غير ضرورية من وجهة نظر مديري المكتبات، كما أن العديد من المكتبات لا تستخدم البيانات الضخمة لدعم الخدمات المقدمة؛ لافتقار أمناء المكتبات لمهارات تحليل البيانات الضخمة؛ وبناء عليه أوصت الدراسة بضرورة تبني المكتبات لتحليلات البيانات الضخمة لدعم خدمات المكتبة، وبتعزيز مهارات أمناء المكتبات من خلال بعض التدريبات في تحليل البيانات الضخمة أو إدارتها.

(108) Adeyinka Tella, "Librarians' perception of opportunities and challenges associated with big data in public libraries.": Internet Reference Services Quarterly, 24, 3-4 (2021): 89-113.

(109) Nove Anna, and Endang Mannan, "Big data adoption in academic libraries." Library Hi Tech News, 37, (2020): 1-5.

المنهجية

استخدم الباحث المنهجَ الكميَّ باستخدام استطلاع مسحي؛ بسبب طبيعة الظاهرة التي يتم دراستها والهدف وأسئلة الدراسة. ويتكون البحثُ الكميُّ المسحيُّ من أسئلة تسفر عن أعداد يتم تحليلها؛ لتعطي إجابات عن أسئلة البحث؛ مما يمكن الباحث من إعطاء تفسيرات صحيحة من خلال مقارنة تلك النتائج[١١٠]. وقد استخدمت الدراسة الاستطلاع المسحي عن طريق شبكة الإنترنت؛ لجمع البيانات من المشاركين، لجمع أكبر عدد من المشاركات في وقت قصير ولسهولة إدخال البيانات[١١١]، كما أنه لا يكلف شيئًا. كما يصف الاستطلاع خصائص المشاركين في الدراسة، إذ تتم دراسته في وقت واحد وعلى مدى فترة زمنية قصيرة[١١٢].

البيئة والعينة

أجريت هذه الدراسة في المملكة العربيَّة السعوديَّة، في مكتبة جامعة طيبة في المدينة المنورة، ومكتبة جامعة الملك عبد العزيز في جدة. وتكوّنت عينةُ الدراسةِ من أمناء المكتبات العاملين حالياً في المكتبات، وقد بلغت العينة المشاركة في الجامعتين (٦٩) مشاركًا. واستخدم الباحث لتطبيق الدراسة تقنية العينة القصديَّة؛ لأنها دراسة تستهدف أمناء المكتبات العاملين في المكتبات الجامعيَّة. كما تُعرف العينة القصديَّة بالعينة الحاكمة؛ إذ تعتمد على حكم الباحث عند تحديد

(110) Huda Skaik, Academics' knowledge sharing behaviour in the United Arab Emirates (Germany: Lap Lambert Academic Publishing, 2016).

(111) Maram Jaradat, Manal Jibreel, and Huda Skaik, "Individuals' perceptions of technology and its relationship with ambition, unemployment, loneliness and insomnia in the Gulf." Technology in Society, 60 (2020): 101199.

(١١٢) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة:" مجلة الآداب،٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩.

واختيار الأفراد أو المشاركين، مما يوفر أفضل المعلومات لتحقيق أهداف الدراسة[١١٣]. هذا وتهدف العينة القصديَّة إلى اختيار المشاركين عن قصد بناءً على خصائصهم، أو خبراتهم، أو بعض المعايير الأخرى المتعلقة بمشكلة الدراسة، أو الظاهرة المعنية في البحث. ويُعَدُّ استخدامُ العينة القصديَّة شائعًا في الأبحاث سواء الكمية أو النوعية. كما تتميز العينة القصديَّة بتزويد الباحث بالبيانات اللازمة لتعميم النتائج من العينة على مجتمع الدراسة، كما تساعد الباحث في الحكم إذا كانت الظاهرة أو المشكلة تستحق مزيداً من التحقيق والدراسة[١١٤].

أداة الدراسة

قام الباحث ببناء استبيان الدراسة الحالية من استبيانات الدراسات السابقة[١١٥،١١٦،١١٧،١١٨] مع تعديل بعض الجمل لتلائم الدراسة الحالية. بعد القيام بتحكيم الاستبيان من محكمين في علم المكتبات والمعلومات والبيانات الضخمة، وقد قام الباحث ببناء الاستبيان في صورته النهائية باستخدام نماذج جوجل. ومن ثم قام الباحث بتوزيع الاستبيان إلكترونياً من خلال رابط عبر البريد الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بأمناء المكتبات المستهدفة. أما فيما يخص أقسام الاستبيان، فقد تكون من أربعة أجزاء كان أولها القسم الخاص بالمعلومات الشخصية للمشاركين (الجنس، والعمر، وسنوات الخبرة، والمؤهل العلمي، والتخصص، والمكتبة الجامعيَّة). أما القسم الثاني، فتكون من ست جمل لقياس مدى وعي المشاركين بالبيانات الضخم، وثمانية جمل لقياس درجة معرفتهم بمصادر البيانات الضخمة وأشكالها، وتكون القسم الثالث من تسع جمل؛ لكشف المهارات اللازمة لأمناء المكتبات للتعامل مع البيانات الضخمة، وتكون القسم الرابع من ست جمل لتحديد مجالات الاستفادة من البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة. واستخدم الباحث مقياس ليكرت الخماسي في الأقسام المختلفة؛ لمساعدة المشاركين في اختيار الإجابات المناسبة. وللتأكد من صلاحية الاستبيان سواء كلغة أو محتوى، طلب الباحث من عدد من الأكاديميين في مجال البيانات الضخمة بتحكيم الاستبيان بناء على أهداف الدراسة وأسئلتها، وقد تم القيام بالتعديلات اللازمة بناء على توصيات المحكمين. أما عن مصداقية الاستبيان، فقد تم قياسها باستخدام قيمة كرونباخ ألفا للاتساق الداخلي التي يجب أن تكون من ٠ – ١[١١٩]، وكانت قيمة كرونباخ ألفا 0.962 أي أن الاستبيان يتمتع باتساق داخلي مرتفع جداً؛ مما يدل على أنه مناسب جداً للدراسة.

(113) Kassiani Nikolopoulou. “What is purposive sampling? | Definition & examples”. Scribbr, 2023. Accessed on October 25, 2024 https://www.scribbr.com/methodology/purposive-sampling/

(114) Kassiani Nikolopoulou. “What is purposive sampling? | Definition & examples”. Scribbr, 2023.

(١١٥) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية." المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨.

(١١٦) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة:" مجلة الآداب،٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩

(١١٧) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، ١٦ (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

(١١٨) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤

(119) Huda Skaik, Academics’ knowledge sharing behaviour in the United Arab Emirates (Germany: Lap Lambert Academic Publishing, 2016).

جمع وتحليل البيانات

قام الباحث بجمع البيانات من أمناء المكتبات الجامعيَّة في خلال الفصل الأول من العام الأكاديمي ٢٠٢٤/ ٢٠٢٥ وذلك بعد الحصول على الموافقات اللازمة من المكتبات الجامعيَّة المستهدفة، ثم قام الباحث بإرسال رابط الاستبيان إلى مديري المكتبات المعنية، والذين قاموا بدورهم بمشاركة الرابط مع أمناء المكتبات عبر البريد الالكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بأمناء المكتبات. واستغرقت عملية جمع البيانات مدة أسبوع واحد فقط، وذلك يعود إلى تعاون أمناء المكتبات للمشاركة في الدراسة وتجاوبهم في ذلك. وبعد انتهاء عملية الجمع قام الباحث بنقل الإجابات إلى برنامج التحليل الإحصائي للعلوم الاجتماعية SPSS 27 لإجراء الاختبارات الإحصائية اللازمة لتحليل البيانات؛ ليتمكن من الإجابة عن أسئلة البحث. وقد استخدام الباحث الإحصائيات الوصفية من التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية؛ لحساب المعلومات الشخصية للعينة وإجابة أسئلة البحث الأربعة، كما تم استخدام اختبار ت للعينات المستقلة للإجابة على سؤال البحث الخامس حول الفروق الإحصائية بين الجامعتين.

النتائج والمناقشة

يبين الجدول ١ معلومات المشاركين البالغ عددهم 69 أمين مكتبة. وكما يتبين من الجدول فإن النسبة ما بين الذكور والإناث قريبة نوعًا ما، بينما تراوحت أعمار الغالبية بين ٢٣ و٣٤ عاماً، أما سنوات الخبرة، فكانت أكثرها من ٠ إلى ١٠ سنوات. كما أن الغالبية العظمى من المشاركين يحملون درجة البكالوريوس من ذوي تخصص المكتبات وعلم المعلومات.

جدول ١. المعلومات الشخصية للمشاركين

العنصر	الفئة	العدد	النسبة ٪
الجنس	ذكر	38	55.1
	أنثى	31	44.9
العمر	٢٣-٣٤ عام	64	92.8
	٣٥-٤٤ عام	3	5.8
	٤٥-٥٤ عام	1	1.4
سنوات الخبرة	٠-١٠ سنوات	44	63.8
	١١-٢٠ سنة	20	29
	٢١-٣٠ سنة	3	4.3
	أكثر من ٣٠ سنة	2	2.9
المؤهل العلمي	بكالوريوس	65	94.2
	ماجستير	2	2.9
	دكتوراة	2	2.9
التخصص	مكتبات وعلم المعلومات	61	88.4
	تكنولوجيا وكمبيوتر	8	11.6
المكتبة الجامعيَّة	جامعة طيبة	25	36.2
	جامعة الملك عبد العزيز	44	63.8

للإجابة عن سؤال البحث الأول، عن مدى وعي أمناء المكتبات الجامعيَّة بالبيانات الضخمة وأنواعها وخصائصها، طُلب من المشاركين تحديد موافقتهم على ست جمل تقيس معرفتهم بمفهوم البيانات الضخمة وأهميتها وأنواعها وخصائصها. وكانت الغالبية العظمى لإجابات المشاركين موافقة على الجمل كما يبين الشكل ١. كما تراوحت المتوسطات الحسابية بين 3.86 و4.13 وهي متوسطات عالية؛ مما يؤكد معرفتهم الجيدة ووعيهم المرتفع بالبيانات الضخمة، بينما كان المتوسط الحسابي الإجمالي 3.99 كما يتضح من الجدول ٢. هذا وكان أعلى متوسط حسابي من نصيب الجملة السادسة (4.13) التي تبين قدرة أمناء المكتبات على تمييز البيانات الضخمة والاستفادة منها، تليها الجملة الثانية (4.07) التي تبين إدراك أمناء المكتبات بأهمية البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة؛ مما يدل على اهتمامهم بزيادة وعيهم بالبيانات الضخمة خاصة فيما يتعلق بمجال عملهم. كذلك تدلُّ إجابات المشاركين عن علمهم بأنواع البيانات الضخمة سواء كانت منظمة، أو شبه منظمة، أو غير منظمة بالإضافة إلى معرفتهم بأنه من الصعب تحليلها بالطرق التقليدية. وتتفق هذه النتائج مع دراسات الشوابكة[١٢٠] ومحمد[١٢١] اللذين وجدوا أن أمناء المكتبات لديهم وعي كبير بمفهوم البيانات الضخمة وأهميتها في المكتبات الجامعيَّة وخصائصها، كما تتشابه مع دراسة العتيبي[١٢٢]. إلا أن الدراسة الحالية تختلف عن هذه الدراسات في أن عدد أمناء المكتبات كان أكبر، واستهدفت مكتبتين جامعيتين، وتم إجراؤها في بيئة مختلفة ألا وهي السعوديَّة.

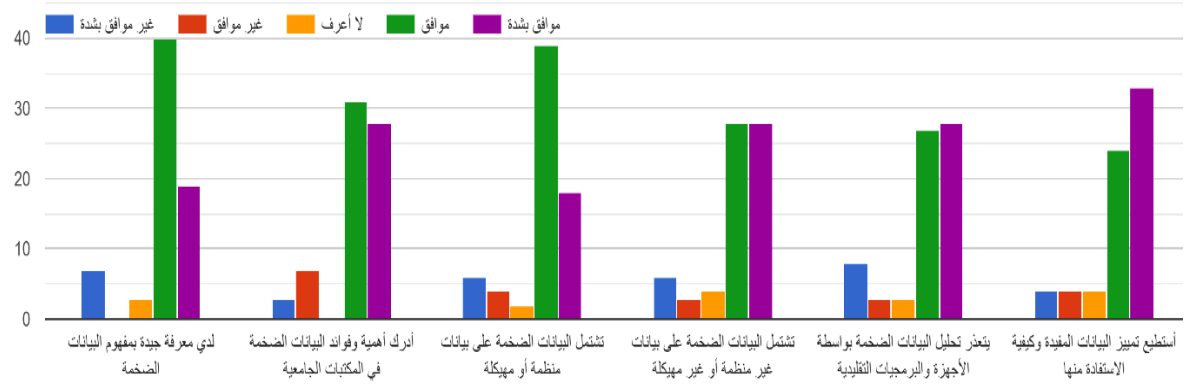

شكل ١. إجابات أمناء المكتبات على الوعي حسب مقياس لكرت

(١٢٠) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية." المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨.

(١٢١) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(١٢٢) صقر العتيبي، "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة " مجلة الآداب، ٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩.

جدول ٢. مدى وعي أمناء المكتبات بالبيانات الضخمة

#	الجملة	غير موافق بشدة	غير موافق	لا أعرف	موافق	موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	لديّ معرفة جيدة بمفهوم البيانات الضخمة	7	0	3	40	19	3.93	1.116
٢	أدركُ أهمية وفوائد البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة	3	7	0	31	28	4.07	1.102
٣	تشتمل البيانات الضخمة على بيانات منظمة أو مهيكلة أو شبه منظمة	6	4	2	39	18	3.86	1.141
٤	تشتمل البيانات الضخمة على بيانات غير منظمة أو غير مهيكلة	6	3	4	28	28	4.00	1.200
٥	يتعذر تحليل البيانات الضخمة بواسطة الأجهزة والبرمجيات التقليدية	8	3	3	27	28	3.93	1.298
٦	أستطيع تمييز البيانات المفيدة وكيفية الاستفادة منها في عملي في المكتبة	4	4	4	24	33	4.13	1.136
	الإجمالي						3.99	1.166

للإجابة عن سؤال البحث الثاني عن درجة معرفة أمناء المكتبات بمصادر البيانات الضخمة وأشكالها، طُلب من المشاركين تحديد مدى صحة ثمانية جمل توضح المصادر والأشكال المختلفة. وكانت معظم إجابات المشاركين تأكد صحة الجمل، فقد تراوحت المتوسطات الحسابية بين 3.70 و3.94 وهي متوسطات عالية، بينما كان المتوسط الحسابي الإجمالي 3.81. كما أن المتوسطات الحسابية متقاربة نوعاً ما، إذ كانت أعلاها للجمل الثالثة (3.94) والثانية (3.87) المتعلقة بالمصادر، ثم الجمل السادسة (3.87) والخامسة (3.80) المتعلقة بالأشكال كما يبين جدول ٣. وتدل النتائج على أن أمناء المكتبات على علم ودراية عاليين بكل ما يخصُّ البيانات الضخمة واهتمامهم بمعرفة ما يلزم عنها، وهذا يدلُّ على مواكبتهم لكل ما هو جديد في مجال علم المكتبات والمعلومات. كما أن أمناء المكتبات يستطيعون التمييز بين مصادر البيانات الضخمة وأشكالها، فمثلا يعتبرون أن أهم مصادر البيانات الضخمة هي قواعد البيانات المكتبية ثم الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي؛ لأنها مصدر أساسي للمعلومات والمعرفة لمستخدمي المكتبات. وتتفق هذه النتائج مع دراسة عبد الله[١٢٣] ودراسة شنيشن[١٢٤] اللتين خلصتا إلى أن معرفة أمناء المكتبة بمصادر البيانات الضخمة كانت مرتفعة إلى حد ما، إلا أن الدراسة الحالية تتميز عنهما بأنها استكشفت رأي الأمناء عن أشكال البيانات الضخمة.

(١٢٣) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، ١٦ (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

(١٢٤) لطيفة شنيشن،."البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً" المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، ٩، ٣ (٢٠٢٠): ١٣٣-١٧٢.

جدول ٣. مصادر وأشكال البيانات الضخمة

#	الجملة	غير صحيح أبداً	غير صحيح	غير متأكد	صحيح	صحيح جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	يتم توليد البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة بواسطة المستخدمين	10	5	2	31	21	3.70	1.365
٢	يُعَدُّ الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي من أهم مصادر البيانات الضخمة	8	6	0	28	27	3.87	1.338
٣	من مصادر البيانات الضخمة قواعد البيانات المكتبية (library databases)	5	6	4	27	27	3.94	1.211
٤	تعتبر مصادر البيانات السلوكية لمستخدمي المكتبة أحد مصادر البيانات الضخمة	5	8	6	28	22	3.78	1.223
٥	التغريدات والمنشورات والتعليقات والإعجابات على منصات وسائل التواصل الاجتماعي هي أحد أشكال البيانات الضخمة	7	5	3	34	20	3.80	1.323
٦	من أشكال البيانات الضخمة البيانات الآلية التي تنتج عن الآلات وأجهزة الكمبيوتر الخاصة بالمكتبة	9	2	2	32	24	3.87	1.294
٧	من أشكال البيانات الضخمة البريد الإلكتروني والكتابات النصية وملفات المستندات في المكتبة	9	4	2	32	22	3.78	1.316
٨	تعتبر الصور ومقاطع الفيديو والصوت من أشكال البيانات الضخمة	8	7	5	25	24	3.72	1.349
	الإجمالي						3.81	1.302

للإجابة عن سؤال البحث الثالث عن المهارات اللازمة لأمناء المكتبات للتعامل مع البيانات الضخمة، قام المشاركون باختيار درجة أهمية عدد من المهارات التي يجب على أمناء المكتبات التزود بها. وتنوعت إجابات المشاركين، إلا أن أكثر الإجابات كانت تأكد أهمية المهارات المقترحة، وكانت المتوسطات الحسابية بين 3.70 و3.99 وهي متوسطات عالية، بينما كان المتوسط الحسابي الإجمالي 3.85. وكما يتضح من جدول ٤ فإن أعلى المتوسطات الحسابية كانت من نصيب الجملة الثامنة (3.99) التي تتعلق بالأخلاقيات وحقوق الملكية الفكرية والخصوصية، ثم الجملة الأولى (3.97) عن تحليل ومعالجة البيانات، ثم الجملة الثانية الخاصة بإدارة البيانات الضخمة، والجملة السادسة الخاصة بالبيانات الوصفية وقاموس المفردات وهما من صميم عمل أمناء المكتبات وكلتا الجملتين بمتوسط حسابي (3.96). ويستدل من النتائج على اهتمام أمناء المكتبات بالبيانات الضخمة وإلمامهم بمختلف المهارات اللازمة للتعامل مع البيانات الضخمة وتصنيفها وتحليلها وتنظيمها؛ وهذا يدل على حرصهم على اكتساب مهارات جديدة تساعدهم في التطور وأداء عملهم بأفضل شكل. وتتفق هذه النتائج مع دراسة محمد[١٢٥] التي وجدت أن العاملين في مكتبة كلية الهندسة لديهم معرفة بالمهارات اللازمة لكن بدرجة قليلة، إلا أن الدراسة الحالية تتميز بأن أمناء المكتبات اتفقوا بنسبة عالية على جميع المهارات، كما أن عددهم كان أكبر بكثير.

(١٢٥) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

جدول ٤. المهارات اللازمة لأمناء المكتبات

#	الجملة	غير مهم أبداً	قليل الأهمية	متوسط الأهمية	مهم	مهم جداً	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	معرفة كيفية تصنيف ومعالجة وتحليل البيانات الضخمة	4	5	2	36	22	3.97	1.084
٢	الإلمام بأساليب إدارة البيانات الضخمة والوصول إليها	2	7	7	29	24	3.96	1.063
٣	القدرة على تمييز البيانات المهيكلة من البيانات الغير مهيكلة	4	5	12	31	17	3.75	1.090
٤	الإلمام بأدوات وبرمجيات تحليل البيانات الضخمة	7	3	15	22	22	3.71	1.250
٥	استخدام برامج التحليل الإحصائي والبرامج الحسابية	5	8	6	30	20	3.75	1.205
٦	تحديد البيانات الوصفية (metadata) وإنشاء قاموس المرادفات (thesaurus)	4	4	11	22	28	3.96	1.156
٧	معرفة كيفية استخدام تقنيات التنقيب عن أو استخراج البيانات (data mining)	2	9	10	35	13	3.70	1.019
٨	تعلم الأخلاقيات وحقوق الملكية الفكرية والخصوصية اللازمين للتعامل مع لتحليل البيانات الضخمة	2	7	9	23	28	3.99	1.105
٩	تمييز محتوى البيانات المرئية مثل الصور والفيديوهات وتنظيمها وتحليلها	5	3	8	36	17	3.83	1.084
	الإجمالي						3.85	1.117

للإجابة عن سؤال البحث الرابع عن مجالات الاستفادة من البيانات الضخمة في المكتبة، قام المشاركون بتحديد درجة موافقتهم على ست جمل تتعلق بالمجالات المختلفة، مثل: اتخاذ القرارات، وتنمية الموارد البشرية، وتخطيط الميزانية، وتلبية احتياجات المستخدمين، وتطوير الخدمات. وكانت معظم إجابات المشاركين موافقة بشكل كبير على هذه المجالات كما يبين الشكل ٢. وقد تباينت المتوسطات الحسابية بين 3.84 و4.09 وهي متوسطات عالية، بينما كان المتوسط الحسابي الإجمالي 3.93 ؛ مما يدل على معرفة أمناء المكتبات بالدور المهم الذي تلعبه البيانات الضخمة في مختلف المهام والمسؤوليات المكتبية، سواء تلك التي تتعلق بالمستخدمين بشكل مباشر أو بالأمناء والإدارة العليا والمالية. وكما يتبين من جدول ٥ فإن المتوسطات الحسابية متقاربة جداً، وكان أعلى متوسط حسابي للجملة الأولى (4.09) الخاصة باتخاذ القرارات المتعلقة بتلبية احتياجات المستخدمين، ثم الجملة الثانية (3.94) المتعلقة بتنمية الموارد البشرية في المكتبة عن طريق تطوير مهارات أمناء المكتبة، وهذا يتفق مع نتيجة السؤال الثالث الذي بَيَّنَ معرفةَ الأمناء واهتمامهم بالمهارات. وتتفق النتائج مع الدراسات السابقة[١٢٦،١٢٧،١٢٨،١٢٩،١٣٠] التي وجدت أن أمناء

(١٢٦) يونس الشوابكة، "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية." المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة ٢٠١٨.

(١٢٧) لطيفة شنيشن،."البيانات الضخمة في المكتبات الجامعية السعودية: مكتبة الملك عبد الله الجامعية نموذجاً" المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، ٩، ٣ (٢٠٢٠): ١٣٣-١٧٢.

(١٢٨) حاتم عبد الله، "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٥، ١٦ (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

(١٢٩) أسماء محمد، "واقع استفادة المكتبات الجامعية من تحليلات البيانات الضخمة في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار." المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

(130) Adeyinka Tella, "Librarians' perception of opportunities and challenges associated with big data in public libraries.": Internet Reference Services Quarterly, 24, 3-4 (2021): 89-113

المكتبات لديهم دراية ووعي مرتفع بمجالات استخدام البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة، سواء في اتخاذ القرارات، أو تطوير الخدمات المكتبية، أو تلبية احتياجات المستخدمين.

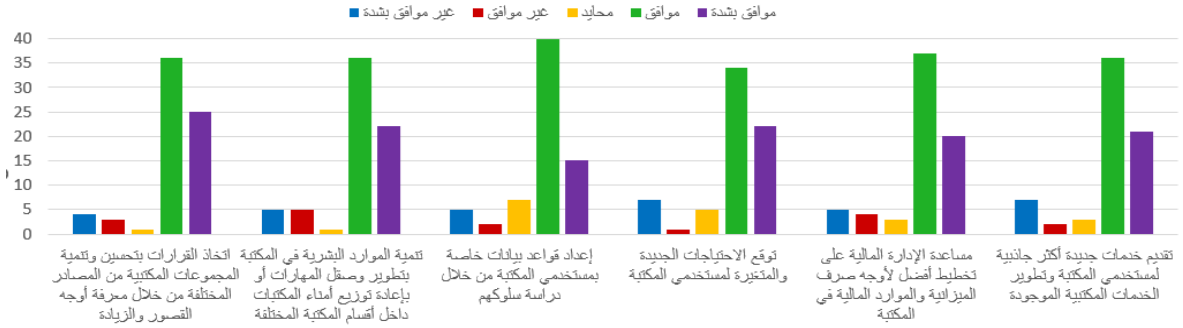

شكل ٢. إجابات أمناء المكتبات على المجالات حسب مقياس لكرت

جدول ٥. مجالات الاستفادة من البيانات الضخمة في المكتبة

#	الجملة	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	اتخاذ القرارات بتحسين وتنمية المجموعات المكتبية من المصادر المختلفة من خلال معرفة أوجه القصور والزيادة	4	3	1	36	25	4.09	1.040
٢	تنمية الموارد البشرية في المكتبة بتطوير وصقل المهارات أو بإعادة توزيع أمناء المكتبات داخل أقسام المكتبة المختلفة	5	5	1	36	22	3.94	1.136
٣	إعداد قواعد بيانات خاصة بمستخدمي المكتبة من خلال دراسة سلوكهم	5	2	7	40	15	3.84	1.038
٤	توقع الاحتياجات الجديدة والمتغيرة لمستخدمي المكتبة	7	1	5	34	22	3.91	1.172
٥	مساعدة الإدارة المالية على تخطيط أفضل لأوجه صرف الميزانية والموارد المالية في المكتبة	5	4	3	37	20	3.91	1.108
٦	تقديم خدمات جديدة أكثر جاذبية لمستخدمي المكتبة وتطوير الخدمات المكتبية الموجودة	7	2	3	36	21	3.90	1.178
	الإجمالي						3.93	1.112

للإجابة عن سؤال البحث الخامس عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مدى وعي أمناء المكتبات بالبيانات الضخمة بين الجامعات المستهدفة؛ استخدم الباحثُ اختبار (ت) للعينات المستقلة لقياس أيِّ فروق إحصائية بين أمناء مكتبة جامعة طيبة وأمناء مكتبة جامعة الملك عبد العزيز. وكشفت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مدى وعي أمناء المكتبات بالبيانات الضخمة حسب الجامعة؛ إذ إن قيمة (ت٧٦) =-1.152 والقيمة الاحتمالية p = .253. وهي أكبر من مستوى الدلالة ٠,٠٥. وتدل النتائج على، كما أن قيم المتوسط الحسابي لأمناء مكتبة جامعة طيبة هي 22.84 ولأمناء مكتبة جامعة الملك عبد العزيز هي 24.5 كما يتضح في الجدول ٦. ومن الجدير بالذكر أن الدراسة الحالية هي

الوحيدة التي استكشفت الفروق الإحصائية بين مكتبات الجامعتين؛ إذ إن جميع الدراسات السابقة استهدفت مكتبة جامعية واحدة أو مكتبة كلية.

جدول ٦. نتائج اختبار ت للعينة المستقلة حسب متغير الجامعة

المتغير	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	قيمة *p*
جامعة طيبة	٢٥	22.84	6.706	-1.152	67	.253
جامعة الملك عبد العزيز	٤٤	24.52	5.280	-1.079	41.04	.287

الخاتمة

تتجه المكتبات الجامعيَّة في عصر التكنولوجيا إلى تقديم خدماتها المتنوعة للمستخدمين على شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، لتسهيل تقديم الخدمات المكتبية في مختلف الظروف، وتلبية متطلبات المستخدمين من معلومات ومصادر مختلفة بشكلٍ كافٍ، والحفاظ على جودة الخدمات المقدمة وتحسينها. وهذا يجعل أمناء المكتبات يضطرون إلى التعامل مع كميات هائلة من المعلومات والبيانات المتدفقة بشكل يومي. وعليه؛ يمكن أن تساعد البيانات الضخمة في تحسين جودة الخدمات وحلِّ المشكلات؛ لضمان أداء عمل المكتبة، ويمكن أن تسهل على أمناء المكتبات توفير خدمات متزامنة حديثة ورائدة لمستخدمي المكتبة. وقد لا يفهم العديد من مسؤولي المكتبات أهمية البيانات الضخمة للمكتبة، في حين يقول الخبراء إن البيانات الضخمة مهمة جدًا لتطوير المكتبة؛ لذا فإن الإلمام بطبيعة البيانات الضخمة، وأهميتها، وفوائدها، وأنواعها، وخصائصها، ومصادرها لا يقتصر فقط على معرفة الاستفادة منها، وليس الغرض منه فقط زيادة كمية البيانات المتولدة، بل يؤدي إلى تحسين أدوات تخزينها وجمعها ودمجها وتحليلها ومعالجتها وتنظيمها واستخدامها. إن إدراك أهمية البيانات الضخمة للمكتبات وفائدتها، سواء أكانت جامعية أو غيرها سَيُسْهِمُ في تحسين الخدمات المتوفرة وتطوير خدمات جديدة؛ بهدف تلبية احتياجات المستخدمين من كلِّ الشرائح باختلاف أعمارهم واهتماماتهم ومتطلباتهم.

التوصيات

في النهاية وبناء على النتائج والاستنتاجات التي خلصت إليها هذه الدراسة؛ يقترحُ الباحثُ التوصياتِ الآتيةَ:

١.على مسؤولي المكتبات الجامعيَّة الاهتمام بتبني إدارة البيانات الضخمة وتحليلاتها؛ لما لها من فوائد جمة للمكتبات.

٢.دعم أمناء المكتبات وتشجيعهم لتبني البيانات الضخمة واستخدامها، وتوفير كل ما يلزم للتحلي بالمهارات والكفاءات اللازمة.

٣.استخدام البيانات الضخمة لتتبع وتحليل سلوك المستخدمين وتفضيلاتهم، وبالتالي تلبية احتياجاتهم واهتماماتهم بشكل أفضل.

٤.استخدام البيانات الضخمة لتتبع وتحليل أداء أمناء المكتبة؛ مما يمكن أن يساعد في تحديد مجالات التطوير والتدريب.

٥.استخدام البيانات الضخمة لتحسين عمليات المكتبة، مثل إدارة جداول الموظفين، وتتبع الموارد ، وإدارة الميزانيات.

٦.استخدام تحليل البيانات لتحديد الأنماط والاتجاهات، لتحسين سير العمل وتطوير المجموعات والكفاءة التشغيليَّة.

٧.استخدام البيانات الضخمة لتتبع وتحليل أنماط استخدام الموارد الرقمية، مثل الكتب الإلكترونية وقواعد البيانات والمجلات عبر الإنترنت؛ لضمان توافق المجموعة الرقمية للمكتبة مع احتياجات مستخدميها.

٨.استخدام تحليل البيانات الضخمة لمساعدة إدارة المكتبة في اتخاذ قرارات لتحسين مجموعات المكتبة وخدماتها؛ لخدمة مستخدميها بشكل أفضل.

٩.إدراج مادة البيانات الضخمة ضمن المقرر الدراسي لطلبة علم المكتبات والمعلومات لإعدادهم بشكل كامل للعمل.

١٠.إجراء المزيد من الدراسات البحثية عن البيانات الضخمة وإدارتها وتحليلاتها وكيفية الاستفادة منها في المكتبات.

المراجع العربيَّة

الأكلبي، علي. "البيانات الضخمة واتخاذ القرار في جامعة الملك سعود: دراسة تقييمية لنظام اتقان." *مجلة دراسات المعلومات والتكنولوجيا*، ١٥ (٢٠١٨): ١-١٢. http://dx.doi.org/10.5339/jist.2018.15

البار، عدنان مصطفى، والمرحبي، خالد علي. *"البيانات الضخمة ومجالات تطبيقها"*. منتدى أسبار الدولي، ٢٠١٨. تم الوصول في ١٥ سبتمبر ٢٠٢٤، https://www.awforum.org/index.php/en/component/k2/item/190

الزهري، سعد بن سعيد. "تعليم المعلومات والمكتبات في المملكة العربيَّة السعوديَّة وتوجهاته المستقبلية: دراسة وصفية تحليلية." *المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات* ٦، ١(٢٠١٩): ٦٦-١٠٢.

الشوابكة، يونس أحمد. "الوعي بمفهوم البيانات الضخمة لدى العاملين في المكتبات الأكاديمية: دراسة حالة لمكتبة الجامعة الأردنية." المؤتمر السنوي الرابع والعشرين لجمعية المكتبات المتخصصة / فرع الخليج العربي البيانات الضخمة وآفاق استثمارها: الطريق نحو التكامل المعرفي، ٦-٨ مارس، ٢٠١٨، مسقط، سلطنة عُمان.

العتيبي، صقر. "البيانات الضخمة: ما هي وما أهميتها وفوائدها وخصائصها المميزة؟" *مجلة دراسات المعلومات*، ٢٤، ٢٤ (٢٠٢٠): ٦٩-٨٤.

العتيبي، صقر. "البيانات الضخمة وأهميتها في العمل الأكاديمي من وجهة نظر الأكاديميين بجامعة طيبة: دراسة استطلاعية." *مجلة الآداب*، ٣٤، ٣ (٢٠٢٢): ٣٩-٥٩.

الغبيري، محمد أحمد، وعبد الرحمن حسن. "البيانات الضخمة وأثرها في تحقيق رؤية المملكة العربيَّة السعوديَّة ٢٠٣٠: دراسة تطبيقية." *مجلة الاستراتيجية والتنمية*، ٩، ٣ (٢٠١٩): ٣٢-٥١.

المزين، أحمد. "البيانات الضخمة والتكامل المعرفي في المكتبات الوطنية: مكتبة الكويت الوطنية أنموذجاً." *المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات*،١، ٢ (٢٠١٩): 237-282

سيد، أحمد فايز. "أدوات التنقيب عن البيانات مفتوحة المصدر: دراسة تحليلية تقييمية." *مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية*، ٥، ١٠ (٢٠١٦): ٧٩١-٨٦٥.

شنيشن، لطيفة. "البيانات الضخمة في المكتبات الجامعيَّة السعوديَّة: مكتبة الملك عبد الله الجامعيَّة نموذجاً." *المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات*، ٩، ٣ (٢٠٢٢): ١٣٣-١٧٢.

عبد الله، حاتم أنور. "الوعي بأهمية البيانات الضخمة لدى أخصائيي المعلومات بمكتبات جامعة بني سويف: دراسة استطلاعية." *المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات*، ٥، ١٦ (٢٠٢٣): ٢٥٣-٣٩١.

عبد الله، خالد عتيق، وعبد الله الهنائي. "البيانات الضخمة في مكتبات جامعة السلطان قابوس: واقعها وأثر دور

المدراء كمتغير وسيط للاستفادة منها في تحسين الخدمات." *المجلة العراقية لتكنولوجيا المعلومات*، ٩، ١ (٢٠١٨): ٢٣-٥٢.

محمد، أسماء. "واقع استفادة المكتبات الجامعيَّة من تحليلات البيانات الضخمة Data Big Analytics (BDA) في تطوير خدمات المعلومات واتخاذ القرار :دراسة حالة لمكتبة كلية الهندسة." *المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات*، ٣، ٧ (٢٠٢١): ١١١-١٤٤.

يوسف، جمال علي. "*مدخل مقترح لتقييم أهمية تطوير المحاسبة في ظل بيئة البيانات الضخمة.*" الفكر المحاسبي، ٢٢، ٤ (٢٠١٨): ١٢٢٥-١٢٧٢.

المراجع الأجنبية

Ahmad, Khurshid, Zheng JianMing, and Muhammad Rafi. "An analysis of academic librarians' competencies and skills for implementation of big data analytics in libraries: a correlational study." *Data Technologies and Applications*, 53, 2 (2019): 201-216.

Ajah, Ifeyinwa Angela, and Henry Friday Nweke. "Big data and business analytics: Trends, platforms, success factors and applications." Big data and cognitive computing , 3, 2 (2019): 32. https://doi.org/10.3390/bdcc3020032

Akinola, Samson Adesina. "Management of academic library services in the 21st century digital dispensation." Alexandria, 32, 2-3 (2022): 90-104. doi: 10.1177/09557490231217714

Alotaibi, Sagar Moisan. "Big data analysis role in advancing the various activities of digital libraries: Taibah university case study-Saudi Arabia." International Journal of Computer Science & Network Security , 21, 8 (2021): 297-307.

Anna, Nove E. Variant, and Endang Fitriyah Mannan. "Big data adoption in academic libraries: a literature review." Library Hi Tech News, 37, 4 (2020): 1-5.

De Mauro, Andrea, Marco Greco, and Michele Grimaldi. "What is big data? A consensual definition and a review of key research topics." In AIP conference proceedings, 1644, 1, 97-104. American Institute of Physics, 2015. DOI: 10.1063/1.4907823

Eneh, Anthonia C., Beatrice Uchenna Oviri, and Vincent C. Opara. "Awareness and Utilization of Big Data Management System by Lecturers in Universities: A Survey of Universities in Nigeria." NIU Journal of Educational Research, 10, 1 (2024): 117-126.

Islam, AYM Atiquil, Khurshid Ahmad, Muhammad Rafi, and Zheng JianMing. "Performance-based evaluation of academic libraries in the big data era." Journal of Information Science, 47, 4 (2021): 458-471. DOI:10.1177/0165551520918516

Jaradat, Maram, Manal Jibreel, and Huda Skaik. "Individuals' perceptions of technology and its relationship with ambition, unemployment, loneliness and insomnia in the Gulf." Technology in Society 60 (2020): 101199.

Johnson, Vanessa. "Leveraging technical library expertise for big data management." Journal of the Australian library and information association, 66, 3 (2017): 271-286. doi:10.1080/24750158.2017.1356982

Li, Jun, Ming Lu, Guowei Dou, and Shanyong Wang. "Big data application framework and its feasibility analysis in library." Information Discovery and Delivery , 45, 4 (2017): 161-168. https://doi.org/10.1108/IDD-03-2017-0024

Nikolopoulou, Kassiani. "What is purposive sampling? | Definition & examples". Scribbr, 2023. Accessed on October 25, 2024 https://www.scribbr.com/methodology/purposive-sampling/

Noh, Younghee. "Imagining library 4.0: Creating a model for future libraries." The Journal of Academic Librarianship , 41, 6 (2015): 786-797. https://doi.org/10.1016/j.acalib.2015.08.020

Sharma, Rohit. "Sources of big data: Where does it come from?". UpGrad, 2024. Accessed on October 10, 2024, https://www.upgrad.com/blog/sources-of-big-data/

Skaik, Huda. Academics' knowledge sharing behaviour in the United Arab Emirates. Saarbrücken, Germany: LAP LAMBERT Academic Publishing, 2016.

Tara, Nain, Muhammad Rafi, and Khurshid Ahmad. "Evaluating the implementations of big data analytics in academic libraries: a structural equation model-based approach." Performance Measurement and Metrics, 25, 3/4 (2024): 1467-8047. DOI: 10.1108/PMM-08-2023-0022

Tella, Adeyinka. "Librarians' perception of opportunities and challenges associated with big data in public libraries." Internet Reference Services Quarterly, 24, 3-4 (2021): 89-113.

Tella, Adeyinka, and Kehinde Khadijat Kadri. "Big data and academic libraries: is it big for something or big for nothing?." Library Hi Tech News , 38, 2 (2021): 15-23. https://doi.org/10.1108/LHTN-07-2020-0069

Toshniwal, Raghav, Kanishka Ghosh Dastidar, and Asoke Nath. "Big data security issues and

challenges." International Journal of Innovative Research in Advanced Engineering (IJIRAE), 2, 2 (2015):15-20.

Zhan, Ming, and Gunilla Widén. "Public libraries: roles in big data." The Electronic Library 36, 1 (2018): 133-145. DOI:10.1108/EL-06-2016-0134

.

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ٦٥-٨٥، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 65-85, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

صورةُ الذّاتِ بينَ (الأنا) والآخر: (كمستير) لجَعْفر العُقَيْلي و(صحراء التّتار) لدينو بوزّاتي نموذجًا

خلدون بن أحمد الجعافرة

دكتوراه اللغة العربية وآدابها، وزارة التربية والتعليم، الأردن.

(قدم للنشر في ٢٨/ ٦/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ٢٦/ ٧/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-4

الكلمات المفتاحية: التّوازي، الذّات، الزمان، المرآة، المكان.

ملخص البحث: تهدفُ هذه الدراسةُ إلى تسليط الضوء على مفهوم الذات بين (الأنا) و(الآخر) في سياقين حضاريين مختلفين مكانيًّا وزمانيًّا، وذلك في مجموعة (كمستير) القصصية للقاصِّ الأردني جعفر العقيلي ورواية (صحراء التتار) للروائي الإيطالي دينو بوزاتي، من خلال مفهومي الزمان والمرآة، وذلك بالوقوف على البنى الدلاليّة، والرؤى النصيّة، والعنونة، والهويّة السرديّة، والفضاء النص، و اعتمدت الدراسةُ مفهومَ التوازي في المقارنة؛ لقدرته على إقامة التكافؤ بين الثقافات الإنسانية وآدابها، وابتعاده عن المنهج التاريخي في الدراسات المقارنة بالبحث عن الأصول الثقافية وفكرة التأثر والتأثير؛ وأفادت الدراسة من المفاهيم السيميائية الغريماسية في تحليل النصوص. كما كشفت الدراسة عن اختلاف مفهوم الذات بين رواية (صحراء التتار) وبين مجموعة (كمستير) القصصية، إذ يتشكل مفهوم الذات في الرواية في صورة هوية منغلقة لا يحضر فيها الآخر إلا بوصفه عدوًا، وهوية مغايرة في المجموعة، تجتهد على إشكالاتها، للانفتاح على الذات والآخر، مع ملاحظة أن الشخصية الباطنية التأملية تغلب على النّصين السرديّين؛ في حين تقاطع العنوانان دلاليًّا في كشف صورة مكثّفة للشقاء الإنساني في الزّمان والمكان. وخلص الباحث إلى أهمية المقارنات الأدبيَّة في تبيان المميزات المتشابهة والمختلفة بين النّصين، وكشف بؤر التّقاطع بينهما، وبيان خُصوصيّة كلٍّ منهما، منطلقًا من قيمة النّصّ الفنيّة والإنسانيّة؛ لكشف السياقات الثقافية والحضارية بين ((الأنا)) و(الآخر) بإقامة التّكافؤ بين النّصوص وجهًا لوجهٍ معيارًا.

The Image of the Self between the Ego and the Other: Kamsteer by Ja'far Al-Oqaili and The Tartar Steppe by Dino Buzzati as a Model

Khaldoun Ahmed Al-Jaafra
PhD in Arabic Language and Literature, Ministry of Education, Jordan.
(Received: 28/ 6/1446 H, Accepted for publication 26/ 7/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-4

Keywords: Parallelism; Self; Time; Mirror; Space.
Abstract. The research tracks the movement of the relationship of the self through the "I" and the "Other" in two different cultural and time perspectives through Kamsteer, a short story collection by Jordanian writer Ja'far Al-Aqili, and The Tartar Steppe by Italian novelist Dino Buzzati. Using the twin concepts of time and the mirror as its guiding metaphors, the enquiry explores semantic structures, narrative vision, titles, narrative identity, and spatial constructs. The comparative methodology the study adopts is parallelism, prized for its ability to create a dialogic balance between human literatures and cultural expressions, despite criticism of previous comparative approaches for relying on a chronological model of influence and reception. Instead, it uses Greimasian semiotics to reveal deeper layers of meaning in both texts. They note a stark contrast in the representation of selfhood. The Tartar Steppe reifies the self as a closed identity; the Other is always an enemy, serving as a basis for greater isolation and existential futility. In contrast, Kamsteer's self is more fluid and ambivalent, moving toward a sustained, if complicated, conversation with both self and Other. Despite these differences, both works center on introspective protagonists, and the inner life of each dominates the narrative fabric. Both titles reveal a thematic rift—pain and passage—that transcends epochs, showing how even a comparative reading of titles prompts a dialogue on human suffering and temporal existence.Through its comparative literary approach, the study underscores how examining familiar tropes across different cultural contexts reveals both universal and culture-specific dimensions of textual meaning. It argues that juxtaposing texts yields complex interrelations and differences that enrich our understanding of literary constructions of identity and otherness. This perspective foregrounds the aesthetic and humanistic resonances of each work, advocating for a dynamic model of literary engagement that views equivalence as a framework for meaningful intellectual dialogue, rather than a prescriptive sameness..

مقدمة

تحرص هذه الدراسةُ على عدم حصر الأدب ضمن إشكالات المنهج التاريخي في الأدب المقارن، وإنما تسعى لربطه بأكثر من منهج نقدي، باعتباره عاملًا ضروريًّا في الدراسات المقارنة، انطلاقًا من كونِ "العمل الأدبي بنيةً تتشكّل من رموز، تتطلب المعاني والقيم وتعطيها، وأن التركيز على الأمور الشكلية الخارجية، لا يؤدي إلا إلى تجريد الدراسة الأدبيَّة من محتواها الإنساني"(١)، ويُلحقها ضمن أُطر تاريخ الأدب وإشكالاته المنهجية، فكانت أبرز المقولات النقديَّة في الدرس المقارن تنصّ على أنّ "الظاهرة الأدبيَّة واحدة، وإن اختلفت فضاءاتها في الزمان، وتعددت في المكان، وتنوعت تشكيلاتها اللغوية، وتباعدت حدودها القومية، واتسعت أطرافها الإثنية والجغرافية"(٢)؛ لذلك يشكّل مفهوم التّوازي (Parallelism) مقاربةً ثقافيّةً بينَ ثقافتين أكثرَ من كونه مقارنةً أدبيّةً قائمةً على التّشابه والاختلاف، بالنّظر إلى النّزعة الإنسانيّة المتجذّرة في النّص الأدبيّ، وذلك في سرديّتين: روائيّة وقصصيّة، تتولّيان الحفر عميقًا في أكثر الإشكالات الإنسانيّة تعقيدًا: صورة الذّات بين (الأنا) والآخر والعلاقة بينهما؛ وذلك من خلال ثيمتي الزمان والمرآة، وتقديم تصوّر شامل لعلاقة الإنسان الإشكاليّة بالزمان والمرآة، ومقاربة الشّخصيات في السّرديتين بوصفهما أنموذجًا بشريًّا، ذلك أنّ السّرد بذاته، وطبيعة تكوينه، فنٌّ زمنيٌّ، يتماهى مع خطيّة الزمان، ويخلخل مرجعياتِه نفسيًّا وسرديًّا في الوقت ذاته؛ وقراءة التّوازي، في نفيها القاطع للمقارنة من باب التّأثّر والتّأثير أو البحث عن المصادر الثقافية، تقوم على "البحث عن المتشابهات في الأفكار الأدبيَّة وفي الذوق الجمالي"(٣) من جهة؛ والتّكافؤ والتّقابل بين النّصوص من جهة أخرى؛ ما يحرّك الرّاكد في المقاربات الثّقافيّة المقارنة؛ بُغية وعي المغايرة والاختلاف، وإدراك التّمايزات بين الذّات والآخر؛ للوصول إلى حالة من التّعارف والائتلاف والتّجاوز، وكسر الأنساق الثّقافيّة المغلقة، بما ينسجم ورؤية فرانسوا جوست (Francois JOST) التي تؤكد على أن الأدب المقارن "يقدم نظرة شاملة للأدب ولعالم الكتابة، وهو دراسة للبيئة البشرية، ونظرة أدبية للعالم، ورؤية شاملة ووافية للكون الثقافي"(٤).

وتكمن أهمية الدراسة، في اعتمادها مفهوم التوازي إجراءً منهجيًّا، برؤية نقديّة سيميائيّة، للوقوف على رؤيتين سرديّتين، تختلفانِ أجناسيًّا وزمانيًّا ومكانيًّا، تنتمي الأولى للأدب الإيطالي في نهاية النّصف الأول من القرن العشرين، ممثّلةً برواية (صحراء التتار) للكاتب الإيطالي **(Dino Buzzati)**، وتنتمي الأخرى للأدب العربي في مطلع القرن الحادي والعشرين، ممثلةً بالمجموعة القصصيّة (كمستير) للكاتب الأردني جعفر العقيلي؛ على خصوصية الجنس الأدبيّ في كلٍّ منهما، وتتّخذ من انتمائهما إلى فنّ السّرد مدار سيرورتها القرائية، لمقاربة أطروحتيهما، المختلفتين ثقافيًّا وحضاريًّا ولغويًّا، في طبيعة علاقة الإنسان بالزمان والمرآة وإشكالاتهما، سرديًّا، من وجهة البنيةِ الدّلاليّة، والرّؤى السّرديّة، والفضاء النّصي؛ للظّفر بإجابات عن تساؤلات وجوديّة كبرى، تطرح مفاهيم إنسانيّة مشتركة: الذّات، والانتظار، والقلق، والأمل، والخيبة، والفقد، والعزلة، والخوف، والوهم، والتّيه، والانكسار؛ مع إدراك خصوصيّة النّسق الثّقافي لكلّ سرديّة،

(١) رينيه ويليك، *الأدب المقارن، اسمه وطبيعته*، كتاب مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٠م)، ٢٨٦.

(٢) أحمد شوقي رضوان، *مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن*، الطبعة الأولى، (بيروت: دار العلوم العربية، ١٩٩٠م)، ٢٠.

(٣) حسام الخطيب، *آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا*، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الفكر المعاصر،١٩٩٩م)، ٤٢.

(٤) سوزان باسنيت، *الأدب المقارن، مقدمة نقدية*، ترجمة: أميرة حسن نويرة، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م)، ٨.

وإبراز اختلافها، ومقارنتها من وجهة ثقافيّة وحضاريّة دون إصدار تفضيلات قيميّة.

وإذا كان السّرد ينبني على الزمان في تكوينه، فإنّ الزمان هذا "الكيان الموجود الفاني"(٥)، في قراءته موضوعًا تأمليًّا بذاته، يحضر في تجلياته النّصية، بوصفه وعيًا وخبرة إنسانيّة، تكشف اشتغالاته ومآلاته على الإنسان والعالم، انطلاقًا من فعل اكتشاف الذات مرآويًّا، بوصفه إطلالة على الذّات والآخر مماثلةً ومغايرةً في آنٍ معًا، ويكون العالمُ بذاته، مرآةً واقعيّة ورمزيّة ومتخيّلة للذّات وآخرها.

إن هذه الدراسة، إذ تهدف إلى كشف صورة الذات بين (الأنا) و(الآخر) في تماثلاتها وتبايناتها وتقاطعاتها، فإنها تتحرك وفقًا للسؤال البحثي المطروح على النصين الأدبيين: ما الصورة التي يقدمها النصان للذات والآخر وفقًا للسياقات الثقافية والحضارية؟ وكيف يتم بناؤهما نصيًّا، وثقافيًّا؟ وما أوجه التماثل والتباين والتقاطع بينهما؟

لذلك، جاءت هذه الدراسة في عدة أقسام، ناقش الأول مفهوم التوازي وتقابل البنى الدلاليَّة، متضمنًا محكي السرد وتقابل البنى الدلالية وحوارية الرؤى النصية؛ وتناول القسم الثاني الهوية السردية بين سؤالي: الزمان والمرآة؛ أما الثالث، فكشف الفضاء النصي بين الحميمية والعدائية؛ وخاتمة خلصت إلى نتيجة بارزة تتمثل في تباين الهويّات بين هُويّة منغلقة ممثلةً بجيوفاني دروغو، وهُويّة إشكاليّة ومُتشظّية في مجموعة (كمستير)، إلّا أنّهما تتقاطعان في تجسيد صورة إنسان فقد الشّعورَ بوحدة حياته وهُويّته وشخصيّته، في خلل تواصل واتّصال مع الذّات والآخر.

ولم تحظ مجموعة (كمستير) القصصية للقاصِّ جعفر العقيلي بأية دراسة سابقة متخصصة، باستثناء دراسة الصعيدي (٦)، التي تناولت، بشمولية، مجموعاته القصصية الخمس من وجهة بنيوية وأسلوبية، توقفت فيها على بناء الشخصية، والحدث، والزمان، واللّغة، والتّشويق، والرّمز، والحوار الدرامي مع اختلاف واضح في المنطلقات والمنهجية التي تعتمدها هذه الدراسة المقارنة، التي أفادت من مرجعيات بحثية مقارنة نظريًّا وتطبيقيًّا، وهي كثيرة، وأبرزها: الأدب المقارن: اسمه وطبيعته لرينيه ويليك، والأدب المقارن مقدمة نقدية لسوزان باسنيت، وآفاق الأدب المقارن عربيًّا وعالميًّا لحسام الخطيب، ومدخل إلى الدرس الأدبي المقارن لأحمد شوقي رضوان، ومفهوم التوازي وآفاقه لمحمد القللي.

أولا: التّوازي وتقابُل البنى الدّلاليّة.

يجيبُ إجراء التّوازي، في جمعه بين الثقافات وحواريّتها، عن آليات الجمع والحوار باستجلاء المميزات المتشابهة والمختلفة بين النّصين، وكشف بؤر التّقاطع بينهما، إنّه يقيم التّكافؤ بين النّصوص وجهًا لوجهٍ معيارًا، ويُبين عن خُصوصيّة كلٍّ منهما، منطلقًا من قيمة النّص الفنيّة والإنسانيّة، لا من قامةِ صاحبه؛ ما يحفظ للنّصوص الأدبيَّة خصوصيّتها النّوعية، ومساراتها الفنيّة، والثّقافية والتّاريخية، وهو ما يجعل من قراءة نصين سرديّين مختلفَين أجناسيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا عملا نقديّا ذا طابع ثقافيّ، يُسهم في تقاربِ الرّؤى الإبداعيّة على اختلاف زمانها ومكانها.(٧)

(٥) عبدالرحمن بدوي، *الزمان الوجودي*، الطبعة الثانية، (القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٥٥م)، ٢١.

(٦) ميادة الصعيدي، *شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية*، الطبعة الأولى، (عمان: الآن ناشرون وموزعون، ٢٠٢١م).

(٧) ينظر: محمد القللي، *مفهوم التوازي وآفاقه: المزيفون بين أندريه جيد ومحمود تيمور نموذجا*". مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، م ٤١، ع ٣،(٢٠١٤)، 902 – ٩١٤.

- محكي السّرد.

إنّ محكي رواية (صحراء التتار)، يرتكزُ على شخصيّة جوفاني دروغو، وهي معقّدة باطنيّة تأمليّة، أدارت ظهرها لشرط الزمان، واتّخذت من المكان أرضيّةَ تحقيق وجودها، فتسميتُه ضابطًا فتحت مخيّلة جوفاني على فكرة المجد الشّخصيّ والوطنيّ، ليقضيَ دورة حياتيّة قدرُها أربعون عامًا، في قلعةٍ بعيدة، اسمها "حصن باستياني" منتظرًا التّتار القادمين من صحراء الشّمال، بعيدًا عن مركز الطّمأنينة، حيث بيت العائلة في المدينة. وعلى الرغم من تصاعد أفكار دروغو على فترات حول" عالم جميل ومتناء، مثلًا قصر على شاطئ بحر، في ليلة صيفية رطبة، كائنات رائعة تجلس بجانبه، الموسيقى"[٨]، نتيجة إدراكه منذ اللّيلة الأولى في الحصن أنّه "لا عزاء في هذا العري، ولا معنى لهذه الحياة الطويلة"[٩]، غير أنّه في قرارة نفسه بات مقتنعًا بعد خمسَ عشرةَ سنة "أنّ الأشياء المهمة تكاد تبدأ للتو"[١٠]، فبات غريبًا في حصنه، مغتربًا عن بيته ومدينته، ليصل إلى أبرز مقولات الرّواية: "لا بدّ من إيقاف هروب الزمان"[١١]. وليست الشّخصيات الأخرى في حصن باستياني سوى مرايا الشّخصيّة المركزيّة دروغو، من مثل: أورتيز، ترونك، فيلموري، نيكولاتزي، أنغوستيا، والطّبيب فريديناندو؛ التي خضعت لخداع الرّغبات، والشّعور الحقيقي بحتميّة تدمير الذّات بتبذير العمر في انتظار التّتار- انتظار ما ليس موجودًا، والخضوع لهيمنة الوهم الذّاتي عبر حبكة سارت بمسار كرونولوجي (Chronology) زمني خطي متتابع، أو التسلسل الزماني للأحداث، وإن اشتملت على الاسترجاع أو الاستباق، على حسب ما رسمته الشّخصية من دون فائض حدثٍ، بَلْ بدلالةٍ حادثةٍ في سَيرورةِ السَّرد.

أمَّا محكي مجموعة (كمستير) القصصيّة، فيرتكز على قراءة الذّات وأحوالها المتنوّعة والمتعدّدة في مراياها، من خلال إحدى عشرةَ قصَّة تفترق في العنونة، غير أنّها تلتقي جميعُها في بؤرة العنونة المركزيّة (كمستير)، فَتُجَمِّعُ الإشعاعَ الدّلالي، وتعيدُ نشرَه في فضاءات النّصوص القصصيّة، التي ترتكز على شخصيّة مركزيّة لا اسمَ لها، وإن حضرت أسماء الشّخصيّات في ثلاث قصص من إحدى عشرة قصة: أسعد، حمدان، هادي؛ فما هي إلا تنويعات للشّخصيّة الرّئيسة وانعكاسات لذاتها في مراياها، لنكون بمواجهة شخصيّةٍ لا اسم لها على التّعيين؛ لأنّها في جوهرها شخصيّة باطنيّة تأمليّة، في خمسِ قصصٍ حضرت الشخصية بصفة المبدع، وفي قصة بصفة الشّاب، وفي قصتين بصفة الزّوج. وهذا ما يجعل من غياب التّسمية، وإحالتها على الصّفة، وتحديدًا المبدع، إشكالًا معرفيًّا ووجوديًّا يتولّى السَّرد كشفَ أبعاده ودلالاته، خاصّةً أنَّ ثمّة مفرداتٍ تهيمنُ على عوالم الشّخصيّة في مختلف القصص: اللّيل، العتمة، الظُّلمة، المقبرة، القبر، السّكون، اليتم، البكاء، الغياب، الخيبة، وغيرها؛ لتعيش الشّخصيّة في المجموعة القصصيّة حالة لا تبتعد في جوهرها عن شخصيّة المبدع في قصة (تعايش)، ليجد ذاتَه "في غبش سكون يطبق على ضلوع المكان"[١٢]، ويدرك حقيقةَ فعل الزمان، بقوله: "الأيام تتباطأ، والليالي تزحف بثقل على كاهلي الهش، وبيتي كأنه يتحول إلى قبر يضيق عليّ بالتدريج"[١٣]؛ ما يجعل الشّخصيّة المركزيّة في قصة (كمستير) التي أخذت المجموعة عنوانها، تكشف عن أزمة الذّات وإشكالاتها، بما هي أزمة وجوديّة تعكس قلقًا واغترابًا، وذلك في قوله ناظرًا في المرآة: "لم أجدني، لم أجد

(٨) دينو بوزاتي، *صحراء التتار*، ترجمة: مصطفى الحسون، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار آفاق للنشر والتوزيع: القاهرة، ٢٠١٧م)، ١٩٤.

(٩) المرجع السابق، ٢٣.

(١٠) المرجع السابق، ٢١٣.

(١١) المرجع السابق، ٢٤٤.

(١٢) جعفر العقيلي، *كمستير، مجموعة قصصية*، الطبعة الأولى، (عمان: وزارة الثقافة الأردنية، ٢٠١٥)، ٥٦.

(١٣) المرجع السابق، ٥٤.

رأسي، لم أعد أعرفني"[١٤]. وذلك في حبكة محكمة، التزمت قصصُها جميعُها المسارَ الكرونولوجيّ، لكنّها انبنت على المفارقات الصّادمة والمدهشة في كلّ قصّة، إذا تتخلّق المفارقة بالضّديّة في أحوال الشّخصيّات من بدايتها، فذروتها، إلى قفلتها، ما يجعل كلمة (كمستير) ومضةَ الكشف والتَعرُّف: ما بينَ الاختباء والخفاء والبحث والكشف وبين جملة (كمستير) تُبنى الحبكات، وكأنّ الشّخصيّة الرّئيسة التي تتنوّع وتنتقل من قصّة إلى أخرى بلبوسٍ جديد، هي ذاتُها التي تمارسُ لعبةَ الخفاء والتّجلّي، فكلّما انكشفت في قصّة، انتقلت لتمارسَ أدوارًا أُخَرَ في القصّة التّالية.

ــ تقابُل البُنى الدّلاليّة

ثمّة مفارقةٌ صارخة ينطوي عليها العنوانان في تقابلهما، فظاهرُ اختلافِهما خادع، إذ يلتقيانِ في قلبِ الدّلالة الحادثة على كشف تحوّلات الذّات ومعرفتها قبالةَ الزمان والمرآة، فالعنوان (كمستير)، الذي يعني "لعبة يمارسها الأطفال، يغمض فيها أحدهم عينيه في حين يختبئ البقية في محيطه. ثم يفتح عينيه ويبدأ بالبحث عنهم، فإذا ما عرف موقع أحدهم، لمسه بكفه وهو يقول: "كمستير". ثم يكون على الطفل "المقبوض عليه" إغماض عينيه، لتبدأ اللعبة من جديد" [١٥]، ذو فضاءٍ زمانيّ، يطوي في بِنيته مفرداتٍ رئيسةً تشكّل ثالوثًا: المعرفة والخفاء والكشف؛ فإذ تتيح اللّعبة باتّفاق الذّوات وطواعيّتها ومعرفتها حدوثَ العماء للذّات، ليتمَّ الخفاءُ للآخر، تحضرُ (كمستير) بكاملِ حمولتها الدّلاليّة في فعل الكشف، بما هو فعل القبض على لحظةٍ زمنيّة، وتحنيطِها، وتسليطِ الضّوء على جوهرِ ذّات آنَ كشفها، وهو ما تنطوي عليهِ كلُّ قصّة من القصص الإحدى عشرة؛ وهنا مكمن المفارقة الدّاخليّة لفلسفة جملة الكشف الزمانيّة -(كمستير)، التي تحضر سرديًّا، بوصفها قفلةً، حيثُ تهرب اللّحظة الزمانيّة المحنّطة من نهاية قصّة، لتولدَ في قصّة أُخرى حتى نهاية قصص المجموعة، ما يجعلها "تكتسي طابعًا لا زمنيًّا، يؤشر على فكرة الانفجار الظّاهراتي"[١٦]، بما هو اضطرابٌ عميقٌ، وقطيعةٌ تعيشها الشّخصيّات.

ذلك أنّ الشّخصيّة المركزيّة بتنوّع أشكالها وصورِها وحالاتها في كلّ قصّة، تنبني على موقفين ضدّيينِ، يكونُ الثّاني تحوّلًا صادمًا عن الأوّل، ما يجعلُ من الحدثينِ دلالةً حافّةً لتوليدِ الدّلالةِ العميقة؛ فتحضرُ كلمة (كمستير) بوصفها فعلًا كاشفًا للذّات من خلال جملةٍ نصيّة، تشكّل فعل الكشف والقبض على الذّات في ذروة عُريها، ما يشكّل دلاليًّا الصّفعة القاسية لها لحظة انكشافها، دون الحاجة لفائضٍ مكانيّ؛ هو المكان، وإنْ بدا محدودًا بما لا يدعه بريئًا من تهمة الفاعليّة الدّلاليّة، فإنّه في اللّعبة على انطوائه على أماكن خفاء محدودة، يقاربُ فلسفة الحيّز في القصص، من مثل: الغرفة، السّيارة، المقهى؛ ما يُلْزِم القراءةَ، مستعينةً بتصوّر هيلمسليف [١٧]، بتقديم رؤيةٍ لشكلِ الموضوع أو البنى الدّلاليّة السّطحيّة للنّصّين السّرديّين، للوصول إلى البنية العميقة، ثمّ مقاربة المعنى، كالآتي:

(١٤) المرجع السابق، ٤٨.

(١٥) العقيلي، *كمستير*، ٣٧.

(١٦) تياري أوزوالد، *الأقصوصة*، ترجمة: محمد آيت ميهوب، الطبعة الأولى، (تونس: المركز الوطني للترجمة، ٢٠١٣)، ٢٨٥.

(١٧) ينظر: دانيال تشاندلر، *أسس السيميائية*، ترجمة: طلال وهبة، الطبعة الأولى، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٨)، ١١٥.

(البنية العميقة ١)

العناوين الداخلية	الدلالة العميقة	جملة الكشف/ كمستير
تصفية حساب	وهم الحرية	"أنا بطلك من لحم ودم"
علامة فارقة	النمطية	"اقتنصت غفلتي وانقضت علي"
كمستير	التيه	"لم أجدني، لم أجد رأسي"
تعايش	السخرية	"هرولت إلى الشارع معلنًا هزيمتي"
وجه وأقنعة	الزيف	"حقيقتي التي لا يعرفها أحد سواي"
مسافة كافية	الجفاف والبرود	"أعتمت نفسه على شعور باليتم"
وقت مستقطع	رغبات دفينة	"إنها خيانة"
تنازلات	نكران الذات	"يجهش في بكاء "
خيبة أخرى	سلطة الوهم	" لم يكن خبرا، بل أمنية في مقالة"
دوار	العبثية	"فطنت أن مهمتي على أي حال بلا نهاية"
لقاء وحيد	الانكسار	"أدركتْ أنه أصغر / بدا له أنها تكبره"

أمّا عنوان (صحراء التتار)، فذو بعدٍ مكانيّ، يكرّس ما للصّحراء من سلطة رمزيّة، تقوم على الانفتاح والسّعة والمدى اللامنظور ليس بالمعنى الإيجابيّ، بل بمعنى التّيه وانعدام الأفق، وحقيقة الوهم والسّراب والخداع، وليسَ أدلّ على فعل انغراس الذّات في الوهم والانتظار، من انتظارها ما لم يأتِ أربعينَ عامًا، ويتحقّق ذلك بفعل الإضافةِ إلى التّتار، هذا العدو الافتراضيّ الذي لا تجمعُه مع جغرافيا المكان أو الزّمان روابط منطقيّة، لتتكَشَّفَ (صحراء التتار) عن مكانٍ مجهول، يفرض التزامًا مطلقًا على ذات جيوفاني دروغو، غير أنّه ليس إلا خُرافةً، حيثُ "يبدو الأمر مجرد سخافة، ثم ينتهي باعتناقنا مثل هذا الاعتقاد".[١٨].

إنّ الدّوال الحافّة في ثنائيتها تتصارعُ في جدل عدائيّ بين زمن المدينة والمنزل والصّبا وزمن حصن باستياني، ليُفضيا إلى الدّلالة العميقة القارّة بمآل الذّات في مرآتها وعلاقتها مع الزمان، وتنكشفُ بجملةٍ أشبهُ ما تكونُ بجملةِ الكشفِ ـ كمستير، من خلال التّصوّر الآتي:

(البنية العميقة ٢)

الرواية	الدلالة العميقة	جملة كمستير
صحراء التتار	عزلة الذات واغترابها بين أوهام المجد وانسراب العمر: فلا صبا، ولا بيت، ولا حبيبة	"الهروب المتعذّر إعادته هو هروب الزمان..."

ـ حواريّة الرّؤى النّصيّة.

يؤكّد أمبرتو إيكو في كتابه (العلامة) أنّ "المعنى ليس معطى ثابتًا ومكتفيًا بذاته، وقابلًا للإدراك ومرئيًّا قبل تدخُّل الذّات القارئة، من خلال كشف النّسق المولّد له" [١٩]، وهو ما أظهرته القراءةُ بإبراز البنى الدّلاليّة العميقة من جهة، وما تقترحهُ العنونة، بوصفها ممارسةً تأويليّةً وسيرورةً من جهة أخرى، إذ تفتح العنونةُ لحواريّة الرّؤى النّصيّة مدخلًا

(١٨) بوزاتي، *صحراء التتار*، ١٨٦.

(١٩) أمبرتو إيكو، *العلامة*، تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بنكراد، الطبعة الأولى، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧)، ٢١.

واسعًا للقبض على المعنى، بوصفه واقعةً ثقافيّةً في قراءة التّوازي هذه، لتتكشّفَ التّشابهاتُ والاختلافاتُ والتّقاطعاتُ فيما بينَها، فالعنونة التي بدت مختلفةً بين (كمستير) ذات البعد الزماني، وبين (صحراء التتار) ذات البعد المكانيّ، تكشف عن مفارقةٍ صادمة في صورتينِ:

أولاهما: انكشاف الذّات في (كمستير)، في أحد أبعادها، على أزمةٍ صراعيّةٍ مع المكان، وما تجسّدُه قصّة تعايش من قلق المبدع في بحثه عن خصوصيّةٍ مكانيّةٍ، بقوله: "وأخيرًا أصبح لي بيت؛ أسكنه ويسكنني"[٢٠]، كذلك قصّة وقت مستقطع، وشعور البطل الصّارخ فيها "وكأنه بلا بيت"[٢١]، كذلك قصة تنازلات وقصة مسافة كافية؛ أمّا عنونة (صحراء التتار) ذات البعد المكاني، فتكشف في بعدها الرّئيس أزمة الذّات في علاقتها الموتورة مع الزمان، وإدراك دروغو "أنّ بوابة قد أغلقت خلف أكتافنا، لقد أغلق طريق العودة بوجهنا...إنّ الزمان يمر، وإنّ الطريق سوف تنتهي يوما ما"[٢٢].

ثانيتهما: انطواء العنونتَينِ، في عمقهما، على الصّورة الجماعيّة للشّقاء الإنساني، فكمستير لعبةٌ جماعيّة؛ وإن انطوت على شخصيّة مركزيّة واحدة بتلوّن صورها وتعدّدها؛ ودروغو جيوفاني الشّخصيّة المركزيّة في (صحراء التتار)، تنفتح على شخصيّات أخر مشابهة ومماثلة له في الانتظار، والوهم، والانكسار؛ ما يعني أنّ صورة الكلّ الإنسانيّ ـ تنوع الشّخصيات في (كمستير) هي صورة الذّات الإنسانية الواحدة؛ وصورة الذّات الإنسانيّة المفردة في (صحراء التتار) لجيوفاني هي صورة الذّوات الإنسانيّة المتعدّدة، وكلاهما يسلّط الضوء على حالة جماعيّة قهريّة يعيشها الإنسانُ في علاقته مع الزّمان والمكان.

وتتشابه الشّخصيات فيما بينها، إذ تنعدم فاعليّتها على مسرح الأحداث، بل إنّها تسكنُ دائرة اللّافعل، فتظهرُ مسلوبةَ الإرادة والمصير في حضرة الزّمان والمكان، وتنكشف على حالة من الوهم والخواء والانكسار. إنّها شخصيّاتٌ مسكونةٌ بالحسرةِ والنّدم في أعماقها جرّاء الآمال الخائبة، وليست جُمل (كمستير) الكاشفةُ في المجموعة القصصية أو في (صحراء التتار) سوى مشهديّة القبض على الذّات في ذروة عريها، وانفضاحها، وتأزّمها، فشخصيّة "هو" في علاقته مع "هي" في قصّة (مسافة كافية)، تنتهي إلى صوت ذاته العميق، فقد "أعتمت نفسه على شعور باليتم"[٢٣]، بينما ينتهي الزّوج هادي في قصّة (تنازلات) إلى عتمته الذّاتيّة، فينكشف على نفسه، وهو "يجهش في بكاء طويل"[٢٤]، هو ذاته الشّعور العميق الذي كشف اغتراب جيوفاني دروغو وغربته بعد أن زار مدينته ومنزله وغرفته بعد سنوات، حيث "العالم كله يعيش دون حاجة إلى جيوفاني دروغو"[٢٥].

وثمّة اختلاف مفارق حضاريّا كذلك، في رسم ظلال العائلة بين السّرديّتين، على نقيض السّائد والمتخيّل بين ثقافة شرقيّة وأخرى غربيّة؛ فبينَما تبرز العائلة بشكل يكشف فعل الزمان وأثره على الذّات في رواية (صحراء التتار)، فإنّه يبدو خافتًا وبلا أثر على مسار الشّخصيّات وتشكّلها وبيان أزماتها في (كمستير)؛ فالأم، نموذجًا، تُبرِزُ فعلَ الزمان وأحابيله على ذات جيوفاني، هذه الأمّ التي كانت "خطواته تصل إليها وهي غائصة في قلب الكرى، صخب الليل لا يكفي لإيقاظها، وقع خطواته وحده كان يوقظها من نومها" [٢٦]، في حين اختفت صورة الأمّ في (كمستير) سوى مرور عابر لامرأة الطّريق في قصّة (وقت مستقطع)، التي تنفق على أمّها

(٢٠) العقيلي، *كمستير*، ٤٩.

(٢١) المرجع السابق، ٩١.

(٢٢) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٥٣.

(٢٣) العقيلي، *كمستير*، ٧٧.

(٢٤) المرجع السابق، ١١٤.

(٢٥) بوزاتي، *صحراء التتار*، ١٦٠.

(٢٦) المرجع السابق، ١٦٣.

الضّريرة، في ملمح اجتماعيّ إنسانيّ تبريريّ لما تفعله المرأة من خرق لا أخلاقيّ.

أمّا تقاطع الرّؤى النّصيّة، فيتجلّى في البنى الدّلاليّة السّطحيّة والعميقة للسّرديّتين، في ضوء مفعول الزمان على الشّخصيات المركزيّة فيه، وآليّة فهمها، وتعاطيها مع المكان؛ ولذلك يتقاطعان في فلسفة المصير، والوعي العميق لحقيقة الانكسار والخسران للذّات في مواجهة الزمان ومروره وانسرابه من دون القدرة على إيقاف مدّه الجارف. وليسَ أدلّ على مشهديّة انكشاف الذّات وخسرانها من كلمتَين متعالقتَين: (كمستير) الزمانيّة، ونموذجها الدالّ في قصة (كمستير) التي تحمل المجموعة عنوانها، قوله أمام حانوت قديم يُعرض فيه رأسه: "أقف أمام رأسي، وأجزم إن كان ثمة رأس تشبهها إلى هذا الحد؛ المطابقة. كما لو كانت حيَّةً.. راعني أن ثمة رأسين: واحدة فوق عنقي، بينما ترتكز الأخرى فوق قاعدة مخملية "[٢٧]؛ ليبلغ بعدها صدمة الوعي الذاتي المفارق، بقوله: "كلهم عرفوني، إلا أنا .. يا للحسرة، لم أعد أعرفني!"[٢٨]؛ وصحراء المكانيّة، ونموذجها الدالّ في الرواية إدراك دروغو أن "كل شيء يفر: الرجال، الفصول، الغيوم، ولم يعد مجديًا التشبث بالصخور، أو المقاومة في أعلى القمة متشبثًا بصخرة ناتئة، تفتح الأصابع المتعبة- يرتخي الساعدان بخمول، يجرفهما تيار النهر الذي يبدو بطيئًا، لكنه لا يتوقف أبدًا...كان دروغو يشعر بهذا التدمير الغامض، وعبثًا يحاول إيقافه، وكانت الساعات تفر قبل أن يتمكن من إحصائها"[٢٩]؛ فالفعلُ (كمستير) يتسلّط على الذّات لحظة انغراسها في صحراء الوهم؛ كذلك يتجلّى التّقاطع بينهما، في انحسار الأحداث ومحدوديتها، ذلك أنّ السّرديّتين بُنيتا على فعل الدّلالة الحادثةِ والمتحوّلة في مرآة الزمان، على شكل مفارقاتٍ صارخة، تتكشّف من خلال جملةِ القبض: كمستير.

وليسَ الاختلافُ الأجناسيّ، مفاهيميًّا، حياديَّ الدّلالة، بل إنّ الفنيّ يتعالق مع الدّلالي، فإذا عددنا القصّةَ، في مفهومها الأجناسيّ، "ذاتَ بِنية مغلقة ومركّزة، بل قل: بِنية تُضاهي بِنية الـمعتقلات"[٣٠]، فإنّ المفاهيميّ والفنيّ للقصّة في مجموعة (كمستير) يتقاطع مع الدّلالي والمركزيّ في فضاء الرّؤية والمكان لـ(صحراء التتار)، وتحديدًا حصن باستياني حاضن الدّلالة، وباعث التّحوّلات، ومرآة السّيرورة للزّمن والشّخصيّات؛ هذا ما أدركه دروغو في مناجاته: "إن بوابة قد أغلقت خلف أكتافنا، لقد أغلق طريق العودة بوجهنا. ... ثم نعي أن الزمان يمر، وأن الطريق سوف تنتهي يوما ما"[٣١]؛ وتقارب شخصية المبدع في قصة (تعايش) عوالم دروغو حدَّ التماثل، في تعجبه وأسئلته: "ما أشدَّ وطأة العزلة التي اخترتها بإرادتي! .. هل من عاقل يختار منفى ليستأنف حياته فيه؟ .. ما زلت على قيد عزلة تتغوّل فيَّ وتلوّن أيامي بقتامةٍ لم أعد أحتملها"[٣٢].

ثانيا: الهُويّة السّرديّة بينَ الزمان والمِرآة.

لا يشكّل الزمانُ، بوصفه عنصرًا وظيفيًّا أو تقنيًّا في ارتباطه الوثيق بالفضاء السّردي: زمن الحكاية، وزمن الخطاب، مركزًا للقراءة هنا، بل تنطلقُ القراءةُ من تأمّل مفردة الزمان في السّرد من وجهة كونه موضوعًا، ما يرتّبُ رؤيتَه من وجهةٍ نفسيّةٍ وفلسفيّة، "تربطُ الزمان بالكينونة"[٣٣]، ولا تُقرأ إلّا بالتّأمّل والإدراك والفهم والتّأويل، لمعرفة أثره على الذّات والعالم في تأمليّة تبادليّة بين الإنسانِ والزمان، فتنفتحُ في السّرد

(٢٧) العقيلي، *كمستير*، ٤٤.

(٢٨) العقيلي، *كمستير*، ٤٨.

(٢٩) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٢٠٨.

(٣٠) أوزوالد، *الأقصوصة*، ٥٠.

(٣١) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٥٣.

(٣٢) العقيلي، *كمستير*، ٥٥.

(٣٣) بدوي، *الزمان الوجودي*، ٢٢.

نافذةٌ لفهم إشكاليّة الزمان والمصير الإنسانيّ؛ تعضّدُهُ المرآةُ، وتبيِّنُهُ، من كونها وجهةَ نظرٍ واقعيّة ورمزيّة وتخييليّة، كاشفةً لتحوّلات الكائن الإنساني ومآلاته. ولا يكون ذلك ممكنًا دون صورة الذّات المتحرّكة في السّرد، ووجودها ليس جوهرًا قائمًا أو معطى ثابتًا بذاته، بل إنّه قائم في الزمان من خلال السَّرد، أعني: تَحَقُّقَ الهُوِيّةِ الشخصية في السرد، من خلال قدرة السّرد على تأليفِ "الخواصّ الدّائمة لشخصيّة ما، وهي ما يمكن أن يسميها المرء هُويّته السّرديّة، ببناء نوع من الهوية الدّينامية المتحرّكة الموجودة في الحبكة، التي تخلق هُوية الشّخصية"(٣٤)، وهذا ما تنطوي عليه سرديتا (صحراء التتار) و(كمستير)، فكلتاهما صاغتا تلك الشّخصيّة المتحرّكة في السّرد، والمسكونة بسؤال الزمان وإشكالاته.

ـ سؤال الزمان:

في مجموعة (كمستير)، ثمّة شخصيّات متنوّعة، يؤسّسها السّرد، ويؤثّث فضاءَها، بما يتواءم مع تكوينها ومعطاها السردي في كلّ قصّة على حدة، غير أنّ هذه الشّخصيات ليست سوى شخصيّة مركزيّة واحدة ذات بعد باطنيّ، تظهر بأشكال وتنويعات مختلفة، إنّها صُوَرٌ للشّخصيّة المركزيّة بتنوّع الأفضية المشكِّلة لعوالمها، وكأنَّ كلَّ قصّة مرآةٌ تعكسُ وجهًا من وجوه تلك الشّخصيّة، التي تتشكّل بوصفها ذاتًا واحدة، تحيك علاقاتٍ مع الذّات بوصفها (الأنا) وآخرَهُ؛ وليس ببعيد من ذات التّصوّر شخصيّة جيوفاني دروغو في (صحراء التتار) ذات البعد الباطنيّ، إذ تحضرُ شخصيّات ماتّي وفيلموري ونيكولاتزي وغيرها كاستباقٍ سرديّ لذات جيوفاني، وتحديدًا شخصيتي الكابتن أورتيز والضّابط مورو، بوصفهما ذوات أخرى للشّخصيّة في مرآة الزمان.

إنّ الشّخصيات في (كمستير) تحضرُ بالصّفة لا بالتّسمية، كجزءٍ من إستراتيجيّة التّعريف بالشّخصيات في المجموعة، إذ حضرت خمسُ شخصيّاتٍ ذاتُ طابع إبداعيّ وصفًا لا تسمية، بما يؤكّد أنّها صورٌ للشّخصيّة المركزيّة كذات متحرّكة في فضاء السّرد، وتتنقلُ من قصّة لأخرى بلبوسٍ مختلفٍ ووجوهٍ متعدّدة، إذ تتأسَّس تلك الشّخصيّةُ بوصفها هُويّةً سرديّةً متحرّكةً وفق خواصّها الذّاتية، محكومةً بالتّوتّر والقلق، في أجواء من الوحدة والعزلة ترافقها مفرداتٌ علائقيّة: الطّاولة، والكتب، والأوراق، والمكتب، والقراءة، والكتابة؛ من ذلك أنّ شخصيّة "المبدع" في تصفية حساب، تتحرك في فضاءٍ فانتازي، إذ تنبثقُ شخصيّة البطل النّصيّ من الخارج، وتقتحم عالم المبدع بصفتها البشريّة، بقولها: "أنا بطلك! من دم ولحم. نعم!" (٣٥)، لكنّ المبدع ينسحب من هذه المواجهة، ليترك لآخرِه أو أناه الأخرى فرصة مواجهة البطل الورقيّ المنبثق لحمًا ودمًا، وفي هذه المواجهة المحكومة بالثّالوث: المبدعِ وقرينِهِ والبطلِ؛ يتعاظمُ السّؤالُ حولَ هُويّة الذّات، ومعرفتها، وآفاقها، لمناقشة أفق الإبداع وأسئلته بين حريّة المبدع وسلطة الرّقيب الدّاخلي، كجزء من مبحث التّعرف على الذّات الـمُبدعة.

إنّ حضورَ القرين سرديًّا، بقول المبدع لحظة مواجهة شخصيّة البطل: "كأنني انفصلت عني. كأن ثالثًا بيننا؛ أنا هو، أو كأنني ثالثٌ بيني وبينه!"(٣٦)؛ يشكّلُ "عنصرًا أساسيًّا في معرفة الذّات وتكوين الوعي الذاتي"(٣٧)، انطلاقًا من كون الوعي الذّاتي مواجهًا حاله، ولا تكون العلاقة إلّا إذا كان المبدعُ هو قرين ذاته، بوصفه المماثل والمشابه لأنا المبدع، فتتعرّف الذّات على ذاتها من خلاله في مواجهة مسكونة

(٣٤) بول ريكور، *الوجود والزمان والسرد*، ترجمة: سعيد الغانمي، الطبعة الأولى، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩)، ٢٦٠.

(٣٥) العقيلي، *كمستير*، ١٥.

(٣٦) المرجع السابق، ١٢.

(٣٧) محمود رجب، *فلسفة المرآة*، الطبعة الأولى، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٤)، ٢٠٣.

بالعذاب والقلق؛ ما يؤكّدُ وعي المبدع بإشكالات الكتابة ورصد علاقة المبدع بالزمان من وجهة وعيه بسيرورته وصيرورته كذات، ورصد قدرة المبدع على إقامة علاقة طبيعيّة مع الذّات والعالم.

وذلك خلافًا لتكوين شخصيّة جيوفاني دروغو، إذ لم تفلح الذّات في إنضاج علاقتها بالآخر، الذي يشكِّل صورتها وأناها، بل ويتعدّى ذلك في المخيال السّرديّ إلى شخصيّة الكابتن أورتيز والضّابط مورلو لتكوِّنا صورةَ قرين جيوفاني، فقد التقى الضّابط جيوفاني القادم من الأكاديميّة الملكيّة بالكابتن أورتيز، الذي قضى هنالك ثمانيةَ عشرَ عامًا وقت اللّقاء، ورغم شعور جيوفاني الحاد بغرابة تجاه العالم، تجاه تلك العزلة، وإخبار أورتيز له بأنّ الخدمة هناك أصبحت نوعًا من أنواع العقاب، وأنّ الحصن يقع "على حدود ميتة، وأنّ التّتار خرافة"[٣٨]، لم يلتقط جيوفاني وقتها أنّه سيكون صورة أورتيز، الذي أمامَه الآنَ بعد أربعينَ عامًا؛ وتحقّقت الصّورة بشكل مفارق، فلمّا غادر جيوفاني الحصن مريضًا في عربة، التقى على ذات الجسر، مكان لقائِه الأوّل بأورتيز، الضّابط مورلو الشّاب، الذي أُرسل للتوّ لحصن باستياني، أدركَ وقتها تَبَدُّلَ الأدوارِ: مورلو صورته في الصّبا البعيد، وهو في صورة أورتيز، عندها "أحسّ أنّه قد أصيب بصدمة، دوي مؤلم قد أصاب روحه، لقد تذكر ذلك اليوم البعيد، الذي كان ينهج فيه صوب الحصن للمرة الأولى وقد التقى فيه بالكابتن أورتيز، بالضبط في النقطة نفسها من الوادي، إنه بالضبط مثل ذلك اليوم.... يتم تبادل الأدوار الآن...حدق جيوفاني بجزع، وهو يشعر بأن قدره قد أفل"[٣٩].

وفي هذه المواجهة المحكومة بالثّالوث: جيوفاني وقرينَيْهِ: أورتيز، ومورو؛ يتعاظم السّؤال حول هُويّة الذّات، التي أخفق فيها القرين أورتيز بوصفه أنا أخرى لجيوفاني من تحقيق الوعي الذّاتي، وليس الأمر في نجاح القرين مورو بذلك، بل إنّ تحقّق معرفة الذّات كآخر احتاج لفاعليّة الزمان، بوصفه مرآةً لحركيّة الذّات في فضائها؛ ما فعّل من هول الصّدمة، التي شكّلت، هنا حقيقة القبض على الذّات، والتعرّف عليها، بمرور دورةٍ حياتيّة قدرُها أربعونَ عامًا، غير أنّ التّعرّف تأخّرَ لوقتِ يقينِ الذّات بحتميّة الرّحيل، إذ هربتِ الصّورةُ الذّاتيّة بمرور الزمان.

وفي قصّتي(مسافة كافية) و(لقاء وحيد)، تحضرُ الشّخصيّاتُ وفقَ إستراتيجيّة الكتابة دون تسميةٍ أو تعيين: زوجٌ وزوجةٌ بينَ الفيض العاطفيّ والتّحوّل للجفاف والبرود في (مسافة كافية)، وهو وهي بين الأمل والتحول لخيبة في (لقاء وحيد)، وفي كلتا القصّتين يشكِّلُ الزمان للذّات، بوصفِهِ "سيولةً ومعطًى مباشرًا في الوجدان"[٤٠]، مختبرَ العاطفةِ من جهة، وصورةً للوعي الذّاتي من جهة أخرى، إذ تنفتحُ (قصّة مسافة) كافية على زوجين كان الشّعرُ والفنُّ والكتابة فاعلًا عاطفيًّا واصلًا بينهما، غير أنّ مختبر الزمان شكّل هُوّة عاطفيّة بينهما، في حركة تردّدِ الزّوجِ بإرسالِ رسالةٍ عاطفيّة للزّوجة، لينتهيَ إلى مرحلة "أعتمت نفسه على شعور باليتم...أدار ظهره لغفوتها ونام"[٤١]؛ بينما شكّل الثّنائي: هو وهي، في (لقاء وحيد) صورة الوعي الذّاتي لفاعليّة الزمان وجريانه، انطلاقًا من كون الوعي رغبةً تتجاوزُ مجرّدَ البقاء والحياة إلى مستوى اجتماعيّ وإنسانيّ، ينزعُ إلى الاعتراف بالآخر والإقرار به، بصفته أنا الأخرى، فقرّرا هو وهي أن يلتقيا، ويتعارفا؛ طردًا للوحشة وهروب العمر، لكنّ الزمان يمارس سطوتَه لتشكيل الـهُوَّة العاطفيّة مجدّدًا، فقد أدركَ هو "أنّها تكبره بما يكفي ليتوقف، وأدركت هي أنّه أصغر بكثير

(٣٨) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٢٠.

(٣٩) المرجع السابق، ٢١٥ – ٢١٦.

(٤٠) هانز ميرهوف، *الزمن في الأدب*، ترجمة: أسعد مرزوق، (القاهرة، نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة، ١٩٧٢)، ١٠.

(٤١) العقيلي، *كمستير*، ٧٧.

ممّا توقعت"[٤٢]؛ وفي القصتين يتضّح أنّ الوعي الذّاتي تكوَّنَ في حالة انفتاح على الآخر، وتشكّلت بين الشّخصيّات هُويّة مطابقة، تؤشّر على فكرة الشّخصيّة المركزيّة في المجموعة من جهة، وتحيل في إحدى صورها إلى مفهوم المصير الجماعيّ من جهة أخرى.

أمّا في (صحراء التتار)، فإنّ شخصيّة جيوفاني دروغو لم تمتثل لشرط تحقّق الوعي الذّاتي من كونه في جوهره، رغبةً في الآخر بصفته أنا، أو الانخراط بشرطه الاجتماعيّ والإنسانيّ، وقد تمثَّلَ في العلاقة الجريحة معَ ماريا شقيقة صديقه فرانشيسكو، فبعدَ أربع سنوات في حصن باستياني التقاها، ورغم أنَّ اللّقاء لم يكن كسابق عهده مُزاحًا وضحكًا، إلّا أنّ أناقتها غير المعتادة، وابتسامتها، وإخباره بفقدانها الرّغبة في السّفر لهولندا لوجوده هنا، لم توقف شعورًا غامضًا بالبرود وخيبة الأمل التي داهمته، لقد كان للزّمن فعله على شخصيّة جيوفاني بخلق الفجوة على الصّعيد النّفسي رغم رغبته بها، فقد طبعه حصن باستياني بطابعه، وانتهى اللقاء بوداعيّة دالّة: "ضغطت ماريا يده بقوة، ترمقه بنظراتها"[٤٣]، وكأنّها تدعوه للبقاء، لكنّهُ انصرف دون أن يرجعَ بنظره للخلف على يقين "أن حنجرته قد غصت بالمرارة"[٤٤].

وفي قصّة (تنازلات)، تبرزُ الشّخصيّة ببعدِها الوظيفيّ زوجًا، له زوجةٌ وأبناء وزملاء عمل ومدير عابس، وليست تسميةُ الشّخصيّة هادي إلا حيلةٌ سرديّة، في استمرار إستراتيجيّة توصيف الشّخصيات لا تسميتها، إذ يقدّم السَّردُ (هادي) بإحدى أحواله، وليسَ اسمُه إلّا حالًا وصفةً طارئتين، ذلك أنّه "تمنّى لو أنّ له من اسمه نصيبًا"[٤٥]، لتظلّ الصّفة إحدى حالات الشّخصيّة المركزيّة في المجموعة؛ ويتمّ بناؤها على المفارقة الضّديّة من بدايتها إلى قفلتها، فالشّخصية تقدّم تنازلات على صعيد الزّوجة، والأبناء، وزملاء العمل، والمدير؛ لكنَّ محاولات الذّات في فهم الآخر، والاستجابة لشروط بناء أفقٍ اجتماعيّ وإنسانيّ تبوء بالفشل الذّريع، فحين بدأ يومَه هادئًا، ومستجيبًا، ومتجاوزًا، ومتنازلًا، انتهى به الأمرُ باكيًا، وذلك في ومضة الكشف والتعرّف والقبض المتمثلةِ في عنوان المجموعة (كمستير)، إذ "يُلقي رأسه بين كفيه قبل أن يجهش في بكاء طويل"[٤٦]؛ إنّ محاولاته في التّعرف على الذّات من خلال آخره، لم تبنَ على سويّة معرفيّة؛ ما أدّى إلى أن تذوب ملامح (الأنا) وتنصهر في (الآخر) ليتحقّق نكران الذّات بأقسى صوره.

وفي ذات السّياق، تنحدر ذات جيوفاني في محاولات بناء فهم الذّات وصيرورتها، في إيقاعٍ مضادٍّ لحركةِ الزمان وسيرورته، فبعدَ أربعة أشهر، وفي رسالة لوالدته كتب: "من الأفضل لي ولوظيفتي أن أبقى بعض الوقت"[٤٧]، وبعد مرور أربع سنوات، ظلّ يؤجّل اتّخاذ قرار مغادرة الحصن، لشعوره "أنه في المحصلة النهائية ما زال شابًا، خمسة وعشرون عامًا"[٤٨]، وبعد خدمة عشرين عامًا، وقد تجاوزه عمرُ الأربعين أدرك أنّه "وحيد في هذا العالم، وشعر أن قدره قد أفل"[٤٩]، وبعد دورة حياة كاملة قدرُها أربعونَ عامًا، وفي ساعة مغادرته الحصن مريضًا، لم ترتسم على وجهه سوى "دموع بطيئة، ومملوءة بالمرارة تنساب على وجنتيه"[٥٠]. وذات القراءة تنسحب على شخصية حمدان في قصّة "خيبة أخرى"، التي انتقلت في مفارقة ضديّة من الأمل إلى الخيبة، فما توهّمه خبرًا يقينًا لم يكُ سوى أمنية في مقالة، بتماثلية شخصيّة

(٤٢) المرجع السابق، ١٤٥.
(٤٣) بوزاتي، *صحراء التتار*، ١٧٢.
(٤٤) المرجع السابق، ١٧٠.
(٤٥) العقيلي، *كمستير*، ١٠٥.
(٤٦) العقيلي، *كمستير*، ١١٤.
(٤٧) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٥٠.
(٤٨) المرجع السابق، ١٩٥.
(٤٩) المرجع السابق، ٢١٥.
(٥٠) المرجع السابق، ٢٤٠.

جيوفاني، فما توهّمه مجدًا ذاتيًا بحرب التتار، لم يك سوى وهم وخديعة ونكران للذّات، وهيمنة شعور غامض بالتّدمير الذّاتي.

كما يمكن قراءةُ استعارةِ السّاعة في قصة (دوار)، بوصفها إسقاطًا شخصيًّا على الذّات، في إدراكها لدورها الوظيفيّ في الحياة، لا بصفةِ الكائن، بل بصفةِ الأداة، لتنتهي إلى درسها، إذ أدركتْ ذلك بقولها: "مهمتي على أي حال بلا نهاية"(٥١)، وهي ذات المهمّة التي طبعت جنود حصن باستياني بأكملهم، وعلى رأسهم جيوفاني بذاته، إذ تهيمن النمطيّة والرّتابة والتّشابه والتّكرار إلى ما لا نهاية في حركة ميكانيكيّة، في أجواء نفسيّة مشحونة بالعبث والسّأم واللّايقين، إذ "يمكن مشاهدة عشرات من الحرس وقد حملوا على أكتافهم بنادق، وهم يروحون ويجيئون بشكل منتظم هنا وهناك، وهم يشبهون آلة الرقاص، كأنهم يشيرون إلى مسيرة الزمان...يوم شبيه بآخر يتكرر"(٥٢).

إنّ الرّؤيتَيْنِ كلتَيْهما، هنا، في الرّواية، وخاصّة في مجموعة (كمستير)، ترسلان إشارةً دلاليّةً مكثّفةً إلى سيطرة ثقافة التّشيّؤ، حيثُ العلاقات تُبنى بين الأشياء، وليس بين الأشخاص، ما يعمّق الشّعور بالتّيه، والضّياع، فتكون الشّخصيّاتُ مجهولةَ الاسم والـهُويّة(٥٣)؛ وتجدر الإشارة إلى البعد الرّمزيّ المتمثل في عدم تمكن جيوفاني "من العثور على ساعة يده"(٥٤)، آن مغادرته المنزل باتجاه الحصن أوّل مرّة، ما يمثّل استباقًا سرديًّا لاختلال مفهوم الزمان وارتباكاته وانعكاساته في ذهنيّة جيوفاني.

ـ سُؤالُ المِرْآة.

تشكّل المرآةُ عنصرًا جوهريًّا لوعي الزمان، وكاشفا لاشتغالاته، بوصفها فعلَ اكتشافٍ للذّات الفردانيّةِ في ظاهريّاتها السّطحيّة وجوانيّاتها العميقة؛ فتؤدّي في واقعيّتها إلى عكس الصّورة الظّاهرة مع خاصيّة القلب، فهي ليست أمينةً ونزيهةً في ذلك، وتؤدّي رمزيّتها من كونها استبطانًا شفيفًا للنّفس البشريّة وتحوّلاتها مع الزمان في المضمر والمعلن، جمالًا وقبحًا؛ وتؤدّي البعد التّخيلي من خلال تدخّل الفهم والوعي في صورة الانعكاس، حيث يكونُ الازدواج تعبيرًا عن هُويّة الذّات واختلافها، عينيّة وغيريّة، لتتشكّل العلاقة بينهما على دينامية فعّالة تقوم على الاختلاف والمغايرة، من هنا يتبين أنّ "الوعي الذّاتي، في جوهره، علاقة بآخر، ولا تكون العلاقة واعية إلّا إذا كان الآخر هو أنا"(٥٥).

وبنيت الشّخصيّة اللّامعيّنة بالتّسمية في قصة (كمستير) على أدوار المرآة وأفعالها الواقعيّة والرّمزيّة والمتخيّلة؛ إذ استهل الرّاوي الذاتي السّرد، بصفته بطلَ القصة، بتأمّل صورته في المرآة بشكل عميق، باستعارة الرّأس للدّلالة على الشّخصيّة في وظيفة واقعيّة للانعكاس، لكنّها تطوّرت من خلال توصيفات الملامح السّلبية، يقول في قصة (كمستير): "إنها رأسي؛ الوجه الناحل الذي ورثته عن جدي، العينان المغروزتان في أعماقه، الأنف المضغوط الباسط قاعدته فوق أرجاء وجنتين ضامرتين، والفم الممتد حتى أطراف الأذنين المنكمشتين بعيدًا.. ما زلت أذكرها بكامل بؤسها الذي رأيتها فيه آخر مرة"(٥٦). وليس هذا التّفحّص والتّدقيق للملامح بريئًا من الدّلالة على حالة الاضطراب والتفكّك النّفسي للشّخصيّة في البعد الرّمزي للمرآة، إذ يستكنه بدوره أغوارَ النّفس، وروح الشّخصيّة المفكّكة، ويحيل على البعد الزمانيّ في اكتشاف المصير المأساويّ للإنسان في صيرورة حياته الذّاهبة

(٥١) العقيلي، *كمستير*، ١٣٧.

(٥٢) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٢١٧.

(٥٣) ميرهوف، *الزمن في الأدب*، ١١٥.

(٥٤) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٦.

(٥٥) رجب، *فلسفة المرآة*، ١٠٣.

(٥٦) العقيلي، *كمستير*، ٣٧- ٣٨.

إلى العدم؛ غير أنّ شخصية البطل في القصّة، تذهب في المرآة إلى حدود طاقتها القصوى في الدّور التّخييليّ، من خلال سردٍ معبَّأ بالفانتازيا، يخدم دور المرآة ووظيفتها، إذْ رأسه فوق عنقه، ومثله معروض للبيع في حانوت، لنقفَ في القراءة عند مشهديّات المرآة والرّأس:

الأولى: أمنية الشّخصيّة بالانسحاب من محيط المرآة، تاركًا صورته فيها: "كم تمنيت أن أنسحب من محيطها تاركًا صورتي فيها"[٥٧]، والثّانية: إخراجه لمرآة صغيرة، ولم يرَ رأسه فيها، بقوله: "لم أجدني، لم أجد رأسي"[٥٨]؛ والثالثة: دهشته بتحسّس رأسه ووجودها فوق عنقه؛ ليبلغَ جدلُ المشاهد الصّدمةَ المفارقةَ في مطلع القصّة، وهو ما يشكّل جملة الكشف والقبض - (كمستير)، بقوله: "كلّهم عرفوني، إلّا أنا... لم أعد أعرفني"[٥٩].

إنّ المشهديّات مصاغة بسرديّة فانتازيّة، تفتحُ للمرآة بعدَها التّخييليّ، ذلك أنّ المشهديّة الأولى، تنفتح على رغبة الذّات في البقاء رهينة المرآة، بما هي أسرٌ للذّات عن الانفتاح على الذّات والآخر، وفخّ الوقوع في قبضة السّكون والعدم؛ ما يجعلُ الشّخصيّة مفتوحةً على فضاءات التّيه والحيرة والرّعب، لتكون أقرب للموت منها للحياة؛ وتتآزر المشهديّة الثّانية والثّالثة في تأكيد خلل التّواصل والاتّصال مع الذّات والآخر، والانفتاح على المشهديّة الجماعيّة والإنسانيّة، ما يمكنُ وصفُه بعدم التّصالح مع الذّات، بل ثمّة عدائيّة تعكس خيباتٍ دفينةً في ماضي الشّخصيّة يؤهّلُها لرفض الذّات والآخر، بما يحقّق راهنيّة العصر الذي تتولّى المجموعة كشفَهُ، حيثُ الفردانيّةُ مريضةُ بالعزلة، والتّيه، والضّياع.

وفي (صحراء التتار)، تتحدّد المشهديّة بالاختلاف والتّماثل: اختلافٍ نسبيٍّ عن أدوار مرآة جيوفاني دروغو وأفعالها، وتماثلٍ نسبيّ في مصير الشّخصيّتين؛ إذ تحضر المرآة في ثلاث مشهديّات، تؤدّي اثنتان منهما البعدَ الواقعيّ والرّمزيّ، وتنفتح الثّالثة على أفقٍ تخييليٍّ، يتكفّل السّرد بعقلنتِهِ؛ فقد ظهرت المرآةُ لأوّل مرّة يومَ مغادرتِه المنزلَ صوبَ حصن باستياني، كان جيوفاني "مثبّتًا نظره في المرآة، لمح ابتسامة مجهدة ترتسم على محياه" [٦٠]، ما يشي بأنّ انعكاسَها الواقعيّ ينفتح على البعد الرّمزي، متمثلًا في مرارة مغادرة بيت الطّفولة والأمومة، متزامنًا مع شعور عميق بأنّه مغادر بلا رجعة، ما يعني أنّ عصيان الابتسامة على الحضور، بطواعيّة وخفّة، تأكيدٌ على بلوغ التّوتّر الدّاخلي ذروته. وبعد أكثر من عشرين عاما، تحضر المرآة في المشهد الثّاني لذات الوظيفة، وذلك عندما كان مريضًا بالكبد، فتراه "محدّقًا بذهول في وجهه، شاحب وذابل"[٦١]، إنّه ذات التّوتّر والقلق باختلاف الظّرف التّاريخي لا أكثر.

أمّا البعد التخييليّ للمرآة، فيحضر في المشهديّة الثّالثة بطاقتِه القُصوى، فلا يظهر في المرآة إلا "الجانب الأيسر من وجهه، كانت الصّورة تظهر دائما ترابيّة ومحفّرة"[٦٢]، ما يعني أنّ هنالك نصفَ وجهٍ في المرآة، بما يؤكّد حالة الانفصال بين الذّات وآخرها، وانعدام الاتّصال والتّواصل بينَهما، وكأنّ النّصفين ينتميانِ لزمنينِ مختلفينِ: زمنِ الذّاكرة، وزمنِ الواقع، بينَ هيمنة الحميميّة والحنين، وسيطرة العدائيّة والأنين، كما أنّ الصّورة المحفَّرة والمغبَّرة تشي بما حلّ بالمرآة ذاتها بفعل الزمان، وما تحمله من رمزيّة لدواخل جيوفاني وذاتيّته؛ لينفتح البعد التّخييليّ على واقعيّة سوداويّة كئيبة. إنّها صورة المنفى، بما هو

(٥٧) المرجع السابق، ص ٤٣-٤٤.

(٥٨) العقيلي، *كمستير*، ٤٧.

(٥٩) المرجع السابق، ٤٨.

(٦٠) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٥.

(٦١) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٢٢٩.

(٦٢) المرجع السابق، ٢٣٣.

واقعيّة المصير الإنسانيّ للذّات المعزولة عن شرطها التّاريخيّ والوجوديّ.

ثمّة تقاطع في الرّؤية المرآوية للجسد، كذلك. فإذا كان الجسدُ، بوصفه "كيانًا حيًّا، ومركزًا للفاعليّة الإنسيّة الواعية، في التّعرّف على الذّات والالتقاء بالآخر"(٦٣)، فإنّه، في انغلاقه على الذّات والآخر، وهيمنة سوء الفهم لطبيعته، يكون مصدرًا لعلاقة الذّات بالآخر. فيتحرّك سرديًّا وفقَ ثالوثِ الرّفض والانتهاك والأفول، فالشّخصية في قصة (كمستير) تحدّق في المرآة، فلا ترى رأسَها رفضًا، وجيوفاني يُعْطَبُ جسدُه أفولًا، ويتكشّف فعل الانتهاك للجسد في السّرديتين بانعدام التواصل بالآخر أو الاتّصال الحميميّ بالأنثويّ شهوةً ورغبةً، بما يؤكّد مآلات الذّوات في حالة من تبدّد الشّخصيّة، وشطب هُويّتها.

أمّا عن عوالم الحلم في السّرديّتين، فتحضرانِ، بوسم الاختلاف الدّلاليّ بينهما، وذلك بمشهديّات فاعلة سيميائيًّا تكشفُ بواطن الشّخصيّة وجوانيّاتها، وتحفر عميقًا في قاعها وأغوارها المظلمة، خاصّة أنّ الحلم عبارة عن "رغبة مقنعة"(٦٤)؛ تعكس مضمرات الشّخصيّة التي تشتغل في دائرة الظّلمة والكتمان، وذلك في قصّة (وجه وأقنعة)، التي وظّفت الموروث الشّعبيّ المتخيَّل عن المكان، فثمّة غرفة قديمة مظلمة ومغلقة بقفل صدئ، من تجرّأ أنْ يحوم حولها أو يقتحمها أصيب بالشّيب والهرم: ضافي، والجنون: رزق، والخرس: شبلي، والعقم: حسنية؛ وليست الغرفة إلا ترميزًا مكثّفًا لعوالم النّفس الدّاخليّة الخفيّة؛ ما يعكس حقيقة صدام الذّات مع رغباتها الدّفينة، التي جوبهت بسلطة القمع والمنع في الفضاء الاجتماعيّ؛ وما يراه أسعد في حلمه أنّه تجرّأ على اقتحام عتمة الغرفة، وعثر على صندوق يخصّه، فلمّا فتحه" انسلت منه أقنعة كثيرة الواحد تلو الآخر"(٦٥)، أقنعة ارتدتها الشّخصية: الخيانة، والكذب، والسّرقة، والنفاق، والغش، والادّعاء، والاحتيال... إنّ حلم الغرفة المظلمة صورةٌ تعتمد التّكثيف لبواطن الشّخصيّة ووجهها الآخر الخفيّ، ما يجعله في حالة انفصال بين المضمَر والمعلَن. ثمّة عالمان يتصارعان، بما يكشف سلبيّة تواصل الذّات مع نفسها، وعجزها عن تحقيق هُويّة سويّة.

وذلك خلافًا لحلم جيوفاني على صعيد الدّلالة النّصية، فقد "رأى نفسه طفلًا يُطل من نافذته صوب نافذة في واجهة قصر، تحفه الجنيات، فيطل زميله في الحصن أنغوستيا بصورته طفلًا...، بينما تظل في النافذة صورة جسد ممدد على السرير، يشبه وجه أنغوستيا"(٦٦). إنّ ما رآه جيوفاني يُقرأ في صورتَيْنِ، الأولى أنّ حلمه بزميله أنغوستيا، يشكّل في الزمان السّرديّ حالة استباق لموت أنغوستيا، الذي تعرّض لإصابة أودت به؛ والثّانية، تأخذ بعدا نفسيًّا لرغبة داخليّة لجيوفاني بالعودة طفلًا، ما يعكس رفض الرّاهن، والعودة بالزمان إلى الوراء، ما يؤكّدُ حالة الصّراع الدّاخليّ من جهة، ويؤول إلى المصير الذي ينتظرُه في حالة استباقٍ سرديّ من جهة أخرى، فالجسد الممدّدُ على السّرير في القصر، الذي يشبه وجه أنغوستيا، ليس إلّا جيوفاني ذاته في نهاية حياته ممدّدًا على سرير في نزل على الطّريق، لما غادر الحصن مريضًا بعد أربعين عامًا.

إنّ الرؤية السّرديّة في علائقية الزمان والمرآة، بين (صحراء التتار) و(كمستير)، تكشفان هُويّات الشّخصيّاتٍ سرديًّا ما بين هُويّة مغلقة ممثلةً بجيوفاني دروغو، وهُويّة إشكاليّة ومتشظّية في مجموعة (كمستير)، إلا أنّهما تتقاطعان في تجسيد صورة إنسان فقد الشّعور بوحدة حياته وهُويّته وشخصيّته، في خلل تواصل واتّصال مع الذّات والآخر، ما

(٦٣) ميشيلا مارازانو، *فلسفة الجسد*، ترجمة: نبيل أبو صعب، الطبعة الأولى، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ٢٠١١)، ١٥٥.

(٦٤) السيد إبراهيم، *التخيل الثقافي ونظرية التحليل النفسي المعاصر*، الطبعة الأولى، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٥)، ١٦.

(٦٥) العقيلي، *كمستير*، ٧١.

(٦٦) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٨٥.

حال دون إدراك ذاتيّته. إنّها الغربة الموحشة، والسّقوط في حالة "الفقدان الأنطولوجي"[٦٧]، بما هو انعدام الجذور التي تربط الإنسان بالعالم الذي يعيش فيه.

ثالثًا: الفَضاء النّصيّ بينَ الحَميميّة والعَدائيّة.

ينهض الفضاءُ، في الممارسة النقديَّة سيميائيًّا، على مقاربة أكثر عمقًا وشموليّةً للخطاب السّرديّ من المكان، إذ يتجاوز مقولة المكان عنصرًا روائيًّا دون أن يستثنيَهُ أو يتجاوزَهُ في شبكة الدّلالة العلائقيّة، بل يستثمرُ ما تحدّد وتجسّد في جغرافية النّصّ والعالم، ويبني عليها رؤيته في قراءة الأبعاد الرّمزيّة والذّهنيّة والتّخيليّة من خلال الفضاء الدّلالي، والنّصيّ، والـمنظوريّ المرتبط بالرّؤية أو الهُويّة السّرديّة، كذلك الفضاء النّفسيّ والاجتماعيّ[٦٨]؛ إنّه يبني رؤية علائقيّة وثيقة للنّسيج السّرديّ، بوصفه عالمًا متخيّلًا موازيًا للعالم الواقعيّ، تمارس فيه الذّات اشتباكاتها. وفق هذه المفاهيميّة، تشكّلَ الفضاءُ السّرديّ لـ(صحراء التتار)، وذلك من خلال جدل الثّنائيّة الصّراعية لشخصية جيوفاني دروغو، هما المدينة بما هي فضاءٌ رَحْبٌ حميميّ أُموميّ، إذ ينضوي فيه بيت الطّفولة؛ والحصن بما هو مكانٌ عدائيّ سالبٌ ذكوريّ، إذ ينطوي على قيم الالتزام المطلق. إنّهما زمنانِ متداخلانِ كرونولوجيًّا ومتفارقانِ نفسيًّا، فالمدينة التي نشأ فيها، ولم تبرحه عوالـمُها تُلحُّ عليه، فهناك "تجاربه السعيدة، البيت المريح، الأصدقاء السعداء،... الطمأنينة المؤكدة للبيت العتيق"[٦٩]؛ أمّا الحصنُ، فإنّه "المكان المجهول، عالم الالتزام المطلق، مع أناس من عرق مختلف، في أرض غريبة"[٧٠]، ثمّة تفارقٌ مكانيّ وزمانيّ ونفسيّ بين شعورينِ، هما: البهجة، والتعاسة، أسهمت الأبعاد السّوسيو ثقافيّة: العائلة، والأخوة، والأصدقاء، في بناء فضاءاته من جهة؛ ولبّت الذّاكرة شرط تمتينه واستمرارِه في السّرد من جهة أخرى، خاصّة أنّ ذهنيّة المقارنة أسّست للذّاكرة برنامج الاستعادة في فضاء النّص، إذْ أدّت الذّاكرة دورًا مركزيًّا في "توالي الصّور المكانية للزّمان، التي تتضخم كلما تقدّم الزمان"[٧١]، في اشتغال دالّ على تصاعد الزمان النّفسي في بواطن شخصيّة جيوفاني ووعيه.

غير أنّ الصّراع الدّاخلي وانعكاسات الفضاء، في سيرورة الزمان، تعدّلان آفاق المسار السّرديّ، لتنسحب المدينة من أداء الأدوار الحميميّة، حيثُ "أخذ هذا العالم يعتبره خارج إطاره"[٧٢]، كذلك ينسحب الحصن من أداء أدوار العدائيّة، إذ تكفّلت سنوات الحصن "بأن تطبعه بميسمها، وأن تحثّه على اختيار قدر جديد"[٧٣]، لتنتقلَ الدّلالة، في بنيتها العميقة وفق مستوى التّضادّ، من التّقابلات إلى العلاقات في المربع السيميائي[٧٤]، للظّفر بالمعنى العميق وتشييده، وفقَ التّرسيمة الآتية:

(المدينة – الحصن)

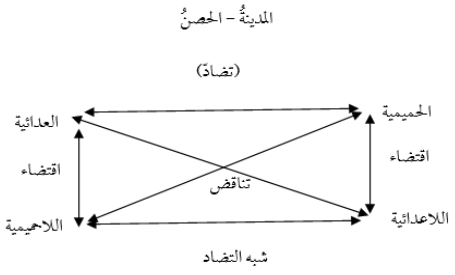

(٦٧) رجب، *فلسفة المرآة*، ٢١٤.

(٦٨) ينظر: حميد لحمداني، *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*، الطبعة الثالثة، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠)، ٥٢-٥٥.

(٦٩) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٥٠.

(٧٠) المرجع السابق، ٢٣.

(٧١) ميرهوف، *الزمان في الأدب*، ١٢.

(٧٢) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٧٢.

(٧٣) المرجع السابق، ٧٢.

(٧٤) ينظر: فيصل الأحمر، *معجم السيميائيات*، الطبعة الأولى، (الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠١٠)، ٢٢٩-٢٣٥.

إنّ المدينة والحصن، كليهما، في تناقلاتهما بين قُطبينِ متضادّينِ، يحسمانِ الجدلَ، بفاعليّة الزمان، في ولادةِ دلالةٍ جديدة، ترتكزُ في علاقةِ شبه التّضاد، ليصبحا معًا في دائرةِ اللّاحميميّة واللّاعدائيّة؛ ومركزُ ثقلها الدّلالي يتكثّف في فضاءٍ نصيٍّ جديدٍ يطويهُما معًا، ويعيدُ إنتاجهما في مشهديّة تراجيديّة، إذْ يصبحُ النُّزُلُ الصَّغيُر الواقعُ في الطّريق ما بين الحصن والمدينة المشهدَ الأخيرَ في حكاية جيوفاني دروغو، لكنَّه مشهدٌ يعمدُ إلى تكثيف الزمان في حيز النُّزُل، خاصّةً في مشهد الأم التي تحيك الجواربَ جوارَ الطّفل الصّغير النّائم، إذ شكّلا استعادةً نفسيّة لزمنه طفلًا، إذْ ربّما مرّ به ضابطٌ مريضٌ ورآه لـمّا كان طفلًا صغيرًا. هذا التّكثيف الزماني الذي مرّ به سابقًا لـمّا التقى الضابط الجديدَ مورلو، هو ما ذكّرَهُ بلقائه أورتيز لـمّا كانَ بعمره. إنّه تكثيفٌ لدائرةِ زمن جيوفاني التي أوشكتْ على الانغلاق، ليقضيَ داخلَ غرفةٍ في نُزُلٍ مَهجور، مدركًا أنّ "أصعب حالات الموت هو عندما يأتينا ونحن في بلد غريب ومجهول فوق سرير أحد النزل ونحن عجائز وقبيحون"[٧٥].

غيرَ أنّ اشتغالات الفضاء في (كمستير)، تنحو صوبَ مسارات مغايرة تبعًا لحركيّة الهُويّة السّرديّة للشّخصيّات؛ فبينَما تختفي الأمكنةُ الحميميّةُ المستقرّةُ طمأنينتُها، وتحتفظُ بعض الأمكنةُ بصيغةٍ ثابتةٍ عدائيّةٍ للذّات، وتستمرُ بمنطوقها السّرديّ في كشف عري الذّات واستلابها ومأسسة اغترابها، كشخصيّة معاصرة، تحت سطوة ثقافة التّشيّؤ، من مثل: قصة (تنازلات) و(لقاء وحيد)؛ فإنّ أمكنة أخرى تشتغل بأفق تضادّ علائقيّ بين الحميميّ والعدائيّ، يتكشّف بتسارعٍ زمنيّ صادم، تنقلهُ الهويّةُ السّرديّةُ عبر جدليّةٍ محكمة إلى مستوى تحت التّضادّ في توليد دلالةٍ جديدةٍ مغايرة، من مثل: قصّة (تصفية حساب) و(تعايش).

في صيغة المكان العدائيّ الثّابتة، تُبْرِزُ شخصيّةُ هادي في قصة (تنازلات) مجسدة ذوبان الذّات في الآخر دون حدود تحرس هويّتها الذّاتية، فيتكّرسُ اغترابُها عن واقعها الثّقافي والاجتماعيّ ذاتًا بلا امتداد أو جذور، إذ أدرك أنّ "الحيطان التي سايرها طلبًا للستر"[٧٦]، لم تكن سوى سجن الذّات عن محيطها؛ وفي ذات السّياق، تتحرّك شخصيتا قصّة (لقاء وحيد)، إذ شكّل المقهى: بوصفه مختبرًا بشريًّا لاكتشاف الفكرة والعاطفة، ومكانًا حركيًّا مليئًا بالنّبض الدّافئ: أفقًا إنسانيًّا لتشاركيّة الحميميّة بين الذّات والآخر، في تواصليّة علائقيّة لـ (هو و هي) لكنّه مارس عدوانيّتَهُ بكسرِ أفقِ انتظارِهما، حيثُ اصطدمتِ العاطفةُ بالفكرة، وتوقّف نبض الدّفء بينهما، لينشرخَ الفضاء تحت سطوة الزمان وسلطته في معادلة الوجود بين زمنين: هو أصغرُ، وهي أكبرُ، لينتصر الفارقُ الزماني لمصلحة عدوانيّة المكان، حيث "وحدته...وحدتها"[٧٧].

أمّا مستوى التّضادّ بين الحميميّ والعدائيّ وتجاذباتهما، فإنّه يتحرّك بمقتضى الوعي الذّاتي لهويّة الشّخصيّة السّرديّة، فالمبدع في قصّة (تصفية حساب) بنى علاقته بالمكان على أفق حميميّ، رغمَ تأثيثه بليل تشرين البارد وظلمة الخارج وشحّ الضّوء الدّاخلي؛ فهي علامات وحدة أكثر من كونها عداءً؛ ذلك أنّ الطّاولة والسّرير علامتان أصيلتان وجوهريّتان في تثبيت الانسجام والوفاق، بما يمنح وصفَ المكان بالحميميّة مشروعيتَه، حتّى إنّه لما أراد فتح الباب للطّارق، وصف عمليّة النّهوض عن السّرير "بالانسلاخ"، بقوله: "انسلخت عن السرير"[٧٨]، بدلالة الالتصاق الاحتمائيّ والعاطفيّ، والطّاولة "تعلوها أوراق مرتبة"[٧٩] ، بدلالة الوفاق والانسجام؛ لكنّ هذا الأفق سرعان ما يتّجه للتّضادّ فور الدّخول الفانتازي لشخصيّة أحد أبطاله الورقيّين وقد تجسّدت أمامه لحمًا ودمًا،

(٧٥) بوزاتي، *صحراء التتار*، ٢٤٥.

(٧٦) العقيلي، *كمستير*، ١١٤.

(٧٧) المرجع السابق، ١٤٦.

(٧٨) المرجع سابق، ١٠.

(٧٩) المرجع السابق، ١٤.

لتشرع الذّات عبر قرينها في نسج فاعليّة المواجهة والمجابهة لتحوّلات المكان إلى أفق عدائيّ، إذ ينفتحُ الوصفُ على مدار الرّعب، إذ تتدلّى "اللمبة من السقف كحبل مشنقة"[٨٠]، ما حدا به إلى ابتلاع لسانه صمتًا وخوفًا؛ ما جعل البعد الحميميّ للغرفة ينتفي جرّاء انسحابها إلى أفق عدائيّ، غير أنّ هذه العدائيّة تنسحب، أيضًا، فور اجتياز شخصيّة البطل المتجسّد لحمًا ودمًا "الباب الذي ما يزال مفتوحًا"[٨١]، لكنّ الغرفة، بذاتها، لا تعودُ لحميميّتها ولا تظلّ على عدائيّتها، بل تنفتحُ على فضاءٍ لا حميميّ ولا عدائيّ في آنٍ واحد، إنّه مستوى ما تحت التّضادّ، لينحسم الجدل بينهما بولادةِ فضاءٍ جديد تخلقُهُ الشّخصيّةُ بوعيها الذّاتي المجابه، إنّه فضاء الطّاولة/ الكتابة، إذ تُسارع الشّخصيّة إلى استعادة مكانها المستباح، لتستلمَ إلى "غواية الكتابة"[٨٢]، بوصفها فعلَ مجابهة.

كما يُطلُّ جدل الحميميّ والعدائيّ بأوضح تجلّياته وأشدّها ضراوةً في قصّة (تعايش)، فالمبدع الذي تنقّل "خلال ثلاث سنوات بين ثلاثين بيتًا وشقة وغرفة"[٨٣] دون أن يجد خصوصيّته في خضم انشغالاته واكتظاظه بعلاقات استنزفتْهُ، يستقرُّ أخيرًا في بيت خاصّ، في اعتراف صريح: "وأخيرًا، أصبح لي بيت، أسكنه ويسكنني"[٨٤]، ذلك أنّ مفهوم البيت تشكّل في وعيه الذّاتي في العزلة عن الآخر، فالبيت وفقَ رؤيته: "أن تكون أنت ملك نفسك"[٨٥]، ما حفّزه أنْ ينجزَ في عشرة أسابيع: قراءة ثلاثة عشر كتابًا، وإنجاز قصتين، وقصيدة طويلة، والتّفكير بمشروع رواية؛ غير أنّ هذه الحميميّة التي شكّلها الفضاء الجديد بدأت بالانسحاب التدريجيّ لشعوره ببطء الأيّام، ووطأة الإحساس بالزمان، فتحوّل البيت إلى صورتين ضدّيّتَيْنِ قاتمتَيْنِ، إحداهما: ذات بعد نفسيّ جنائزيّ، بقوله: "بيتي كأنه يتحول إلى قبر يضيق علي بالتدريج"[٨٦]، والثّانية: تساؤليّة ذات بعد عقليٍّ تأمليٍّ، بقوله: "هل عاقل يختار منفى ليستأنف حياته"[٨٧].

لقد تحوّل الحميميُّ إلى عدائيّ بصورتينِ: القبر والمنفى؛ فكان الحلُّ الأمثلُ فكرة السّاعات والمنبّهات والأجراس، بوصفها كائناتٍ مُضافةً للمكان، وليست هذه المؤشّرات الوقتيّة والصّوتيّة أو الكائنات الأداتيّة إلا حيلة سرديّة لمحاصرة العزلة الذّاتية؛ ولكنّها في بعدها الخفيّ إدراك عميق للشّخصيّة السّرديّة بتجاوز فكرة الوقت الكرونولوجيّ، ليتصاعد إلى أفق تأمليّ مرتبطًا بالخبرة والوعي والوجدان الذّاتي، ذلك أنّ "أشدّ الانبثاقات ديناميّة تحدث في الوجود المكبوت"[٨٨]؛ ما جعله يعي أنّ الزمان علائقيّة بالذّات والآخر في فضاء مفتوح؛ فقد انسحب البيت من جوهر حميميّته إلى حقيقة عدائيّته، لكنَّ العدائية في جوهرها كانت في العزلة والأدوات التي مثّلت له دور الكائنات، وليس في البيت ذاتِه كمكان، ما يجعلُ البيت، الذي يماثلُ حصن باستياني لجيوفاني دروغو، يُقْرَأُ في سياق التّضادّ وشبه التّضاد في المربع السّيميائي على النحو الآتي:

(البيت)

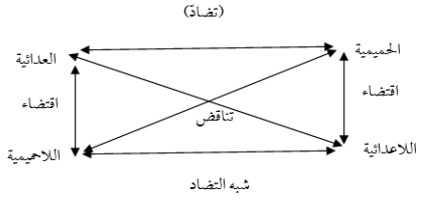

(٨٠) المرجع السابق، ١٨.

(٨١) المرجع السابق، ١٩.

(٨٢) العقيلي، *كمستير*، ١٩.

(٨٣) المرجع السابق، ٥٠.

(٨٤) المرجع السابق، ٤٩.

(٨٥) المرجع السابق، ٥٣.

(٨٦) المرجع السابق، ٥٤.

(٨٧) المرجع السابق، ٥٥.

(٨٨) غاستون باشلار، *جماليات المكان*، ترجمة: غالب هلسا، الطبعة الثانية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٤)، ١١٤.

إنّ البيت في تحوّلاته بين قطبين متضادّين، يحسم الجدلَ، في وعي الشّخصية الذّاتي وتأملاتها وتجربتها المعيشة بحركيّة الزمان وسيلانه، بولادةِ دلالةٍ جديدة، ترتكزُ في علاقةِ شبه التّضادّ، ليصبح البيتُ في دائرةِ اللّاهيميّة واللّاعدائيّة. ومركزُ ثقلِه الدّلاليّ يتكثّفُ في فضاءٍ نصيٍّ جديدٍ يطويه، ويعيدُ إنتاجَه في مشهديّة كوميديّة تعلن عن نفسها بالهروب، إذ يصبح المقهى، بما هو فضاءٌ تعارفيٌّ تشاركيٌّ للكائنات الإنسيّة بالحركةِ والصّوت والحضورِ، المشهدَ الأثيرَ لممارسة الذّاتِ وعيها في مواجهةٍ واعيةٍ لفضاء البيت، وتكونُ من خلال الكتابة، بقولِه: "ها أنذا أكتب قصتي في المقهى"[٨٩].

إن الفضاءات السّردية شكّلت مجتمعةً في السّرديتينِ عالـمًا متخيّلًا موازيًا للعالم الواقعيّ، ومتقاطعًا معه في آنٍ، بل إنّها بنيت على حالة من التّداخل بين الواقعيّ والتخييلي في بنية الحبكة، ومنظور الهُويّة السّرديّة للشّخصيات، غير أنّ الذّات السّردية في فضائها، تباينت بينَ رؤيتينِ، الأولى: رؤية تعكسُ انغلاقها أو انحباسها داخل وجودها الذّاتي في عالم مغلق بلا نوافذ، كما تجلّت في شخصيّة جيوفاني دروغو، حيث سيرورة الشّخصية نحو هُويّة فرديّة ومصير فرديّ متجهةً صوب الموت في حالة تجريد من أبعادها السّوسيو ثقافيّة. والثّانية: رؤية تعكس محاولات جاهدة صوب تحرير الذّات من فردانيّتها وانفتاحها على الآخر في أبعادها السّوسيو ثقافية، في اشتغال أصيل فيه الوجود الذّاتيّ يتّخذ سيرورته من كونه وجودًا تبادليًّا للذّات في الآخر، والآخر في الذّات، في حركيّة مستمرّة صوب هُويّة جماعيّة ومصير جماعيّ، خاصّة أنّ الفضاء السّردي في (كمستير) خلافًا لـ(صحراء التتار)، استند على خاصيّة التّرميز والتّخييل والفانتازيا في طرح الرّؤية السّرديّة للشّخصيّة، في وعي فلسفي يستندُ إلى أنّ "معرفة الذات تأويل"[٩٠]، لتفتح للذّات القارئة فرصة المشاركة الفاعلة في التّلقّي والكتابة.

خاتمة:

كشفت قراءةُ التّوازي، في مقابلتها بين رواية (صحراء التتار) ومجموعة (كمستير) القصصيّة، عن التّشابهات والاختلافات والتّقاطعات بينهما، في علائقية الزمان والمرآة، فأبانت هُويّات الشّخصيّات بين هُويّة منغلقة ممثلةً بجيوفاني دروغو، وهُويّة إشكاليّة ومُتشظّية في مجموعة (كمستير)، إلّا أنّهما تتقاطعان في تجسيد صورة إنسان فقد الشّعور بوحدة حياته وهُويّته وشخصيّته، في خلل تواصل واتّصال مع الذّات والآخر.

أما العنونة في الرواية والقصة، فدخلتا في علاقة زمانية مكانيّة، على صعيد الرّؤية الكليّة للإشكالات الحضارية والإنسانية، بين زمن يتفلّت منه المكان في (كمستير)، ومكان يتفلّت منه الزّمان في (صحراء التتار). بما يقدّم صورة مكثّفة للشّقاء الإنسانيّ؛ من خلال شخصيّات متقاربة في بنيتها السّردية، إذ هيمنت الشّخصية الباطنيّة التّأمليّة على المسار السّردي؛ ما جعل الأحداث قليلة ومحدودة، بل إنّها تقوم في جوهرها على حركيّة الفكرة أو الدّلالة الحادثة؛ كما حضر البعد الفانتازيّ بقوّة في السّرديتين، إذ تشكّل في بنية الشّخصيات في (كمستير)، خاصة في المرايا والأحلام، حيث المخيّلةُ تَستضيفُ الواقعَ؛ بينما نهضت (صحراء التتار) بفكرتها الكليّة على واقعٍ يَستضيفُ الخَيالَ.

وبينما يتشكّل كلّ خطاب وفق خصوصيّة النّوع السّردي قصصيًّا في (كمستير)، وروائيًّا في (صحراء التتار)؛ فإنّ هذه الخصوصيّة تواءَمت في محضن بنيويّ ودلاليّ، حيث التعالق المفاهيميّ والفنيّ للقصّة في مجموعة (كمستير) مع الدّلالي والمركزيّ في فضاء الرّؤية والمكان لـ(صحراء التتار)، وتحديدًا

(٨٩) العقيلي، *كمستير*، ٦٣.

(٩٠) ريكور، *الوجود والزمان والسرد*، ٢٥٤.

حصن باستياني، بما هو الحيّز المؤسّس للفضاء الدّلالي، والباعث للتّحوّلات، والكاشف عن سيرورة الزمان والشّخصيّات. وأبان الفضاء النّصيّ – من منظور الحيّز– في جدل الحميميّ والعدائيّ، عن رؤيةٍ مفارقة بين السّرديّتَيْنِ، بما هو انعكاسٌ للأنماط الثّقافيّة والحضاريّة، بين هُويّة إشكاليّة تجتهد للانفتاح على الذّات والآخر في (كمستير)، حيث تحرير الذّات من فردانيّتها وانفتاحها على الآخر في أبعادها السّوسيو ثقافية، في اشتغال أصيل على أنّ الوجود الذّاتيّ يتّخذ سيرورته من كونه وجودًا تبادليًّا للذّات في الآخر، والآخر في الذّات؛ وهُويّة مغلقة على ذاتها، منحبسة داخل وجودها الذّاتي في عالم مغلق بلا نوافذ، لا يحضرُ الآخرُ في أفقها إلا بوصفِه عدوًّا.

إن هذه الدراسة، إذ توصي الباحثين بعقد مقاربات مقارنة لكشف صورة الذات والآخر في السياقات الثقافية العربية والعالمية، فإنها تطمح إلى فتح المجالات لإجراء دراسات أُخَر، تكشف آثار العوالم السرديّة على القارئ المعاصر ودوره في استشراف قضايا الهوية والوجود.

المصادر والمراجع:

إبراهيم، سيد. *التخيل الثقافي ونظرية التحليل النفسي المعاصر*. الطبعة الأولى، القاهرة :مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٥م.

الأحمر، فوزي. *معجم السيميائيات*. الطبعة الأولى، الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠١٠.

أوزوالد، تيودور. *الأقصوصة*. ترجمة: محمد آيت ميهوب، الطبعة الأولى، تونس، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، ٢٠١٣.

إيكو، أمبرتو. *العلامة: تحليل المفهوم وتاريخه*. ترجمة: سعيد بنكراد، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧.

باشلار، غاستون. *جماليات المكان*. ترجمة: غالب الهلسا، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٤.

باسنيت، سوزان. *الأدب المقارن، مقدمة نقدية*، ترجمة: أميرة نويرة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩.

بدوي، عبد الرحمن. *الزمان الوجودي*. الطبعة الثانية، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٥.

بوزاتي، دينو. *صحراء التتار*. ترجمة: مصطفى الحسون، الطبعة الأولى، القاهرة، دار آفاق للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.

تشاندلر، دانيال. *أسس السيميائية*. ترجمة: طلال وهبة، الطبعة الأولى، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٨.

الخطيب، حسام الدين. *آفاق الأدب المقارن عربياً وعالميا*. الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩.

رجب، محمد. *فلسفة المرآة*. الطبعة الأولى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٤.

رضوان، أحمد شوقي. *مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن*. الطبعة الأولى، بيروت دار العلوم العربية، ١٩٩٠.

ريكور، بول. *الوجود والزمان والسرد*. ترجمة: سعيد الغانمي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩.

رينيه، وليام. *الأدب المقارن: اسمه وطبيعته*، ضمن كتاب مفاهيم نقدية. ترجمة: محمد عصفور، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٠.

الصعيدي، محمد. *شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية*. الطبعة الأولى، عمان، الآن ناشرون وموزعون، ٢٠٢١.

العقيلي، جعفر. *كمستير: مجموعة قصصية*. الطبعة الأولى، عمان، وزارة الثقافة الأردنية، ٢٠١٥.

القللي، محمد. "*مفهوم التوازي وآفاقه: المزيفون بين أندريه جيد ومحمود تيمور نموذجا*". مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، م ٤١، ع ٣، (٢٠١٤)، 902-914.

لحمداني، حميد. *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*. الطبعة الثالثة، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠.

مارازانو، ميشيلا. *فلسفة الجسد*. ترجمة: نبيل أبو صعب، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ٢٠١١.

ميرهوف، هاينريش. *الزمن في الأدب*. ترجمة: أسعد مرزوق، (دون طبعة)، القاهرة، نيويورك، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٧٢.

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ٨٧-١١١، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 87-111, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

إدمان اتصال الإنترنت وعلاقته بتعزيز القلق النفسي لدى الشباب اليمني: دراسة ميدانية

مجيب بن أحمد الشميري

أستاذ الاتصال السياسي المشارك، قسم الإذاعة والتلفزيون، كلية الإعلام، جامعة صنعاء، اليمن.

(قدم للنشر في ٢٨/ ٦/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ١٤/ ١١/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-5

الكلمات المفتاحية: إدمان اتصال الإنترنت، القلق النفسي، الشباب اليمني.

ملخص البحث: سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين إدمان اتصال الإنترنت والقلق النفسي لدى الشباب اليمني، وهي دراسة وصفية مسحية تم تطبيقها على عينة عشوائية شملت (٣٠٠) مفردة من الشباب اليمني ممن تتراوح أعمارهم بين (١٨- ٣٠) عامًا في محيط العاصمة اليمنية صنعاء في الفترة من يناير إلى فبراير من العام ٢٠٢٣، باستخدام مقياسين صممهما الباحث للدراسة، هما: مقياس إدمان اتصال الإنترنت، ومقياس القلق النفسي. وقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بين إدمان اتصال الإنترنت والقلق النفسي لدى الشباب اليمني، وأشارت الدراسة إلى وجود مستوى منخفض من إدمان اتصال الإنترنت، وكذلك من القلق النفسي لدى غالبية أفراد العينة، وتوصلت إلى عدم وجود فروق في إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير النوع، ولكن وجدت فروقًا في إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير العمر لصالح الأقل سنًا، كذلك وجدت فروقًا في إدمان اتصال الإنترنت، وفي مستوى القلق النفسي وفق متغير مستوى التعليم لصالح الأقل تعليما.

Internet Addiction and its Relation to Increased Psychological Anxiety among Yemeni Youth: A Field Study

Mujeeb Ahmed Al-Shamery
Associate Professor of Political Communication, Department of Radio and Television, Faculty of Media, Sana'a University, Yemen.
(Received: 28/ 6/1446 H, Accepted for publication 14/ 11/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-5

Keywords: Internet Addiction, Psychological Anxiety, Yemeni Youth.
Abstract. This study aimed to investigate the relationship between Internet addiction and psychological anxiety among Yemeni youth. It is a descriptive survey study conducted on a random sample of (300) Yemeni youth aged (18-30) years in the capital, Sana'a, during January-February 2023. Two scales designed specifically for this study were used: An Internet addiction scale and a psychological anxiety scale. The study found a significant positive correlation between Internet addiction and psychological anxiety among Yemeni youth. Moreover, the study indicated a low level of Internet addiction and psychological anxiety among most of the sample. The study also found no significant differences in Internet addiction based on gender. However, there were significant differences in Internet addiction based on age, in favor of younger individuals. Additionally, significant differences were found in both Internet addiction and psychological anxiety levels based on education level, in favor of individuals with lower levels of education.

مقدمة:

مثلت ظاهرة الإنترنت الظاهرة الاتصالية الأبرز أواخر القرن الماضي، أما في القرن الحالي فهو القرن الذي تفرد بتكنولوجيا الاتصال الرقمية بلا منازع، بحيث أضحت شبكة الإنترنت بنموها وخدماتها علامة فارقة للقرن الجديد متغلغلة في حياة البشر دون اكتراث للفوارق بين العالم المتقدم وغير المتقدم، فقد فرضت هذه الظاهرة الاتصالية نفسها على كل المجالات بلا استثناء.

وقد انعكست تأثيرات هذه الظاهرة على حياة الإنسان في نواح متعددة، وباتت عنصرًا مسيطرًا وفاعلًا في كل أوجه الحياة البشرية المعاصرة.

إن الإنترنت -بوصفه نظامًا للاتصال يتيح الحصول على المعلومات وتبادلها- يمثل نظامًا خاصًا لم تعهد له البشرية مثيلًا، وقد أصبح من المسلّم به أن للمعلومات أبعادها النفسية بالنسبة للمتلقي، فالعلاقة بين استخدام الإنترنت وتأثيراتها تخضع لمجموعة من الدوافع الإنسانية التي تحكم السلوك الاتصالي لمستخدميها، ولا شك بأن لهذا السلوك الاتصالي تأثيراته النفسية على المتلقي، وتكشف مراجعة التراث العلمي المتاح حول جوانب التأثيرات النفسية لاستخدام الإنترنت عن وجود جهود علمية كبيرة في هذا المجال تعكس اهتمامًا متعاظمًا لدى كثير من المؤسسات العلمية والبحثية بالتأثيرات النفسية للاتصال عبر الإنترنت وإن اختلف حجم الاهتمام بهذه التأثيرات ومستواها من مجتمع إلى آخر.

قد تصبح شبكة الإنترنت في زمن قريب في متناول كل البشر، وبالعودة إلى أحدث تقرير صادر عن الاتحاد الدولي للاتصالات أكبر مؤسسة دولية موثوقة في مجال الاتصال، فإن تقرير قياس التطورات الرقمية يشير إلى أن «ما يقدر بنحو (٥,٣) مليارات شخص يستخدمون الإنترنت في عام ٢٠٢٢، أو ما يقرب من (٦٦٪) من سكان العالم- البالغ عددهم (٨) مليارات شخص- وهذه الزيادة بنسبة (١,٦٪) في عام ٢٠٢١.

ويشير التقرير إلى أن (٧٥٪) من سكان العالم الذين تتراوح أعمارهم بين (١٥-٢٤) سنة يستخدمون الإنترنت مقارنة بـ (٦٥٪) من جميع الفئات الأخرى»[١].

ومع الإقرار بأن تكنولوجيا الاتصال تتوغل في كل فئات المجتمع البشري، لكن انتشارها أكبر لدى الفئات العمرية الأقل، حيث يذكر تقرير السلامة على الإنترنت عام ٢٠١٥ أن «أكثر من ٢٠٪ ممن تبلغ أعمارهم من (٨- ١٨) عامًا في الولايات المتحدة الأمريكية يقضون أكثر من (١٦) ساعة يوميًا على شبكة الإنترنت، أما في العالم العربي فقد كانت نسبة مستخدمي الإنترنت عام ٢٠٠٥ تبلغ (١٪) فقط من نسبة المستخدمين في دول العالم، أما الآن فتصل في بعض البلدان العربية مثل البحرين وقطر والإمارات أكثر من (٩٥٪)»[٢].

ويسلط تقرير ميكر Meeker في الهند الضوء على أن الهنود «يقضون معظم الوقت على هواتف الأندرويد، حيث قضوا ما يقارب من (١٥٠) مليارًا ساعة بين ٢٠٠٤- ٢٠١٦، وقد كشفت صحيفة تايمز أوف إنديا أن الهنود في المتوسط يقضون (٢٠٠) دقيقة يوميًا على الإنترنت»[٣]، وفي اليمن هناك مؤشرات واضحة كذلك على تسارع معدلات استخدام الإنترنت.

لقد أصبح من المسلَّم به أن لتكنولوجيا الاتصال وأدواتها وتطبيقاتها المختلفة أبعادًا نفسية لا يمكن إنكارها، وتبرز شبكة الإنترنت بوصفها أهم أدوات التكنولوجيا الاتصالية، وتُدرس هذه التأثيرات على مستويات متعددة منها ما هو

---

(١) الاتحاد الدولي للاتصالات. "تقرير قياس التطور الرقمي حقائق وأرقام". تم الوصول في ٨ مارس ٢٠٢٣:
https://www.itu.int/hub/publication/d-ind-ict_mdd-2022

(٢) مؤسسة أي سي دي إل العربية. "تقرير السلامة على الإنترنت ٢٠١٥، دراسة بحثية حول سلوك الشباب العربي على الإنترنت والمخاطر التي يتعرضون لها". تم الوصول في ٢٦ إبريل ٢٠٢٣، ٥-٦:
https://drive.google.com/file/d/1AH9W4dDqEcJR0jK5t4gyQY6ilgSdvqmR/view?pli=1

(3) Pragya, Lodha. *"Internet Addiction, Depression, Anxiety and Stress Among India Youth". Indian Journal of Mental Health*,4,5, 2018: 438.

معرفي، ومنها ما هو وجداني، ومنها ما هو سلوكي، وفي إطار التأثيرات الوجدانية للإنترنت تبرز العلاقة بين استخدامات الإنترنت وعلاقتها بالصحة النفسية بوصفه مجالًا علميًا آخذ في الاتساع، وخصوصًا مع ولادة مفهوم شديد الأهمية في عالم الاتصال الإلكتروني يطلق عليه "إدمان الإنترنت" Internet Addiction بوصفه مفهوم يتطور، ويتخذ أبعادًا تتسع باتساع مجال التأثيرات النفسية للاتصال الإلكتروني الحديث.

مشكلة الدراسة:

لا توجد إحصائيات تفصيلية دقيقة عن حجم استخدام الإنترنت في اليمن ، فضلا عن إحصائيات استخدامها لدى الشباب تحديدا، ولكن يشير تقرير مؤشرات الاتصال الصادر عن وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات لعام ٢٠٢١ إلى وجود ما يناهز (٤٠٣) آلاف مشترك في خدمة الإنترنت المنزلي، وما يقرب من (١٠) ملايين مشترك في خدمة الإنترنت عبر الهاتف المحمول(٤)، وهي أرقام تقترب من ثلث عدد السكان تقريبًا؛ مما يعني بتقدير أولي أن نسبة مستخدمي الإنترنت في اليمن ربما تصل إلى (٣٠٪) تقريبًا من حجم السكان، وربما تزيد عن ذلك باعتبار وجود طرق أخرى للحصول على خدمة الإنترنت أبرزها شبكات الإنترنت التجارية المفتوحة، وخصوصًا في ظل ارتفاع عدد مشتركي الهاتف المحمول في اليمن إلى ما يقدر بنحو (١٧) مليون مشترك تقريبا(٥).

ومع توسع استخدامات الإنترنت لدى فئة الشباب اليمني، بفضل تنامي استخدام الهواتف المحمولة الحديثة التي تتيح استخدام الإنترنت بطرق متعددة، ووفق تنوع خدمات الوصول إلى الإنترنت عبر شبكات البث الأرضي ازدادت إمكانية الحصول على خدمة الإنترنت لأوقات طويلة أكثر مما كان عليه الأمر في السابق؛ لذلك فإن هناك تساؤلات ملحة تظل بحاجة إلى إجابة حول تأثيرات الاستخدام المفرط للإنترنت من الشباب اليمني من الجنسين ممن يوصفون بأن لديهم مستوى من إدمان اتصال الإنترنت في ظل ندرة البحوث التي تناولت هذا الموضوع في المجتمع اليمني، ومن ثمَّ تتحدد مشكلة هذه الدراسة في: **قياس العلاقة بين إدمان اتصال الإنترنت ومستوى القلق النفسي لدى الشباب اليمني بالربط بين مقياسين أساسيين ستعتمد عليهما الدراسة هما مقياس إدمان اتصال الإنترنت، ومقياس قلق الإنترنت لاكتشاف العلاقة بين المتغيرين في السياق المجتمعي اليمني.**

لذلك، فإن هذه الدراسة تهدف إلى الإسهام في إمكانية تقييم حدود التأثيرات النفسية المحتملة لاستخدامات الإنترنت وأنواعها، وقياس مستوى هذا الاستخدام لدى فئة مدمني الإنترنت من الشباب الذين لديهم تعرّض غير اعتيادي للإنترنت في ظل ظروف الصراع التي يشهدها البلد التي قد تؤدي إلى خلق مشكلات كبيرة في طبيعة محتوى الإنترنت المقدم عن القضايا والمشكلات الجارية، وهو ما تسعى إليه هذه الدراسة تحديدًا في استكشاف ما إذا كان هناك علاقة بين الاستخدام المفرط للإنترنت في المجتمع اليمني والتأثيرات النفسية السلبية المتعلقة بتعزيز القلق النفسي، التي يمكن أن يعزز وجودها جملة من الظروف والعوامل الاتصالية والمجتمعية في البيئة اليمنية.

---

(٤) وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات. "تقرير مؤشرات الاتصالات". تم الوصول في ١٢يوليو ٢٠٢٣:
https://www.mtit.gov.ye/pdata_info.aspx?PDID=222

(٥) وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات. جريدة الاتصالات،١٣. تم الوصول في ٢٦ مايو٢٠٢٣:
https://www.mtit.gov.ye/cosub media image/196-EtsalatJaridah Issued13_R6HQ.pdf

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في الآتي:

١-الاسهام في دراسة العلاقة بين استخدامات الإنترنت وتأثيراتها السلبية في سياق المجتمع اليمني.

٢-دعم الوصول إلى تعميمات علمية أكثر عمقا حول علاقة إدمان اتصال الإنترنت بالصحة النفسية.

٣-محاولة الوصول إلى بعض الإرشادات والتوصيات للجهات ذات العلاقة عن الطرق الممكنة لترشيد استخدام الإنترنت على المستوى الفردي والجمعي؛ للحد من أضرارها النفسية المحتملة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١-قياس معدلات إدمان اتصال الإنترنت لدى الشباب اليمني.

٢-دراسة مستويات القلق النفسي من إدمان اتصال الإنترنت لدى الشباب اليمني.

٣-اختبار العلاقة بين إدمان اتصال الإنترنت ومستوى القلق النفسي لدى الشباب اليمني.

الدراسات السابقة:

سنعرض فيما يلي مجموعة من الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة، التي تقدم لنا خلفية علمية عامة عن العلاقة بين إدمان الإنترنت والقلق وبعض التأثيرات النفسية الأخرى في بيئات مجتمعية مختلفة، حيث أثبت العديد من الدراسات وجود ظاهرة إدمان الإنترنت بوصفها ظاهرة في المجتمع المعاصر، ومن هذه الدراسات دراسة (الشهري، العشري،) التي توصلت في سياق دراستها لإدمان الإنترنت لدى طالبات جامعة الأميرة نورة في السعودية إلى وجود درجة متوسطة من إدمان الإنترنت لدى الطالبات[٦]، وأشارت دراسة (Hasmujaj) التي أجريت على طلبة جامعة تيرانا في ألبانيا إلى وجود نسبة ضعيفة من إدمان الإنترنت لدى الطلاب[٧]، أما دراسة (Azher) وآخرين التي أجريت على طلاب جامعة سرغودا في باكستان، فقد انتهت إلى وجود إدمان كبير على الإنترنت لدى طلاب الجامعة[٨]، وغيرها من الدراسات التي تؤكد على تنامي ظاهرة إدمان الإنترنت مع الاختلاف في درجة هذا النوع من الإدمان.

وفي جانب رصد العلاقة بين إدمان الإنترنت والقلق النفسي، تتفق تقريبًا كل الدراسات التي تم التوصل إليها على وجود علاقة إيجابية بين إدمان الإنترنت والقلق، ومن هذه الدراسات، دراسة (Gavurouva) وآخرين التي بحثت عن علاقة إدمان الإنترنت بالخصائص الاجتماعية والديموغرافية خلال جائحة كوفيد-١٩ في جمهوريتي التشيك وسلوفاكيا لدى طلاب الجامعات، وأكدت على وجود قلق منخفض لدى الطلاب ناجم عن إدمان الإنترنت[٩]، وأشارت دراسة (Sayed) وآخرين إلى وجود ارتباط قوي بين إدمان الإنترنت والقلق لدى طلاب الصيدلة في المجتمع المصري[١٠]، ومثلها دراسة (الشهري، والعشري) التي أشارت إلى وجود علاقة

---

(٦) أمل الشهري، وولاء العشري. *"إدمان الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية لدى طالبات الجامعة". مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية*، ٢٨، ٢، ٢٠٢٠: ٤٦٢.

(7) Elona, Hasmujaj. "Internet Addiction and Anxiety Among Students of University of Tirana". *European Journal of Education Studies*, 2,4,2016:10

(8) Musarrat Azher & Others. "The Relationship Between Internet Addiction and Anxiety Among Students of University of Saragodha". *International Journal of Humanities and Social Science*,4, 1, January,2014:292

(9) Beata Gavurova & Others. "Internet Addiction in Socio-Demographic, Academic, and Psychological Profile of College Students During the Covid-19 Pandemic in The Czech Republic and Slovakia". *Frontiers in Public Health*, 10,2020:13

(10) Moustafa Sayed & Others. "Internet Addiction and Relationships with Depression, Anxiety, Stress, and Academic Performance Among Egypt Pharmacy Students: A cross-Sectional Designed Study". *BMC Public Health*, 22,2022:5

موجبة بين إدمان الإنترنت وبين القلق والوحدة النفسية لدى طالبات جامعة الأميرة نورة[١١]، وعلى المنوال نفسه أثبتت دراسة (خليوي) وجود علاقة ارتباطية موجبة بين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والقلق لدى طلاب جامعة شقراء في المجتمع السعودي[١٢]، ودعمت دراسة (قدوري) التي بحثت العلاقة بين استخدم الإنترنت والاضطرابات النفسية في جامعة غرداية في الجزائر وجود ارتباط بين إدمان الإنترنت والقلق[١٣].

وأشارت دراسة (Lodha) في الهند عن أثر إدمان الإنترنت على الاكتئاب والقلق والتوتر بين الشباب الهندي إلى وجود علاقة بين إدمان الإنترنت والقلق[١٤]، وكذلك دراسة (Chaudhari) في بحثها للارتباطات النفسية لإدمان الإنترنت لدى طلبة الطب في جامعة ماهاراشترا، التي بينت أن مستويات القلق والاكتئاب كانت عالية لدى الطلاب المدمنين للإنترنت[١٥]. وفي باكستان توصلت دراسة (Azher) وآخرين في جامعة سرغودا إلى أن الاستخدام المفرط للإنترنت يسبب القلق والتوتر بين المستخدمين[١٦]، وأكدت دراسة (Akin) كذلك في جامعة سكاريا في تركيا أن إدمان الإنترنت مرتبط ارتباطًا إيجابيًا بالقلق[١٧]. كل هذه الدراسات تتفق على الربط بين إدمان الإنترنت والقلق العام باستثناء دراسة (Hasmujaj) من بين الدراسات التي تم الوصول إليها التي أوضحت عدم وجود علاقة بين إدمان الإنترنت والقلق لدى طلاب جامعة تيرانا في ألبانيا[١٨].

أما من حيث أنواع خاصة من القلق، كالقلق الاجتماعي، وقلق المستقبل، فتشير الدراسات إلى تفرع ظاهرة القلق بسبب إدمان الإنترنت إلى أنواع فرعية تشي باستفحال قلق الإنترنت، وقد أثبتت دراسة (Baltaci) في بحثها لأثر إدمان الإنترنت على قلق المظهر الاجتماعي لدى طلبة الجامعات والدراسات العليا في كندا وجود علاقة إيجابية بين إدمان الإنترنت وقلق المظهر الاجتماعي لدى الطلاب [١٩] ، وفي دراسة (عبد الرازق) لعلاقة إدمان مواقع التواصل الاجتماعي بالشعور بالوحدة النفسية لدى طلبة جامعة نجران، توصلت الدراسة إلى وجود علاقة موجبة بين إدمان مواقع التواصل الاجتماعي وسمات القلق الاجتماعي[٢٠]، وتؤيدها دراسة (عدوي، والبهنساوي) على طلاب جامعة أسيوط في مصر، التي خلصت إلى وجود علاقة بين إدمان الفيسبوك والقلق الاجتماعي والضبط الانفعالي[٢١].

(١١) الشهري، والعشري. "إدمان الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية لدى طالبات الجامعة"، ٤٦٧

(١٢) أسماء خليوي. "الاضطرابات النفسية المرتبطة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى طلبة الجامعة" . *مجلة العلوم التعليمية والنفسية*، الجامعة الإسلامية في غزة، ٢٥، ٤، ٢٠١٧: ٩٠.

(١٣) يوسف قدوري. "إدمان استخدام الإنترنت وعلاقته ببعض أعراض الاضطرابات النفسية" . *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر*، ١٩، يونيو، ٢٠١٥: ٢٨٠.

(14) Lodha, "Internet Addiction, Depression, Anxiety and Stress Among India Youth", 427

(15) Bhushan L. Chaudhari & Others. "Psychological Correlates of Internet Addiction: Association with Depression and anxiety". *International Journal of Current Medical and Applied Sciences*, October,2015: 36

(16) Azher & Others. "The Relationship Between Internet Addiction and Anxiety Among Students of University of Saragodha", 292

(17) Ahmet Akin & Murat Iskender. "Internet Addiction and Depression, Anxiety and Stress". *International Online Journal of Educational Sciences*, 3, 1,2011: 38

(18) Hasmujaj. "Internet Addiction and Anxiety Among Students of University of Tirana", 6

(19) Umay Baltacı & Others. "The Relationships Between Internet Addiction, Social Appearance Anxiety and Coping with Stress". *International Education Studies*, 14, 5,2012: 135

(٢٠) أسامة عبد الرازق. "إدمان وسائل التواصل الاجتماعي وعلاقته بالشعور بالوحدة النفسية وسمات القلق الاجتماعي لدى طلاب الجامعة" . *المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، ١٤، ٢٠٢٠: ٢٢٩.

(٢١) طه عدوي، وأحمد البهنساوي. "القلق الاجتماعي والضبط الانفعالي كمؤشرين للتنبؤ بإدمان الفيسبوك في ضوء المتغيرات الديمغرافية لدى طلاب الجامعة" . *المجلة المصرية للدراسات النفسية*، ٢٧، ٩٦، ٢٠١٧: ١٨٦.

ومن حيث قلق المستقبل، أظهرت دراسة (Al-Baddai & Al-Abyadh,) حول قلق المستقبل لدى طلاب الجامعات في اليمن وجود مستوى عال من قلق المستقبل لدى الطلاب، ويأتي القلق السياسي في المرتبة الأولى ثم القلق الاجتماعي [٢٢]، وكذلك أيدت دراسة (الأبيض) التي أجريت على طلبة جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز في السعودية وجود علاقة ارتباطية موجبة بين إدمان الإنترنت وقلق المستقبل لدى الطلبة [٢٣] ، وبينت دراسة (أبو جدي، بني يونس) التي أجريت على طلبة جامعة عمان في الأردن تعدد مظاهر القلق من إدمان الإنترنت، مثل: انقطاع الاتصال، والخوف من الفيروسات، والبطء في الوصول، والخوف على البيانات من الأشخاص الأخرين[٢٤].

وبينت الدراسات وجود اختلاف فيما بينها حول وجود أو عدم وجود فروق بين المبحوثين في مستوى إدمان الإنترنت أو في مستوى القلق الناجم عنه، وقد بينت دراسة (عبد الرازق)[٢٥]، ودراسة (قدوري)[٢٦] وجود فروق بين الطلبة في إدمان وسائل التواصل الاجتماعي وسمات القلق الاجتماعي لصالح فئة الطالبات، في الوقت الذي توصلت فيه دراسة (خليوي) [٢٧] ودراسة (Hasmujaj)[٢٨] إلى وجود فروق في مستوى القلق من استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وفق النوع لصالح الذكور، بينما أظهرت دراسة (الأبيض) وجود فروق بين المبحوثين في مقياس قلق المستقبل وفق متغير المستوى الدراسي لصالح المستوى الدراسي الأدنى[٢٩]، وأشارت دراسة (الشهري، والعشري) إلى وجود فروق في درجة إدمان الإنترنت بين الطالبات وفق السن لصالح الأقل سنًا، والتخصص لصالح العلوم التطبيقية مقارنة بالعلوم الإنسانية[٣٠].

وهناك دراسات أخرى أشارت إلى عدم وجود فروق بين المبحوثين في إدمان الإنترنت أو في القلق الناتج عنه، مثل دراسة (Nowak) وآخرين التي أكدت عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في استخدام الإنترنت المرضي[٣١]، ومثل ذلك دراسة (Lodha)[٣٢] ودراسة (أبو جدي، وبني يونس)[٣٣]، وكذلك دراسة (Al-Baddai & Al-Abyadh) في عدم وجود فروق في المستوى الكلي لقلق المستقبل وفق متغير النوع[٣٤]. أما دراسة (بشبش) فلم تثبت أي فروق في إدمان الإنترنت ولا في الوحدة النفسية بين المبحوثين وفق متغيرات

(22) Nasser Al-Baddai1 & Mohammed Al-Abyadh "Future Anxiety Among University Students in Light of Corona Pandemic and War in Yemen". *Clinical Schizophrenia Relate Psychoses*, 15,2012: 10

(٢٣) محمد الأبيض. "إدمان الإنترنت وعلاقته بقلق المستقبل لدى عينة من طلاب جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز" . *مجلة الإرشاد النفسي*، جامعة عين شمس، ٦١، يناير، ٢٠٢٠: ٣٥١

(٢٤) أمجد أبوجدي، ومحمد بني يونس. "قلق الإنترنت وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى طلبة جامعة عمّان الأهلية" . *مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية*. الجامعة الأردنية، ٣٥، ٢٠٠٨: ٤٤٧

(٢٥) عبد الرازق. "إدمان وسائل التواصل الاجتماعي وعلاقته بالشعور بالوحدة النفسية وسمات القلق الاجتماعي لدى طلاب الجامعة"، ٢٣٠.

(٢٦) قدوري. "إدمان استخدام الإنترنت وعلاقته ببعض أعراض الاضطرابات النفسية"، ٢٨٣.

(٢٧) خليوي. "الاضطرابات النفسية المرتبطة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى طلبة الجامعة"، ٩٥

(28) Hasmujaj. "Internet Addiction and Anxiety Among Students of University of Tirana", 9.

(٢٩) الأبيض. "إدمان الإنترنت وعلاقته بقلق المستقبل لدى عينة من طلاب جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز"، ٣٥٦.

(٣٠) الشهري، والعشري. "إدمان الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية لدى طالبات الجامعة"، ٤٦٤.

(31) M. Nowak. "Seeking Relationships Between Internet Addiction and Depressiveness, Daytime Sleepiness, as Well as Perceived Social Support in Young Adults". *European Review for Medical and Pharmacological Sciences*, 26,2022:1374

(32) Lodha. "Internet Addiction, Depression, Anxiety and Stress Among India Youth", 427

(٣٣) أبوجدي، وبني يونس. "قلق الإنترنت وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى طلبة جامعة عمّان الأهلية" ، ٤٤٩.

(34) Al-Baddai1 & Al-Abyadh. "Future Anxiety Among University Students in Light of Corona Pandemic and War in Yemen", 10.

النوع أو العمر أو المستوى الدراسي[٣٥]. ولا فروق في إدمان الفيسبوك وفي القلق الاجتماعي والضبط الانفعالي وفق متغيرات النوع أو الإقامة أو التخصص كما تشير دراسة (عدوي، والبهنساوي)[٣٦].

وختامًا، فإنه يتضح من استعراض هذه الدراسات ما يلي:

أولًا: غلبة اتجاه هذه الدراسات نحو تفسير إدمان الإنترنت من خلال العوامل النفسية المحيطة بالفرد، وبالتالي ركزت على متغيرات مثل الشخصية والسمات والقلق والاكتئاب والوحدة والعزلة النفسية والاجتماعية وغيرها في سعيها لتبرير وتفسير ظاهرة إدمان الإنترنت.

ثانيًا: وجود اتجاه آخر في هذه الدراسات يعترف بأن دراسة ظاهرة إدمان الإنترنت في علاقتها ببعض المتغيرات إنما هي علاقة ثنائية الاتجاه وليست أحادية، بمعنى أن لإدمان الإنترنت علاقة بوجود تأثيرات نفسية واضحة له على المدمنين، فهو سبب للقلق الذاتي والاجتماعي والاكتئاب والاتجاهات والمشاعر السلبية، وبالتالي، فإن إدمان الإنترنت يمكن أن يكون متغيرا مستقلا أيضا وليس متغيرا تابعا دائما.

ثالثًا: اتجاه أغلب الدراسات إلى الاعتماد على المنهج الوصفي المسحي، وقلة الدراسات التي تستخدم المنهج التجريبي أو شبه التجريبي أو دراسة الحالة في دراسة موضوع إدمان الإنترنت وتأثيراته، وهو قصور في المنهج ربما أعاق الوصول إلى نتائج أكثر دقة حول الظاهرة.

رابعًا: وجود قدر كبير من الاعتماد على أدوات ومقاييس لإدمان الإنترنت والمتغيرات المتعلقة به كالقلق والاكتئاب والوحدة النفسية وغيرها يسودها التكرار والتشابه وربما التقادم بما يطرح تساؤلات حقيقية حول مدى كفاءة هذه الأدوات والمقاييس العلمية المستخدمة لدراسة ظاهرة إدمان الإنترنت على الرغم من تغير السياقات الزمانية والمكانية.

وسوف تستفيد هذه الدراسة قطعا من توظيف هذه الدراسات في مناهجها ومتغيراتها وأدواتها ومقاييسها في تطوير منهجيتها البحثية وأدواتها عملا بمبدأ التراكم العلمي.

تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

١-ما مستويات إدمان اتصال الإنترنت لدى الشباب اليمني؟

٢-ما العلاقة بين إدمان الإنترنت ومستوى القلق النفسي لدى الشباب اليمني؟

٣-هل هناك فروق بين الشباب اليمني في مستوى إدمان الإنترنت والقلق النفسي الناجم عنه؟

فروض الدراسة:

تقوم الدراسة على الافتراضات التالية:

١-توجد علاقة ارتباطية إيجابية بين إدمان اتصال الإنترنت ومستوى القلق النفسي لدى الشباب اليمني.

٢-توجد فروق في إدمان الشباب اليمني لاتصال الإنترنت وفق متغيرات (النوع، العمر، المستوى التعليمي).

٣-توجد فروق في مستوى القلق النفسي لدى الشباب اليمني من إدمان اتصال الإنترنت وفق متغيرات (النوع، العمر، المستوى التعليمي).

منهجية الدراسة وأدواتها:

تنتمي الدراسة إلى مجموعة الدراسات الوصفية المعتمدة Descriptive على منهج المسح بالعينة Survey لوصف

(٣٥) صبا بشبش. *إدمان الإنترنت وعلاقته بالاكتئاب والوحدة النفسية لدى طلبة الجامعات في قطاع غزة*، *رسالة ماجستير*، قسم الصحة النفسية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٨، ٩٠-٩٧.

(٣٦) عدوي، والبهنساوي. "القلق الاجتماعي والضبط الانفعالي كمؤشرين للتنبؤ بإدمان الفيسبوك في ضوء المتغيرات الديمغرافية لدى طلاب الجامعة"، ١٧٩.

الظاهرة من خلال البيانات التي سيتم جمعها، وتستخدم هذه الدراسة الوصف الكمي التحليلي للبيانات بغرض الوصول إلى النتائج المطلوبة ودلالاتها.

مجتمع الدراسة والعينة:

يتحدد مجتمع هذه الدراسة بمجتمع الشباب اليمني من الجنسين، ولذلك عمدت الدراسة إلى اختيار عينة عشوائية من الشباب اليمني من مناطق مختلفة من العاصمة اليمنية صنعاء، ممن تتراوح أعمارهم بين (١٨ – ٣٠) عاما متجاوزة فئة المراهقين، ومن ثمَّ فهي تستهدف فئة الراشدين من الشباب، وقد تم اختيارهم للتطبيق بطريقة عشوائية تعتمد على الإطار الجغرافي، وقد بلغ حجم العينة النهائي (٣٠٠) مفردة، وكان (١٥٤) منهم من الذكور و (١٤٦) من الإناث.

أدوات الدراسة:

اعتمدت الدراسة على أداة الاستبانة التي تضمنت عددًا من الأسئلة الأولية حول استخدام الإنترنت والمواقع المستخدمة ودوافع الاستخدام، إضافة إلى البيانات الديموغرافية للمبحوثين، كما تضمنت أداة الدراسة مقياسين من تصميم الباحث هما مقياس إدمان اتصال الإنترنت، ومقياس القلق النفسي، وقد تم تصميمهما بالاستناد إلى مراجعة العديد من المقاييس المستخدمة في دراسات سابقة، منها فيما يخص مقياس إدمان الإنترنت، اختبار يونج المترجم لإدمان الإنترنت، ومقياس كابلان لاستخدام الإنترنت، ومقياس إدمان الإنترنت لحسام الدين عزب، ومجموعة أخرى من المقاييس الواردة في الدراسات السابقة، وفيما يخص مقياس القلق النفسي تم مراجعة عدد من المقاييس من أهمها مقياس تايلور للقلق، ومقياس تايلور للقلق الصريح، ومقياس بيك للاكتئاب، ومقياس هوبكنز للقلق والاكتئاب ومقياس هاملتون للقلق، وغيرها من المقاييس الواردة في الدراسات السابقة، التي أفادت الباحث في بناء مقياسي الدراسة.

-مقياس إدمان اتصال الإنترنت:

وهو مقياس قام الباحث بتصميمه بما يتلاءم مع طبيعة البيئة اليمنية والفئة العمرية لعينة الدراسة، ويتكون من (٢٠) عبارة تقيس الأبعاد المختلفة من إدمان اتصال الإنترنت، وهو مقياس خماسي تتوزع فيه إجابة المبحوث على خمسة بدائل من الأدنى إلى الأعلى وهي: (دائما – غالبًا – أحيانًا – نادرًا – لا)، ويأخذ القيم من (١ – ٥) من الأدنى إلى الأعلى، ومن ثمَّ تتراوح درجات المقياس بين (٢٠ – ١٠٠) درجة.

-مقياس القلق النفسي:

وهو أيضا مقياس تم تصميمه من قبل الباحث، ويتكون من (٢٠) عبارة تقيس أبعاد القلق النفسي المختلفة المتوقعة من إدمان اتصال الإنترنت، ويعتمد على طريقة التقسيم الخماسي بنفس طريقة مقياس إدمان اتصال الإنترنت، وبالتالي تتراوح درجاته أيضا بين (٢٠ – ١٠٠) درجة.

الصدق والثبات:

اعتمدت الدراسة على عدد من الإجراءات لتحقيق الصدق تتضمن الإجراءات التالية:

-الصدق:

تستند إجراءات الصدق في الدراسة إلى إجراءين قام بهما الباحث، الأول كان لتحقيق الصدق الظاهري في أداة الدراسة ومقياسيها، وذلك من خلال تحكيم الأداة لدى عدد من المحكمين الأكاديميين المختصين في مجال علم النفس وفي المجال الإعلامي(*)، وتم تعديل الأداة بناء على ملاحظات

* أسماء المحكمين وفق الترتيب الأبجدي وهم:

١- إلهام الإرياني، الأستاذ المشارك بقسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة صنعاء، اليمن.

المحكمين. كذلك تم تحقيق الصدق البنائي بإجراء اختبار ارتباط عبارات المقياسين بالدرجة الكلية للمقياس باستخدام معامل ارتباط بيرسون، الذي كانت نتيجته كما هو مبين في الجدولين التاليين:

جدول رقم (١) يبين ارتباط العبارة بالدرجة الكلية لمقياس إدمان اتصال الإنترنت

رقم العبارة	قيمة معامل بيرسون	مستوى الدلالة	رقم العبارة	قيمة معامل بيرسون	مستوى الدلالة
١	٠,٦١٦	٠,٠٠٠	١١	٠,٦٥٩	٠,٠٠٠
٢	٠,٧٣١	٠,٠٠٠	١٢	٠,٥٢٥	٠,٠٠٠
٣	٠,٦٣٦	٠,٠٠٠	١٣	٠,٤٤٩	٠,٠٠٠
٤	٠,٦٧٤	٠,٠٠٠	١٤	٠,٦٦٤	٠,٠٠٠
٥	٠,٦٢٢	٠,٠٠٠	١٥	٠,٥٤٢	٠,٠٠٠
٦	٠,٦٧٧	٠,٠٠٠	١٦	٠,٧٥٣	٠,٠٠٠
٧	٠,٦٧٤	٠,٠٠٠	١٧	٠,٤٩٠	٠,٠٠٠
٨	٠,٥٦١	٠,٠٠٠	١٨	٠,٦١٩	٠,٠٠٠
٩	٠,٦٥٧	٠,٠٠٠	١٩	٠,٦٤٧	٠,٠٠٠
١٠	٠,٦٤٤	٠,٠٠٠	٢٠	٠,٧٧٨	٠,٠٠٠

باستخدام معامل ارتباط بيرسون لقياس الصدق البنائي (Construct Validity) لمقياس إدمان اتصال الإنترنت بحساب ارتباط العبارة بالدرجة الكلية للمقياس، تراوحت قيم معاملات الارتباط بين (٠,٧٧٨) و(٠,٤٤٩)، وجميع معاملات الارتباط كانت دالة إحصائيًا عند مستوى أقل من (٠,٠٥)، مما يعني اتساق المقياس وصدق بنوده في القياس.

جدول رقم (٢) يبين ارتباط العبارة بالدرجة الكلية لمقياس القلق النفسي

رقم العبارة	قيمة معامل بيرسون	مستوى الدلالة	رقم العبارة	قيمة معامل بيرسون	مستوى الدلالة
١	٠,٥٣٢	٠,٠٠٠	١١	٠,٦٤٩	٠,٠٠٠
٢	٠,٦٥٦	٠,٠٠٠	١٢	٠,٧٢٥	٠,٠٠٠
٣	٠,٥٤١	٠,٠٠٠	١٣	٠,٦٤٠	٠,٠٠٠
٤	٠,٦٠٤	٠,٠٠٠	١٤	٠,٥٤٧	٠,٠٠٠
٥	٠,٦٦٦	٠,٠٠٠	١٥	٠,٥٩٦	٠,٠٠٠
٦	٠,٦٦٥	٠,٠٠٠	١٦	٠,٣٧٩	٠,٠٠٠
٧	٠,٦١٧	٠,٠٠٠	١٧	٠,٥٨٩	٠,٠٠٠
٨	٠,٦٨٢	٠,٠٠٠	١٨	٠,٥٣٧	٠,٠٠٠
٩	٠,٥٩٨	٠,٠٠٠	١٩	٠,٤٩١	٠,٠٠٠
١٠	٠,٧٤٧	٠,٠٠٠	٢٠	٠,٦٣٠	٠,٠٠٠

يتضح من الجدول السابق أن قيم معامل بيرسون لقياس الصدق البنائي (Construct Validity) لمقياس القلق النفسي من الإنترنت تراوحت بين (٠,٧٤٧) و(٠,٣٧٩)، وهي قيم تدل على صلاحية العبارات وارتباطها بالدرجة الكلية للمقياس وعند مستوى معنوية (٠,٠٠٠)، وهو ما يعني صلاحية المقياس وصدق بنوده في القياس.

-الثبات:

اعتمدت الدراسة على إجراءين لتحقيق الثبات هما إجراء إعادة الاختبار (Test- Retest)، ومعامل الثبات ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha)، وبالنسبة لإعادة الاختبار فقد تم إجراؤه على عينة من المبحوثين أنفسهم مثلت نسبة (١٠٪) أي ثلاثين مبحوثًا بعد مرور أسبوعين من التطبيق الأول، وكانت نسبة الثبات تساوي (٨٣,٣٪)، وهي نسبة

٢- عبد الغني الحاوري: الأستاذ المشارك بمركز الإرشاد التربوي والنفسي، جامعة صنعاء، اليمن.

٣- عبد الله التميمي: أستاذ الإعلام الأسبق، جامعة عجمان.

٤- عادل البنا: أستاذ ورئيس قسم علم النفس التربوي وعميد كلية التربية الأسبق، بجامعة دمنهور، مصر.

٥- عادل خضير: الأستاذ بقسم الإعلام والسياحة والفنون، جامعة البحرين.

٦- علي الطارق: الأستاذ بقسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة صنعاء.

٧- محرز غالي: الأستاذ بقسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، مصر.

ثبات عالية تدل على صلاحية الأداة للتطبيق. أما معامل ثبات ألفا كرونباخ فقد كانت نتائجه كما في الجدول التالي:

جدول رقم (٣) يبين قيمة معامل ثبات ألفا كرونباخ لمقياسي إدمان اتصال الإنترنت والقلق النفسي

المقياس	عدد الفقرات	قيمة معامل ألفا
إدمان اتصال الإنترنت	٢٠	٠,٩٢
القلق النفسي	٢٠	٠,٩١

يشير الجدول إلى أن قيمة ثبات معامل ألفا كرونباخ لمقياس إدمان اتصال الإنترنت كانت (٠,٩٢) ولمقياس القلق النفسي (٠,٩١)، وهي نسب ثبات عالية تدل على وضوح وصلاحية المقياسين للتطبيق.

المعالجة الإحصائية:

استخدمت الدراسة العديد من المعالجات الإحصائية، في مقدمتها التكرارات والنسب البسيطة، إضافة إلى المتوسطات والانحرافات المعيارية، ومعامل ارتباط بيرسون، ومعامل ألفا كرونباخ للثبات، واختبار (T-test) للفروق بين مجموعتين، واختبار (ANOVA) للفروق بين أكثر من مجموعتين، وكان اعتبار مستوى المعنوية في الدراسة دالا عند (٠,٠٥) فأقل.

تعريفات إجرائية:

تستند الدراسة إلى مفهومين أساسيين تحدد لهما التعريفين التاليين:

١-إدمان الإنترنت:

وهو حالة من الاستخدام المفرط للاتصال بالإنترنت يتجاوز الحد الطبيعي والمعقول للاستخدام، ويعبر عنه إجرائيًا في الدراسة بالدرجة الكلية التي يحصل عليها المبحوث من إجمالي درجات عبارات مقياس إدمان الإنترنت الذي تعتمد عليه الدراسة.

٢-القلق النفسي:

وهو ذلك الاضطراب النفسي الذي يحدث للفرد والناجم عن إدمان اتصال الإنترنت وله مظاهر متعددة مثل التوتر والخوف والضيق وغير ذلك، ويعبر عنه إجرائيا في الدراسة بالدرجة الكلية التي يحصل عليها المبحوث من إجمالي درجات عبارات مقياس القلق النفسي الذي تعتمد عليه الدراسة.

الإطار النظري:

إدمان الإنترنت:

تشير المصادر إلى أن بدايات الإشارة لإدمان الإنترنت «تعود إلى الطبيب النفسي الأمريكي إيفان جولدبيرج Ivan Goldberg، لكن الاستعمال لمصطلح الإدمان على الإنترنت كان لأول مرة من طرف الدكتورة كمبيرلي يونج Kemberly Young، وهي أستاذة في علم النفس بجامعة بيتسبرغ، حيث قدمت دراستها الأولى عنه عام ١٩٩٦من خلال مجريات المؤتمر المائة وأربعة لجمعية علماء النفس الأمريكية APA بتورنتو»[٣٧].

وهناك تعريفات متعددة له، أهمها: تعريف الجمعية الأمريكية للطب النفسي بصفتها جمعية متخصصة في هذا المجال، وتعرف إدمان الإنترنت بأنه: «اضطراب يظهر حاجة سيكولوجية قسرية نتيجة عدم الإشباع من استخدام الإنترنت»[٣٨]. أما من حيث المحكات أو الأبعاد التشخيصية لإدمان الإنترنت، يشير جيكينباخ Gakhenbach إلى أن أي سلوك يتميز بالمحكات الستة التالية يمكن اعتباره إدمانًا وهي[٣٩]:

(٣٧) قدوري. "إدمان استخدام الإنترنت وعلاقته ببعض أعراض الاضطرابات النفسية"، ٢٧٤.

(٣٨) حمودة سليمة. "الإدمان على الإنترنت اضطراب العصر". *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، الجزائر، ٢١، ديسمبر،٢٠١٥: ٢١٦.

(٣٩) نسيبة طباس، وخديجة ملال. "الإدمان على الإنترنت لدى الطلبة الجامعيين". *مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية*، ٥، ١، يونيو،٢٠٢١: ٣٨٩.

١-البروز: أي أن يكون السلوك سمة بارزة ويصبح أهم أنشطة الفرد.

٢- تغير المزاج: نتيجة افتقاد هذا السلوك.

٣-التحمل: زيادة مقدار السلوك للحصول على نفس الأثر.

٤-الانسحاب: الأعراض الانسحابية في السلوك.

٥-الصراع: بين هذا السلوك وأنشطة الحياة الأخرى.

٦-الانتكاس: الميل للعودة مرة أخرى لهذا النشاط.

أما وولترز Walters فيضع المحكات التالية لتشخيص الاستخدام الإدماني للإنترنت إكلينيكيا، وهي[٤٠]:

١-الانسحاب والانعزال عن الأسرة والأصدقاء.

٢-الانشغال الزائد بالإنترنت وكثرة التحدث عنها.

٣-نقص الاهتمام بالنشاطات الاجتماعية والدراسة والمهنية والاستجمامية.

٤-الإحساس بالذنب أو الدفاعية حول استخدام الفرد للإنترنت.

٥-الإحساس بالإثارة عند الانغماس في فعاليات الإنترنت.

٦-الاستخدام الدائم والمتكرر للإنترنت أكثر مما كان مقصودا.

٧-التوتر والقلق الشديدين في حالة وجود أي عائق للاتصال بالإنترنت.

وتقسم يونج Yong إدمان الإنترنت إلى خمسة أنواع، هي[٤١]:

١-إدمان الفضاء الجنسي، أي مواقع الجنس والإباحية.

٢-إدمان العلاقات (غرف الدردشة).

٣-إدمان المقامرة أو الشراء عبر الإنترنت.

٤-الإفراط المعلوماتي (البحث عن المعلومات).

٥-إدمان الألعاب.

إدمان الإنترنت والقلق النفسي:

تنبأ المفكر الأمريكي (ألفين توفلر) Alvin Toffler في كتابه «صدمة المستقبل» بالتغيرات الهائلة التي ستحدث للبشرية في نهاية القرن الماضي والقرن الجديد استنادًا إلى افتراض نظري قائم على أن المجتمع البشري لن يكون قادرا على التكيف مع حجم التغيرات الكبيرة التي ستحدث، وبالتالي فإن التأثيرات ستكون عميقة جدا، ولذلك يصف توفلر مفهومه لصدمة المستقبل بأنه: «ذلك الإعنات الذي يصيب الأفراد بالتشتت والتمزق عندما يفرض عليهم الكثير جدا من التغيير خلال الوجيز جدا من الزمن»[٤٢].

ويمكن التأكيد من واقع نتائج الدراسات التي أجريت حول العلاقة بين إدمان الإنترنت والقلق النفسي أن العلاقة بينهما علاقة ثنائية الاتجاه، بمعنى أن كل منهما يؤثر في الآخر، فهناك دراسات تناولت القلق النفسي كدافع من الدوافع التي تزيد من إدمان الإنترنت، وهناك دراسات أخرى تناولت إدمان الإنترنت كدافع للمزيد من توليد القلق النفسي، وتتجه هذه الدراسة مع هذا الاتجاه الأخير باعتبار إدمان الإنترنت مصدرا من مصادر زيادة القلق النفسي لدى المستخدمين.

إن قلق الإنترنت يمثل نوعا جديدا مضافا من أنواع القلق يحدث بسبب إدمان الإنترنت، ويمكن تعريفه بأنه: «حالة من الضيق والتوتر يشعر بها مستخدم الإنترنت تكون ناتجة عن التفاعل بين مستخدم الإنترنت من جهة وبيئة

---

(٤٠) - سهام معيجل، وعلي بريسم، "الإدمان على الإنترنت وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة". *مجلة أبحاث ميسان*، ١٢، ٢٤، ٢٠١٦: ٨.

(٤١) أمل الزيدي. *إدمان الإنترنت وعلاقته بالتواصل الاجتماعي والتحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة نزوى. رسالة ماجستير*، قسم التربية والدراسات الإنسانية، كلية العلوم والآداب، جامعة نزوى، عُمان، ٢٠١٤، ١٣

(٤٢) ألفن توفلر. *صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد*. (ترجمة: محمد علي ناصف)، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، الطبعة الثانية، ١٩٩٠، ٢.

الإنترنت من جهة أخرى»[٤٣]. وهذا التعريف يتعامل مع قلق الإنترنت كقلق ناجم ومتولد عن استخدام الإنترنت والإدمان عليه، بمعنى أن إدمان شبكة الإنترنت سبب لزيادة القلق النفسي لدى المستخدمين، ويظهر هذا القلق من خلال أشكال عديدة يمكن أن يعبر عنها المستخدمون أو يشعرون بها. ويتردد في بعض الدراسات والكتابات التي تتناول علاقة تكنولوجيا الاتصال بالصحة النفسية مصطلح «متلازمة الضغوط النفسية المصاحبة لاستخدام الإنترنت Internet Psycho- Stress Syndrome»، ويشير عالم النفس الإكلينيكي كريج برود Craig Brod إلى ظهور مرض حديث أطلق عليه اسم الضغوط المرتبطة بالتكنولوجيا Techno Stress، وهي ضغوط تنتج عن عدم القدرة على التعامل مع تكنولوجيا الحاسب بصورة صحيحة»[٤٤]. ومثل هذا الطرح ليس بعيدا ولا مجافيا لموضوع التأثيرات النفسية لعمليات الاتصال المتعارف عليها التي تحتاج إلى مزيد من الدراسات المتعمقة.

وهناك اتجاهات نظرية عديدة تفسر إدمان الإنترنت، منها «الاتجاه السلوكي، وهو ينظر إلى إدمان الشبكة المعلوماتية على أنه سلوك متعلم يخضع لمبدأ المثير والاستجابة، والاتجاه السيكوديناميي، الذي ينظر إلى إدمان الشبكة على أنه استجابة هروبية من الاحباطات، والاتجاه الاجتماعي الثقافي، الذي يرى أن المجتمع هو الذي يغذي هذا الإدمان، أما الاتجاه المعرفي، فيرى أن إدمان الشبكة المعلوماتية يرجع إلى الأفكار والبنى المعرفية الخاطئة التي تجعل من الشبكة محور حياتها وتستعيض بها عن الواقع، إضافة إلى الاتجاه التكاملي، الذي ينظر إلى إدمان الشبكة المعلوماتية على أنه عبارة عن تظافر عوامل شخصية وانفعالية واجتماعية وبيئية»[٤٥].

نتائج الدراسة

سنعرض نتائج الدراسة من خلال محورين، الأول هو محور النتائج الأولية والتكرارات المتعلقة بأسئلة البحث، والآخر سيتضمن نتائج اختبارات فروض الدراسة.

أولا: النتائج الأولية للدراسة:

•خصائص عينة الدراسة:

جدول رقم (٤) يبين خصائص عينة الدراسة

المتغير		ك	٪
النوع	ذكور	١٤٥	٥١,٣
	إناث	١٤٦	٤٨,٧
	المجموع	٣٠٠	١٠٠
العمر	١٨ – ٢٠	٨٠	٢٦,٧
	٢١ – ٢٥	١٣٤	٤٤,٧
	٢٦ – ٣٠	٨٦	٢٨,٧
	المجموع	٣٠٠	١٠٠
مستوى التعليم	يقرأ ويكتب	٢	٠,٧
	تعليم أساسي	٣	١
	تعليم ثانوي	٥٩	١٩,٧
	تعليم جامعي	٢٢٨	٧٦
	دراسات عليا	٨	٢,٧
	المجموع	٣٠٠	١٠٠
مستوى الدخل	منخفض	١٤١	٤٧
	متوسط	٨٨	٢٩,٣
	مرتفع	٧١	٢٣,٧
		٣٠٠	١٠٠

(٤٣) أبوجدي، وبني يونس. "قلق الإنترنت وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى طلبة جامعة عمّان الأهلية"، ٤٤٥

(٤٤) أبوجدي، وبني يونس. "قلق الإنترنت وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى طلبة جامعة عمّان الأهلية"، ٤٤٢

(٤٥) بشبش. *إدمان الإنترنت وعلاقته بالاكتئاب والوحدة النفسية لدى طلبة الجامعات في قطاع غزة*، ٢٠

•متوسطات مقياس إدمان الإنترنت:

جدول رقم (٥) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعبارات مقياس إدمان الإنترنت

رقم العبارة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
١٩	أتصل بالإنترنت متى ما أتيحت لي الفرصة في أي مكان أو زمان.	٣,٣٦	١,٣٧٠	١
٢	أقضي وقتا على الإنترنت أكثر مما كنت أنوي.	٣,١٧	١,٣٤٧	٢
١	الاتصال بالإنترنت أهم نشاط أقوم به كل يوم.	٣,٠٨	١,٢٩٨	٣
١٦	أشعر برغبة دائمة في الاتصال بالإنترنت.	٢,٩٤	١,٤٠٤	٤
٦	أتأخر عن موعد نومي المفترض بسبب اتصالي بالإنترنت.	٢,٨٢	١,٣٨٦	٥
١٨	اتصل بالإنترنت بمجرد استيقاظي من النوم.	٢,٨٠	١,٥٣٢	٦
٩	أشعر بالضيق والملل إذا لم أستخدم الإنترنت.	٢,٧٥	١,٣٥٢	٧
٧	تفشل محاولاتي في تقليل اتصالي بالإنترنت.	٢,٦٥	١,٣٧١	٨
١٥	أمارس بعض أعمالي وأنا متصل بالإنترنت.	٢,٥٣	١,٢٤٤	٩
١٠	اتصالي بالإنترنت يتزايد من فترة لأخرى.	٢,٥٠	١,٢٢٠	١٠
١١	استمر في الاتصال بالإنترنت ولو كنت متعبًا.	٢,٤٨	١,٤٢٥	١١
٤	يشكو المحيطون بي من انشغالي بالإنترنت عنهم.	٢,٢٠	١,٢٩٧	١٢
٥	أواجه صعوبات في دراستي بسبب انشغالي بالإنترنت.	٢,١٨	١,٣١١	١٣
١٤	أتناول الطعام وأنا متصل بالإنترنت.	٢,١٥	١,٢٣٩	١٤
٢٠	أشعر أن الإنترنت تتحكم بي.	٢,١٣	١,٣٣٩	١٥
٨	أفضل الاتصال بالإنترنت على علاقاتي الأسرية والاجتماعية.	٢,٠٦	١,٢٤٣	١٦
٣	أهمل أعمالي ومواعيدي لأتصل وقتا أطول بالإنترنت.	٢,٠٤	١,١٨٥	١٧
١٢	أخفي الوقت الذي أقضيه على الإنترنت عن الآخرين.	٢,٠٠	١,٣٤٠	١٨
١٣	أقترض المال لأستمر في الاتصال بالإنترنت.	١,٦٠	١,٠٢٨	١٩
١٧	أتخلف عن المناسبات الاجتماعية بسبب انشغالي بالإنترنت.	١,٥٢	٠,٩٣٤	٢٠

* ن = ٣٠٠

يتبين من الجدول السابق ما يلي:

-تتراوح متوسطات العبارات الخاصة بمقياس إدمان الإنترنت ما بين (٣,٣٦) كأعلى متوسط و (١,٥٢) كأدنى متوسط للعبارة، وهو تفاوت يعبر عن مدى الاختلاف الطبيعي بين المبحوثين في أبعاد إدمان الإنترنت وفق المتغيرات التي تحكم استخدامهم للإنترنت.

-يبرز دور السلوك الاتصالي بوصفه بعدًا واضحًا لدى المبحوثين من خلال الثلاث العبارات الأولى في الترتيب في المقياس، حيث تدور العبارات حول الاتصال بالإنترنت في أي ظروف ممكنة (٣,٣٦)، وقضاء وقت أكبر من المتوقع على الإنترنت بمتوسط (٣,١٧)، يليه اعتبار الاتصال بالإنترنت كأهم نشاط يقوم به المبحوثون يوميًا بمتوسط (٣,٠٨).

-هناك سبع عبارات مترتبة في المقياس بمدى متوسط نسبي يتراوح بين (٢,٩٤) كما في العبارة رقم (١٦) في المقياس، و(٢,٥٠) كما في العبارة (١٠) من المقياس، تدور هذه العبارات حول أبعاد مختلفة من إدمان الإنترنت كالشعور بالرغبة الدائمة للاتصال بالإنترنت، والاتصال المباشر بالإنترنت بمجرد الاستيقاظ من النوم، والشعور بالضيق

لعدم الاتصال بالإنترنت، وممارسة بعض الأعمال أثناء الاتصال بالإنترنت، وتزايد الوقت للاتصال بالإنترنت تزايدًا مطردًا.

-تأتي المجموعة الثالثة من العبارات في المقياس في الترتيب بمتوسطات ضعيفة تتراوح بين (2.48)، كما في العبارة (١١) من المقياس و(٢,٠٠) كما في العبارة (١٢) من المقياس، وتعبر عن بروز ضعيف من إدمان الإنترنت كشكوى الآخرين من الانشغال بالإنترنت، ومواجهة صعوبات دراسية بسبب الاتصال بالإنترنت، والشعور بتحكم الإنترنت بالمبحوث، وإهمال بعض الأعمال، وإخفاء فترة الاتصال بالإنترنت عن الآخرين.

-جاءت أقل المتوسطات لعبارات المقياس بين (١,٦٠) و(١,٥٢) كما في العبارتين (١٣) و(١٧) على التوالي، وكانت هي أقل العبارات موافقة من قبل المبحوثين وتتعلق باقتراض المال لاستمرار الاتصال بالإنترنت، والتخلف عن المناسبات الاجتماعية، وإجمالا، تكشف عبارات المقياس عن تعدد واختلاف أبعاد إدمان الإنترنت لدى الشباب اليمني وعدم تركزها في أبعاد محددة.

- **متوسطات مقياس القلق النفسي:**

جدول رقم (٦) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعبارات مقياس القلق النفسي

رقم العبارة	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
٥	الإنترنت تزيد من قلقي حول سرية بياناتي.	٢,٤٦	١,٤٣١	١
١١	الإنترنت تشتت انتباهي وأولوياتي في الحياة.	٢,٤٠	١,٢٩٣	٢
١	الإنترنت تزيد من اضطرابات النوم لدي.	٢,٣٤	١,٢٦٧	٣
٢	الإنترنت تزيد من قلقي حول المستقبل.	٢,٣٣	١,٢٩٩	٤
٢٠	الإنترنت سبب لتقليل الهدوء والسكينة في حياتي.	٢,٢٣	١,٢١٢	٥
١٧	الإنترنت تزيد من مخاوفي من عمليات التجسس والقرصنة.	٢,٢٠	١,٣٢٧	٦
١٢	الإنترنت تولد لدي مشاعر متناقضة.	٢,١١	١,٢٠٠	٧
٨	الإنترنت تزيد من مشاعر الضيق لدي.	٢,١٠	١,١٧١	٨
٤	الإنترنت تزيد من قلقي حول علاقاتي الاجتماعية.	١,٩١	١,٢٢١	٩
١٩	الإنترنت تهدد قيمي وأخلاقي التي أؤمن بها.	١,٩٠	١,٢٦٩	١٠
٦	الإنترنت تزيد من خوفي من الذين أتواصل معهم.	١,٨٩	١,٠٩٠	١١
٧	الإنترنت تجعلني أكثر عصبية وتوترا.	١,٨٧	١,١٢١	١٢
١٠	الإنترنت تزيد من مشاعر الشك لدي.	١,٨٥	١,١٢١	١٣
١٣	الإنترنت تجعلني أتوقع الأسوأ.	١,٨٢	١,١٣٣	١٤
٩	الإنترنت تزيد من شعوري غير المبرر بالقلق.	١,٨٠	١,٠٠٤	١٥
٣	الإنترنت تزيد من قلقي حول مظهري الجسدي.	١,٨٠	١,١٤٦	١٦
١٨	الإنترنت سبب لمخاوفي من التحرش والتنمر الإلكتروني.	١,٦٨	١,٠٨٦	١٧
١٥	الإنترنت تزيد من إحساسي بالإحباط وفقدان الأمل.	١,٥٣	٠,٩١٦	١٨
١٤	الإنترنت تقلل من ثقتي بنفسي وبقدراتي.	١,٤٣	٠,٨٤٥	١٩
١٦	الإنترنت تولد أفكارا سلبية لدي كإيذاء نفسي.	١,١٩	٠,٦٨١	٢٠

* ن = ٣٠٠

يتضح من الجدول السابق المؤشرات التالية:

-وجود تفاوت كبير بين متوسطات مقياس إدمان اتصال الإنترنت السابق ومتوسطات عبارات مقياس القلق النفسي، حيث كان أعلى متوسط في عبارات مقياس إدمان اتصال الإنترنت (٣,٣٦) بينما كان أعلى متوسط في عبارات القلق النفسي (٢,٤٦)، وذلك يتناسب منطقيا مع طبيعة مقياس إدمان اتصال الإنترنت كمتغير مستقل يتخذ شكل ممارسات يومية للمبحوثين، بينما مقياس القلق النفسي لا يزال مقياسًا يتفاعل مع خبرات المبحوثين، وهو يتكون مرحليا لديهم كمتغير جديد وتابع لمتغير إدمان اتصال الإنترنت، وذلك يشير إلى أن مقدرة المبحوثين على الحكم تجاه عبارات مقياس إدمان اتصال الإنترنت كانت أكبر من قدراتهم وخبراتهم في الحكم على عبارات مقياس القلق النفسي.

-تعبر متوسطات عبارات مقياس القلق النفسي من إدمان اتصال الإنترنت عن وجود مجموعتين من العبارات التي حظيت باستجابات أكبر من قبل المبحوثين تتراوح متوسطاتها بين (٢,٤٦) كما هو في العبارة رقم (٥)، و (٢,١٠) كالعبارة رقم (٨) من المقياس، وتترتب جوانب القلق النفسي في هذه المجموعة حول قلق سرية البيانات وتشتيت الأولويات في الحياة، واضطرابات النوم، وقلق المستقبل، وقلة الهدوء والسكينة في الحياة، والمخاوف من التجسس والقرصنة، وإثارة مشاعر متناقضة.

-تأتي المجموعة الثانية من العبارات بمتوسطات تتراوح بين (١,٩١) كما في العبارة (٤) وانتهاء بمتوسط (١,١٩) كما في العبارة (١٦) من المقياس، وتترتب مظاهر القلق النفسي في عدد من الصور هي القلق الاجتماعي، والخوف على القيم، والخوف من الآخرين، والتوتر والشك، وتوقع الأسوأ، والشعور غير المبرر بالقلق، والإحساس بالإحباط، وفقدان الثقة بالذات، أو توليد أفكار سلبية كإيذاء الذات، التي جاءت في ذيل قائمة عبارات المقياس.

-يثبت المقياس بروزًا متنوعًا وثريًا لأوجه القلق المتولد عن إدمان اتصال الإنترنت ربما لم يكن متوقعا، مما يعطي دلالة على تنوع مظاهر القلق المتولد عن إدمان اتصال الإنترنت في مجتمع لا يزال استخدام الإنترنت فيه ليس متجذرا ولا متاحا بشكل واسع كما هو في سياقات مجتمعات أخرى ذات وفرة تكنولوجية.

•مستويات إدمان اتصال الإنترنت والقلق النفسي:

جدول رقم (٧) يبين مستوى إدمان اتصال الإنترنت لدى المبحوثين

مستوى إدمان اتصال الإنترنت	ك	٪
منخفض (من ٢٠ – ٤٦ درجة)	١٧٧	٥٩
متوسط (من ٤٧ – ٧٤ درجة)	٧٨	٢٦
مرتفع (من ٧٥ – ١٠٠)	٤٥	١٥
المجموع	٣٠٠	١٠٠

يشير الجدول السابق إلى وجود مستوى منخفض من إدمان اتصال الإنترنت لدى غالبية عينة الدراسة بنسبة بلغت (٥٩٪) من إجمالي المبحوثين، يليه إدمان اتصال الإنترنت المتوسط بنسبة (٢٦٪)، ثم مستوى إدمان اتصال الإنترنت المرتفع بنسبة لم تتجاوز (١٥٪).

جدول رقم (٨) يبين مستوى القلق النفسي لدى المبحوثين

مستوى القلق النفسي	ك	٪
منخفض (من ٢٠ – ٤٦ درجة)	١٩	٦٣,٣
متوسط (من ٤٧ – ٧٤ درجة)	٩٠	٣٠
مرتفع (من ٧٥ – ١٠٠)	٢٠	٦,٧
المجموع	٣٠٠	١٠٠

يتضح من الجدول السابق كذلك ترتب مستوى القلق النفسي من إدمان اتصال الإنترنت لدى عينة الدراسة من الأدنى إلى الأعلى، وبشكل متوافق مع مستوى إدمان اتصال الإنترنت من حيث الترتيب، حيث كان مستوى القلق النفسي المنخفض هو الغالب على المبحوثين وبنسبة (٦٣,٣٪)، يليه

مستوى القلق المتوسط بنسبة (٣٠٪)، ثم مستوى القلق النفسي المرتفع بنسبة لا تتجاوز (٦,٧٪).

•المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمقياسين:

جدول رقم (٩) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمقياسين

المقياس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
مقياس إدمان اتصال الإنترنت	٣٠٠	٢,٤٥	٠,٨٢٤
مقياس القلق النفسي	٣٠٠	١,٩٤	٠,٦٩٧

يشير الجدول إلى أن المتوسط الحسابي لمجموع عبارات مقياس إدمان اتصال الإنترنت بلغ (٢,٤٥)، بينما بلغ المتوسط الحسابي لمجموع فقرات مقياس القلق النفسي (١,٩٤)، وهو ما يعني أن استجابة وتقديرات مقياس إدمان اتصال الإنترنت كانت أعلى لدى المبحوثين من مقياس القلق النفسي نتيجة للفارق بين المقياسين في خبرات المبحوثين.

ثانيا: نتائج اختبار فروض الدراسة:

• نتائج اختبار الفرض الأول: توجد علاقة ارتباطية إيجابية بين إدمان اتصال الإنترنت ومستوى القلق النفسي لدى الشباب اليمني.

جدول رقم (١٠) يبين العلاقة بين إدمان اتصال الإنترنت والقلق النفسي

إدمان اتصال الإنترنت	القلق النفسي	
	قيمة معامل بيرسون	مستوى المعنوية
	٠,٥٤٧	٠,٠٠٠

لاختبار الفرض الأول، وباستخدام معامل ارتباط بيرسون لقياس العلاقة بين إدمان اتصال الإنترنت ومستوى القلق النفسي لدى عينة الدراسة، ثبت وجود علاقة إيجابية دالة إحصائيا بين إدمان اتصال الإنترنت ومستوى القلق النفسي لدى الشباب اليمني، حيث كانت قيمة معامل بيرسون (٠,٥٤٧) وعند مستوى معنوية (٠,٠٠٠)، وهي علاقة متوسطة الشدة بين المتغيرين، وذلك يعني قبول الفرض الأول القائل بوجود علاقة إيجابية بين إدمان اتصال الإنترنت ومستوى القلق النفسي لدى المبحوثين، بمعنى أنه كلما زاد إدمان الشباب اليمني على اتصال الإنترنت زاد مستوى قلقهم النفسي، ويثبت اختبار الفرض طبيعة العلاقة بين متغير إدمان اتصال الإنترنت بوصفه متغيرًا مستقلًا مؤثرًا في متغير القلق النفسي بوصفه متغيرًا تابعًا من حيث اتجاه هذه العلاقة.

• نتائج اختبار الفرض الثاني: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدمان الشباب اليمني لاتصال الإنترنت وفق متغيرات النوع والعمر والمستوى التعليمي.

- الفروق في مستوى إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير النوع:

جدول رقم (١١) يبين الفروق في إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير النوع

النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى المعنوية
ذكور	١٥٤	٢,٣٣	٠,٨٢٤	٠,٤٦٤	٠,٤٩٦
إناث	١٤٦	٢,٥٧	٠,٨٠٨		
ن	٣٠٠				

لاختبار الفرض الثاني الجزئي تم استخدام اختبار الفروق بين المجموعتين (T- test) لمعرفة الفروق في مستوى إدمان اتصال الإنترنت لدى المبحوثين وفق متغير النوع من الذكور والإناث، وقد ثبت عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في مستوى إدمان اتصال الإنترنت، حيث كانت قيمة (ت) تساوي (٠,٤٦٤)، وعند مستوى معنوية غير دال (٠,٤٩٦)، وهذا يعني عدم قبول الفرض الجزئي الثاني في وجود فروق في مستوى إدمان اتصال الإنترنت لدى الشباب اليمني وفق متغير النوع.

-الفروق في مستوى إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير العمر:

جدول رقم (١٢) يبين الفروق في إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير العمر

فئات العمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	مستوى المعنوية
١٨ – ٢٠	٨٠	٢,٥٥	٠,٨٥٧٥٠	٥,١٥٩	٠,٠٠٦
٢١ – ٢٥	١٣٤	٢,٥٤	٠,٨٤٨٣٨		
٢٦ – ٣٠	٨٦	٢,٢١	٠,٧٠٥٤٩		
ن	٣٠٠				

باستخدام اختبار تحليل التباين أحادي الاتجاه (ANOVA) لمعرفة الفروق لدى المبحوثين في مستوى إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير العمر، ثبت وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المبحوثين حيث كانت قيمة (ف) تساوي (٥,١٥٩) ومستوى الدلالة عند (٠,٠٠٦)، وكانت هذه الفروق تتجه لصالح الأقل سنًا وبمتوسط بلغ (٢,٥٥)، وهذا يعني أن مستوى إدمان اتصال الإنترنت كان أكبر لدى الفئات العمرية الأصغر مقارنة بالفئات العمرية الأكبر، وهو ما يدعم كثيرًا النتائج المشابهة حول زيادة إدمان اتصال الإنترنت لدى الشباب الأصغر سنا، ومن ثمَّ فإننا نقبل الفرض الجزئي الثاني حول وجود فروق في مستوى إدمان الشباب اليمني لاتصال الإنترنت وفق متغير النوع.

- **الفروق في مستوى إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير مستوى التعليم:**

جدول رقم (١٣) يبين الفروق في إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير مستوى التعليم

فئات المستوى التعليمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	مستوى المعنوية
يقرأ ويكتب	٢	٣,٦٠	٠,٥٦٥٦٩	٣,٩٧٣	٠,٠٠٤
تعليم أساسي	٣	١,٨٧	٠,٢٩٢٩٧		
تعليم ثانوي	٥٩	٢,١٦	٠,٧٩٣٥١		
تعليم جامعي	٢٢٨	٢,٥١	٠,٨١٣٨٩		
دراسات عليا	٨	٢,٨٣	٠,٨٦٠١٣		
ن	٣٠٠				

يشير استخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه (ANOVA) لمعرفة الفروق في مستوى إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير التعليم إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المبحوثين، حيث كانت قيمة (ف) تساوي (٣,٩٧٣) ومستوى الدلالة عند (٠,٠٠٤)، وكانت هذه الفروق تتجه لصالح الأقل تعليمًا، حيث بلغ متوسط من يقرأ ويكتب (٣,٦٠) أعلى متوسط، وهذه النتيجة تدعم الافتراض بأن الأقل تعليمًا هم أكثر إدمانا على الاتصال بالإنترنت، ويمكن تبريره بتناقص مستوى الوعي بالاستخدام المفرط للإنترنت والتطلع إلى المزيد من اكتشاف عالم الإنترنت. وهذه النتائج في الفروق الخاصة بالفرض الثاني تشير إلى قبول الفرض جزئيًا من حيث وجود فروق بين المبحوثين وفق متغيري العمر والمستوى التعليمي، بينما لم تثبت هذه الفروق بالنسبة لمتغير النوع.

•نتائج اختبار الفرض الثالث: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى القلق النفسي من إدمان الإنترنت لدى الشباب اليمني وفق متغيرات النوع والعمر والمستوى التعليمي.

-الفروق في مستوى القلق النفسي وفق متغير النوع:

جدول رقم (١٤) يبين الفروق مستوى القلق النفسي وفق متغير النوع

النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ت	مستوى المعنوية
ذكور	١٥٤	١,٩٠٨١	٠,٧٠٩٣١	٠,٠٠٣	٠,٩٦٠
إناث	١٤٦	١,٩٧٨٤	٠,٦٨٥٣٦		
ن	٣٠٠				

لاختبار الفرض الثالث الجزئي حول وجود فروق في مستوى القلق النفسي وفق متغير النوع تم استخدام اختبار (T-test) للفروق بين مجموعتين، وقد ثبت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث من المبحوثين في مستوى القلق النفسي، حيث كانت قيمة (ت) تساوي (٠,٠٠٣)، ومستوى المعنوية غير دال عند (٠,٩٦٠)، وهذا يعني عدم قبول الفرض الثاني الجزئي بوجود فروق في مستوى القلق النفسي من إدمان اتصال الإنترنت بين الشباب اليمني وفق متغير النوع.

-الفروق في مستوى القلق النفسي وفق متغير العمر:

جدول رقم (١٥) يبين الفروق في مستوى القلق النفسي وفق متغير العمر

فئات العمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	مستوى المعنوية
١٨ – ٢٠	٨٠	١,٩٩	٠,٧٤٦٤٧	١,٠١١	٠,٣٦٥
٢١ – ٢٥	١٣٤	١,٩٧	٠,٦٧٣٨٥		
٢٦ – ٣٠	٨٦	١,٨٥	٠,٦٨٦٥٢		
ن	٣٠٠				

يشير استخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه (ANOVA) لمعرفة الفروق بين المبحوثين في مستوى القلق النفسي وفق متغير العمر إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، حيث كانت قيمة (ف) تساوي (١,٠١١)، وعند مستوى معنوية غير دال (٠,٣٦٥)، ومن ثمَّ فإننا نرفض قبول الفرض الجزئي الثاني من الفرض الأساسي الثالث القائل بوجود فروق بين المبحوثين في مستوى القلق النفسي المتولد من إدمان اتصال الإنترنت، ويمكن تفسير ذلك بتقارب الفئات العمرية للشباب في عينة الدراسة.

-الفروق في مستوى القلق النفسي وفق متغير المستوى التعليمي:

جدول رقم (١٦) يبين الفروق في مستوى القلق النفسي وفق متغير مستوى التعليم

المستوى التعليمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	مستوى المعنوية
يقرأ ويكتب	٢	٣,٠٣	٠,٠٣٥٣٦	٢,٤٦١	٠,٠٤٦
تعليم أساسي	٣	١,٢٥	٠,٢٧٨٣٩		
تعليم ثانوي	٥٩	١,٨٨	٠,٧٥٧٠٦		
تعليم جامعي	٢٢٨	١,٩٥	٠,٦٧١٦٢		
دراسات عليا	٨	٢,٢٣	٠,٨٤٢٦١		

تثبت نتائج تحليل التباين أحادي الاتجاه (ANOVA) لمعرفة الفروق بين المبحوثين في مستوى القلق النفسي وفق متغير مستوى التعليم، وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المبحوثين في مستوى القلق النفسي، حيث كانت قيمة (ف) تساوي (٢,٤٦١) وعند مستوى معنوية دال (٠,٠٤٦)، لكن بالكشف عن مصدر هذه الفروق نجدها تتجه لصالح

ذوي التعليم الأقل (يقرأ ويكتب) مقارنة بمن مستواهم التعليمي أعلى (تعليم أساسي)، لكن لا توجد فروق بين المستويات التعليمية الأخرى، وهذا يعني قبول الفرض الجزئي الثالث من الفرض الأساسي الثالث بوجود فروق في مستوى القلق النفسي تبعا لمتغير المستوى التعليمي، ويمكن تفسير ذلك بضعف الثقافة المعرفية التي يستند إليها الأقل تعليما ممن يقرأون ويكتبون فقط، وبالتالي يزداد قلقهم من استخدام الإنترنت.

مناقشة عامة لنتائج الدراسة

تقدم هذه المناقشة عرضًا علميًا لأهم نتائج الدراسة مقترنًا بإطار تفسيري يستند إلى المقارنة بنتائج الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة، وتوظيف سمات الواقع الاجتماعي للمبحوثين في علاقتهم باستخدام الإنترنت، والربط بالأطر النظرية الممكنة التي يمكن أن تساعد في تفسير ظاهرة إدمان اتصال الإنترنت وعلاقتها بالقلق النفسي.

وقد كشف مقياس إدمان الإنترنت متعدد الأبعاد الذي قامت عليه الدراسة عن وجود إدمان منخفض لاتصال الإنترنت لدى غالبية عينة الدراسة (٥٩٪)، بينما كان إدمان الاتصال المرتفع لدى (١٥٪) فقط من عينة الدراسة. لكن ما يدعم هذه النسبة وجود إدمان متوسط لاتصال الإنترنت وبنسبة معتبرة تمثل (٢٦٪)، ولكنها نسبة تختلف عما وصلت إليه دراسات أخرى مثل دراسة (الأبيض)[٤٦]، ودراسة (الشهري والعشري)[٤٧] التي أشارت إلى وجود مستوى متوسط من إدمان الإنترنت، ويمكن أن يعزى هذا الاختلاف إلى تباين السياق الاجتماعي التي أجريت فيه هذه الدراسات، ومعوقات الوصول غير السلس إلى الإنترنت في بلد كاليمن، وارتفاع الكلفة المادية للإنترنت.

أما ما يتعلق بأبعاد إدمان اتصال الإنترنت عند المبحوثين، فقد أظهر مقياس إدمان اتصال الإنترنت بروز مؤشرات كان لها دور كبير في التعبير عن هذا الإدمان، كان أبرزها التعلق بالإنترنت كزيادة الوقت المخصص للاتصال، واعتبار نشاط الاتصال بالإنترنت كأهم نشاط يومي يقوم المبحوثون به، يليها أبعاد التأثيرات الناجمة عن الاتصال بالإنترنت سواء من حيث السلوك أو تكون المشاعر الوجدانية، إضافة إلى أبعاد أخرى مختلفة كانت أقل حضورا، وتكشف هذه الأبعاد عن تشكل أبعاد إدمان اتصال الإنترنت وفق أبعاد متعددة، ولكن أبرز هذه الأبعاد هو بعد الاستخدام وبعد السلوك والتأثير الوجداني.

في حين كانت أبرز أبعاد القلق النفسي متمثلة في قلق سرية البيانات، واضطرابات النوم، وقلق المستقبل ومشاعر القلق الحياتي، وتناقض المشاعر، يليها من حيث الدرجة مجموعة أخرى من الأبعاد تدور حول القلق الاجتماعي، والقلق على القيم الذاتية، والعصبية والتوتر والإحباط، وتوقع الأسوأ. وترسم هذه المظاهر تعدد أبعاد المقياسين وقابليتها للتوسيع في دراسات لاحقة. وبالجملة، يعبر المبحوثون عن وجود مشكلات حقيقية لديهم من استخدام الإنترنت تقود إلى اعتراف عام بأن إدمان اتصال الإنترنت يمثل لديهم مصدرًا من مصادر القلق النفسي الذي ظهر من خلال عبارات المقياس وإن كان بصورة متفاوتة، وهذا الوقع يصف استخدام الإنترنت بأنه أصبح استخدامًا إشكاليًا لدى المبحوثين ولم يعد استخدامًا عاديًا.

وفيما يخص نتائج اختبار فروض الدراسة الثلاثة الأساسية، فقد توصلت الدراسة في فرضها الأول إلى إثبات

(٤٦) الأبيض. "إدمان الإنترنت وعلاقته بقلق المستقبل لدى عينة من طلاب جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز" ، ٣٥٠

(٤٧) الشهري، والعشري. "إدمان الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية لدى طالبات الجامعة"، ٤٦٢

وجود علاقة إيجابية دالة إحصائيًا بين إدمان اتصال الإنترنت ومستوى القلق النفسي لدى الشباب اليمني، وكانت شدة هذه العلاقة متوسطة (٠,٥٤٧)، وتتفق هذه النتيجة مع العديد من الدراسات التي أجريت في سياقات مجتمعات مختلفة منها دراسة (Gavurova) وآخرين التي أكدت وجود ارتباط ثنائي الاتجاه بين الاكتئاب وإدمان الإنترنت، وتنبؤات إدمان الإنترنت بالاكتئاب ووجود قلق منخفض لدى الطلاب من إدمان الإنترنت[٤٨].

ووجدت دراسة (Sayed) ارتباطا قويا بين إدمان الإنترنت والاكتئاب والقلق والتوتر[٤٩]، ووجود علاقة إيجابية بين إدمان الإنترنت وقلق المظهر الاجتماعي لدى طلاب الجامعات كما في دراسة (Baltaci) وآخرين[٥٠]، وأشارت دراسة (الأبيض) إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين إدمان الإنترنت وقلق المستقبل لدى الطلاب[٥١]، وتشير دراسة (Lodha) إلى وجود علاقة بين إدمان الإنترنت والقلق والتوتر[٥٢]، وكشفت دراسة (عدوي، والبهنساوي) عن وجود علاقة بين إدمان الفيسبوك والقلق الاجتماعي والضبط الانفعالي[٥٣]، وتوصلت دراسة (قدوري) إلى وجود ارتباط بين استخدام الإنترنت وبعض أعراض الاضطرابات النفسية كالقلق[٥٤] ، وأشارت دراسة (Akin & Iskender) إلى أن إدمان الإنترنت كان له تأثير مباشر على الاكتئاب والقلق والتوتر[٥٥].

وقد أظهرت الدراسة من خلال اختبارات الفروق بين المبحوثين من حيث مستوى إدمان اتصال الإنترنت، ومستوى القلق النفسي وجود تباينات واضحة في هذه الفروق، فمن حيث متغيرات إدمان اتصال الإنترنت، اتضح أنه لا توجد فروق بين المبحوثين من الذكور والإناث وفق متغير النوع بالنسبة لمتغير إدمان اتصال الإنترنت، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة (Nowak) وآخرين التي أشارت إلى عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في استخدام الإنترنت المرضي[٥٦]، وكذلك دراسة (بشبش)[٥٧]، ودراسة (عدوي والبهنساوي)[٥٨] بعدم وجود فروق في إدمان الإنترنت وفق متغير النوع؛ لكن هذه النتيجة مع ذلك اختلفت مع دراسات (عبد الرازق)[٥٩]، و(Hasmujaj)[٦٠]، و(قدوري)[٦١] التي أثبتت وجود فروق في إدمان الإنترنت وفق متغير النوع.

---

(48) Gavurova & Others. "Internet Addiction in Socio-Demographic, Academic, and Psychological Profile of College Students During the Covid-19 Pandemic in The Czech Republic and Slovakia", 13

(49) Sayed & Others. "Internet Addiction and Relationships with Depression, Anxiety, Stress, and Academic Performance Among Egypt Pharmacy Students: A cross-Sectional Designed Study", 5

(50) Baltaci & Others. "The Relationships Between Internet Addiction, Social Appearance Anxiety and Coping with Stress", 135

(٥١) الأبيض. "إدمان الإنترنت وعلاقته بقلق المستقبل لدى عينة من طلاب جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز"، ٣٥١

(52) Lodha."Internet Addiction, Depression, Anxiety and Stress Among India Youth", 227

(٥٣) عدوي، والبهنساوي. "القلق الاجتماعي والضبط الانفعالي كمؤشرين للتنبؤ بإدمان الفيسبوك في ضوء المتغيرات الديمغرافية لدى طلاب الجامعة"، ١٦٨.

(٥٤) قدوري. "إدمان استخدام الإنترنت وعلاقته ببعض أعراض الاضطرابات النفسية"، ٢٨٠.

(55) Akin, & Iskender. "Internet Addiction and Depression, Anxiety and Stress", 138

(56) Nowa & Others. "Seeking Relationships Between Internet Addiction and Depressiveness, Daytime Sleepiness, as Well as Perceived Social Support in Young Adults", 1374

(٥٧) بشبش. *"إدمان الإنترنت وعلاقته بالاكتئاب والوحدة النفسية لدى طلبة الجامعات في قطاع غزة"*، ٩٠

(٥٨) عدوي، والبهنساوي. "القلق الاجتماعي والضبط الانفعالي كمؤشرين للتنبؤ بإدمان الفيسبوك في ضوء المتغيرات الديمغرافية لدى طلاب الجامعة"، ١٨٦.

(٥٩) عبد الرازق. "إدمان وسائل التواصل الاجتماعي وعلاقته بالشعور بالوحدة النفسية وسمات القلق الاجتماعي لدى طلاب الجامعة"، ٢٣٠.

(60) Hasmujaj. "Internet Addiction and Anxiety Among Students of University of Tirana", 9

(٦١) قدوري. "إدمان استخدام الإنترنت وعلاقته ببعض أعراض الاضطرابات النفسية"، ٢٨٣.

أما دراستنا الحالية فلم يثبت وجود هذه الفروق، وقد يعود ذلك إلى تقارب اهتمامات ودوافع استخدام الإنترنت لدى الشباب اليمني وتشابه أطرهم الفكرية والاجتماعية.

ومع ذلك، فقد ظهرت فروق في مستوى إدمان اتصال الإنترنت لدى المبحوثين وفق متغير العمر لصالح الأقل سنا، وهي بذلك تتفق مع دراسة (الشهري والعشري) التي أشارت إلى وجود فروق في درجة إدمان الإنترنت لصالح الأقل سنا، أما من حيث المستوى التعليمي، فقد توصلت الدراسة إلى وجود فروق في مستوى إدمان اتصال الإنترنت لصالح الأقل تعليما[٦٢]، وهي تتفق بذلك مع ما توصلت إليه دراسة (الأبيض) من حيث وجود فروق في إدمان اتصال الإنترنت وفق متغير المستوى التعليمي وفي اتجاه الفروق لصالح المستويات التعليمية الأدنى[٦٣]، ويفسر ذلك باختلاف اهتمامات وسلوك الاستخدام باختلاف المستوى التعليمي.

أما من حيث الفروق في مستوى القلق النفسي، فقد أشارت دراستنا الحالية كذلك إلى عدم وجود فروق في مستوى القلق النفسي وفق متغير النوع، ولا لمتغير العمر، وهي بذلك تتفق مع ما توصلت إليه دراسة (Al-Baddai & Al-Abyadh)[٦٤] من عدم وجود فروق في مستوى قلق المستقبل وفق النوع، لكن هذه النتيجة اختلفت مع دراسات أخرى مثل دراسة (خليوي) التي أشارت إلى وجود فروق بين الذكور والإناث في مستوى القلق والاكتئاب من استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لصالح الذكور[٦٥]، ويصعب تفسير هذا التباين نظرا لتعدد المتغيرات التي تتحكم في تكوين القلق النفسي، لكنها تحمل دلالة على تجانس التأثيرات النفسية حول القلق الناجم عن استخدام الإنترنت بين الذكور والإناث في مجتمع الشباب اليمني.

وبالمقابل، كان هناك فروق في مستوى القلق النفسي في دراستنا وفق متغير مستوى التعليم فقط، لصالح ذوي المستوى التعليمي الأقل، وهذه النتيجة تتفق مع ما أشارت إليه دراسة (الأبيض) بوجود فروق في قلق المستقبل تبعا للمستوى التعليمي[٦٦]، وهذه الفروق يمكن أن تعزى إلى دور المستوى التعليمي الأعلى مقارنة بالمستوى التعليمي الأدنى في ضبط سلوك إدمان الإنترنت والقدرة على التحكم بالتأثيرات النفسية للاتصال بالإنترنت.

ووفق رؤية ناقدة لحدود ومستقبل تأثيرات إدمان اتصال الإنترنت، يتجلى هذا النقد في رأي الباحث في جانبين أساسيين، الأول يركز على صعوبات الفصل بين المتغير المستقل المتمثل في إدمان اتصال الإنترنت بوصفها متغيرًا وحيدًا مسببًا للقلق النفسي بوصفها متغيرًا تابعًا في كل الدراسات التي أجريت، فهناك عدد من المتغيرات الوسيطة التي يمكن أن يكون لها تأثير في وجود القلق النفسي إلى جانب إدمان اتصال الإنترنت كالسمات الشخصية، والمحيط الفردي، والواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، وهذا يعكس صعوبات التحكم والعزل لهذه المتغيرات الوسيطة وحجم ونوع تأثيراتها على القلق النفسي. أما الجانب الآخر، فيتمحور حول ذلك التطور الهائل والمتلاحق الذي يجري في بيئة اتصال الإنترنت نفسها إلى الحد الذي يستدعي معه تفتيت مفهوم إدمان اتصال الإنترنت إلى مفاهيم جزئية، مثل: إدمان شبكات التواصل الاجتماعي، وإدمان ألعاب

(٦٢) الشهري، والعشري. "إدمان الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية لدى طالبات الجامعة"، ٤٦٥

(٦٣) الأبيض. "إدمان الإنترنت وعلاقته بقلق المستقبل لدى عينة من طلاب جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز"، ٣٥٢

(64) Al-Baddai & Al-Abyadh. "Future Anxiety Among University Students in Light of Corona Pandemic and War in Yemen", 6

(٦٥) خليوي. "الاضطرابات النفسية المرتبطة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى طلبة الجامعة"، ٩٥

(٦٦) الأبيض. "إدمان الإنترنت وعلاقته بقلق المستقبل لدى عينة من طلاب جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز"، ٣٥٧

الإنترنت، وإدمان الأخبار وخصوصا السلبية منها، وغيرها من المفاهيم الجزئية، ومن ثمَّ دراسة علاقتها بأنواع ومستويات مختلفة من القلق النفسي نتيجة تسارع التطورات التكنولوجية الاتصالية من واقع افتراضي وذكاء اصطناعي ودمج اتصالي تعمق يومًا بعد آخر من الاستغراق والسيطرة على المتلقي؛ مما يزيد بكثرة من المخاطر النفسية لهذا الاتصال الإلكتروني المتطور في المستقبل المنظور، وهذا يفتح آفاقا جديدة أكثر رحابة لدراسة تأثيرات إدمان اتصال الإنترنت في المجتمع اليمني أمام الباحثين.

ختاما، لقد انتهت هذه الدراسة إلى تأكيد وجود علاقة إيجابية بين إدمان اتصال الإنترنت كظاهرة اتصالية وارتباطها بالقلق النفسي كظاهرة نفسية لدى الشباب في سياق المجتمع اليمني، الأمر الذي يدعم أكثر كون هذه العلاقة اتجاها عالميا متناميا في إطار الدراسات التي ما تزال في هذا المجال، وتؤكد على عمق التأثيرات التي تحدثها تكنولوجيا الاتصال الجديدة في حياتنا وصحتنا النفسية على الأخص، وما يؤكد أكثر على أهمية الأبعاد النفسية لوسائل الإعلام والاتصال في مجتمعنا المعاصر، وهو ما يتطلب مزيدًا من الجهود العلمية لاستكشاف عوامل وأسباب الظاهرة وكيفية حدوثها والبحث عن حلول ومعالجات ناجعة لها في زمن باتت فيه تكنولوجيا الاتصال تلاحقنا كل لحظة في ظل ظاهرة متنامية يمكن أن نطلق عليها ظاهرة قلق الإنترنت.

توصيات الدراسة:

في ختام هذه الدراسة يوصي الباحث بالمقترحات التالية:

١-تبني آليات تربوية جديدة مكافئة لحجم المخاطر المترتبة على الاستخدام المفرط لإدمان اتصال الإنترنت على الشباب من خلال مناهج تعليمية وتثقيفية في مجال التربية الإعلامية في المدارس والجامعات والمحيط العائلي والاجتماعي تعزز هذا الترشيد والوعي في استخدام اتصال الإنترنت.

٢-إقامة مراكز وعيادات نفسية خاصة تساهم في علاج مدمني الإنترنت في المجتمع اليمني، تسهم فيها المؤسسات والجهات ذات العلاقة أسوة بتجارب ناجحة في دول عديدة في هذا النوع من العلاج النفسي الذي نفتقر إليه.

٣-إنشاء مركز دراسات يمني متخصص يسعى إلى تنفيذ مشاريع بحثية مستمرة ومنتظمة لدراسة ومراقبة تحولات تكنولوجيا الاتصال الجديدة وعلاقتها بالتأثيرات الاجتماعية والنفسية على المجتمع اليمني.

٤-القيام بحملات توعية مدروسة وهادفة للشباب حول مخاطر إدمان الانترنت ووسائل مواجهته عبر كل الوسائل المتاحة.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

أبوجدي، أمجد، وبني يونس، محمد. "قلق الإنترنت وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى طلبة جامعة عمّان الأهلية" . *مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية*. الجامعة الأردنية، ٣٥، ٢٠٠٨: ٤٤١-٤٥٢

الأبيض، محمد. "إدمان الإنترنت وعلاقته بقلق المستقبل لدى عينة من طلاب جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز" . *مجلة الإرشاد النفسي*، جامعة عين شمس، ٦١، يناير، ٢٠٢٠: ١-٤٠

الاتحاد الدولي للاتصالات. "تقرير قياس التطور الرقمي حقائق وأرقام". تم الوصول في ٨ مارس ٢٠٢٣: https://www.itu.int/hub/publication/d-ind-ict_mdd-2022

الزيدي، أمل. *إدمان الإنترنت وعلاقته بالتواصل الاجتماعي والتحصيل الدراسي لدى طلبة جامعة نزوى. رسالة*

ماجستير، قسم التربية والدراسات الإنسانية، كلية العلوم والآداب، جامعة نزوى، عُمان، ٢٠١٤

الشهري، أمل، والعشري، ولاء. "إدمان الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية لدى طالبات الجامعة". *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية*، ٢٨، ٢، ٢٠٢٠: ٤٤٤ – ٤٧٢.

بشبش، صبا. *إدمان الإنترنت وعلاقته بالاكتئاب والوحدة النفسية لدى طلبة الجامعات في قطاع غزة، رسالة ماجستير*، قسم الصحة النفسية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٨

توفلر، ألفن. *صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد*. (ترجمة: محمد علي ناصف)، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، الطبعة الثانية، ١٩٩٠.

خليوي، أسماء. "الاضطرابات النفسية المرتبطة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي لدى طلبة الجامعة". *مجلة العلوم التعليمية والنفسية*، الجامعة الإسلامية في غزة، ٢٥، ٤، ٢٠١٧: ٦١- ١١٠.

سليمة، حمودة. "الإدمان على الإنترنت اضطراب العصر". *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، الجزائر، ٢١، ديسمبر، ٢٠١٥: ٢١٣ – ٢٢٤.

طباس، نسيبة، وملال، خديجة. "الإدمان على الإنترنت لدى الطلبة الجامعيين". *مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية*، ٥، ١، يونيو،٢٠٢١: ٣٨٣ – ٤٠٥

عبد الرازق، أسامة. "إدمان وسائل التواصل الاجتماعي وعلاقته بالشعور بالوحدة النفسية وسمات القلق الاجتماعي لدى طلاب الجامعة". *المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، ١٤،٢٠٢٠: ٢١٠-٢٤١

عدوي، طه، والبهنساوي، أحمد. "القلق الاجتماعي والضبط الانفعالي كمؤشرين للتنبؤ بإدمان الفيسبوك في ضوء المتغيرات الديمغرافية لدى طلاب الجامعة. *المجلة المصرية للدراسات النفسية*،٢٧، ٢٠١٧،٩٦: ١٤٧ – ٢٠٣

قدوري، يوسف. "إدمان استخدام الإنترنت وعلاقته ببعض أعراض الاضطرابات النفسية. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، الجزائر، ١٩، يونيو،٢٠١٥: ٢٧١ – ٢٨٤

معيجل، سهام، وبريسم، علي. "الإدمان على الإنترنت وعلاقته ببعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة". *مجلة أبحاث ميسان*، ١٢، ٢٤، ٢٠١٦: ١ – ٣٥.

مؤسسة أي سي دي إل العربية. "تقرير السلامة على الإنترنت ٢٠١٥، دراسة بحثية حول سلوك الشباب العربي على الإنترنت والمخاطر التي يتعرضون لها". تم الوصول في ٢٦ إبريل ٢٠٢٣:
https://drive.google.com/file/d/1AH9W4dDqEcJR0jK5t4gyQY6ilgSdvqmR/view?pli=1

وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات. "تقرير مؤشرات الاتصالات". تم الوصول في ١٢يوليو ٢٠٢٣:
https://www.mtit.gov.ye/pdata_info.aspx?PDID=222

وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات. جريدة الاتصالات، ١٣. تم الوصول في ٢٦ مايو٢٠٢٣:
https://www.mtit.gov.ye/co_sub_media_image/196-EtsalatJaridahIssued13_R6HQ.pdf

المراجع الأجنبية:

Akin, A. & Iskender. M. "Internet Addiction and Depression, Anxiety and Stress". *International Online Journal of Educational Sciences*, 3, 1, 2011: 138-148.

Al-Baddai, N. & Al-Abyadh. M. "Future Anxiety Among University Students in Light of Corona Pandemic and War in Yemen". *Clinical Schizophrenia Relate Psychoses*, 15,2012: 441 - 452

AZher, M, Kham, R.B, Salim, M., Bilal, M, Hussain, A. Haseeb, M. "The Relationship Between Internet Addiction and Anxiety Among Students of University of Saragodha".

International Journal of Humanities and Social Science,4, 1, January,2014: 288-293.

Baltaci, U. B., Yilmaz, M. & Tras, Z. "The Relationships Between Internet Addiction, Social Appearance Anxiety and Coping with Stress". *International Education Studies*, 14, 5,2012: 135-144.

Chaudhari, B. L., Menon, P., Saldanha, D., Tewarri, A. & Bahattacharia, L. "Psychological Correlates of Internet Addiction: Association with Depression and anxiety". *International Journal of Current Medical and Applied Sciences*, October,2015: 33 - 38

Gavurova, B., Ivankova, V., Rigelsky, M. & Mudarri, T. "Internet Addiction in Socio-Demographic, Academic, and Psychological Profile of College Students During the Covid-19 Pandemic in The Czech Republic and Slovakia". *Frontiers in Public Health*, 10,2020: 1 - 17

Hasmujaj, E. "Internet Addiction and Anxiety Among Students of University of Tirana". *European Journal of Education Studies*, 2,4,2016: 1 -12

Lodha, P. "Internet Addiction, Depression, Anxiety and Stress Among India Youth". *Indian Journal of Mental Health*, 5, 4,2018:427 - 442

Nowak, M., Rachumbinska, K., Starczewska, M. & Grochans, E ."Seeking Relationships Between Internet Addiction and Depressiveness, Daytime Sleepiness, as Well as Perceived Social Support in Young Adults". *European Review for Medical and Pharmacological Sciences*, 26, 2022:1374-1381.

Sayed. M., Naiim, c., Aboelsaad, M., Ibrahim, M. K."Internet Addiction and Relationships with Depression, Anxiety, Stress, and Academic Performance Among Egypt Pharmacy Students: A cross-Sectional Designed Study". *BMC Public Health*, 22,2022: 1 -10

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ١١٣-١٣٣، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 113-133, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

(القبح) في اللغة العربية بوصفه نموذجًا أوَّليًّا: تحليلٌ دلاليٌّ إدراكيٌّ

نادية بنت سيد عبد الواحد عبد المجيد

أستاذ علم اللغة والدراسات السامية والشرقية المساعد، قسم اللغة العربية، كلية اللغات والعلوم الإنسانية، جامعة القصيم، السعودية.

(قدم للنشر في ٨/ ٧/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ٧/ ٨/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-6

الكلمات المفتاحية: القبح، النموذج الأوَّلي، التحليل التكويني، الدلالة الإدراكيّة.

ملخص البحث: تسعى الورقةُ إلى تحليلٍ دلاليٍّ إدراكيٍّ (Cognitive semantics) لفئة القبح في اللغة العربية، مستخدمةً التحليلَ التكوينيَّ لمعاني المتغيرات المعجمية الممثِلة للمستوى الأساسي لهذه الفئة، في ضوء نظرية النموذج الأوَّلي، هادفةً إلى الإشارة إلى الممثلين الأساسيين لهذه الفئة في معاجم اللغة العربية، ومن ثم إنشاء مجموعة من ميزات الفئة ذات الصلة بالمستوى الأساسي. إنه تحليلٌ يستمدُّ معطياتِه المعرفيّةَ والمنهجيّةَ من النهج الدلاليّ الإدراكيّ (يرى أن اللغة جزء من قدرة معرفية بشرية عمومية، ومن ثم يمكنها وصف العالم مثلما يتصوره الناس)، وعلى وجه الخصوص نظرية النموذج الأوّلي التي بدأتها روش في تصنيف البنية الداخلية للفئات، وقد آثر البحث اختيار المستوى الأساسي من مستويات النموذج الأوّلي (أعلى، وأساسي، وثانوي)؛ لتميزه في التصنيف الإدراكيّ بحمله لأكبر قدر من المعلومات، وتحقيقه أعلى درجة من الصلاحية؛ مما يجعله الأكثر قدرة على التمييز بين الفئات المختلفة، ومنها فئة القبح، ومما استنتجه البحث نتيجة التحليل المقترح: أن تطبيق النموذج الأوَّلي في دراسة أعضاء المستوى الأساسي لفئة القبح في المعاجم العربية، قد أعان على فهم أعمق لكيفية تنظيم اللغة للمفاهيم المعقَّدة؛ إذ يعكس القبح في اللغة العربية تصورًا ثقافيًّا ومعرفيًّا وإدراكيًّا متعدد المستويات، وقد أبرز رصد المتغير المعجمي الدلاليّ الفروقَ بين القبح المادي والمعنوي بناءً على قربها أو بعدها من النموذج الأوَّلي. والله سبحانه نسأل السداد والتوفيق.

"Ugliness" in Arabic as a Prototype Model: A Semantic and Cognitive Analysis

Nadia Sayed Abdulwahid Abdulmajeed
Assistant Professor of Linguistics and Semitic and Oriental Studies, Department of Arabic Language, College of Languages and Humanities, Qassim University, Saudi Arabia.
(Received: 8/ 7/1446 H, Accepted for publication 7/ 8/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-6

Keywords: Ugliness, Prototype, Compositional Analysis, Cognitive Semantics.
Abstract. The paper aims to conduct a cognitive semantic analysis of the category of "ugliness" in the Arabic language by employing componential analysis of the meanings of lexical variables representing the basic level of this category within the framework of Prototype Theory. The objective is to identify the primary representatives of this category in Arabic dictionaries and subsequently establish a set of features related to the basic level of the category. The analysis derives its cognitive and methodological basis from the cognitive semantic approach, which views language as part of a universal human cognitive capacity capable of describing the world as perceived by people. Specifically, it utilizes Prototype Theory, initiated by Eleanor Rosch, to classify the internal structure of categories. The study chooses to focus on the basic level of the prototype model (higher, basic, and subordinate levels) because this level is distinguished in cognitive classification by carrying the highest amount of information and achieving the greatest degree of validity, making it the most effective in differentiating between various categories, including the category of ugliness. The research concludes that applying the prototype model to study the members of the basic level of the ugliness category in Arabic dictionaries has resulted in a deeper understanding of how language organizes complex concepts. Ugliness in the Arabic language reflects a multi-level cultural, cognitive, and perceptual conceptualization. The analysis of semantic lexical variables highlights distinctions between physical and moral ugliness based on their proximity to or distance from the prototype.

مقدمة:

حظي مفهومُ القبحِ باهتمام الفلاسفة واللغويين وعلماء الأنثروبولوجيا والنقاد والكتاب وغيرهم، ومع ذلك فإن عدد الأعمال اللغوية المخصصة لدراسة هذا المفهوم قليلة بالنظر إلى أهميتها؛ فالقبح فئة أساسية من فئات المفاهيم البشرية.

ويبدو أنه نتيجة تلازم مفهوم القبح بوصفه ضد الجمال، وكونه مفهومًا مراوغًا مستعصيًا على الوصف، ومن ثم التفسير، وحمله طبيعة متدرجة غير قطعية، فإن اللغويين يواجهون إشكالية التعبير اللفظي عن مفهوم القبح، والتعرّف إلى سماته المحددة والثقافية في أذهان المتحدثين بالعربية. ولم أعثر على تحليل لفئة القبح في ضوء الدلالة الإدراكيّة سوى في بحث باللغة الروسية مركزًا على المفهوم في ضوء الثقافة الروسية.

ومن ثم تسعى الورقة إلى تنويع وتوسيع هذا الخط البحثي من طريق التحليل الدلاليّ الإدراكيّ (Cognitive semantics) لفئة القبح في اللغة العربية باستخدام التحليل التكويني لمعاني الوحدات المعجمية الممثلة للمستوى الأساسي لهذه الفئة في ضوء نظرية النموذج الأوَّلي، هادفةً إلى إنشاء مجموعة من ميزات الفئة ذات الصلة بالمستوى الأساس، والخصائص النموذجية للتشوهات في الثقافة العربية.

ويمكنني تحديد أهمية التحليل الدلاليّ الإدراكيّ لهذه الفئة المفاهيمية في محاور: **الأول**: تُمثل دراسة مفهوم القبح وفق نظرية النموذج الأوَّلي جزءًا مهمًّا من الصورة المفاهيمية للعالم، التي تنعكس في اللغة؛ إذ تملك اللغة العربية ثقافة عميقة ورمزية، ويتجلى فيها الأثر الديني والأدبي، مما يُعقّدُ ويعمقُ التصنيفَ ويُغنيه بمفاهيم معنوية وجمالية، وربما تمثل طريقة لفهم العقلية العربية في التصنيف والتقييم الجمالي. وعلى الجانب الآخر أدت نظرية النموذج الأوَّلي دورًا مهمًّا في تطور العلوم المعرفية منذ السبعينيات عبر فحص عمليات التصنيف ووضعها في مركز الإدراك. **الثاني**: فهم السياقات الثقافية، فمن الأهمية – من الناحية الأخلاقية والقيمية – دراسة الأبعاد الثقافية للمفاهيم، إذ يمثل الجمال في الإسلام على سبيل المثال بعدًا روحيًّا له جذور في التعاليم الإسلامية، ويرتبط مفهوم القبح بمعايير الأخلاق والقيم منتميًا إلى فئات التقييم السلبي ويدخل في تناقض ومعارضة مع مفهوم الجمال من فئات التقييم الإيجابي. **الثالث**: من الجانب التطبيقي: يمكن استخدام نتائج هذا التحليل في مجالات مثل الترجمة الآليّة، ومعالجة اللغات الطبيعية، وتصميم واجهات المستخدم. **الرابع**: عن أهمية البحث عبر الثقافات في تحديد مفاهيم الناس للأشياء، فقد أثبتت التجارب عدم كفاية وفشل التعميم على العلوم الإنسانية بوجه عام.

وبالنظر العام في بنية العقل العربي وما يدار من ندوات أو مؤلفات حول هذا الموضوع، يُخيل إلى الباحث أن التقييم الإيجابي المتعلق بالجمال، أو السلبي المتعلق بالقبح قد تحوَّل إلى معايير للتقييم، هذه المعايير لها مبررات قد تكون أنثروبولوجية تقييمية، بمعنى أن الحكم بالجمال أو القبح يُفسّر من طريق متوارث من الأجداد وطبيعتهم وخصائصهم النفسية والاجتماعية، وعندما يحدث التناقض بين معيار الفطرة والمعيار المتوارث الاجتماعي؛ يحدث الانحراف الدلاليّ ويُحكم على الشيء بأنه قبيح وبشع.

ومن ثم ستحاول الورقة تقديم فئة القبح على المستوى الأساسي من مستويات التصنيف في النموذج الأوَّلي (نفصلها في الإطار النظري لهذه الورقة) بوصفه مجموعة من السمات ذات الصلة بالإنسان، وبناء نموذج أوَّلي للقبح بوصفه ممثلًا مثاليًّا أو معنى أساسيًّا للفئة، وتحديد ممثلين أقل نموذجية أو ألفاظ حاملة دلالات ثانوية للفئة مع خصائص أقل ذات صلة. وفي ثنايا ذلك ربما تظهر كيفية تفاعل اللغة والثقافة والدين مع الإدراك المعرفي العربي لهذه الفئة وما تحمله من مفاهيم.

ويكون العمل على تحقيق هذا الهدف- بإذن الله تعالى- بواسطة مطلبين، أولهما: معلق بتحديد الإطار النظري، وثانيهما: تحليل لمفهوم القبح وتفسيره في العربية بوصفه نموذجًا أوليًّا، ثم الخاتمة ونتائج البحث.

وتتمثل أسئلة البحث فيما يأتي:

١. ما النموذج الأوَّلي للقبح في اللغة العربية؟

٢. كيف تتأثر العلامات الدلاليّة والعلامات الفئوية لهذه الفئة بالثقافة العربية الإسلامية؟

٣. هل حدثت إعادة تصنيف مفاهيمي لتداوليّة ألفاظ الفئة بين المعاجم العربية القديمة والحديثة بالمرور عبر الدلالة التاريخيّة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة يتبع البحثُ تضافر المناهج مدعومًا بأدوات متنوعة، ولا نهدف في تحليلنا إلى تحليل عميق أو مختلط لمفهوم القبح، فلا نريد الانخراط في النزاع الفلسفي والمنطقي حول هذا المفهوم وما طُرح من جماليات القبح وغيرها، فمنهج الورقة أبسط من ذلك؛ فهو يعتمد التحليل الدلاليّ الإدراكيّ لهذه الفئة المفاهيمية (القبح) على "نظرية النموذج الأوَّلي (Prototype Theory)(التي طوّرتها العالمة إليانور روش، التي

تفترض أن التصنيفات لا تُبنى على حدود صارمة، وإنما حول نماذج أوَّلية تجمع الخصائص الأكثر تمثيلاً لفئة معينة) مستعينا ببعض أدوات لغوية أهمها: التحليل التكويني للوحدات المعجمية الرئيسة المعبرة عن مفهوم القبح من طريق تحليل تعريفاتها في نماذج من معاجم العربية ؛ لأنه باستخدام هذه المنهجية يمكننا التعرف على السمات النموذجية الرئيسة لمفهوم القبح التي سُجلت في أذهان متحدثي اللغة العربية الأصليين.

حدود البحث: سيكون استخدام التحليل التكويني للمجموعات الدلاليّة النموذجية بناء على ما ذكرته نماذج من المعاجم العربية التراثية والحديثة من تعريفات لمفهوم القبح، فالتحليل التكويني أو المكوناتي المعروف أيضًا بالتحليل الدلاليّ، يسمح بتعريف أي عنصر معجمي على أساس الحد الأدنى من عناصر المعنى، التي نطلق عليها "الميزات الدلاليّة" وقد تستخدم بالتبادل مع مصطلح" المكون الدلاليّ"، ومن ثم يسمح التحليل التكويني بالكشف عن العلامات الفئوية (أكبر مكونات المعنى) والعلامات الدلاليّة وميزاتها(تشير العلامات الدلاليّة إلى السمات المشتركة لفئة من الوحدات المعجمية، وتميزها، وتفردها الدلاليّ).

ولأن مفهوم القبح يحمل دلالة متدرجة غير قطعية، ونظرًا لأن نظرية النموذج الأوَّلي/ الأصلي تُعدُّ أداة فاعلة لفهم كيفية تنظيم المفاهيم في الذهن الإنساني؛ اختارها البحث نهجا أساسيًّا في التحليل.

ومن أهم الصعوبات التي واجهت البحث غياب تراكمي للدراسات المتعلقة بالقبح؛ فجلُّ الدراسات الأدبية واللغوية العربية مدارها على مفهوم الجمال.

وختامًا لا تدعي الباحثة لنفسها تميزًا أو تفردًا، فلهذا النهج الإدراكيّ طموح كبير قد لا نكون أدركنا جزءا منه؛ لذا فإني أتقدم بموفور الشكر وأجزله إلى قارئ هذا البحث على صبره، وعلى ما يقدمه من إرشادات وإضاءات تكمل نواقصه وتسدُّ هناته وتضيء عتماته.

المطلب الأول: الإطار النظري: تُعَدُّ الدلالات الإدراكيّة Cognitive semantics جزءًا من حركة اللسانيات الإدراكيّةcognitive linguistics، وتُعنَى الأولى بدراسة المعنى اللغوي ناصةً على أن اللغة جزء من قدرة معرفية بشرية أكثر عمومية، ومن ثم يمكنها وصف العالم مثلما يتصوره الناس، وهذا يعني أن تصور الأشياء والعمليات البسيطة داخل المجتمعات اللغوية يحدث بشكل مختلف (قد يكون خاضعا للثقافات) ليس بالضرورة أن يكون اختلافًا بين التصور المفاهيمي للشخص وعالمه الحقيقي.[1] وتندرج تحت الدلالات الإدراكيّة مجموعة من النظريات والأدوات التحليلية، مثل: نظرية النموذج الأوَّلي، ودلالات الإطار، والاستعارات المفاهيمية، وغيرها.

وقد كان الدافع الرئيس لظهور النموذج الأوَّلي، منذ أوائل الثمانينيات فصاعدًا، هو عمل إليانور روش في مجال التصنيف. وقد تناولت روش مسألة العلاقة بين الكلمات ونطاق الأشياء في العالم التي يمكن استخدام الكلمات للإشارة إليها. وقد صاغت معطياتها في تطوير نظرية النموذج الأوَّلي.

وعن بداية النظرية وجذورها: فالتاريخ يعيد نفسه- مع اختلاف الصورة- فقبل عقود قليلة من الزمن لم تكن هناك نظرية مناسبة لتحليل المعنى، وقد حاول البنيويون الأمريكيون تطبيق التقنيات التحليلية التي نجحت في تحليل الأصوات على تحليل المعنى، ويكمن الاختلاف في اعتماد التصنيفات التقليدية(القياسية) أو ما يُعرف بالتصنيف الأرسطي (Aristotelian Categories) (تصنيف الحدود القاطعة) على أن الفئات تُعرَّف بمجموعات صارمة من الخصائص المشتركة، يُصنَّف الكيان ضمن فئة معينة إذا استوفى جميع الخصائص المطلوبة[2].

ثم جاءت روش مطورةً نظرية النموذج الأوَّلي (بعد أعوام من نشر "مفهوم القانون" لهارت والقائم بصورة أساسية على فكرة النموذج الأوَّلي) مستعينة ببعض جهود السابقين عليها، خاصة فتجنشتاين وروجر براون.[3] وقد تطورت النظرية بشكل مستقل في عدة علوم في وقت واحد على وجه التقريب؛ فوفقًا لروش (١٩٧٣/ ١٩٧٥) تطورت في علم النفس المعرفي وعلم اللغة الإدراكيّ وفي اللسانيات النظرية وفي الفلسفة (خاصة الفلسفة الظاهرية)[4]

---

(1) William Croft and D. Alan Cruse, *Cognitive Linguistics*, Cambridge Textbooks in Linguistics (Cambridge University Press, 2004). 1, 7–15, 33–39, 105. https:::goo.su:xjyxgu.

(2)Eugenio Coseriu, Klaas Willems, and Torsten Leuschner, "Structural Semantics and 'Cognitive' Semantics", *Logos and Language: Journal of General Linguistics and Language Theory*, 1 (2000): 13–51. https:::goo.su:6VV4UB.;

وكذلك أحمد جوهاري، "مشكلة المعنى من وجهة نظر الدلاليات المعرفية 'مارتن ليمانس' نموذجا"، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠٢٤:١٠:٢. https:::2u.pw:10m3d4zk .

(3)Croft, *Cognitive Linguistics*. 74–77.

(4)See more: Eleanor Rosch, "Human Categorization," in *Advances in Cross-Cultural Psychology* (London: Academic Press, 1975), 23–57; and Eleanor Rosch,

وتُعَدُّ هذه النظرية مقاربة لمشكلة الفئات، ويمكن عدُّها حلًّا وسطًا بين الأفلاطونية والفيتجنشتاينية.[٥] وما بين طيور روش وأرنب فتجنشتاين وسمك كروفت تأسست مبادئ نظرية النموذج الأوَّلي (prototype) **التي تقوم على أن الفصل الذهني بين مختلف الوحدات اللغوية في التحليل الدلاليّ يتمركز حول أمثلة مركزية تتجمع فيها الصفات الأكثر تمثيلاً لكل فئة**. وقد تأسست النظرية على مجموعة من التصورات نذكر بعض المكرر منها في الأدبيات ذات الصلة: (١) أصناف الوحدات اللغوية قائمة على وجود عناصر مركزية وأخرى هامشية. (٢) الحدود بين أصناف الوحدات اللغوية غير واضحة أو نهائية، بل غائمة نوعا ما. (٣) وكذلك تتغير بنية الأصناف للوحدات اللغوية (الألفاظ) اعتمادًا على النموذج الإدراكيّ المخزون في الدماغ والمتأثر بالتجارب الإنسانية المختلفة وبالبنى الثقافية[٦](٤) لا يمكن تعريف الفئات النموذجية من خلال مجموعة واحدة من السمات المعيارية (الضرورية والكافية). (٥) تُظهر الفئات النموذجية بنية تشابه عائلي، أو بوجه عام، يأخذ هيكلها الدلاليّ شكل مجموعة شعاعية من المعاني المتجمعة والمتداخلة.[٧]

وترد فكرة النموذج الأوَّلي في عدة أمور أهمها: (١) مفهوم الملمس المفتوح [٨]. (٢) في الأعمال المتعلقة بالمفاهيم الضبابية أوالغامضة (FUZZY CONCEPTS)، في إطار التصنيف اللغوي [٩] (٣) في الدراسات التقليدية للغة التصويرية، وأشكال الكلام، عندما تنقل خاصية تُعَدُّ نموذجية في موضوع ما إلى موضوع آخر، تسمى باسم الأول. (٤) في علم اللغة الأنثروبولوجي – في دراسات فئة اللون.[١٠]

قد تتغير النماذج الأوَّلية بمرور الوقت، لا سيّا نتيجة الاستخدام المجازي للمصطلحات عندما تكتسب فئة ما ممثلين جدد لها. وترتبط مثل هذه التغييرات بإعادة تعريف مجموعة من الخصائص المميزة ورتبتها النسبية[١١]. وهذا يعبر بدقة عن التغييرات التاريخية في المعجم والصرف وبناء الجملة؛ إذ يدير الأشخاص مساحة هذه الفئات بطرق مختلفة.[١٢] وتتجلى مرونة الفئات المنتظمة حول النماذج الأوَّلية في الاستخدام الفردي الشخصي؛ نتيجة تصادم الشخص مع بيئات متنوعة: اقتصادية، واجتماعية، وبيولوجية، وثقافية.

ويرجع التنظيم النموذجي لمساحة الفئة إلى عدة عوامل: [١٣]

١-**تعدد السياقات** :من المستحيل أن تكون هناك حالتان متماثلتان تمامًا؛ كل موقف يحمل تفرّده.

٢-**محدودية الذاكرة البشرية**: رغم ضخامة مواردها.

٣- **تعقيد إجراءات البحث**: لا يمكن تحديد الفئة المناسبة لكائن معين ببساطة من طريق مقارنة زوجية بين السياقات والكائن وبين خلفية كل فئة.

٤-**تحديات استيعاب المعرفة الجديدة**: سيكون دمج المعرفة الجديدة صعبًا إذا أُعتمد فقط على المقارنات المباشرة بين المعلومات القديمة والجديدة لإثبات التشابه أو القياس.

وتتمثل أهم مظاهر النموذج الأوَّلي أو ما يمكن أن نطلق عليه (التأثيرات النموذجية) في حقيقة أن الأعضاء المركزيين في فئة ما يُظهرون خصائص إدراكية مختلفة عما يظهره الأعضاء غير المركزيين، نحو: أن

"Natural Categories," *Cognitive Psychology* 4 (1973): 328–350.

(5) T. Givón, *Syntax: An Introduction* (2 vols.), Amsterdam; Philadelphia: John Benjamín's, 2001. Vol. 1: xvii+500; Vol. 2: x+406.

(٦) تراجع تفاصيل ذلك في: عبد الرحمن طعمة. *توظيف علم الدلالة المعجمي في حقل التفسير القرآني: مقاربة تحليلية في علم الدلالة التفسيري*. (عمان، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٨) ٣١–٤٢.

(7)Dirk Geeraerts, "Prospects and Problems of Prototype Theory," *Diacronia* 1 (2016).5–6. https:doi.org:10.17684:i4A53en.

(٨) نظرية فلسفية طرحها الفيلسوف هارت وقد بدأت عند وايزمان بمصطلحات عدة نحو: " مسامية المفاهيم" و" إمكانية التحقق" ويمكن إيجاز فكرتها الرئيسة في الدوران في أن غياب التحقق القاطع في تصنيف المفاهيم يرجع بصورة قطعية إلى فكرة الملمس المفتوح للمصطلحات المعنية، وتتقابل مع نظرية النموذج الأوَّلي في كثير من المحاور. وما بين نظرة وايزمان وهارت ينظر: M.zeifert, "Rethinking Hart: From Open Texture to Prototype Theory—Analytic Philosophy Meets Cognitive Linguistics," *International Journal for the Semiotics of Law* 35 (2022),409–430. https:::2u.pw:LFziD57J.

(9) George Lakoff, "Hedges: A Study in Meaning Criteria and the Logic of Fuzzy Concepts," *Journal of Philosophical Logic* 2 (1973), 459–507.

(10) for example: Linda Coleman and Paul Kay, "Prototype Semantics: The English Word Lie," *Language* 57 (1981) , 26–28. https:::doi.org:10.2307:414285.

(11) Coleman, "Prototype Semantics" ،27-28

(12) T. Givón, "Prototypes: Between Plato and Wittgenstein," in *Noun Classes and Categorization: Proceedings of a Symposium on Categorization and Noun Classification* (Eugene, Oregon, October 1983) ، edited by Craig C, 77–102. Amsterdam; Philadelphia, 1986,98.

(13) Givón."Prototypes" 98-99

يُتعرف عليهم بشكل أسرع، ويكون استيعابهم بشكل أسرع، وكذلك يكونوا أكثر استخدامًا في كثير من الأحيان، وتستخدم أيضًا في الحساب المنطقي لما هو مرجع الاسم، ومن ثم يُستخدمون في فهم الفئة ككل[١٤] ووفقًا لجيرارتس تسلط نظرية النموذج الأوَّلي الضوء على حقيقة مفادها أنه من المرجح أن تتخذ التغييرات في امتداد معنى واحد لعنصر معجمي شكل توسع للمركز النموذجي لهذا الامتداد إذا لم تكن المراجع في نطاق تطبيق معنى معجمي معين تتمتع بمكانة متساوية، فمن المحتمل أن تكون الأعضاء الأكثر بروزًا أكثر استقرارًا (من الناحية التاريخية) من الأعضاء الأقل بروزًا..[١٥]

وتختلف مصادر هذه التأثيرات النموذجية، كما يأتي:[١٦]

١. حزم الأحاسيس (العناقيد التجريبية)، وفيها يكون النموذج الأساسي عادة نموذجًا من النوع المعتاد غير المجازي. وعند تقاطع عدد معين من النماذج الأساسية تُنتج مجموعة معقدة (أقل تعقيدًا من الناحية النفسية) من النماذج المتضمنة في مثل هذا التقاطع. ومن الأمثلة على ذلك مفهوم (الأم).

٢. الهياكل الشعاعية: هناك حالة مركزية وتنوعاتها التقليدية. لم تُضّمن (فئة الممثلين المركزيين) والمبادئ العامة (كما في حالة الأعداد الطبيعية) هنا. والهياكل الشعاعية هي فقط تلك التي يكون فيها تقليد الاختلافات واستيعابها ككل. وهذا لا يشمل الحالات التي يكون فيها الممثلون المركزيون لفئة ما أكثر عمومية من الممثلين غير المركزيين – أي عندما يكون لدى الممثلين غير المركزيين خصائص أكثر من الممثلين المركزيين.

ويتضمن تصنيف النماذج الأوَّلية، بحسب ج. لاكوف[١٧] من بين أمور أخرى:

١. أمثلة نموذجية، كما في جملة: "روبنز والعصافير طيور نموذجية".

٢. الصور النمطية الاجتماعية: عادة ما تكون معترفًا بها (يمكن مناقشتها) في المجتمع، ومن ثم تتغير مع مرور الوقت، نتيجة الاتفاقيات الصريحة بين الناس. وتُستخدم في الاستدلال لا سيما فيما يسمى. "استنتاجات غير متوقعة" وقد تكون هناك أيضًا خلافات بشأن مدى ملاءمة استخدامها في حجة معينة. مثال: "السياسي العادي عرضة للاتفاقيات السريَّة، وهو مهتم بمصلحته الشخصية وغير أمين".

٣. المثل العليا: (المثالية المجردة) على سبيل المثال، الزوج النموذجي (أي الزوج المثالي) هو معيل جيد ومخلص ويحظى باحترام كبير وجذاب. الصورة النمطية للزوج لا تتطابق مع الصورة المثالية: محرجة، مملة، ذات بطن.، حيث تستخدَم المثل العليا في الحكم والتخطيط.

٤. نماذج (الكمال): إما المثل الأعلى وإمَّا ضده. على سبيل المثال: "جيمس بوند الحقيقي"، "دارتاجنان الحقيقي"، "بليوشكين الحقيقي".

٥. المولدات. الحال عند ممثلي هذه الفئة؛ يحددها أو يُنشئها الممثلون المركزيون بالإضافة إلى عدد من القواعد العامة. على سبيل المثال، عند إنشاء تعريف عام، يتم تعريف فئة واحدة من الأرقام بواسطة فئة أخرى.

٦. النماذج الفرعية. على سبيل المثال، فئة فرعية من صلاحيات العشرة: عشرة، مئة، ألف، إلخ. يُستخدم هذا النموذج الفرعي (تقريبًا) للإشارة إلى الكمية. وبعض النماذج الفرعية متجذرة في علم الأحياء: الألوان الأساسية، والعواطف الأساسية، وما إلى ذلك. هناك أيضًا نماذج فرعية محددة ثقافيًّا (على سبيل المثال، الخطايا السبع المميتة).

٧. الأمثلة البارزة: مشهورة، سهلة التذكر، إلخ. إذا كنت تعرف نباتيًّا واحدًا فقط، فهو الشخص الذي ستحكم من خلاله على جميع النباتيين.

وقد أُثير كثير من التحفظات حول استخدام النماذج الأوَّلية في اللسانيات الإدراكيّة وحول الأهمية اللغوية الدلاليّة لتأثير تلك النماذج[١٨]، **لكن هذه التحفظات قد تحمل بعض القوة عند تعلق الأمر بتحليل**

(14) Lakoff, "A Study in Meaning," 32–36
(15)Dirk Geeraerts, Stefan Grondelaers, and Peter Bakema, *The Structure of Lexical Variation: Meaning, Naming, and Context*. (Berlin: Mouton de Gruyter, 2012). 3. https:::doi.org:10.1515:97831108730613
(16) Geeraerts, *The Structure of Lexical Variation*, 36–43
(17) Geeraerts, *The Structure of Lexical Variation, 32–36*

(١٨) ينظر في ذلك دراسات البولندية ويرزبيكا (١٩٩٠)، التي اتخذت مسارًا مختلفًا، وزعمت أن اللجوء إلى النماذج الأوَّلية هو ببساطة وسيلة للدلاليين الكسالى لتجنب الاضطرار إلى صياغة تعريفات صارمة

Anna, Wierzbicka and S. Tsohatzidis. "'Prototypes' Save: On the Uses and Abuses of the Notion 'Prototype' in Linguistic and Related Fields." (London; New York: Routledge, 1990). Retrieved November 27, 2024, from . وكذلك أعمال جير ارتس ومورفي https:::2u.pw:0oWwqyXh

Taylor, John R. "Prototypes in Cognitive Linguistics." *In Handbook of Cognitive Linguistics and Second Language Acquisition*, edited by Peter Robinson and Nick Ellis. (London: Routledge, 2008),39–65.وتايلور وغيرهم، ينظر في ذلك

المفاهيم التي تحمل تعريفات واضحة مثل "الطيور" و" العدد الفردي" و" الألوان"، ولكن تَفقد حُجة المعترضين كثيرًا من قوتها عند تعلق الأمر بمفاهيم مراوغة وضبابية مثل وصف" قبيح" في اللغة العربية.

وترى الباحثة أن النموذج الأوَّلي وخصائصه يُعَدُّ نموذجًا تحليليًّا مفيدًا للغاية وفاعلًا لدراسات فئات الكلمات، ومنها مفهوم القبح في العربية، فمن خصائصها السابقة يتمكن الباحث من اقتراح أن يكون لها قيمة أكبر في دراسة معنى الكلمات خاصة فئة الأسماء/ الصفات؛ إذ تختلف دراسة هذه الفئة في ضوء النموذج الأوَّلي عن دراسة الأصوات أو النحو، ومن ثم قد تتوافر لها الخطوات المنهجية وقابلية تكرار الإجراءات على صفات أخرى في اللغة العربية.

ولن تنظر الباحثة إلى النماذج الأوَّلية بوصفها إعدادات افتراضية للفئة، أو أن الفئة هي مجموعة من السمات النموذجية أو أنها أمثلة[١٩] وانما ستنظر لها بالترافق مع المستوى الأساسي.

ونقصد بترافق النماذج الأوَّلية والمستوى الأساسي، وفقًا لتايلور: أن العلاقة بين الكلمات والأشياء في العالم الخارجي يمكن تناولها من وجهتي نظر: بوسعنا أن نسأل عن الأشياء التي تشير إليها كلمة ما؟ وكذلك بوسعنا أن نعكس الأمر ونسأل عن الكلمات التي من المرجح استخدامها لتسمية هذا الشيء، ويمثل السؤال الأول منظورًا ينتقل من الكلمة إلى الشيء وهو منظور دلالي أو مرجعي، وهذه هي المنهجية التي استخدمتها روش، وتشكل الأساس لمفهوم النموذج الأوَّلي. وعلى هذا فإن النموذج الأوَّلي قد يتسم بأنه الكيان (أو نوع الكيان) الذي من المرجح أن يُشار إليه بكلمة. ويمثل السؤال الثاني منظورًا ينتقل من الشيء إلى الكلمة وهو منظور تسمية أو إدراكي لأسماء الأشياء. وهذا هو المنظور المستخدم في كثير من أبحاث الألوان، كما هو الحال عندما يُعرض على الأشخاص على سبيل المثال سلسلة من رقائق الألوان التي يُطلب منهم تسميتها.

ويشكل المنظور الدلاليّ لأسماء الأشياء الأساس لمفهوم مصطلح المستوى الأساسي. ويعني الأخير ذلك **المستوى التصنيفي الذي تُسمى فيه الأشياء عادة (في غياب أسباب على العكس)، نحو قولنا: "كرسي" إطلاقًا على المقعد المعروف، فلا نقول أثاث أو كرسي مطبخ.**

وهناك عدد من العوامل تتضافر لتجعل المستوى الأساسي بارزًا. وعلى وجه الخصوص، فإنه على هذا المستوى تكون الفئات متناقضة إلى أقصى حد فيما يتعلق بصحة الإشارة لسماتها.[٢٠] **وغالبًا ما يكون مفهوم النموذج الأوَّلي والمستوى الأساسي توأمان، فيتعلق الأول بالتنظيم "الأفقي" للفئات، ويتعلق الثاني بتنظيمها "الرأسي" في التصنيفات** [٢١]. وقد حُقق في التفاعل بين هذين المنظورين بشكل منهجي من قبل جيراريتس وآخرون (١٩٩٤)، ومن أجل متابعة كلا المنظورين، كان من الضروري اختيار مجال يمكن فيه مطابقة الكلمات بشكل موثوق مع مراجعها، والعكس صحيح. وقد كان أحد النتائج التي توصلوا إليها هو أن **المستوى الأساسي ليس موحدًا بأي حال من الأحوال داخل التصنيف**. فعلى سبيل المثال تشمل مصطلحات المستوى الأساسي لقطع الملابس: السترة والقميص والسراويل. سيكون الجينز فئة فرعية من السراويل، مع أنه ليس الأكثر نموذجية بأي حال من الأحوال. ومع ذلك، يُشار إلى الجينز عادةً على هذا النحو، وليس بوصفه بنطالًا. ويبدو أن الأعضاء الأكثر هامشية في فئة المستوى الأساسي تشتهر الإشارة إليهم بالاسم، على وجه التحديد؛ لأنهم مميزون في مقابل الأعضاء الأكثر نموذجية. فعلى سبيل المثال، إذا كان هناك زرزور وعصافير في الحديقة، فقد أعلق على" الطيور" التي لدينا. ولكن إذا رأيت البط والإوز يتجولان على العشب، فسأطلق عليهما أسماءً كذلك.[٢٢]

وعن التحليل التكويني السابق الإشارة إلية بمقدمة البحث، الذي يسمح بالكشف عن العلامات الفئوية (أكبر مكونات المعنى)والعلامات الدلاليّة وميزاتها (تشير العلامات الدلاليّة إلى السمات المشتركة لفئة من الوحدات المعجمية، وتميزها، وتفردها الدلاليّ).فبمراجعة أدبيات البحث المتعلقة بتحليل السمات الدلاليّة (semes)، وعلى وجه الخصوص ما قدمه رولان بارت أو غريماس وغيرهما من أصحاب الدراسات الحديثة في تحليل المعنى، نجد أن العناصر الفئوية تحتوي على إشارة إلى الخصائص العامة، ففيها نكشف عن العلامات الدلاليّة (Semes) الأساسية والإضافية والضمنية والإيحائية وغيرها في المعنى المعجمي؛ مما يُسهم في معرفة أثر المجازات المختلفة في تغيير معنى الكلمة أو ظهور معنى جديد لها.

(١٩) لما في هذه الاطروحات من مآخذ وعدم تلاؤمها التام مع اللسانيات الإدراكية أو مع هدف هذه الورقة ينظر: Taylor, "Prototypes," 44–47

(20) Taylor, "Prototypes*"* ،p.48

(21) Eleanor Rosch,"Principles of Categorization." *In Readings in Cognitive Science*, edited by A. Collins and E.E. Smith. (Amsterdam: Elsevier, 1988), pp. 312–322 https:::doi.org:10.1016:b978-1-4832-1446-7.50028-5. ISBN 978-1-4832-1446-7,

(22) Taylor, "Prototypes*"* ،48.

ويتوافق التسلسل الهرمي للسيمز في معنى الكلمات مع المستوى والمبدأ الهرمي لتشكيل فئات اللغة في نظرية النماذج الأوَّلية، لقد كان هذا النهج النموذجي هو الذي تحدث عنه إن بولديريف عندما صاغ المبدأ الرئيس لتشكيل فئات اللغة كمبدأ التشابه النسبي (Relative Similarity)[٢٣]

ويُعَدُّ هذا المبدأ أحدَ الأسسِ المهمة في نظريات التصنيف الدلاليّ الإدراكيّ، وعلى وجه الخصوص نظرية النموذج الأوَّلي، ويرتكز على أن عناصر الفئة تُصنف وتُفهم بناءً على مدى تشابهها مع نموذج مرجعي أو أوَّلي، وليس بناءً على مجموعة صارمة من القواعد أو الخصائص المشتركة وفقًا للنظرة البنيوية.

ويقوم هذا المبدأ على أساسين: الأول: **يعتمد تصنيف عناصر فئة معينة على التشابه النسبي بين عناصر هذه الفئة والنموذج الأوَّلي للفئة ذاتها. الثاني: تتدرج عناصر الفئة في تمثيلها وانتمائها للفئة.** وبناء على هذا المبدأ تُدمج الكلمات بوصفها أعضاءً في مجموعة واحدة على أساس التشابه النسبي، أي: الاختلاف فقط في درجة امتلاك الخصائص النموذجية. ولذلك، فإن التحليل التعريفي يجعل من الممكن مقارنة معاني الممثلين اللفظيين الرئيسين لفئة القبح، وتحديد سماتها الأساسية والمحيطية، وتحديد الخصائص النموذجية للقبح. وتتجلى السمات المحيطية في الاستخدام المجازي والكناية، في التعابير، في السياق [٢٤] وبعبارة أخرى، فإن هذا النهج سيجعل من الممكن إجراء تحليل دلالي إدراكي شامل للفئة قيد النظر، واستنادًا إلى بيانات التحليل المكون للكلمات التي تمثل مفهوم القبح، لتحديد ممثلي الفئة (المثالي وعكسه).

المطلب الثاني: القبح بوصفه نموذجًا أوَّليًّا:

أولا: يتضح مما سبق أن النموذج الأوَّلي وفقًا لروش، هو عضو فئة يعرض أقصى عدد من السمات التي يمكن تشخيصها للفئة، إذ إن هذه السمات مشتركة بين أكبر عدد من أعضاء الفئة، ولكنها لا تميل إلى أن تكون مشتركة بين أعضاء الفئات المتناقضة. وتُعرّف الفئة نفسها على أنها مجموعة العناصر أو الأشياء جُمعت بناء على تشابهها وارتباطها بتمثيل مركزي(النموذج الأوَّلي) وتحوي عددًا من السمات التي تُرجح بشكل تفاضلي وفقًا لأهميتها في تشخيص عضوية الفئة، وينتمي الكيان (اللفظة في حالتنا) إلى الفئة إذا بلغت الأوزان التراكمية لسماتها مستوى عتبة معينًا. لا يلزم أن يتقاسم أعضاء الفئة السمات نفسها[٢٥]، وإنما السائد هنا مبدأ التشابه النسبي الذي سبقت الإشارة إليه.

وإضافة إلى ذلك فالنموذج الأوَّلي في بحثنا هو ذلك المعنى الذي يمكن ربط المعاني الأخرى به بشكل معقول بناء على ما ورد في المعاجم العربية. وقد يحتمل وروده في بعض المواضع بمفهومه الفضفاض الذي هو عبارة عن ربط كلمة بصورة إدراكية لغوية سابقة، وأن المتحدثين مزودون بالقدرة على الحكم على الدرجة التي يتطابق بها شيء ما مع مخطط النموذج أو الصورة.

وفي سياق القبح تُحدد النماذج الأوَّلية وفقًا لابتعاد النموذج الأوَّلي عن التناسق، ويشمل الافتقار إلى الفضائل أو القيم، ويرتبط غالبًا بالسلوكيات السلبية أو الصفات التي تُعَدُّ شاذة عن المألوف أو المقبول. مع قدر من النفور. ويتألف معنى كلمة القبح (المراوغة) من نموذج أوَّلي إدراكي قد تتوافق معه أوصاف حقيقية أو متخيلة مختلفة بدرجات متفاوتة. ويتناقض هذا الرأي مع الرأي المألوف المشار إليه سابقًا من قبل النظريات الكلاسيكية، الذي مفاده أن معاني الكلمات تتكون من مجموعات من الشروط الضرورية والكافية، وتميز بشكل منفصل بين الحالات والحالات غير الفعلية. وقد أُثبتت أهمية مفهومي النموذج الأوَّلي والتدرج في علم الدلالة في المجالات المعجمية المادية والحسية وكذلك في المجالات المجردة في كثير من الأوراق البحثية. [٢٦] وتُظهر الورقة الحالية صلة هذين المفهومين بالمجالات المجردة والاجتماعية عن طريق التطبيق على مفهوم القبح في اللغة العربية.

وتعتمد المفاهيم المتعارف عليها عن معنى اللفظة في علم اللغة على فكرة السمة الدلاليّة أو المكون الدلاليّ. وتمثل السمات الدلاليّة -كما

(23) Nikolay N. Boldyrev." On Functional Categorization and the Prototype Structure of Verbal Classes." *General Linguistics* 36 (January١٩٩٨):101–16. https://2u.pw/CsLo8yG9

(24) G.K. Abzuldinova."Metaphorization of the Cognitive Domain of 'Study'." *Middle East Journal of Scientific Research* 14 (2013): 1648–1653. 10.5829: idosi.mejsr.2013.14.12.11011

(25) Eleanor Rosch, Carolyn B. Mervis, Wayne D. Gray, David M. Johnson, and Penny Boyes-Braem "Basic Objects in Natural Categories." *Cognitive Psychology* 8 (1976): 382–436. https:::doi.org:10.1016:0010-0285(76)90013-X.

(٢٦) على سبيل المثال لا الحصر: Joachim,Grzega."On Using (and Misusing) Prototypes for Explanations of Lexical Changes." *Word 54* (2015): 335–357. https:::doi.org:10.1080:00437956.2003.11432537, وأبحاث Geeraerts المذكورة في مراجع البحث،وكذلك Wierzbicka. Taylor, "Prototypes" و44-47 'Prototypes' Save"

سبق- خصائص منفصلة (علاقات دلالية)، وتمثّل كلمة المعنى بوصفها مجموعة من السمات، ربما مع عضو واحد. ففكرة انتماء لفظة ما إلى فئة دلالية غير مرتبط بنعم أولا، أي: بتوافر سمات دلالية أو عدم توافرها، ووفقًا للنموذج الأوَّلي، فإن الفئات تكون غالبًا ذات حوافٍّ ضبابية، ويكون أمر انتماء اللفظة مرتبطًا بأكثر أو أقل، أي: توفر السمات الدلاليّة بأي درجة في هذا اللفظ ليتحدد موقعه في الفئة الدلاليّة قربًا أو بعدًا عن النموذج الأوَّلي.

ووفقًا للدلالة الإدراكيّة، فإن تصنيف الفئات يحدث على مستويات ثلاثة من التجريد بحثًا عن نموذج أوَّلي:" مستوى أعلى أو فئة الأنواع (حيوانات، وطيور، وفاكهة مثلًا)، ومستوى أساسي (كلب ،و عصفور، وتفاح) ومستوى ثانوي(كلب أماني، و عصفور الكناري ،والتفاح الأمريكي).

وقد آثرت الباحثة إجراء التحليل للمستوى الأساسي؛ لأنه وفقا ل " إليانور روش (١٩٨٨) فإن المستوى الأساسي في التصنيف الإدراكيّ هو المستوى الذي يتمتع بأعلى درجة من صحة الإشارة وصلاحية الفئة، وهذه الفئات الأساسية متجانسة نسبيًّا من ناحية الإمكانات والقدرات الحركية والحسيَّة [٢٧] فالنموذج الأوَّلي يمثل علاقة قاطعة بالخصائص المشتركة بين بعض الكائنات الخاضعة للدراسة وفقًا للتعريف في هرم المفاهيم، ومن ثم فإنه الممثل المثالي للفئة.

ووفقًا لروش (١٩٧٦) يوضع التصنيف ضمن الفئة بشكل هرمي؛ أي: يزداد التجريد في الجزء العلوي من الهرم، في حين نجد مفاهيم الفئة في المستوى الأساسي ما زال لديها مخطط مرئي مع ارتباط عقلي في شكل تمثيل. وبصورة عامة فإن**" المستوى الأساسي للتجريد في التصنيف هو المستوى الذي يتميز بحمله لأكبر قدر من المعلومات، ويحقق أعلى درجة من الصلاحية؛ مما يجعله الأكثر قدرة على التمييز بين الفئات المختلفة.** [٢٨]

ولأن ورقتي عن القبح وهو واحد من تجارب الإنسان مع أشياء كوَّنت مفهومًا تعبر عنه الكلمات؛ فإن المستوى الأساسي من مستويات التصنيف يُعَدُّ أنسب المستويات لتحليله، فهذا المستوى يتوافق والإدراك الحسي الأساسي، وفيه:" يمكننا بسهولة أن نميز بين النمر والفيل، والكرسي والطاولة، والورود وأزهار السوسن...أما عند الانتقال إلى مستوى أدني، يصبح التمييز أصعب، على سبيل المثال: التفرقة بين أنواع معينة من الزرافات أصعب بكثير مقارنة بالتمييز بين الزرافة والفيل. إنَّ قدرتنا على إدراك الكليّات في هذا المستوى ليست تلقائية، بل تعتمد على تجهيزنا لإجراء مثل هذه التمييزات الواضحة.

ثانيًا: التحليل: وفي تحليل فئة القبح بالاستعانة بالتحليل التكويني، فإن تعريف الوحدة المعجمية (خاصة المعقدة دلاليًّا) يتكون من مجموعة من السمات أو المكونات بحيث يُسمى كائنًا معينًا (مادي أو غير ذلك) "كلمة" ويكون ذلك فقط عندما يمتلك الخاصية التي يطلق عليها كل سمة في التعريف. وتعادل قائمة السمات مجموعة من الشروط الضرورية والكافية التي يجب أن يفي بها الشيء؛ ليكون مثالًا للفئة.

وبالنظر في أعضاء الفئة وأصولها، يحمل بعض أعضائها أصولًا لغوية سامية:

١-العضو بشع: وجدت له نظائر سامية في اللغات: العبرية، ويتفق مع نظيره العربي (مع اختلاف طفيف في المبنى) في بعض معانيه، ودلالته على قبح سلوكي (أجرم، وعصى، وارتكب ذنبًا). وكذلك في اللغة الآرامية، إذ يتفق في المبنى وبعض المعاني، نحو الدلالة على قبح سلوكي (سوء المعاملة). كما اتفق مع نظيره من اللغة السريانية في الدلالة على كراهة الشيء.[٢٩]

٢-العضو شوه: احتفظت الساميات بهذا الجذر من العربية الأم. ومن المعاني الكليّة له: (أ)ضرب من الأنعام. (ب)الطول والقصر. (ج)حدة البصر. (د)الحسن والقبح. ولكن واحدة من الساميات لم تشارك العربية في دلالة الجذر على القبح، وكان جلُّ المشاركة في دلالته على نوع من الأنعام.[٣٠]

٣-العضو(دمم) احتفظت بعض الساميات بهذا الجذر من العربية بالدلالة نفسها على القبح؛ فنجده في(الكنعانية) بمعنى قبيح، وفي(الثمودية) بمعنى عمل عملا شريرًا سيئًا وهو من القبح السلوكي كذلك. وفي(الآوغاريتية) بمعنى توجع أو اشتكى. وفي

(27) Rosch, "Human Categorization." ،32
(28) Rosch, "Basic Objects" ،383

(٢٩) مجمع اللغة العربية بالشارقة، *المعجم التاريخي للغة العربية*، يناير ٢٠٢٠. https:::goo.su:cimcrxf..

(٣٠) الشارقة، *المعجم التاريخي*. https://2u.pw/Fyw3kZyZ

(العبرية) بمعنى بكى أو ناح. وهو درجة من درجات الشعور النفسي المرتبط بالقبح وفي (المنداعية/ المندائية) ورد بمعنى تمتم أو تذمر. ويمكن الربط تأويلًا بين دلالتها الأخيرة وفئة القبح بأن التذمر قبح سلوكي.[٣١]

٤-العضو(سُوء) وجدت له نظائر سامية أيضا، فنجده في(الصفاوية) بمعنى سوء وشر، وفي(الثمودية) بمعنى ساء وفسد، وفي (العربية الجنوبية) سوء وسحر، وفي(الأوغاريتية) بمعنى إجرامي، [٣٢] وفي(العبرية) بمعنى القبيح من كل شيء والشر وود بالمعنى نفسه في الجعزية.[٣٣]

ولم أجد للأعضاء (قبح، وشنع، وسمج) نظائر سامية. يتضح مما سبق أن بعض أعضاء الفئة في هذه اللغات تحمل جذورًا مشتركة متصلة بنظام ثلاثي الأحرف يعبر عن معانٍ مشابهة، وهذا يُظهر التقاليد الثقافية المشتركة في استخدام المصطلحات المتعلقة بالقبح.

والعضو رأس الفئة(قَبُح) والممثل اللفظي الأساسي لها في اللغة العربية، مشتق من: قَبَحَ (الْقَافُ وَالْبَاءُ وَالْحَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْحُسْنِ، وَهُوَ الْقُبْحُ. يُقَالُ قَبَّحَهُ اللهُ، وَهَذَا مَقْبُوحٌ وَقَبِيحٌ .وَزَعَمَ نَاسٌ أَنَّ الْمَعْنَى فِي قَبَّحَهُ :نَحَّاهُ وَأَبْعَدَه. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ". وَمِمَّا شَذَّ عَنِ الْأَصْلِ وَأَحْسَبُهُ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي ذَهَبَ مَنْ كَانَ يُحْسِنُهُ، قَوْلُهُمْ كِسْرٌ قَبِيحٌ، وَهُوَ عَظْمُ السَّاعِدِ، النِّصْفُ الَّذِي يَلِي الْمِرْفَقَ .قَالَ:

لَوْ كُنْتَ عَيْرًا كُنْتَ عَيْرَ مَذَلَّةٍ... وَلَوْ كُنْتَ كِسْرًا كُنْتَ كِسْرَ قَبِيحِ" [٣٤] ونلحظ أن له خاصية سلبية. وبالنظر في الثقافة العربية الإسلامية؛ نلحظ كذلك سلبية المفهوم، والذي يرتبط اشتقاقيًّا بالكلمات، وهناك بعض مفردات رافقت القباحة منذ العصور القديمة، وشكلت مفهوم القبح في أذهان كثير من البشر عامة في مجالات عدة (وصف شكلي- أخلاق- تعامل- نسب- حالة اجتماعية، فالقبح يأتي وصفًا للصورة والقول والفعل)، نحو: مشوّه، أعوج، مسخ- معاق، بهيمي، غير متناسق، الغبي، بشع، شنيع، دميم، خبيث، رديء، فظيع، فاحش.... وغيرها، وستظهر تفاصيل هذه الدلالات في التحليل التكويني المضمَّن في الجداول التحليلية التالية.

ومن ثمّ، سأحاول تقديم فئة القبح على المستوى الأساسي، وبناء نموذج أوَّلي للقبح ممثلًا مثاليًّا للفئة، متدرجة في توضيح وتحديد ممثلين أقل نموذجية للفئة نفسها مع خصائص ذات صلة أقل.

---

(٣١) ينظر في ذلك يحيى عبابنة، وآمنة الزعبي. *معجم المشترك اللغوي العربي السامي*. (الأردن: إربد، ٢٠١٣)، ٣٨١.

(٣٢) ينظر في ذلك عبابنة، المشترك اللغوي، ٥٠٣.

(٣٣) الشارقة، *المعجم التاريخي*. https://2u.pw/yxzXqbcu

(٣٤)أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، *معجم مقاييس اللغة*، تح. عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى،٦ أجزاء (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩)، ٥: ٤٧.

اختصارات الجداول:

(١) م م د: = متغير معجمي دلالي=المعنى

(٢) ب د=البعد الدلاليّ

الجدول (١) التحليل التكويني للدلالات المعجمية للفظ(القُبْح)[٣٥]

(م م د)	معنى/ seme	تصنيف السيم	علامة	ميزة	درجة القبح
الأول	+ضد الحسن	موضوعي/ عام	عام باطني وخارجي ينظر إليه	خارج عن المألوف	مركز الفئة
الثاني	+ما نفّر الذوق السوي وما لا يستحسنه النظر	موضوعي / عام كائن حي (إنسان/ حيوان/ نبات)	نفسي+خارجي ينظر إليه+بدني/ خلقي	خروج عن المعتاد المألوف من معايير المظهر العادي.	مركز الفئة
الثالث	وجود سوء شديد في الخَلق بحيث لا يريح النظر إليه	موضوعي	خلقي/ بدني	شذوذ أو اضطراب في الهيكل يختلف عن غيره من النوع نفسه	مركز الفئة
الرابع	الإبعاد عن كل خير	مجازي	العاطفة	الإبعاد والعقاب	مجال الدعاء (قبَّحه الله)
الخامس	عظم الساعد مما يلي النصف منه إلى المرفق	مجازي	خلقي/ بدني	مخالفة المعايير ذات المظهر المعتاد	متوسط

(٣٥) ينظر على سبيل المثال: الخليل بن أحمد، *كتاب العين*، تح. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى،٨ أجزاء، (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د-ت). ٣: ٥٣. أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، معجم *ديوان الأدب*، تح. أحمد مختار عمر، طبعة مؤسسة دار الشعب، ٤ أجزاء (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ٢٠٠٣)، ٢: ١٩٧. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، *تهذيب اللغة*، تح. محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى،٨ أجزاء، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١)، ٤: ٤٨، الصاحب إسماعيل بن عباد، *المحيط في اللغة*، تح. محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى،١١جزءا، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٤)، ٢: ٣٦٤.أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح. أحمد عبد الغفور عطار، الطبعةالرابعة،٦ أجزاء، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧)، ١: ٣٩٣.، ابن فارس، *المقاييس*، ٥: ٤٧. ابن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، *مجمل اللغة*، تح. زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية، جزء واحد (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦)، ٧٤٠ .أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، *المحكم والمحيط الأعظم*، تح. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى،١١جزءا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١)، ٣: ٢٣. محمد حسن جبل، *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم* (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠)، ١٧٢٦. أحمد مختار عمر، *المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته* (**بيروت**: سطور، ٢٠٠٢)، ٣٦١ .مجمع اللغة العربية، *المعجم الوسيط* (بيروت: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤)، ٢: ٧١٠ .جبران مسعود، *الرائد معجم لغوي معاصر* (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢)، ٦١٨. *المعجم التاريخي للغة العربية*، الشارقة، تاريخ الوصول ٢٠٢٤:٥:١٣. https:::2u.pw:zodimtlg.، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، *معجم الدوحة التاريخي للغة العربية*، ٢٠١٣، تاريخ الوصول ٢٠٢٤ . https:::2u.pw:duh9l7es مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، *معجم الرياض للغة العربية المعاصرة، الإصدار ٢,٠*، ٢٠٢٣، تاريخ الوصول ٢٠٢٤ . https:::2u.pw:ia0v19tg.

في ضوء النظر المعجمي لهذا العضو يمكن ملاحظة:١-يتمحور اللفظ(قبح) حول نموذج أوَّلي يتعلق بكل ما يخالف المألوف من المعايير الجمالية (الهيئة، والمظهر، والباطن وغيرها).٢- تنقل الدلالات الهامشية للوحدة المعجمية مجالات أخلاقية وسلوكية، مع البقاء على فكرة النفور الناتج عن مخالفة المعايير.٣- تحمل الأمثلة الطرفية سياقات رمزية أو تعبيرية قد تبعد بها عن النموذج الأوَّلي، ولكنها تحتفظ بصدى المعنى الأساسي وما يوحي به من اشمئزاز ونفور،، نحو: قبّح البيض: كسرها، قبَّحه الله عن الخير: نحَّاه، قبح له وجهه: أنكر عليه ما عمل، قبح وجهه: وصفه بالقبح.٤- تحتاج الدلالات الهامشية إلى فهم السياقات لفهم العلاقة بينها والنموذج الأوَّلي: نحو: إطلاقه على عظم الساعد مما يلي النصف منه، وربما يكون كما فسره جبل "نتوء شيء غليظ الجِرم أو الوقع على النفس يُفْقِدُ ظاهرَ الشيء استواءَه: كعَظْم القبيح، وكالبَثْر".[٣٦]

الجدول (٢)

التحليل التكويني للدلالات المعجمية للفظ" شنع"[٣٧]

(م م د)	معنى/ seme	تصنيف السيم	علامة	ميزة	درجة القبح	ب ع
الآول	+قبح الشيء الذي يستشنع قبحه+ قبح يتعجب منه +شنع الشيء: اشتد قبحه	موضوعي/ عام	عام خارجي ينظر إليه/ أقصى درجة	خارج عن المألوف	شديد	المعنى الأساسي
الثاني	+شناعة عمل: قبحه ورداءته.	-موضوعي / عام -كائن حي(إنسان/ حيوان/ نبات)	نفسي+خارجي ينظر إليه	خروج عن المعتاد المألوف+ أخلاقي	متوسط	دلالة أخلاقية
الثالث	تشنع القوم: قبح أمرهم باختلافهم واضطراب رأيهم. + شنّع بفلان/ شنّع على فلان: فضحه وشوّه ذكرَه وسمعتَه بين الناس	موضوعي	اجتماعي، سلوكي	اضطراب واختلاف	متوسط	اجتماعية
الرابع	(أ)المهزول الضعيف (ب)ما بين الهزيل والسمين. (ج) الجائع.	موضوعي	بدني الهيئة	وصف للهيئة أو الحالة	ضعيف	مجازية

(٣٦)جبل، *المعجم الاشتقاقي*،١٧٢٧:٤.

(٣٧) ينظر على سبيل المثال: الخليل، *العين*،١:٢٥٧. الأزهري، *التهذيب*، ١: ٢٧٦.ابن عباد، *المحيط*،١:٢٨٨. وابن فارس، *المجمل*،٥١٣. ابن سيده، *المحكم*،٣:٢٣و ١:٣٧٦. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي .*المخصص*، تح. خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى،٥ أجزاء، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦.،٣: ٣٨٦.مختارعمر، *معجم اللغة العربية المعاصرة*،٣: ١٧٦٤و٢: ١٢٣٩. محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، أبو الفضل .*لسان العرب*، الحواشي. لليازجي وجماعة من اللغويين، الطبعةالثالثة،١٥جزءا، (بيروت: دار صادر،١٤١٤)، ٨: ٤٨٦. أحمد بن محمد بن علي الفيومي .*المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* .(بيروت: المكتبة العلمية، د.ت) ،١:٣٢٣. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي .*تاج العروس من جواهر القاموس*، تح. جماعة من المختصين، (د-ط)،٤٠جزءا، (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٥-٢٠٠١.)،٢١: ٢٩٧.المعجم *الوسيط*،١:.٤٩٦ مسعود جبران *الرائد*، ٤٨٢. الشارقة *المعجم التاريخي* (شنع)، *معجم الدوحة*: (شنع)، *معجم الرياض* (شنع).

وفي ضوء النظر المعجمي لهذا العضو يمكن ملاحظة ما يأتي:١- تنتمي الوحدة المعجمية إلى الجذر الثلاثي (ش ن ع) الذي تشير جلُّ مشتقاته إلى القباحة والفظاعة الشديدة.٢- تحمل الوحدة المعجمية دلالات أقوى وأشد من القبح.٣-بالنظر إلى السياقات اللغوية التي ورد فيها اللفظ داخل المعاجم؛ وجد أنها تُستخدم في الغالب لوصف الأفعال المشينة والمواقف الخطرة المتجاوزة للمعايير الأخلاقية أو الجمالية، نحو: شنُع وجْه العدوّ، حادث شنيع، وجه أشنع، مَنْظر شَنِع.

الجدول (٣)

التحليل التكويني للدلالات المعجمية للفظ" الشَوْه"[٣٨]

(م م د)	معنى/ seme	تصنيف السيم	علامة	ميزة	درجة القبح	ب د
الأول	+قبح في الوجه والخلقة	موضوعي/ كائن حي (إنسان، حيوان)	خلقي/ بدني	شذوذ واضطراب في الهيكل	متوسط	النموذج الأوَّلي / المعنى الأساسي
الثاني	+نوع من النظر بالعين، ومنه الأشوه الذي يصيب الناس بالعين +شَوِه الشيء: طال وارتفع	موضوعي/ النظر	المظهر	نظرة غير طبيعية	متوسط	دلالة مجازية

في ضوء النظر المعجمي لهذا العضو في فئة القبح يمكن ملاحظة:١- الجذر اللغوي (ش و ه) له نموذج أوَّلي واضح يرتبط بالتشويه المادي الجسدي ٢- تبتعد الدلالات الهامشية عن هذا الأنموذج مع الاحتفاظ ببعض سمات دلاليَّة مشركة كلها سلبي.٣- الأمثلة الهامشية الطرفية قد تبتعد عن النموذج الأوَّلي وتحتاج إلى فهم السياق لفهم الارتباط بينها وبين المفهوم الأساسي.

الجدول (٤)

التحليل التكويني للدلالات المعجمية للفظ" السُوْء"[٣٩]

(م م د)	معنى/ seme	تصنيف السيم/ المعنى	علامة	ميزة	درجة القبح	البعد الدلاليّ
الأول	+شر وفساد وميل إلى الاضرار	موضوعي	مفهوم أخلاقي	انتهاك المعايير الأخلاقية المقبولة عموما	متوسط	المعنى الأساسي
الثاني	+اسم جامع للافات والداء+ كل قبح+ الفجور والمنكر	موضوعي/ عام	أخلاقي/ سلوكي	التسبب في الازعاج والسخط - انتهاك المعايير الأخلاقية المقبولة عموما	متوسط	معنى أساسي

(٣٨) ينظر على سبيل المثال: الخليل، *العين*،٤:٩٦. وابن فارس، *المجمل*،٥١٧، والمقاييس،٣:٢٣١، الفيومي، *المصباح*،١:٣٢٨. الفيروزابادي، *القاموس المحيط*. الزبيدي، تاج العروس٣٦:٢٤٨. مختار عمر، معجم *اللغة العربية المعاصرة*،٢: ١٢٥١. مسعود جبران *الرائد*، ٤٨٤.الشارقة، *المعجم التاريخي*(شوه)، *معجم الدوحة*: (شوه)، *معجم الرياض* (شوه).

(٣٩) ينظر على سبيل المثال: الأزهري *تهذيب اللغة*،٨٩:١٣. ابن عباد، *المحيط*،٨: ٤١٥.ابن منظور، *اللسان*،٩٦:١. الزبيدي *تاج العروس*،٢٧١:١. مختار عمر، *معجم اللغة العربية المعاصرة*،٢: ١١٢٨.مسعود جبران، *الرائد*، ٤٥٥. *الشارقة، المعجم التاريخي للغة* العربي(سُوْء)، *معجم الدوحة*: (سُوْء)، *معجم الرياض* (سُوْء).

الجدول (٤)

التحليل التكويني للدلالات المعجمية للفظ" السُّوْء"[٣٩]

الثالث	+قبح الصنيع	موضوعي / القول والفعل	فغل	خروج عن اللائق +كراهية ونفور	متوسط	سمة مميزة
الرابع	+ كل ما يُحزن الإنسان. + البرص	-موضوعي -الإنسان	نفسي	التسبب في الازعاج والسخط	متوسط	دلالة مجازية

في ضوء النظر المعجمي لهذا العضو يمكن ملاحظة:١-الجذر اللغوي الذي تنتمي إليه الوحدة المعجمية(س و ء) يتمحور حول نموذج أوَّلي مرتبط بالقبح (كله، أو وصفًا، أو اسمًا) عاكسًا الجانب السلبي الظاهر أو الباطن(الأخلاقي/ نفسي).٢- تمتد الدلالات الهامشية إلى مجالات أخلاقية ومجازية.٣- تتطلب الأمثلة ذات الدلالات الهامشية فهم السياق لفهم العلاقة بينها والنموذج الأوَّلي، فعلى سبيل المثال قوله تعالى:" فبدت لهما سوأتهما" وكذلك إطلاقه على البرص، فالسوأة فرج الرجل والمرأة وهو من المعاني المجازية وكذلك البرص، والعلاقة أن الفطرة السليمة تستقبح ظهورها.

الجدول (٥)

التحليل التكويني للدلالات المعجمية للفظ" سَمُج"[٤٠]

(م م د)	معنى/ seme	تصنيف السيم/ المعنى	علامة	ميزة	درجة القبح	ب د
الأول	+قَبُحَ+ إذا لم يكن فيه ملاحة	موضوعي/	المظهر/ الهيئة	انتهاك المعايير الأخلاقية المقبولة عموما	متوسط	المعنى الأساسي
الثاني	+ سمُجت أفعالُه وتصرّفاته (ضد الصلاح)	موضوعي / الفعل	سلوكي/ أخلاقي	انتهاك المعايير الأخلاقية المقبولة عموما	متوسط	دلالة اجتماعية
الثالث	+ خبيث الطعم أو الرائحة من الأطعمة	موضوعي/ شيء	المظهر -طعام	التسبب في الازعاج والسخط	متوسط	سمة مميزة

(٤٠) ينظر على سبيل المثال: الجوهري، *الصحاح*،١:٣٢٢. ابن منظور، *اللسان*،٢:٣٠٠. الفيروزآبادي *القاموس المحيط*،٤٩٤. الزبيدي، *تاج العروس*،٦:٤٤. مختار عمر، معجم *اللغة العربية المعاصرة*،٢: ١١٠٤. والوسيط ١:٤٤٧، وجبران، *الرائد*، ٤٤٩، الشارقة، *المعجم التاريخي* (سَمُج)، معجم *الدوحة*: (سَمُج)، معجم *الرياض*(سَمُج)

وفي ضوء النظر المعجمي لهذه العضو يمكن ملاحظة:١- الجذر اللغوي للوحدة المعجمية (س م ج) بالضم يتمحور حول نموذج أوَّلي مرتبط بقبح الهيئة والشكل، ويشير إلى سوء الطبع والتصرف.٢- قد يختلف المتغير المعجمي الدلاليّ بين الثقافات، ولكنه يلتقي في التعبير عن القبح والابتعاد عن القبول والاستحسان (مادي ونفسي)

الجدول (٦)

التحليل التكويني للدلالات المعجمية للفظ" دميم"[٤١]

(م م د)	معنى/ seme	تصنيف السيم/ المعنى	علامة	ميزة	درجة القبح	ب د
الأول	+قبيح المنظر	موضوعي/	المظهر/ الهيئة	يُستخدم لوصف شخص أو شيء يتصف بالقبح الظاهر، سواء في المظهر الخارجي أو الهيئة.	شديد	المعنى الأساسي
الثاني	+ صغر جسمه وحقر	موضوعي / الفعل	بدني	شذوذ واضطراب في الهيكل+ يختلف عن غيره من النوع نفسه	متوسط	دلالة اجتماعية ثقافية-سمة مميزة
الثالث	+ حقير(الرائد)	موضوعي/ شيء	أخلاقي	مُبْتَعد عن القبول الاجتماعي. سلوك أو أخلاق مذمومة.	متوسط	دلالة اجتماعية

وفي ضوء النظر المعجمي لهذه العضو يمكن ملاحظة:١- تنتمي الوحدة إلى الجذر (د م م) الحامل لمعاني القبح الشكلي والتعييب.٢- يُسهم السياق في اختلاف درجة شدة ونوع تعبير الوحدة عن القبح (سخرية/ جد/ مجازي).٣- تؤثر الثقافات في العلامة المميزة التي تحملها المتغيرات المعجمية؛ فقد تكون تعبيرًا عن الوصف الأخلاقي في بعض الثقافات، أو الأخلاقي والمجازي في أخرى. وقد شملت في الثقافة العربية كلَّ هذه الجوانب مثلما أظهرت المعاجم.

الجدول (٧)

التحليل التكويني للدلالات المعجمية للفظ" بشع"[٤٢]

(م م د)	معنى/ seme	تصنيف السيم	علامة	ميزة	درجة القبح	ب د
الأول	+ الطَّعَام بشعا وبشاعة صَار طعمه كريها	موضوعي / الطعام	انطباع حسي	+ كراهة الشيء والنفور	شديد	المعنى الأساسي
الثاني	+قبيح خبيث الطوّية وسوء الخُلُق ليس من شيء يشبه الخيانة في بشاعتها	موضوعي/	نفسي أخلاقي/ سلوكي	يُستخدم لوصف شخص أو شيء يتصف بالقبح الباطن	شديد	دلالة مجازية
الثالث	قُبح المنظر	موضوعي	خارجي	شذوذ واضطراب في الهيكل	شديد	سمة مميزة

(٤١) ينظر على سبيل المثال: الأزهري، *التهذيب*،٨٩:١٣. ابن عباد، المحيط،٢٧٢:٩. *الوسيط*٣٩٧:١، مختار عمر، *معجم اللغة العربية المعاصرة*،١: ٧٧١. جبران، *الرائد* ٣٦٥. الشارقة *المعجم التاريخي* (دمم)، *معجم الدوحة*: (دمم)، *معجم الرياض* (دمم).

(٤٢) ينظر على سبيل المثال: الخليل، *العين*،٢٦٦:١. مختار عمر *معجم اللغة العربية المعاصرة*،١: ٢٠٩، جبران، الرائد،١٧٣. *الوسيط* ٥٨:١. الشارقة، *المعجم التاريخي* (بشع)، *معجم الدوحة*: (بشع)، *معجم الرياض* (بشع).

وفي ضوء النظر المعجمي لهذا العضو يمكن ملاحظة:١- تنتمي الوحدة إلى الجذر (ب ش ع) المرتبط بنموذج أوَّلي **حامل لمعاني كراهة الشيء** نتيجة قبحه وتعييبه.٢-تستخدم الوحدة في سياقات لغوية عدة تتنوع بين النقد الأخلاقي والاجتماعي.٣-على الرغم من قلة ورودها في المعاجم القديمة، إلا أن استخدامها بكثرة وسهولة في الحياة اليومية للتعبير عن القبح بصورة مباشرة جعلها من الممثلين لهذه الفئة.

الجدول (٨)

الخصائص الدلاليّة لكلمات المستوى الأساسي لفئة القبح

الخروج عن المعايير المقبولة والانحراف عن الصورة النمطية (المظهر والهيئة/ الأخلاق والسلوك/ الانطباع العاطفي)		
القبح المادي الظاهر	القبح الأخلاقي	القبح الباطني/ العاطفي
موضوعه إنسان+ حيوان+ طعام	موضوعه الإنسان على وجه التحديد	موضوعه الإنسان على وجه التحديد

يتضح من الجدول أن الخاصية الدلاليّة الرئيسة لمفهوم القبح في العربية هي انتهاك الأعراف، والخروج عن الصورة النمطية.

ثالثًا: التفسير:

- يمثّل المستوى الأساسي لفئة القبح في اللغة العربية ألفاظًا هي على الترتيب تبعًا لكثرة ورودها في نماذج من المعاجم العربية بوصفها مرادفات للممثل اللفظي الأساسي للفئة: القُبْح، الشناعة، التشوه، السوء، السماجة، الدمامة، البشاعة. (٤٣) فقد بلغت الأوزان التراكمية لسمات العضو (قبح، وشَوه، وشنيع، وسيء) مستوى عتبة معين يكفي ملازمتها الفئة، وانضم إليها بعض أعضاء برغم قلة عدد مرات ورودها داخل المعاجم، نحو (سَمُج، ودميم، وبشع) إلا أن سمة القبح كانت صريحة فيها.
- كشف التحليل التكويني للوحدات المعجمية: "القبح" و"الشناعة" و" التشوه" و" الدمامة" و"السماجة" و" السوء" عن:(١)أنها علامات للإنسان والمظهر والعالم الداخلي بوصفها موضوعات.(٢)الميزة تميز حامل القبح إنسانًا كان أم حيوانًا أم نباتًا أو حتى جمادًا، كما تميز المفاهيم العقلية والسلوكية والأخلاقية.(٣) يمكن لكلمة إنسان أن تمثل كائنًا يحمل ملامح القبح وموضوعًا يعاني من مشاعر سلبية عند اتصافه به أو إدراكه لقبح الأشياء حوله.(٤) يمكن تمييز الإنسان بوصفه موضوعًا للإدراك العاطفي في جلِّ المتغيرات المعجمية الدلاليّة لجميع أعضاء المستوى الأساسي للفئة، ومن ثم قد يعبر عن تصور اللغة(ممثلة في معاجمها) ومن ثم متحدثيها عن مفهوم القبح.(٥) يمكن القول: إن فئة القبح في اللغة العربية غلب عليها المنظور الأخلاقي، ووصفت كونها شعورًا إنسانيًّا له جوانب وأبعاد نفسية وواقعية شكلية متصورة.
- يمكن القول نتيجة التحليل التكويني إن: (١) تمثّل النموذج الأوَّلي للقبح في دورانه حول دلالة عامة: ضد الحسن في القول أو الفعل أو الصورة. ودلالة النفور مع الكراهة والإبعاد؛ فأصبحت رأس الفئة؛ لأنها معيارٌ للقبح العام أو المجرد، والقبح الجسدي، والقبح الأخلاقي، والقبح البيئي، وغيرها. فالشيء أو الشخص الذي يوصف بأنه مشوه أو شنيع أو بشع قد يصنف على أنه قبيح، ولكن بدرجة أكثر أو أقل وضوحًا. (٢) النموذج الأوَّلي للشناعة هو شخص أو شيء اشتد قبحه فدلَّ على أقصى درجات القبح، سواء

(٤٣) على سبيل المثال: الخليل، *العين*،٣:٥٣. الأزهري، *التهذيب*،٤:٤٨. وعن ابن عباد، *المحيط*،" القبح معروف"٢: ٣٦٤.الجوهري، *الصحاح*،١: ٣٩٣.ابن فارس *المجمل*، ٧٤٠.ابن سيدة، *المحكم*،٣:٢٢. ابن منظور، *اللسان*،٢: ٦٥٢.الفيومي، المصباح،٢: ٤٨٧.الزبيدي، *تاج العروس*،٧:٣٥. مختار عمر *معجم اللغة العربية المعاصرة*،٣:٧٦٤، وغيرها.

من الناحية الأخلاقية أو الشكلية، ومن ثم يحوي النموذج الأوَّلي الخصائص التالية ذات الصلة بفئة القبح: +موجود+كائن حي+ إنسان+حيوان+شذوذ عن السلوك الأخلاقي المألوف المعترف به+شذوذ خلقي. (٣) النموذج الأوَّلي للتشوه هو كائنٌ حيٌّ يعاني من عيب خلقي في البنية، ومن ثم يحوي النموذج الأوَّلي الخصائص التالية ذات الصلة بفئة القبح: +موجود±كائن حي+إنسان+التغيير السلبي أو الإفساد الذي يؤدي إلى قبح ملحوظ، سواء في الشكل أو السلوك+شذوذ في بنية الجسم+طبيعة جسدية تشريحية للشذوذ+ القبح ناتج عمَّا أدى إلى فقدان التناسق.(٤) النموذج الأوَّلي للسُوء هو الإشارة إلى القبح كله(اسما ووصفا)(ظاهرًا وباطنًا) ومن ثم تحوي السمات التالية ذات الصلة بفئة القبح+ موجود± كائن حي+ شر وفساد+ قبح وفجور+ البرص+ قبح معنوي لا يرتبط بالنفور على وجه الإلزام. (٥)النموذج الأوَّلي لسَمُج هو إنسان سيء الطبع والتصرف، ومن ثم فإنها تحوي السمات التالية ذات الصلة بفئة القبح:+موجود± كائن حي+ نسان+ خال من الملاحة+ تصرفاته ضد الصلاح+خبيث الطعم والرائحة من الأطعمة+ قبح مرتبط بالسلوك مع الإيحاء بالابتذال+ وصف للأشياء أو الأفعال المزعجة لكن ليست شديدة النفور.(٦)النموذج الأوَّلي للدميم هو شخص يعاني من قبح المنظر وصغر الجسد وحقارته، ومن ثم يحوي السمات التالية ذات الصلة بفئة القبح:+موجود+ كائن حي+ قبيح المنظر+صغير الحجم مع حقارة+قبح خارجي ملموس+يمكن أن يكون مرتبطًا بالنفور أو محايدًا. (٧) النموذج الأوَّلي لبشع هو كراهة شيء وتعييبه، ومن ثم تحوي السمات التالية ذات الصلة بفئة القبح: +موجود± كائن حي+ إنسان خبيث الطوّية+ طعام كريه الرائحة+ يرتبط بالنفور بشكل واضح؛ إذ يُستخدم بكثرة لوصف المظهر أو الأفعال المنفرة بصريًّا أو معنويًّا.

- انطلاقًا من هذه الخصائص؛ يمكن أن أرصد بشكل تفاضلي شدة القبح في أعضاء الفئة في الشكل الآتي:

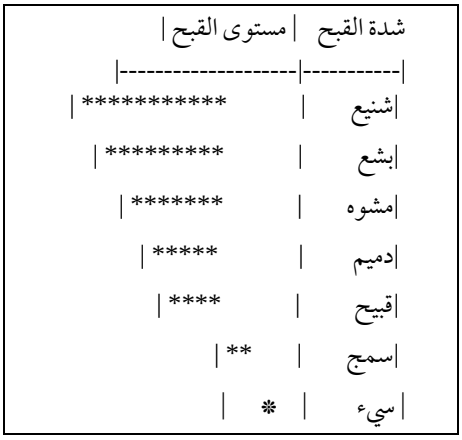

من الشكل يمكن ملاحظة: (١) التدرج النسبي في شدة القبح، من الأشد (شنيع) إلى الأقل شدة(سيء). (٢) تداخل الدلالات المعجمية بين أعضاء الفئة، غير أن لكل واحد منها نموذجًا أوَّليًّا يحمل خصائص ذا صلة بالفئة موضوع البحث. (٣) لابد من النظر في السياق؛ فهذا الترتيب مجرد اقتراح معتمد على المتغيرات المعجمية الدلاليّة الشائعة، وقد يختلف التقييم من شخص لآخر ومن سياق لآخر، ومن ثم فهو ليس بحاسم وهو ما يتوافق وفكرة النموذج الأوَّلي.

- وكذلك جدول تصنيفي، للشدة والتخصيص الدلاليّ

الكلمة	الشدة الدلاليّة	التخصص الدلاليّ
قبيح	متوسطة	شكلي (المظهر الخارجي)
شنيع	شديدة	عام (يشمل الشكل والأخلاق)
مشوه	شديدة	شكلي (تشويه في الشكل)
سيء	متوسطة	عام (أي شيء غير مرغوب فيه)
سمج	شديدة	أخلاقي (السلوك المشين)
دميم	شديدة	شكلي (قبح شديد)
بشع	شديدة	شكلي (مظهر مخيف)

خاتمة البحث ونتائجه:

إنَّ فئة القبح من أبرز الفئات المفاهيمية في مختلف الثقافات، ومنها الثقافة العربية التي ركزت على المفاهيم الأخلاقية والسلوكية للقبح أكثر من تركيزها على المفاهيم المادية، وقد طبق البحث مجموعة من الأدوات التحليلية لوضع تمثيل دلالي إدراكي لهذه الفئة بوصفها نموذجا أوَّليًّا في اللغة العربية في ضوء اللسانيات الإدراكيّة، وأهم هذه الأدوات: التحليل التكويني لأعضاء المستوى الأساسي استنادًا إلى التعريفات المعجمية الخاصة بهم، صاحب ذلك وتلاه تحليل مقارن لنتائج التحليل التكويني بناء على النموذج الأوَّلي لكل عضو بوصف النموذج الأوَّلي حزمة من أهم السمات الدلاليّة الأوَّلية، هذه السمات وفقًا لروش مشتركة بين أكبر عدد من أعضاء الفئة، ولكنها لا تميل إلى أن تكون مشتركة بين أعضاء الفئات المتناقضة

وقد حلل البحث فئة القبح على المستوى الأساسي، وقدم نموذجًا أوَّليًّا لمثلين غير مثاليين لمفهوم القبح في أذهان متحدثي اللغة الأصليين استنادًا إلى معاجمها، ويمكن رصد ما يلي من النتائج:

١-أعان تطبيق النموذج الأوَّلي في دراسة ألفاظ/ أعضاء المستوى الأساسي لفئة القبح في المعاجم العربية على فهم أعمق لكيفية تنظيم اللغة للمفاهيم المعقدة؛ إذ يعكس القبح في اللغة العربية تصورًا ثقافيًّا ومعرفيًّا وإدراكيًّا متعدد المستويات، وقد أبرز رصد المتغير المعجمي الدلاليّ الفروقَ بين القبح المادي والمعنوي بناءً على قربها أو بعدها من النموذج الأوَّلي. ويمكن باستخدام هذا الإطار، وتطبيقه على فئات مختلفة تشكيل إضافة علمية وتطوير رؤى معرفية وإدراكية أعمق حول التصنيف وفق النموذج الأوَّلي في اللغة العربية.

٢-احتفظ لفظ القبح في المعاجم العربية القديمة بتعريف معجمي متشابه يقترب من الثبات" ضد الحسن/ ضد الجمال/ معروف" وكذلك فدلالة كلمات المستوى الأساسي لفئة القبح لم تتغير عبر الزمن بشكل جذري، فظلت حاملة لدلالاتها الأساسية منذ القدم، فلم تحدث إعادة تصنيف مفاهيمي لتداوليّة ألفاظ الفئة بين المعاجم العربية القديمة والحديثة بالمرور عبر الدلالة التاريخية؛ مما يؤكد على أن الكلمات المختارة هي أعضاء أساس.

٣-جمعت أعضاء الفئة خاصية التشابه النسبي في أن كلًّا منها يحمل سمة تدل على القبح بوجه عام أو خاص، ظاهر أو باطن.

٤-أظهر التحليل أن المعاجم العربية تظهر تمثيلًا واضحًا للنموذج الأوَّلي لفئة القبح، وتمثلت الخاصية الدلاليّة المشتركة بين أعضاء الفئة في الخروج عن المعايير المقبولة والانحراف عن الصورة النمطية. وارتباطه بالنفور الشديد سواء في الشكل أو السلوك.

٥-تعددت الألفاظ المعبرة عن القبح في المعاجم العربية، نحو: قبيح، وشائن، ووضيع، ومذموم، ومزري، ومنبوذ للتعبير عن القبح العام المجرد، والرديء والفاسد، والمستهجن، للتعبير عن القبح الجسدي، والقذر والموحش، والرث، والمهجور للتعبير عن القبح البيئي. والنشاز، والصرير وغيرهما للتعبير عن القبح الصوتي. وكريه، ونتنٌ للتعبير عن قبح الرائحة. واللاذع والمرّ للتعبير عن الذوق وغيرها الكثير. ولكن يجب ملاحظة أن تصنيف هذه الوحدات المعجمية غير حاسم فقد تتداخل دلاليًّا للتعبير عن أكثر من نوع. لكن البحث ووفقًا للمنهج الذي اختطه قد التزم المستوى الأساسي من النموذج الأوَّلي، ورتب تحليله التكويني للوحدات المعجمية الممثلة لأعضاء الفئة تبعًا لعدد مرات ورودها في جلِّ المعاجم العربية على النحو السابق.

٦-قدّم البحثُ رسمًا بيانيًّا تمثيليًّا لتدرج أعضاء الفئة تبعًا لشدة القبح، وقد لوحظ محدودية هذا التمثيل؛ فهو غير حاسم لتداخل الدلالات وتأثير السياقات. (السياق الثقافي، والشخصي، والعاطفي).

٧-بالنظر إلى الدلالات المعجمية للفظ(قُبْح)نجد أن هناك إطارًا كامنًا كوَّنته المواقف الثقافية والافتراض المسبق والتوقعات، ولكنها تمثل أجزاء من دلالة اللفظ (لا معناه المعجمي) مما يجعله متجاوزًا تلك الشروط الضرورية التي تجعله كافيًا لحساب الميزة الدلاليّة، وقد حاول فيلمور بواسطة دلالات الإطار تفسير هذه السمات الغامضة الباعثة على الحيرة للعناصر المعجمية.

٨-من التأثيرات الدلاليّة الإدراكيّة ما عكسه رصد المتغيرات المعجمية الدلاليّة التدرج في مفهوم القبح؛ فقد تدرجت الفئة بين (١) مركزي، وهي الصفات الأكثر تنفيرًا ووضوحًا (ظاهرة للنظر)، وتتمثل في قبح/ شنيع/ مشوه/ دميم/ بشع (٢) وهامشي وهي الصفات الأقل تنفيرًا، وتمثلت في الوصف المجازي لأشياء بالقبح، نحو سيء وسمج. وينبغي ملاحظة أن تدرج الفئة خاضع ومتأثر بالمعاني السياقية والمجازية. فعقول البشر تعالج مفاهيم

القبح لا بوصفها مجموعة من السمات المعيارية ذات الحدود الواضحة، وإنما من ناحية النموذج الأوَّلي (أكثر الحالات وضوحًا، أفضل الأمثلة) للفئة، محاطة بدرجات مختلفة من ممثلي القبح الأقل نموذجية، والتي قد تكون ذات تشابه متناقص مع النموذج الأوَّلي ودرجة مختلفة من العضوية.

٩-يوجد نوعان من الميزات للفئة موضع الدراسة: (أ)ميزات أساسية لفئة القبح، ومنها:

✓ الضديّة للجمال: القبح هو عكس الجمال، وهو ما يثير النفور أو الاشمئزاز.

✓ العيوب السلوكية والشكلية: غالبًا ما يرتبط القبح بوجود عيوب أو تشوهات في الشكل أو المظهر أو التصرفات.

✓ القيمة السلبية: يحمل القبح قيمة سلبية ويُنظر إليه على أنه أمر غير مرغوب فيه.

وميزات اختيارية: وقد وردت بكثرة في معاجم العربية، نحو: الروائح الكريهة، والأصوات المزعجة، والأخلاق والسلوك السيء. وتتمثل درجة التشابه بين الصنفين أن الأمثلة التي تتضمن تشوهات واضحة في الشكل، أو روائح كريهة، أو سلوكيات سيئة تكون أقرب إلى النموذج الأوَّلي.

١٠-أظهر رصد المتغير المعجمي الدلاليّ لأعضاء الفئة ارتباطًا بالقيم الثقافية والدينية التي تحدد ما هو مستحسن وعكسه، وقد ظهر أن القبح المادي أقل أهمية من القبح الأخلاقي، وإن تداخلا في كثير من الدلالات.

المراجع العربية:

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي. *تهذيب اللغة*، تح. محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى،٨ أجزاء، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١.

جبل، محمد حسن .*المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم* . القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠.

جوهاري، أحمد. "مشكلة المعنى من وجهة نظر الدلاليّات المعرفية 'مارتن ليبانس' نموذجا". *مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث*، ٢/ ١٠/ ٢٠٢٤. https://2u.pw/10M3D4zK

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي .*الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح. أحمد عبد الغفور عطار، الطبعةالرابعة،٦ أجزاء، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني .*تاج العروس من جواهر القاموس* تح. جماعة من المختصين، (د-ط)،٤٠جزءا، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٥-٢٠٠١.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي .*المحكم والمحيط الأعظم، تح. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى،١١جزءا*، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١.

_____ *المخصص*، تح. خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى،٥ أجزاء، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦.

- طعمة، عبد الرحمن. *توظيف علم الدلالة المعجمي في حقل التفسير القرآني: مقاربة تحليلية في علم الدلالة التفسيري*. الأردن: دار كنوز المعرفة، ٢٠١٨.

- عبابنة، يحيى، وآمنة الزعبي. *معجم المشترك اللغوي العربي السامي* . الأردن: إربد، ٢٠١٣.

- ابن عباد، الصاحب إسماعيل بن عباد .*المحيط في اللغة*، تح. محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى،١١جزءا، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٤.

- عمر، أحمد مختار .*المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته* . بيروت: سطور، ٢٠٠٢.

_____ .*معجم اللغة العربية المعاصرة* .بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٨.

- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين .*معجم ديوان الأدب*، تح. أحمد مختار عمر، طبعة مؤسسة دار الشعب، ٤ أجزاء، القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ٢٠٠٣.

- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين. *مجمل اللغة*، تح. زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية جزء واحد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦.

_____. *معجم مقاييس اللغة*، تح. عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى،٦ أجزاء .بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩.

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد .*كتاب العين*، تح. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى،٨ أجزاء، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، (د-ت).

- الفيروزآبادى، الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم . *القاموس المحيط*، تح. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة. *المعجم الوسيط* .بيروت: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤.

مجمع اللغة العربية بالشارقة.*"المعجم التاريخي للغة العربية*." يناير ٢٠٢٠.تاريخ الوصول ٣/ ٥/ ٢٠٢٤ . https://www.almojam.org/home.

مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية.*"معجم الرياض للغة العربية المعاصرة*، الإصدار٢,٠، ٢٠٢٣، تاريخ الوصول٢٠٢٤ . https://dictionary.ksaa.gov.sa/.."

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات." *معجم الدوحة التاريخي للغة العربية*." ٢٠١٣، تاريخ الوصول٢٠٢٤https://2u.pw/wVo1mcIE

مسعود، جبران .*الرائد معجم لغوي معاصر* .بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢.

المقري الفيومي، أحمد بن محمد بن علي .*المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* .بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل .*لسان العرب*، الحواشي. لليازجي وجماعة من اللغويين، الطبعةالثالثة،١٥جزءا، بيروت: دار صادر،١٤١٤.

المراجع الأجنبية:

Abzuldinova, G.K. "Metaphorization of the Cognitive Domain of 'Study'." *Middle East Journal of Scientific Research* 14 (2013): 1648–1653. https://doi.org/10.5829/idosi.mejsr.2013.14.12.11011.

Boldyrev, Nikolay N. "On Functional Categorization and the Prototype Structure of Verbal Classes." *General Linguistics* 36 (January 1998): 101–116.

Coleman, Linda, and Paul Kay. "Prototype Semantics: The English Word Lie." *Language* 57 (1981): 26–48. https://doi.org/10.2307/414285.

Coseriu, Eugenio, Klaas Willems, and Torsten Leuschner. "Structural Semantics and 'Cognitive' Semantics." *Logos and Language: Journal of General Linguistics and Language Theory* 1 (2000): 13–51. https://goo.su/6VV4UB.

Croft, William, and D. Alan Cruse. *Cognitive Linguistics.* Cambridge: Cambridge University Press, 2004. https://goo.su/XjyXGU (Accessed November 23, 2024).

Geeraerts, Dirk, Stefan Grondelaers, and Peter Bakema. *The Structure of Lexical Variation: Meaning, Naming, and Context.* Berlin: De Gruyter Mouton, 2012. https://doi.org/10.1515/9783110873061.

Geeraerts, Dirk. "Prospects and Problems of Prototype Theory." *Diacronia* 1 (2016): 45–57.

Givón, T. *Syntax: An Introduction* (2 vols.). Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins, 2001. xvii+500, x+406.

Givón, T. "Prototypes: Between Plato and Wittgenstein." In *Noun Classes and Categorization: Proceedings of a Symposium on Categorization and Noun Classification*, edited by Craig C., 77–102. Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins, 1986.

Grzega, Joachim. "On Using (and Misusing) Prototypes for Explanations of Lexical Changes." *Word* 54 (2015): 335–357. https://doi.org/10.1080/00437956.2003.11432537.

Lakoff, George. "Hedges: A Study in Meaning Criteria and the Logic of Fuzzy Concepts." *Journal of Philosophical Logic* 2 (1973): 458–508. https://2u.pw/6D78lS5g.

Lakoff, George. "Classifiers as a Reflection of Mind." In *Noun Classes and Categorization: Proceedings of a Symposium on Categorization and Noun Classification*, edited by Craig C. Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins, 1986.

Lakoff, George. *Women, Fire, and Dangerous Things: What the Categories of Language Tell Us About Thinking*. Moscow: Languages of Slavic Culture, 2004.

Mudrovskaya, Anastasia, Zifa Temirgazina, and Rumaniyat Aselderova. "Ugliness as a Prototype Category: Cognitive-and-Semantic Analysis." *RUDN Journal of Language Studies, Semiotics and Semantics* 15 (2024): 78–91. https://doi.org/10.22363/2313-2299-2024-15-1-78-91.

Rosch, Eleanor H. "Natural Categories." *Cognitive Psychology* 4 (1973): 328–350. https://doi.org/10.1016/0010-0285(73)90017-0.

Rosch, Eleanor H., Carolyn B. Mervis, Wayne D. Gray, David M. Johnson, and Penny Boyes-Braem. "Basic Objects in Natural Categories." *Cognitive Psychology* 8 (1976): 382–436. https://doi.org/10.1016/0010-0285(76)90013-X.

Rosch, Eleanor H. "Human Categorization." In *Advances in Cross-Cultural Psychology*, 23–57. London: Academic Press, 1975.

Rosch, Eleanor H. "Principles of Categorization." In *Readings in Cognitive Science*, edited by A. Collins and E.E. Smith, 312–322. Amsterdam: Elsevier, 1988. https://doi.org/10.1016/b978-1-4832-1446-7.50028-5.

Taylor, John R. "Prototypes in Cognitive Linguistics." In *Handbook of Cognitive Linguistics and Second Language Acquisition*, edited by Peter Robinson and Nick Ellis, 39–65. London: Routledge, 2008.

Wierzbicka, Anna, and S. Tsohatzidis. "'Prototypes' Save: On the Uses and Abuses of the Notion 'Prototype' in Linguistic and Related Fields." London; New York: Routledge, 1990. Retrieved November 27, 2024. https://2u.pw/0oWwqyXh.

Zeifert, M. "Rethinking Hart: From Open Texture to Prototype Theory—Analytic Philosophy Meets Cognitive Linguistics." *International Journal for the Semiotics of Law* 35 (2022): 409–430. https://2u.pw/LFziD57J.

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ١٣٥-١٥٤، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 135-154, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

لغة العلوم في ضوء النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة لهاليداي

ليلى بنت محمد إبراهيم قحل
أستاذ اللغويات التطبيقيَّة العربيَّة المساعد، قسم اللغة العربيَّة، كليَّة الفنون والعلوم الإنسانيّة، جامعة جازان، السعودية.

إلهام بنت البرعي فرج
أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد، قسم اللغة العربيَّة، كليَّة الفنون والعلوم الإنسانيّة، جامعة جازان، السعودية.

(قدم للنشر في ٨/ ٧/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ١٣/ ٨/ ١٤٤٦هـ)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-7

الكلمات المفتاحية: النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة، النصوص العلميَّة، الكلمات الاصطلاحيَّة، التجريد.

ملخص البحث: لكل علمٍ لغةٌ خاصة تتميز بخصائص تُميزها عن غيرها، وهذه الخصائصُ تنشأ من ثقافة المجتمع؛ مما يؤدي إلى اختلاف الأنظمة اللغويَّة بين اللغات وإنتاج أنماط إدراكية مختلفة. وهنا تبرز نظريَّةُ النسبيَّةُ اللغويَّةُ، التي تُركز على اختلاف الأنظمةِ الذهنيّةِ، وليس فقط على البنى اللغويَّة. إنَّ المعنى في اللغة مرتبطٌ بالسياق؛ إذ تتحدد وظيفته من خلال الاستعمال اللغوي ضمن بنى لغويَّةٍ وقواعدَ محددة. وفي هذا السياق، تركز النظريَّةُ اللغويَّةُ الوظيفيَّةُ لهاليداي على العلاقة بين اللغة والسياق؛ إذ تأخذ في الاعتبار الموقفَ، والمتلقيَ، والحدثَ بوصفها عناصر أساسيّة في عملية التواصل وفهم المعنى. وتهدف هذه الدراسةُ إلى تحليلِ السماتِ اللغويَّةِ المتكررةِ للغة العلوم في العربيّةِ، مع التركيز على مفرداتها الاصطلاحيَّةِ والتقنيةِ، وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي. وقد خلصت الدراسةُ إلى أن لغةَ العلوم تتميزُ بالتجريد والتعقيد، فضلاً عن استخدامها المكثف للمفردات الاصطلاحيَّةِ والتقنية، واتسام نصوصها بالتماسك وكثافة الاستعمال المعجمي.

The language of Science in the Light Halliday's Systematic Linguistics

Laila Muhammad Ibrahim Qahl
Assistant Professor in Grammar, Morphology and Rhyming, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Jazan university, Saudi Arabia.

Elham Al-Borai Faraj
Assistant Professor in Arabic Applied Language, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Jazan university, Saudi Arabia.

(Received: 8/ 7/1446 H, Accepted for publication 13/ 8/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-7

Keywords: Systemic Functional Linguistics (SFL) Theory, Scientific Texts, Technical Words, Abstract.

Abstract. Each science has a unique language with distinct characteristics formed by the community's culture, hence the different language systems and cognitive patterns, and here, the linguistic relativity theory, which focuses on different mindset as well as language structures, emerges. In language, the meaning is related to context, as its function is determined by language use within specific structures and rules. In the same context, Halliday's Systemic Functional Linguistic Theory focuses on the relation between language and context, taking the situation, recipient and event into account as key elements in the communication process and understanding of meaning. The current study aims at analyzing recurring linguistic features of science language in Arabic, while focusing on terminological and technical vocabulary using the descriptive methodology. The study concluded that science language is abstract and complex and relies extensively on terminological and technical vocabulary, and that its texts are coherent and lexical.

مُقَدِّمَةٌ:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تمثلُ لغةُ العلومِ أحدَ أكثر أنماط الخطاب تخصصًا وتعقيدًا؛ إذ تتميز بخصائصَ لغويَّة فريدة تجعل قراءتها وكتابتها تحديًا، لا سيما للطلاب في مختلف المراحل التعليمية. ويُعزى ذلك إلى طبيعتها الاصطلاحيَّة والتجريديَّة؛ مما يؤثر في فهم النصوص العلميَّة واستيعاب المعرفة الموجودة فيها. وتنبثق أهمية هذا البحثِ من الحاجة إلى تحليل لغة العلوم من منظور النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة؛ إذ تُعَدُّ القراءة النقديَّة إحدى الوسائل الفاعلة في دعم تعلّم العلوم. فمن خلال هذه الممارسة، يكتسب الطلاب المعرفة بالمحتوى، ويطورون قدرتهم على صياغة الأسئلة، وتجميع المعلومات، وتحليل الأفكار ونقدها، إضافة إلى بناء التفسيرات العلميَّة، وإدراك الأسس المعرفيّة للعلوم. كما تُسهم القراءة النقديَّة في تنمية المعرفة العلميَّة عبر تعزيز الفهم المتعلق بالمفاهيم الأساسيَّة، والأفكار الكبرى، والموضوعات الموحدة في مجال العلوم[1].

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسةُ إلى:

١.الكشف عن السمات اللغويَّة المتكررة في لغة العلوم باللغة العربيّة.

٢.تصميم طريقة تدريسيَّة تساعد في التغلب على التحديات التي تواجه الطلاب في قراءة النصوص العلميَّة وكتابتها وفهمها.

٣.تدريب معلمي العلوم على تطبيق هذه الطريقة في التدريس.

مشكلة البحث وأسئلته:

تتمثل مشكلة البحث في الصعوبة التي يواجهها الطلابُ في إتقان مهارتي القراءة والكتابة، وهي صعوبة تزداد تعقيدًا عند التعامل مع النصوص العلميَّة؛ نظرًا لطبيعتها اللغويَّة الخاصَّة. ومن ثم، تبرز الحاجة إلى فهم كيفيَّة تنظيم لغة هذه النصوص؛ إذ تتميز الكتابة العلميَّة بسمات محددة تؤثر في طريقة بناء المعاني وانتقالها، مما قد يشكل تحديات تعوق الفهم لدى المتعلمين، لا سيما عند دراسة موضوعات غير مألوفة أو بعيدة عن تجاربهم الحياتيَّة اليوميَّة.

كما أن النصوص العلميَّة تتميز بدرجة عالية من التعقيد؛ مما يجعل قراءتها تحديًا كبيرًا للطلاب، وهو ما يؤدي إلى عزوفهم عن قراءتها، في حين أن المعلمين نادرًا ما يطالبونهم بذلك. ونتيجة لذلك، يلجأ العديد من معلمي العلوم إلى تبسيط محتوى الكتاب المدرسي عبر تحويله إلى ملاحظات تُستخدم في المحاضرات، كما يقتصر تقييم الطلاب -غالبًا- على الجوانب العملية للنشاط، دون التركيز على تنمية مهارات القراءة والفهم العلمي لديهم[2].

على أن هذه المهارة لا يمكن إتقانها إذا اعتمد معلم العلوم في تدريسه على الأنشطة التجريبيّة لعملية بناء المفاهيم العلميَّة، فلا بد أن يقدم لطلابه الطريقة المثلى للقراءة والكتابة في النصوص العلميَّة، حتى ينميَ مهاراتِهم القرائيَّةَ النقديَّةَ وكذلك مهارات الكتابة؛ لتعميق التعلم التجريبي في هذا الحقل[3].

وعليه، يرتكز البحث على السؤال الرئيس الآتي: ما

(1) Norris, Stephen P., and Linda M. Phillips, How literacy in its fundamental sense is central to scientific literacy. *Science education* 87.2 (2003): 224-240.

(2) Zhihui Fang, Scientific literacy: A systemic functional linguistics perspective. *Science education* 89.2 (2005): 335-347.

(3) Zhihui Fang, Disciplinary literacy in science: Developing science literacy through trade books, *Journal of Adolescent & Adult Literacy*, *57*.4 (2013): 274-278; Cynthia Shanahan, Learning with text in science. In T. L. Jetton & C. Shanahan (Eds.), Adolescent literacy in the academic disciplines: General principles and practical strategies (New York: The Guilford Press, 2012) 154–171.

السمات اللغويَّة المتكررة للغة العلوم في اللغة العربيَّة؟

ويتفرع عنه عدد من الأسئلة، هي:

١.ما طبيعة مفردات لغة العلوم؟

٢.ما طبيعة الجمل المستعملة في لغة العلوم؟

٣.إلى أي مدى تبدو هذه الجمل والنصوص متماسكة؟

٤.كيف يمكن للمعلمين التعامل مع لغة العلوم فيما يخصُّ العمليَّةَ التعليميَّةَ؟

منهج البحث:

لتحقيق أهداف البحث؛ اعتمدنا المنهجَ الوصفيَّ، وذلك بالتركيز على أداتَي الاستقراء والتحليل ضمن هذا المنهج، في دراسة النصوص العلميَّة. وقد تم استخلاص الخصائص اللغويَّة المتكررة من خلال هذا التحليل، ثم توظيف النتائج في تطوير تطبيقات تعليمية تُسهم في تسهيل عملية تدريس النصوص العلميَّة وتعزيز فهمها لدى المتعلمين.

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة، هناك دراسات عربيّة متفرقة اهتمت بدراسة النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة لهاليداي، غير أنها لم تتطرق للغة العلوم في ظل النظريَّة محل الدراسة، ومن هذه الدراسات:

١-علم اللغة النظامي مدخل إلى النظريَّة اللغويَّة عند هاليداي، للدكتور محمود أحمد نحلة، جامعة الإسكندرية، الذي تناول في الدراسة المصادر العلميَّة والأسس المنهجية موضحًا وظائف اللغة والعلاقة الوثقى بين اللغة والسياق، وكذلك تطرق لأنماط المعنى السياقي عند هاليداي، ومقياس الرتبة والنحو النظامي الوظيفي.

٢- اللسانيات الوظيفيَّة النظاميَّة الوافد الغربي والنحو العربي، للدكتور عبد التواب حمزة الذي تطرق إلى تنظير هاليداي صيغة الجملة رابطًا ذلك بما جاء عند العلماء العرب القدماء.

ومن الدراسات الأجنبيّة:

تعتبر دراسة Fang & Schleppergrel من أولى الدراسات التي حلَّلت وحاولت تحديد السمات اللغويَّة للنصوص العلميَّة في المراحل الثانويّة بالاستفادة من مضامين نظريَّة النوع، وعلى وجه الخصوص النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة، ووضعت إطار الخصائص اللغويَّة التي تتميز بها، كما قدمت طريقةً تفصيليَّةً لتدريس هذه الخصائص[٤]، وهذه الدراسة هي التي انبثقت منها الدراسة الحالية وحاولت الاستفادة ومن منهجياتها وإجراءاتها.

واتبعت دراسة Zhang نهجَ الدراسات السابقة في تحليل السمات اللغويَّة للنصوص العلميَّة على مستوى المرحلة المتوسطة، فقد اختُتمت بتقديم منهج عملي لتدريس هذه النصوص وتدريب المعلمين على تطبيقه[٥]. وفي هذا السياق، توسعت الأبحاثُ المستندةُ إلى هذه النظريَّة، مستفيدةً منها في تحليل النصوص العلميَّة ذات الوسائط المتعددة. ومن بين هذه الدراسات، تبرز دراسة Wanselin et al، التي دمجت الأدواتِ التحليليَّةَ المستمدة من السيميائية الاجتماعية، بما في ذلك اللغويات الوظيفيَّة النظاميَّة؛ بهدف تزويد الباحثين والمعلمين برؤى معمقة حول كيفية توصيل المحتوى في النصوص متعددة الوسائط من خلال أنظمة سيميائيَّة مختلفة[٦].

وفي دراسة أجراها Fang et al، طبق الباحثون نهجًا تعليميًّا مستندًا إلى نتائج النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة، بهدف تعزيز المعرفة النقديَّة في العلوم. يُعرف هذا النهج بـــ

(4) Zhihui Fang & Mary Schleppegrell, Reading in Secondary Content Areas: A Language-Based Pedagogy (Michigan: University of Michigan Press ELT, 2008).

(5) Wei Zhang A functional approach to twenty-first century science literacy, *Science teacher preparation in content-based second language acquisition* (2017): 271-284.

(6) Hanna Wanselin, Danielsson Kristina and Wikman Susanne Analysing multimodal texts in science—A social semiotic perspective" *Research in science education* 52.3 (2022): 891-907.

E5s [٧] ويعكس خمسَ عملياتٍ أساسيَّة: الاستفسار، والمشاركة، والفحص، والتمرين، والتوسيع. وقد نُفِّذت الدراسة على طلاب المرحلة المتوسطة في مادة العلوم على مدى أربعة أسابيع. وأظهرت النتائج أن استخدام الاستدلال أسهم في تطوير فهم الطلاب للطرق المتنوعة التي يوظفها المؤلفون عبر اللغة لنقل المعلومات، وتنظيم النص، وإصدار الأحكام والتقييمات، والتفاعل مع القارئ، والتعبير عن الالتزام المعرفي بادعاءات المعرفة [٨].

ووصفت دراسة Rosa & Hodgson-Drysdale كيفية تطبيق معلمة العلوم مبادئ النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة لتدريس الكتابة العلميَّة على مدار خمس سنوات. وهي الدراسة التي أفدنا منها إفادة مباشرة، وركزنا فيها على ثلاثة محاور رئيسة، هي: (١) تغيير مفاهيم الكتابة العلميَّة؛ (٢) تنفيذ دورة التعلم التدريسي لتدريس اللغة والمحتوى؛ (٣) بناء الوعي اللغوي للمعلم. وأظهرت النتائج أن تطبيق نظريَّة النوع ساعدت على تدريس الكتابة في فصول تعليم اللغة الإنجليزيّة لغةً ثانيةً، وناقشت كيفيةَ حدوث التطبيق العملي عندما يتعلم المعلمون النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة ويطبقونها على تطوير طرائق التدريس القائمة على النوع في مادة العلوم[٩].

وتسير الدراسات الاجنبيَّةُ في مجال تدريس النصوصِ العلميَّة في مسارين: يتمحور المسار الأول حول تحليل النصوص العلميَّة لرصد السمات اللغويَّة الشائعة، ويمكن الاستفادة من هذا النوع من هذه الدراسات في المساعدة على التغلب على صعوبات القراءة والكتابة في هذا المجال، والمسار الثاني عبارة عن تطبيق طريقة عمليَّة صُممت بناءً على رصد هذه السمات والاستفادة من تحديدها، على عينة من الطلاب لإثبات فعاليتها. وهذه الطريقة تتمثل أولًا في تحليل النصوص العلميَّة وتحديد الخصائص اللغويَّة المتكررة، ثم تصميم تطبيقات عملية في مجال تدريس هذه العلوم؛ على نحوٍ تُسهم فيه في تطوير مهارات التفكير النقدي وتساعد الطالب على التصدي للتحديات التي تعوق فهمه لهذه النصوص بسبب صعوبة اللغة[١٠].

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة. في المقدمة، استعرضت الباحثتان أسباب اختيار الموضوع، وأهمية البحث، وأهداف الدراسة، والمنهج المتّبع، إضافةً إلى خطة البحث والدراسات السابقة العربيّة والأجنبية.

أما في التمهيد، فعرَّفت الباحثتان بنظريَّة هاليداي (النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة)، وأوضحتا مصطلحات الدراسة وحدودها. وشرحتا في المبحث الأول بنية مصطلحات العلوم ووظائفها، في حين ركّزتا في المبحث الثاني على تركيب مصطلحات العلوم، من ناحية العلاقة والتأثير. أما في المبحث الثالث، فتناولتا الإستراتيجيات التدريسية المستندة إلى نتائج التحليل القائم على مبادئ النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة.

واختُتم البحث بعرض النتائج والتوصيات، تلا ذلك ثَبَتٌ بقائمة المصادر والمراجع. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة

(٧) E5s : هو اختصار لخمس عمليات متسلسلة يقوم بها الطالب أثناء تطوير مهارات التفكير الناقد وهي: الاستفسار، والمشاركة، والفحص، والتمرين، والتوسيع.

(8) Zhihui Fang, Brittany Adams, Valerie T, Gresser, Cuiying Li, Developing critical literacy in science through an SFL-informed pedagogical heuristic', *English Teaching: Practice & Critique*, 18.1 (2019): 4-17.

(9) Holly Rosa, Tracy Hodgson-Drysdale, Learning to teach science genres and language of science writing: Key change processes in a teacher's critical SFL praxis', *Language and education* 35.5 (2021): 429-445.

(10) Halliday, M. A. K. & J. R. Martin. Writing science: Literacy and discursive power. (London: The Falmer Press, 1993).

إلى أن الباحثة الأولى تناولت العوامل الاجتماعية الصريحة في سياق النصوص العلميَّة المختارة، في حين ركّزت الباحثة الثانية على المعلومات البنيوية المتعلقة بالقواعد النحوية، ودورها في الربط بين الشكل والمعنى.

تمهيد:

التعريف بنظريَّة هاليداي: (النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة)

حاول علماء التربية إيجاد طرائق فعالة لتدريس مهارات الكتابة والقراءة وتحسينها، وفي هذا الإطار ظهر ما سُمِّيَ بنظريَّة النوع Gener، وهي نظريَّة مهمةٌ تطورت وتحسَّنت خلال تاريخ محاولات التطوير لمهارات الطلاب في القراءة والكتابة. وتشير كلمة النوع Gener في هذا السياق والمشتقة من اللاتينيّة في الأصل، إلى نوع الأشياء. وفي وقت لاحق، استخدمت على نطاق واسع في البحث عن الأساليب الأدبيَّة المختلفة. كما يعتقد أن كلمة النوع استخلصت من الدراسات اليونانية القديمة في الغرب عندما ناقش أفلاطون وأرسطو الشعر والدراما. ويُعَدُّ بهاتيا Bhatia V. K أولَ من وسَّعَ من استعمال نظريَّة النوع ونقلها من الأدب إلى دراسات اللغة في اللغويات الحديثة. فهذه النظريَّة أثرت في المدارس اللغويَّة، مثل مدرسة البلاغة الجديدة، ومدرسة اللغة الإنجليزية لأغراض محددة، ومدرسة سيدني. ويعتقدُ أصحابُ مدرسة البلاغة الجديدة أنَّ الخطاب يعكس الحوارَ بين الأصوات المختلفة، وهو الطريقة التي تحقق فيها هوية الصوت وقوته. كما يعتبر مؤسسو اللغة الإنجليزية لأغراض محددة أنَّ النوع هو حدثٌ تواصليٌّ يتشكل من خلال هيكلة مجتمع الخطاب والذي يماثل غيره من الخطابات؛ لأنّ جمهورهم مشتركٌ، وأغراض الاتصال لا تختلف؛ ولذلك فإنَّ لغة هذه الخطابات تحملُ نفسَ الأنماط اللغويَّة ومحتوياتها وأساليبها. أما مدرسة سيدني، فتركز على العلاقة بين اللغة والسياق والوظيفة، وتقسم السياق إلى نوع Genre وتسجيل Register[11].

ويمكنُ تلخيصُ هذه الأفكارِ حول النوع من خلال هذا التعريف الذي يرى أنَّ النوع يعكس الطرائق المعترف بها اجتماعيًّا لاستعمال اللغة. فهو مصطلح يستخدمه الجميعُ ليعكسَ تجميعَ النصوصِ معًا، وتمثيل كيفية استعمال الكتابة عادةً للغة للردِّ على النصوص وبناء المواقف المتكررة[12]. ومن هذه التعريفات، يمكنُ استخلاصُ المعنى المعبر عنه بالنوع، فهو يركز بشكل أكبر على السياق الاجتماعي الذي يتم إنتاج الكتابة فيه. ولذلك فإنه يجب أن تقدم تفسيرات واضحة ومنهجية للطرائق التي تعمل بها اللغة في السياقات الاجتماعية في أثناء تدريس القراءة والكتابة النوعية للطلاب، وخاصة أنّ السياق الاجتماعي يؤثر في قدرة الطالب على القراءة والكتابة[13].

ووفقًا لـ Fang and Schleppergrel في كتابهما "اللغة والقراءة في مجالات المحتوى الثانوية"[14]، قدمت مدرسةُ سيدني نظريَّة لغويَّة وظيفيَّة نظاميَّة، يقابلها بالإنجليزية Systematic Functional Linguistics (SFL) بواسطة هاليداي Holiday ومارتنMarten ، وهي إطارٌ نظريٌّ في علم اللغة أسَّسَه اللغويُّ البريطانيُّ (مايكل هاليداي) في ستينيات القرن العشرين. تركز هذه النظريَّةُ على دراسة اللغة بوصفها نظامًا اجتماعيًّا يتألف من مجموعة من الخيارات التي يستخدمها الأفرادُ للتواصل في سياقات مختلفة. وتهتم SFL

(11) Yilong Yang, Teaching Chinese College ESL Writing: A Genre-Based Approach. *English language teaching* 9.9, (2016): 36-44.

(12) Zahra Abbaszadeh, Genre-based approach and second language syllabus design. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*, 84 (2013): 1879-1884.

(13) Shahrina Nordin, Norhisham Mohammad, The Best of Two Approaches: Process/Genre-Based Approach to Teaching Writing. *The English Teacher*, 35, (2009): 75-85.

(14) Fang & Schleppegrell, Reading in Secondary Content Areas: A Language-Based Pedagogy.

بكيفية استخدام اللغة لتحقيق وظائف متعددة، مثل التعبير عن الأفكار، والتفاعل الاجتماعي، وتنظيم النصوص. وتؤدي اللغة ثلاث وظائف رئيسة تتكامل معًا:

(Ideational Function): تتعلق الوظيفة الأيديولوجية بتمثيل الخبرات والمعرفة، أي كيفية استخدام اللغة للتعبير عن العالمين: الداخلي والخارجي.

(Interpersonal Function):تتعلق الوظيفة التفاعلية بإقامة العلاقات الاجتماعية، أي: كيفية استخدام اللغة لتنظيم التفاعلات بين الأفراد والتعبير عن المواقف والآراء.

(Textual Function): أمّا الوظيفة النصيّة، فهي التي تُعنى بتنظيم النصوص؛ أي: كيفية استعمال اللغة لإنشاء نصوص متماسكة ومترابطة تتناسب مع السياق.

وتُعَدُّ SFL مفيدةً في تحليل النصوص والخطابات في سياقات متنوعة، مثل التعليم والإعلام والسياسة، فهي تركز على كيفية استخدام اللغة للتأثير على الجمهور أو لتحقيق أهداف معينة. كما تتيح هذه النظريَّةُ فهمًا أعمقَ للتنوع اللغوي والثقافي، من خلال دراسة كيفية اختلاف استخدامات اللغة بين الثقافات والمجتمعات المختلفة [١٥].

كما تستوعبُ هذه النظريَّةُ اللغاتِ المختلفةَ للمجتمعات لإيجاد طريقة مفيدة للتدريس؛ ولذلك فإنّها تساعد الطلاب والمعلمين في فهم الخطابات المختلفة بسهولة، وكذلك إنشاء إستراتيجيات جيّدة لتعليمها. فهي تقدم هيكلًا لشرح كيفية بناء المعنى في اختيارات لغة محددة؛ لأنّها مبنيةٌ على علم اللغة الوظيفي المنهجي. فالنصوص العلميَّة هي أحد الأمثلة على صعوبة اللغة التي يجد الطلاب والمعلمون صعوبة في فهمها وتعلِّمها. ومن هنا، توفر نظريَّة SFL طريقةً للحديث عن هذه النصوص بطريقة تمكن المعلمين والطلاب من التعرف إليها. فعلى سبيل المثال، ووفقًا لهذه النظريَّة؛ فإنّ النصوصَ العلميَّة لها خصائصُ محددةٌ، وإذا حددت وتعلمها المعلمون والطلاب؛ فإنها تسهل عليهم القراءةَ والكتابةَ، وتزيد من فهمهم وكذلك مشاركتهم؛ وهذا ما يجعل عمليتي التعلم والتدريس أكثرَ فعالية.

مصطلحات البحث:

نظريَّة النوع Genre theory: وهي النظريَّةُ التي انبثقت منها الدراسة الحالية، وهي نظريَّةٌ اجتماعيةٌ ترى أنّ اللغة لا بد أن تُدرس وتُحلل وظيفيًّا في سياقها الاجتماعي.

النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة Systemic Functional Linguistics (SFL) theory: وهي نظريَّةٌ متأثرةٌ بنظريَّة النوع، وطُبقت في مجال علوم اللغة، وتهتم بتحليل خصائص اللغة وفقًا للوظائف التي تقدمها في مجال محدد.

النصوص العلميَّة Scientific texts: وهي النصوص التي تُصاغ في حقل العلوم، مثل: الكيمياء، والفيزياء، والأحياء.

الكلمات التقنية/ الاصطلاح Technical words: هي سمةٌ من سمات النصوصِ العلميَّة وتعكس نوعين من الكلمات، كلماتٍ فريدة لا تُستخدم إلَّا في مجال العلوم، وكلماتٍ لها استعمالٌ شائعٌ، ولكنها تختلفُ في النصوص العلميَّة.

التجريد Abstract: وهو سمةٌ من سمات النصوص العلميَّة ويكون ذلك عن طريق عملية تُسمى التسمية، وهي تحويل الأفعال والصفات إلى أسماء أي: تُجَرَّدُ من معاني الحدث وتنتقل إلى معاني الاسميَّة المحضة.

الكثافة المعجمية Dense: ويقصد بها كميةُ المعلوماتِ التي تحتوي عليها كلُّ فكرة، وكلُّ جملة تتكون من فكرة أو أكثر من فكرة، وكلُّ فكرة تتكون من عملية يُعبر عنها بواسطة (أفعال): فعل واحد أو عدة أفعال، كما تحتوي على مشاركين

(15) Halliday, M.A.K., and Christian M.I.M. Matthiessen. An Introduction to Functional Grammar. 3rd ed. London: Arnold, 2004. P. 29-31.

يُعبر عنهم (بالأسماء): اسم واحد أو عدة أسماء، وعادة تصاغ في شبه الجمل أو جمل الحال.

التماسك Tightly Knit : يعكس تسلسل الأفكار وترتيبها وترابطها في النص، وله نمطان في النصوص العلميَّة، هما: النمط الثابت :وهو إعادة التحدث بالفكرة نفسها وبمعلومات أوسع، والمتعرج :وهو شرح الفكرة التي انتهت بها كل جملة بشكل متكرر.

حدود البحث:

الحدُّ الموضوعي: اختارت الباحثتان ثلاثة دروس اختيارًا عشوائيًّا من ثلاثة علوم لنظام المسارات في المرحلة الثانوية. وتتفرع هذه العلوم إلى: الاحياء والفيزياء والكيمياء.

الحدُّ المكاني: كُتبت هذه الدروس لتدعم وتحقق رؤية ٢٠٣٠ في المملكة العربيّة السعودية.

الحدُّ الزمني: آخر تنقيح لهذه النسخ من الكتب كان ما بين ٢٠٢٣ و٢٠٢٤، وفي الجدول أدناه توضيح لمعلوماتِ النصوصِ العلميَّةِ المحلَّلةِ وفقًا للنظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة بذكر اسم الكتاب ومؤلفة وعدد صفحاته وتاريخ نشره، بالإضافة لموضوع الدرس الذي حلل ورقمت صفحته:

جدول (١)يوضح معلومات النصوص العلميَّة المحللة

اسم الكتاب	المؤلف	عدد الفصول	سنة النشر الطبعة	عدد الصفحات	موضع الدرس	رقم الصفحة
أحياء (١)	وزارة التربيّة والتعليم	٨	٢٠٢٤	٢٦٦	البكتيريا	٦٢-٧٢
كيمياء (٢)	وزارة التربيّة والتعليم	٤	٢٠٢٣	١٦٥	مركبات الكربونيل	٤٧٨-٤٨٣
فيزياء (٣)	وزارة التربيّة والتعليم	٦	٢٠٢٤	٢٠٨	الموائع الساكنة والموائع المتحركة	٢٤-٣٣

المبحث الأول: بنى مصطلحات العلوم ووظائفها

تتسمُ النصوصُ العلميَّةُ بتراكيبَ لغويَّةٍ معقدةٍ تعكسُ طبيعةَ الموضوعاتِ المتخصصةِ التي يُعالجها الباحثون بالدراسة والتحليل. وقد قدَّمَ Fang &Schleppegrell[١٦] في فصلهما "التقنية والتفكير في العلم: ما وراء المفردات" تحليلًا تفصيليًّا لأربع سمات رئيسة تُسهم في بناء المعنى داخل النصوص العلميَّة، وهي: التقنية أو الاصطلاحية (Technical)، والتجريد (Abstract)، والكثافة، والتعقيد (Dense)، والترابط المحكم (Tightly Knit).

وتشمل المفرداتُ الاصطلاحيَّةُ الكلماتِ ذات المعاني المتخصصة والاستخدامات الخاصة، وتنقسم نوعين: مصطلحات فريدة في المجال العلمي، وكلمات شائعة تُوظَّف في سياقات علمية بمعانٍ متخصصة. وتُسهم هذه المفردات في بناء المعنى التجريبي (Empirical Meaning)، إذ توضحُ المفاهيمَ الأساسيَّةَ التي يُعالجها النصُّ. أما التجريدُ، فيتمثل في إعادة صياغة الأفكار المعقَّدة من خلال عملية التسميّة، إذ يُحوِّلُ الكاتبُ الأفعالَ والصفاتِ إلى أسماء؛ مما يسمح ببناء مفاهيمَ أكثرَ تجريدًا ودقة.

وتُصبح اللغةُ كثيفةً حينما تُدمَج أفكارٌ متعددةٌ في جملة واحدة، وهو ما يؤدي إلى تراكيب لغويَّة تتضمن مجموعات أسماء طويلة ومعقدة، إذ تعمل هذه التراكيبُ كعناصر فاعلة داخل الجملة من ناحية العمليات والمشاركين والظروف؛ مما يعزز من البنية التجريديَّة والكثافة النصيَّة. وتُفضي هذه العمليات إلى بناء المعنى النصي (Textual Meaning) الذي يُسهم في تحقيق التماسك البنيوي داخل النص.

)16(Fang & Schleppegrell, Reading in Secondary Content Areas: A Language-Based Pedagogy.

وبالإضافة إلى ذلك، تعكس هذه البنى اللغويَّةُ المعنى التفاعلي (Interpersonal Meaning) الذي يُجسدُ العلاقةَ بين الكاتب والقارئ، إلى جانب المعنى التجريبي. أما التماسك المحكم، فيشير إلى البنيّة النصيّة، ويتخذ نمطين أساسيين: النمط الثابت، الذي يتمثل في إعادة تناول الموضوع نفسه بطرق مختلفة، والنمط المتعرج، الذي يعتمد على التوسع في المواضيع عبر تطويرها وتكرارها بشكل منهجي. ويُعَدُّ هذا البناءُ المتماسكُ أحدَ العناصر الجوهريَّة في تحقيق المعنى النصّي داخل الخطابات العلميَّة.

وفيما يلي، نُقَدِّم مُخطَّطًا يوضح الخصائص اللغوية المميزة للنصوص العلميَّة وفقًا لـ Fang & Schleppegrell[١٧].

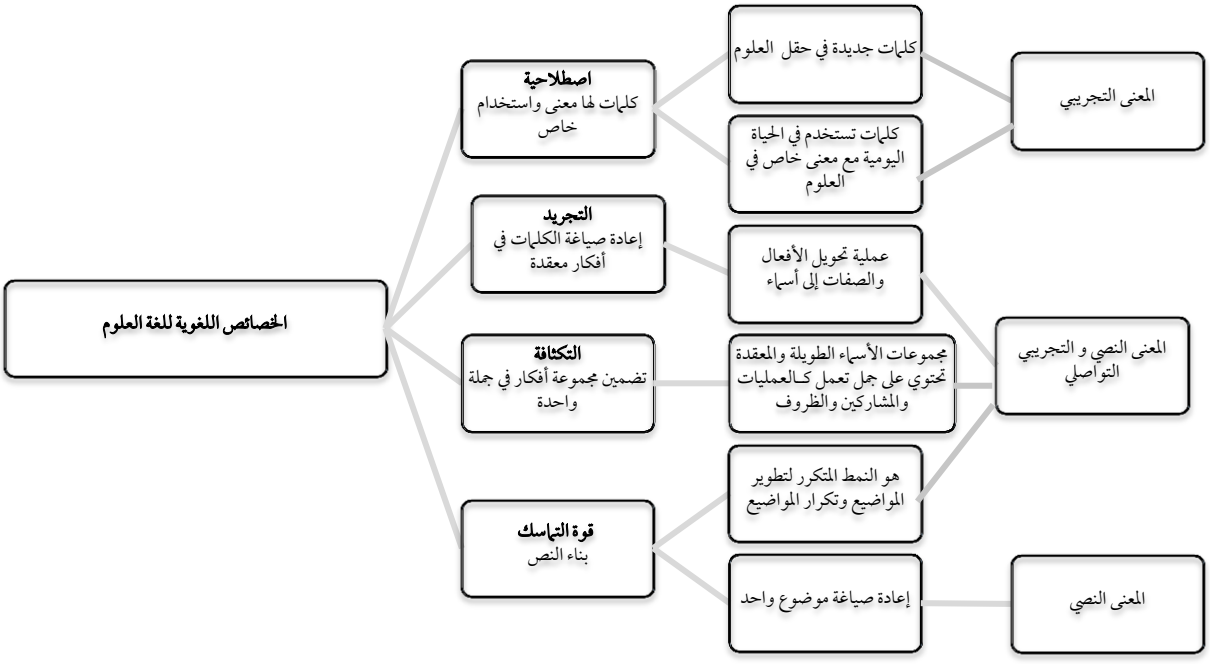

شكل (١) لملخص الخصائص اللغويَّة للغة العلوم[١٨]

(17) Fang & Schleppegrell, Reading in Secondary Content Areas: A Language-Based Pedagogy.

(18) Fang & Schleppegrell, Reading in Secondary Content Areas: A Language-Based Pedagogy.

المبحث الثاني: تركيب مصطلحات العلوم: العلاقة والأثر

كلمات لغة العلوم اصطلاحية:

يوجد نوعان منها في هذه النصوص وهي: (١) كلمات خاصة بالعلم، و (٢) كلمات شائعة ذات معاني علميّة، وفي الجدول أدناه أمثلة من نصوصٍ علميّةٍ من مادة الأحياء والكيمياء والفيزياء توضح هذه السمة اللغويَّة في لغة العلوم في اللغة العربيَّة:

جدول(٢) يوضح أمثلة الكلمات التقنية/ الاصطلاحية

المواد / أنواع الكلمات	أحياء	كيمياء	فيزياء
كلمات خاصة بالعلم	بدائية النوى- البدائيات- بيتيدوجلايكان -عضيات- البروتينات الرايبوسية- الهديبات	كربونيل- الالدهيدات- الكيتونات- الكربوكسيلية- الاسترات- الاميدات.	مبدأ باسكال- مبدأ أرخميدي- مبدأ برنولي
كلمات شائعة ذات معانٍ علمية	المحفظة- صبغة جرام- الأسواط- الهوائية الاختيارية- مترممة- الأبواغ	تفاعلات التكثف- الأحماض- جزئيات-عضوي	الموائع الساكنة- الموائع المتحركة – قوة الطفو- ضغط الماء- خطوط الانسياب

يُلاحظ على الكلمات الاصطلاحية السابقة أنّها ذات علاقة بين الأشياء والرموز، وتظهر اللغة في تجسيد لنظام تصوُّري وما تبع ذلك من اهتمام بالتمييز بين الصريح أو الظاهر والضمني أو الباطن[١٩]، فالأول: ما له ظهورٌ على السطح، مثل: الهدبيات. والثاني: ما ليس له ظهور على السطح كالتفاعلات وهي تدلُّ على الجمع، وكذلك مبدأ باسكال. وهنا تظهر مستويات اللغة في مستوى التعبير ومستوى المحتوى؛ إذ يشمل مستوى التعبير مادة التعبير(الأصوات) وشكل التعبير (الفونولوجيا)، كما يشمل محتوى التعبير مادة المحتوى (الدلالة) وشكل المحتوى (النحو)[٢٠]، وترى الباحثتان أن ثمةَ تعقيدًا في نطق الكلمات مما يعقد اللغة لدى الطالب مع طول الكلمة بمكوناتها مثل: بتيدوجلايكان التي تتكون من شبكة من السكريات والأحماض الأمينية، مع فهم الوظائف التي تؤديها أجزاؤها المختلفة، وكيف تُحدد وظيفةُ جزءٍ معين وظيفةَ الأخرى؟[٢١].

وكذلك فإنَّ كلمة أسواط (اسم وجمع تكسير) مفرده السوط الذي يُضرب به، ويعني كذلك خلط الشيء بعضه ببعض[٢٢] وهو أداة للسيطرة والعقاب، وفي علم الأحياء هو بنية سطحية لخلايا حقيقيات النوى أو بدائيات النوى تساعدها على الحركة[٢٣]، وهنا يظهر دوره في الربط والسيطرة في كلا الكلمتين.

لغة العلوم مجردة:

ويتمثل ذلك في استعمال الكثير من الأسماء المجردة في النصوص العلميَّة وهذا يُعزى إلى الاستعمال المتكرر أكثر من المعتاد للتسمية (Nominalization)، وهي عملية تحويل المجموعات الفعليَّة أو الوصفيَّة إلى مجموعة اسمية. يتم استعمال التسمية بشكل متكرر؛ لتكثيف المعنى أو تصنيف

(١٩) محمود نحلة، *علم اللغة النظامي، النظرية اللغوية، هاليداي*، ملتقى الفكر الإسكندرية، ٢٠٠١، ٣٩.

(٢٠) نحلة، *علم اللغة النظامي، النظرية اللغوية*، ٣٩.

(٢١) جيفري سامبسون، *مدارس اللسانيّات التسابق والتطور*، تر. محمد زياد كبة، (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٧هـ).

(22) https://2cm.es/RluE ery

(23) https://ar.wikipedia.org/wiki /

العمليات العلميَّة. وهذه الكلمات هي مليئة بالمعاني المتعددة والمختصرة التي تتطلب أكثر من تعريف لفهم دقيق وشامل.

جدول(٣) يوضح أمثلة تعكس سمة التجريد في النصوص العلميَّة

المواد / المثال والتوضيح	أحياء	كيمياء	فيزياء
المثال	كما أنهما مختلفتان عن الخلايا الحقيقية النوى. ومن هذه الاختلافات ما يأتي:	تتضمن العديد من التحضيرات التي تُجرى في المختبرات والعمليات الصناعية، تفاعل مادتين من المواد المتفاعلة العضوية لتكوين مركب عضوي ضخم.	إذا أردت أن تعرف إذا كان الجسم سيطفو أم يغوص؛ فإنه يجب أن تأخذ بعين الاعتبار كلَّ القوى المؤثرة في الجسم، فقوة الطفو تدفع الجسم إلى أعلى.
التوضيح	تحويل الصفة إلى اسم	تحويل الاسم إلى الصفة	تحويل الفعل إلى اسم

يظهر هنا تأثير العامل النحوي في الجملة؛ إذ يرى عمايرة أن الجمل في العربيّة تنقسم إلى جمل توليدية، وجمل محولة، والتوليدية قد تكون اسمية أو فعلية، حتى وإن طرأ عليها تغيير بدخول عوامل التحويل، وهنا يظهر المعنى السطحي، إذ يُقصد بالسطحي الفكرة الإخبارية في أبسط صورها. أما الجملة المحولة فهي تمثل البنية العميقة المشتقة بوساطة عدد من القواعد التحويلية[٢٤]. ويظهر للباحثتين في تلك الأمثلة السابقة أعلى مستويات التعقيد التي تتمثل في القواعد النحوية الخالية من السياق لاشتقاق الكلمات، إذ يتم تطبيقها دون النظر في السياق؛ لأنّ جميع هذه الحقائق ما هي إلّا مظاهر متعددة لحقيقة واحدة معزولة[٢٥]، وهي : (الاختلاف، والتفاعل، والطفو) في الجدول أعلاه. ومن الأمثلة البارزة على القيمة مسألة الوظيفة النحوية فتتميز الصيغ حسب الزمن[٢٦] ويرى أحمد مختار[٢٧] أن تنوع الرمز مع المتكلم يتيح الوظيفة التعبيريَّة، ومع السامع ينتج وظيفة المناشدة، ومع الأشياء ينتج الوظيفة الاتصاليَّة، ثم الوظيفة الجماليَّة، إذ يظهر إدراك العقل حول طبيعة العلاقات بين العبارات في أنّها تشترك في عنصر واحد وهو الأصل، وهنا يتشكل الارتباط الإيحائي للقياس للكلمة الموجودة في المدلول[٢٨].

إنَّ الأسماء الطويلة والمعقدة تمكن الكاتب من تضمين مجموعة كبيرة من المعاني الدلالية في بناء الفكرة، مما ينتج عنه كثافة معلوماتية للنصوص. وهذه الأسماء عادة تتكون من معدلات قبلية Pre-modifier وتتمثل في استعمال الضمائر والأعداد والصفات قبل الرأس Head وهو الاسم، ويأتي بعدها معدلات بعديَّة Post-modifier تتمثل في شبه الجملة والجملة المضمنة كجملة الصلة والجملة الحالية وجملة الصفة. وفي الجدول أدناه بعض الأمثلة التي توضح هذه السمة من النصوص العلميَّة المحلَّلة:

(٢٤) خليل عمايرة، *في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق* (جدة: عالم المعرفة، ١٩٨٤م).

(٢٥) فردينان دو سوسير، *علم اللغة العام*، ترجمة. بوئيل يوسف عزيز مراجعة. يوسف مالك المطلبي (بغداد: دار آفاق عربية ،١٩٨٩).

(٢٦) دو سوسير، *علم اللغة العام*، ١٣٧.

(٢٧) أحمد مختار، "مدرسة براغ اللغوية"، مجلة *كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت*(١٩٧٧م).

(٢٨) دو سوسير، *علم اللغة العام*، ١٤٤.

جدول (٤) يوضح أمثلة للأسماء الطويلة والمعقدة في النصوص العلميَّة

المواد / المثال والتوضيح	أحياء	كيمياء	فيزياء
معدلات قبليّة Pre-modifier	هناك مجموعة من البدائيات تسمى	هناك خمسة أنواع مهمة من المركبات العضوية تحتوي على	هناك بعض التطبيقات العلميَّة الشائعة على
رأس Head	المجموعة المولدة لغاز الميثان	مركبات الكربونيل	مبدأ برنولي
ومعدلات بعدية Post-modifier	وهي مخلوقات لاهوائية، لا تستطيع العيش في وجود الأكسجين	وهي: الألدهيدات، والكيتونات، والأحماض الكربوكسيلية، والإسترات، والأميدات	ومنها(بخاخ)الطلاء، ومرذاذ العطر

حيث يظهر الحمل الجوهري لقواعد التمدد اللغوي Extended predication بالإحالات القبلية والبعديّة كأسماء الشرط، أو الضمائر، أو أي روابط تساعد في تمدد الجملة إلى جملتين أو أكثر؛ لنحصل على عبارة تامة، فالسياق في كلمة (لا هوائية) قد تكون (لا) لنفي الجنس ولا بد من وجود خبر لها، كما يلاحظ أن كلمة هوائية منسوبة إلى هواء، وينقل الطالب إلى معرفة هل الهمزة أصلية أم منقلبة عن أصل؟ وهذا فيه نوع من التعقيد اللغوي للطالب في فهم النص، وجملة (لا تستطيع) مفسّرة لكلمة (لاهوائية) فكان ينبغي أن يجعل التركيب الجملة على هذا النحو: وهي مخلوقات لا تستطيع العيش في وجود الهواء (الأكسجين) وتعرف بمصطلح (لاهوائية) بنفي الفعل لا الاسم.

فالعلاقةُ الاتساقيَّةُ بين (هي مخلوقات لاهوائية) وبين (لا تستطيع) يحيلان إلى الشيء نفسه، وهو المخلوقات التي لا تستطيع العيش في وجود الهواء (الأكسجين) فهما مشتركان في الإحالة. وتظهر عملية الاتساق في هذه الحالة محققة للنسيج؛ إذ تمثل قابلية الاشتراك في الإحالة بين (هي) وبين (لا تستطيع) التي يعبر بها من خلال الضمير العائد احتمالًا في الجملة الثانية والعنصر المحتمل في الجملة الأولى(لاهوائية) إذ يظهر التسلسل بين الكلمة والمعنى على شكل: الكلمة المنطوقة وصورتها الذهنية؛ للوصول إلى معناها الذي يتكون من مجموع سماتها[٢٩].

فلا بدَّ أن تكون المصطلحات واضحة ليس فيها رموزٌ وتعقيدٌ في التركيب الجُمْلي حتى لا يُشق على الطالب فهم المعنى.

ومن هنا تظهر بعض الأسئلة من مثل: كيف استطاع العلماءُ توظيفَ المصطلحات في العربيّة من خلال الترجمة؟ كيف عالج النحاةُ القدماءُ مصطلحات الترجمة والتوليد والتعريب والسياق وجعلها في العصر الحديث ذات دلالات مفاهيمية علميّة عالية؟

لغة العلوم كثيفة معجميًّا:

إنَّ لغة العلوم ذات كثافة معجمية عالية، وتنعكس هذه الصفة عند تحليل كمية المعلومات التي تحتوي عليها كلُّ فكرة، وكل جملة تتكون من فكرة أو أكثر من فكرة، وكل فكرة تتكون من عملية يعبر عنها بواسطة (أفعال)، ومشارك واحد أو عدة مشاركين يُعبر عنها (بالأسماء)، وظرف واحد أو عدة ظروف عادة تُصاغ في شبه الجمل أو جمل الحال، وفي الجدول الآتي أمثلة من النصوص العلميَّة المحللة:

(٢٩) سمير إستيتية، *اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج* (عمان: عالم الكتب الحديث ٢٠٠٥م) ٢٦٠.

جدول (٥) يوضح مكونات الجملة التي تعكس الكثافة المعجمية

المواد / المثال والتوضيح	أحياء	كيمياء	فيزياء
(المشاركون، المجموعة الاسمية)	بعض البكتيريا الذاتية التغذية	الأحماض الكربوكسيلية مركبات عضوية	قوة الطفو في الجسم
(العملية، الأفعال)	لا تحتاج	تحتوي	تساوي وزن المائع المزاح
(حروف الجر).	إلى الطاقة مصدرًا للطاقة	على مجموعة الكربوكسيل	عن طريق الجسم

إنَّ ثمة ملاحظة في استناد الارتباط الإيحائي بين المجرورات إلى فكرة النسبة، سواء كان المجرور بحرف أو بالإضافة[٣٠]، كما في الأمثلة السابقة (إلى الطاقة، على مجموعة الكربوكسيل). وهنا تحدد فكرة أقسام الكلام (أسماء، وأفعال، وحروف) ويظهر تعبير اللغة عن فكرة معينة عبر نظام تسلسل الألفاظ في المجموعة[٣١]. وهنا يظهر اختلاف التلازم والتوارد في الجملة؛ فالتوارد يكون في العلاقة التبادلية بين الفصائل النحوية كالاسم، والفعل، والأداة، والظرف...، وتواردها جزء من النص اللغوي[٣٢].

ويمكن أيضًا قياس الكثافة المعجمية في النصوص العملية من عدد الأفكار المتضمنة في الجملة الواحدة، والنموذج الآتي يوضح هذه التعقيدات:

جدول (٦) يعرض أمثلة للجمل المتضمنة أكثر من فكرة

المواد / المثال	أحياء	كيمياء	فيزياء
المثال	تتكاثر أنواع أخرى من البدائيات النوى بشكل آخر من أشكال التكاثر يُسمى الاقتران؛ إذ تلتصق خليتان معًا وتتبادلان المواد الوراثية.	تفاعلات التكشف تتضمن العديدَ من التحضيرات التي تتم في المختبرات والعمليات الصناعية، تتفاعل من المواد المتفاعلة العضوين لتكوين مركب عضوي ضخم، مثل الإسبرين.	تشير خطوط الانسياب التي تفصلها مسافات قليلة إلى سرعة انسياب كبيرة؛ لذا يكون الضغط منخفضًا.

في هذه الجملة فعلان، هما (تتكاثر وتلتصق)، ولكن هذه الجملة لها موضوع رئيس والفعلان يدوران حولها، الموضوع هو البدائيات النوى، أما الفكرة المضمنة فتتمثل في "حيث تلتصق خليتان معًا وتتبادلان المواد". وفي هذه الجملة ثلاثة أفعال وهي: (تتضمن، وتتم، وتتفاعل)، ولكن هذه الجملة لها موضوع أو فكرة رئيسة تدور حولها وهي تفاعلات التكيف، أما الفكرة المضمنة، فتتمثل في " التي تتم في المختبرات والعمليات الصناعية تفاعل من المواد المتفاعلة العضوين، ومثل الإسبرين.." في هذه الجملة ثلاثة أفعال وهي (تشير، وتفصلها، ويكون)، ولكن هذه الجمل لها فكرة رئيسة تدور حولها وهي خطوط الانسياب، أما الفكرتان المضمنتان، فتتمثلان في " التي تفصلها مسافات قليلة." و

(٣٠) دو سوسير، *علم اللغة العام*، ١٥٧.

(٣١) دو سوسير، *علم اللغة العام*، ١٥٨.

(32) Christopher Butler, "Systemic linguistics: Theory and applications, London, (1985) 8.

"لذا يكون الضغط منخفضًا." فتعدد الفعل في الجملة له دلالة حدث خارجي، ودلالة حدث داخلي تتحقق عبر مراحل متعددة في شكل سلسلة من أحداث متتالية فيحصل مثلًا: التكاثر ثم الالتصاق والتبادل في المواد الوراثية؛ لتصل من الأحداث الفرعية إلى الأحداث الأكبر منها، وتقوم هذه الأفعال بتكرار أو تقسيم أو تجميع أو تفكيك من الحدث الفرعي، فهي تشكل الحدث بأكمله.. ويرى دي سوسير أنّ اللغات التي يكون فيها جانب التحفيز أقل أكثرها معجميّة ـواللغات التي بها أكبر قدر من التحفيز تكون نحويّة(٣٣).

لغة العلوم متماسكة:

إنَّ لغة العلوم متماسكة بإحكام، تستخدم النصوص العلميَّة بنية متماسكة بإحكام لوصف العمليات خطوة بخطوة وتقديم المنطق الدقيق. فتقسيم الجمل في (Themeفكرة رئيسة للجملة) العنصر الذي يعمل كنقطة انطلاق للفكرة وهو الذي يحدد ويوجه الجملة في سياقها. وRhemes (بقية الجملة) وتتبع العلاقات فيما بينها يكشف عن تنظيم الأفكار في النصوص العلميَّة. ويوجد نموذجان فريدان لتتبع العلاقات بشكل شائع في العلوم وهي تكرار ثابت reiterating of Themesللموضوع نفسه، تكرار المتعرج ويسمى zig-zag patterning (٣٤). وعند استعمال التحليل اللغوي الوظيفي لفك بنية النص في النصوص العلميَّة المحلَّلة؛ عثرت الباحثتان على هذا النمط من اللغة المتماسكة. فهناك حاجة إلى اتباع أنماط محددة في العلوم لشرح تفاصيل العمليات المعقدة. وفي الجدول أدناه تحليل للنمط الثابت من خلال بعض الأمثلة المأخوذة من النصوص العلميَّة المستخدمة في هذه الدراسة:

جدول (٧) أمثلة النمط الثابت المستخدم لتماسك النص في النصوص العلميَّة

المواد / المثال	أحياء	كيمياء	فيزياء
المثال	١- توجد تراكيب تسمى الهديبات على السطح الخارجي لبعض البكتيريا. ٢-والهديبات تراكيب دقيقة جدًا تشبه الشعيرات في شكلها. ٣-وهي تتكون من البروتين. ٤- وتساعد الهديبات البكتيريا على الالتصاق بالسطوح، وتعمل بمثابة جسر يربط بين الخلايا.	١-تُعَدُّ الألدهيدات مركبات عضوية تقع فيها مجموعة الكربونيل في آخر السلسة، ٢-وتكون مرتبطة مع ذرة كربون متصلة بذرة هيدروجين من الطرف الآخر. ٣-والصيغة العامة للألدهيدات RCHO؛ حيث R مجموعة الألكيل أو ذرة الهيدروجين.	١-إنَّ العلاقة بين السرعة والضغط المؤثرة عن طريق الموائع المتحركة يسمى مبدأ برنولي نسبة إلى العالم السويسري دانييل برنولي. ٢-ينصُّ مبدأ برنولي على أنه عندما تزداد سرعة المائع يقل ضغطه. ٣-وهذا المبدأ حفظ الشغل والطاقة عند تطبيقه على الموائع.
	نمط ثابت	نمط ثابت	نمط ثابت

في الأمثلة السابقة أصبح وصف الجملة أو العبارة تحديدًا للاختيارات التي قام بها المتكلم من مجموعة الاختيارات المتاحة له مع تحديد العلاقة بين ما وقع عليه الاختيار بما لم يقع عليه الاختيار، فاختيار جملة (توجد تراكيب تسمى الهديبات على السطح الخارجي لبعض البكتيريا) لها علاقة بجمل أخرى وثيقة الصلة بهذه الجملة ولكن لم يقع الاختيار

(٣٣) دو سوسير، *علم اللغة العام*، ١٥٢.

(34) Zhang, "A functional approach to twenty-first century science literacy, 271-284.

عليها[٣٥] مثل: (الهدبيات تراكيب توجد على السطح الخارجي لبعض البكتيريا)، (على السطح الخارجي لبعض البكتيريا توجد تراكيب تسمى الهدبيات) وغيرها من التراكيب) فكل جملة تختلف عن الأخرى بالنظر إلى الاختيارات المحددة، ففي المثال الأول تظهر الصيغة الخبرية، وفي المثال الثاني يتقدم الجار والمجرور على عامله المبني للمفعول "توجد"، وهكذا وكل عنصر من عناصر هذه الجملة يمثل اختيارَ المتكلم في جعل الجملة تارة فعلية فعلها متعدٍ، وتارة اسمية (خبرها جملة مرة وشبه جملة مقدّم مرة أخرى) كما تظهر بعض الوظائف النحوية قد أدمج في (الهدبيات) وظيفتا الفعل والمسند إليه، لكن هذا ليس أمرًا لازمًا وإنما يختاره المتكلم، فله أن يدمج وظيفتين لعنصر لغوي واحد أو لا يدمجهما. وهنا يظهر تماسك النص في تفريعاته من خلال تنوع الفكرة وشرحها، فالنمط الثابت في العمود الأول هو الحديث عن الهدبيات مسماها، ومكوناتها وعملها، وفي العمود الثاني النمط الثابت هو الألدهيدات تعريفها وارتباطها وصيغتها العامة، وفي العمود الثالث النمط الثابت مبدأ برنولي، ماهيته، وعلى ماذا ينص. فالسياق عند هاليداي هو الذي يصف العلاقة بين الصيغ اللغوية والوقائع غير اللغويَّة)[٣٦]، بمعنى أنه يربط المعاني الوظيفيَّة للصيغ اللغويَّة بالمعاني المقامية التي تلابس الحدث اللغوي[٣٧]. وكذلك يظهر أن them في (وهي) تعود على الجملة الأولى(الهدبيات)، كما أنَّ الوظيفة العائدية تحقق اتساق الجملتين، وبذلك تؤول الجمل كمكون واحد للنص أو جزء من النص نفسه يتبع بأجزاء أخرى، فالنسيج في الجمل ناتج عن العلاقة الاتساقية بين الهدبيات ومكوناتها وقيم مساعدة.

أما نمط التكرار المتعرج، فيوجد له الكثير من الأمثلة التي توضح هذ النمط في النصوص العلميَّة المحلّلة، وهذا الجدول يوضح بعضًا منها:

جدول (٨) أمثلة النمط المتعرج المستخدم لتماسك النص في النصوص العلميَّة

المواد / المثال	أحياء	كيمياء	فيزياء
المثال	١-يمكن تعرف المخلوقات البدائية النوى باستعمال التقنيات الجزيئية ٢-فعند مقارنة DNAفيما بينها يمكن إيجاد علاقات سلالية. ٣- وقد كان العلماء يعرفون البكتيريا تاريخيًّا باستعمال صفات منها الشكل والحركة واستجابة الجدار الخلوي لصبغة جرام والحجم.	١-الاحماض الكربوكسيلية مركبات عضوية تحتوي على مجموعة الكربوكسيل. ٢-وتتكون مجموعة الكربوكسيل من مجموعة كربونيل مرتبطة مع مجموعة هيدروكسيل. ولذلك تكون الصيغة العامة للأحماض الكربوكسلية كما في الجدول9-2 .	١-هناك تطبيقات شائعة على مبدأ برنولي، ومنها مرش(بخاخ) الطلاء، ومرذاذ العطر. ٢-ويعمل المرذاذ البسيط في زجاجة العطر بنقل الهواء عبر الجزء العلوي من الأنبوب المغمور بالعطر في العطر. ٣-فينخفض الضغط عند قمة الأنبوب، بحيث يصبح أقل من الضغط داخل الزجاجة، ونتيجة لذلك، يندفع العطر عبر تيار الهواء.
	نمط متعرج	نمط متعرج	نمط متعرج

تعتبر الجملة وحدة هامة لتحقيق الاتساق والدلالة لبنية النص؛ لأنها أعلى وحدة للبنية النحوية على وجه الخصوص؛ إذ تقوم بتحقيق طريقة التعبير عن تماسك النص واتساقه، فبنية الجملة هي التي يمكن الإحالة إليها بوساطة العناصر

(٣٥) نحلة، *علم اللغة النظامي، النظرية اللغوية*.

(٣٦) ردة الله الطلحي، *دلالة السياق* (رسالة دكتوراه في علم اللغة)، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤١٨هـ.

(٣٧) نحلة، *علم اللغة النظامي، النظرية اللغوية*، ٥٩.

الإحالية كالضمير، فمثلًا: مجموعة الكربوكسيلية وتتكون مجموعة الكربوكسيل من مجموعة كربونيل مرتبطة مع مجموعة هيدروكسيل، إذ يظهر الفرق بين النمط الذي يحدد على أساس التماثل الشكلي وبين الصنف الذي يحدد على أساس الدور الذي يقوم به التركيب، وهنا يظهر الفرق بين الصنف، وعمله. واستعمل فيرث مصطلح التركيب استعمالًا متماسكًا واعتبره علاقة تبادلية بين العناصر اللغويَّة سواء كان في النص أو جزء من النص[٣٨]، إذ يظهر المستويان المعجمي والنحوي في ظاهرتين هما: التلازم والتوارد، إذ يعتمد التلازم على العلاقات الدلالية للكلمات، ويقوم التوارد على العلاقات النحوية بين العناصر اللغويَّة[٣٩].

المبحث الثالث: إستراتيجيات تدريس مصطلحات العلوم في ضوء مبادئ النظريَّة

كما هو مبين في التحليل السابق، فإن هذه الاكتشافات مهمة عند تدريس النصوص العلميَّة ومناقشتها. فالنظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة المنهجيّة توفر للمدرسين طريقة فريدة لتقديم الخصائص اللغويَّة للنصوص العلميَّة لمجموعة متنوعة من الطلاب؛ لأن العديد من المعلمين والطلاب يجدون صعوبة في فكِّ رموز النصوص العلميَّة، وقد أفادت العديد من الدراسات أن النصوص العلميَّة لا تقرأ في المدرسة لهذا السبب[٤٠]. لذلك تُعَدُّ النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة وسيلةً ناجعة يمكن للمعلمين استعمالها لتعليم أنماط اللغة المعقدة التي توجد في النصوص العلميَّة، والتغلب على مشكلة صعوبة قراءة النصوص العلميَّة وكتابتها لدى الطلاب.

(38) Frank Palmer, selected papers of J.R.Firth, longman, (1998), 103.
(39) John Firth, Papers in Linguistics 1934-1951(London: Oxford University press, 1957), 196.
(40) Fang & Schleppegrell, Reading in Secondary Content Areas: A Language-Based Pedagogy.

وفي التحليل السابق، أصبح من الواضح أن لغة العلوم لها سمات لغويَّة محددة، هي: الاصطلاحية، والتجريد، والتعقيد، والترابط بين الأفكار. ومن خلال هذه النتائج التي أبرزتها النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة يمكن القول: إن أفضل طريقة للتخلص من التحديات والصعوبات التي يواجهها الطلاب في قراءة النصوص العلميَّة وكتابتها هو توجيه المعلمين طلابهم للقيام بتحليل لغاتها وظيفيًّا، والتعرف إلى سماتها، والتدريب عليها من خلال الكتابة [٤١] لذلك يمكن للمعلم اتباع المنهجيات التدريسية الآتية في تدريس هذه السمات:

الكلمات الاصطلاحية:

يجب على المعلمين مساعدة الطلاب في تعلم كيفية التعامل مع المفردات الاصطلاحية، باستعمال مجموعة متنوعة من إستراتيجيات التدريس المختلفة. قبل كل درس يمكن للمعلم أن يعرض مجموعة الكلمات الفريدة في النصوص العلميَّة، ويساعد الطلاب على معرفة معناها، وإظهار الطرق المختلفة لاستعمالها في النصوص العلميَّة في أثناء القراءة. يمكن تعزيز إستراتيجية اكتشاف المفردات هذه مع الأسئلة في جميع أنحاء دروس النصوص العلميَّة. وعادة، في كتب العلوم في المرحلة الثانوية، يكون الابتداء بكلمات علميّة سيدور حولها موضوع الدرس؛ وهذه إستراتيجية فعالة؛ للفت انتباه الطلاب للتعرف إلى هذه الكلمات ومعناها في الحقل العلمي، ولكن تحتاج أيضًا من المعلم إلى التأكيد عليها في أثناء قراءة النصوص العلميَّة وشرحها.

أما بالنسبة للكلمات اليومية ذات المعنى الخاص في العلوم، فسيطلب المعلم إلى الطلاب أن يتوقفوا عند مواجهة الكلمة الموجودة في النص، ويستخدموا قواميس علميّة

(41) Fang & Schleppegrell, Reading in Secondary Content Areas: A Language-Based Pedagogy.

خاصة لاكتشاف المعنى في لغة العلوم. إنَّ هذه الطريقة سوف تعلم الطلاب أيضًا أنه عند قراءة النصوص العلميَّة الأكاديمية، فإنهم يحتاجون إلى التوقف كثيرًا لتحليل اللغة المستخدمة فيها[٤٢].

التجريد:

عندما يبدأ المعلمون بمناقشة الأسماء المعقدة في النصوص العلميَّة، فإنهم بحاجة إلى شرح وظيفتها أولًا. وبعد قراءة النص مرة واحدة، يحدد الطلاب هذه الكلمات بوضع خط تحتها، ويقومون بتحليلها، ثم مشاركة هذه الكلمات التي وجدوها مع المعلم، لتسليط الضوء عليها وعلى الطرق التي تستخدم بها في النصوص العلميَّة. إن القيام بهذه العمليّة لهذه السمة المعقدة للنصوص العلميَّة ضروري بالنسبة للطلاب، فلا بد أن يتدربوا عليها ويطبقوها. ويقوم المعلمون بإرشادهم في أثناء القيام بهذه العمليّة. وفي أثناء التطبيق، يمكن للمدرس أن يطلب من الطلاب استعمال الأسماء التي وجدوها وممارستها باستعمال نفس العمليّة اللغويَّة الخاصة بهم في نصوص علميّة. ويكون ذلك كتابيًّا أو في العروض التقديمية الشفهية. ويمكن أيضًا أن يضع المعلم نموذجًا لتفكيك الأسماء المعقدة للطلاب عند قراءة الكتاب.

الكثافة المعجمية:

إنَّ هذه السمة اللغويَّة تجعل تفكيك المعنى صعبًا، وإستراتيجية التدريس التي تم تطويرها تتضمن رسمًا تخطيطيًّا لهذه المجموعات الاسمية الصعبة. فستحلل المجموعة الاسمية وترسم بشكل تخطيطي حتى يتمكن الطلاب من تعلم كيفية التعرف على الرأس في مجموعات اسمية. وهذا يساعد الطلاب على فهم المعنى والموضوعات والبحث عنها في النصوص العلميَّة المعقدة. ويمكن للمدرسين أيضًا أن يطلبوا من الطلاب مقارنة مجموعات الأسماء المختلفة التي يجدونها في النص ومقارنتها. كما يمكن للطلاب حساب الكثافة المعجميّة للمادة العلميَّة. إن فعلًا كهذا يتيح للطلاب فهم المعنى الحقيقي للنصِّ الذي عليهم قراءته وكتابته. ويساعد هذا التحليل للنصوص الكثيفة الطلاب في تعلم كيفية فهمها وتنمية القراءة النقديَّة للنصوص العلميَّة.

التماسك:

يحاول مؤلفو النصوص العلميَّة في أثناء بناء العلوم الكثيفة تحويل النصوص إلى أنماط، على أمل تبسيط الترتيب المنطقي للعمليات. ويهدف كلٌّ من التعرج والتكرار إلى تسهيل العرض وإنشاء تفكير منطقي في الكتابة العلميَّة. ولأن من الصعب رؤية هذا الأنماط، سيحتاج المعلمون إلى توجيه الطلاب بشكل صريح من خلال وضع نموذج لتوضيح تسلسل الأفكار في النص. وسيقوم الطلاب بعد ذلك برسم هذا النمط للنص سواء أكان نمطًا ثابتًا لتكرار شرح الفكرة نفسها، أم نمطًا متعرجًا يشرح فكرة رئيسة تنتهي في الجملة نفسها بفكرة غامضة يبدأ بشرحها في بداية الجملة التي تليها. إنَّ نمذجة هذا الأنماط وتطبيقها سيسمح للطلاب بفهم العلوم بسهولة أكبر، كما ستساعدهم في فهم كيفية تطبيق هذه الميزة في كتاباتهم. كلُّ هذه الإستراتيجيات التعليمية المختلفة ستساعد الطلاب في تعلم كيفية تحليل النصوص العلميَّة. وفي الشكل أدناه تلخيص لهذه الإستراتيجيات:

(42) Fang & Schleppegrell, Reading in Secondary Content Areas: A Language-Based Pedagogy.

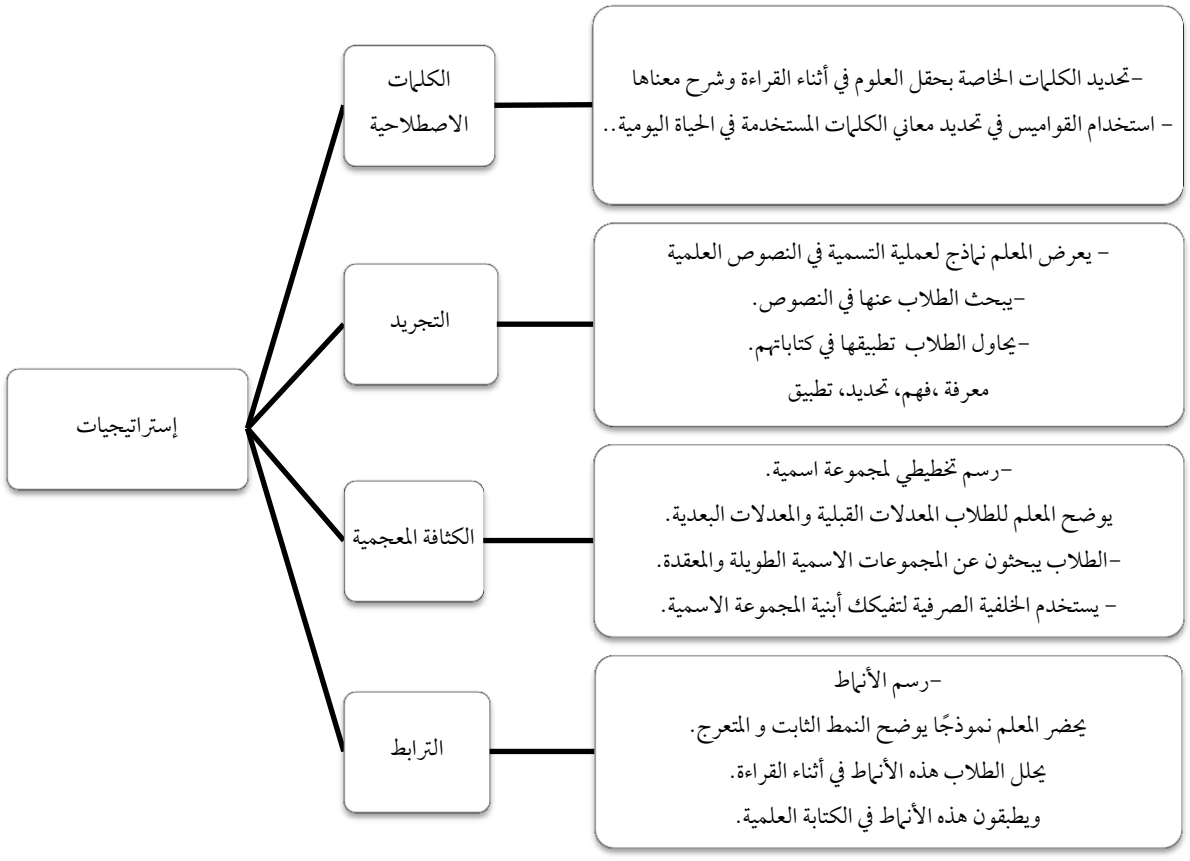

شكل (٢) يلخص الإستراتيجيات التدريسية للسمات اللغويَّة للنصوص العلميَّة

اَلْخَاتِمَةُ:

مما سبق، نخلص إلى أن لغة العلوم تتميز بدرجة عالية من التجريد والتعقيد، إلى جانب استخدامها المكثّفِ للمفرداتِ الاصطلاحيَّةِ والتقنيةِ، فضلاً عن اتسام نصوصها بالتماسك وكثافة الاستعمال المعجمي. ومن خلال تحليل النصوص العلميَّة في كتب العلوم للمرحلة الثانوية باستخدام النظريَّة اللغويَّة الوظيفيَّة النظاميَّة التي طورها Fang & Schleppergrel؛ أمكن التحقق من أربع سمات لغويَّة رئيسة تعكس طبيعة لغة العلوم في سياق اللغة العربيّة. وقد أظهرت الدراسة أن هذه السمات تتيح فهمًا أعمقَ لبنية الخطاب العلمي؛ مما يسهم في تعزيز قدرة المعلمين والطلاب على استخلاص المعاني من النصوص العلميَّة المعقدة، كما توفر إطارًا يساعدهم في تحسين مهاراتهم في الكتابة الأكاديمية والتواصل العلمي.

وقد كشفت الدراسة عن نمط ثابت في تركيب الجملة العربيّة في النصوص العلميَّة، إذ تُظهر الاختيارات اللغويَّة التي يعتمدها المتكلم أو الكاتب مدى اتساق النص وترابطه الداخلي. فعلى سبيل المثال، جملة مثل "توجد تراكيب تسمية الهدبيات على السطح الخارجي لبعض البكتيريا" تعكس بنية تركيبية محددة، في حين أن هناك خيارات أخرى ممكنة لم تُستخدم؛ مما يؤكد الطبيعة المقيدة لاختيارات الكاتب في الخطاب العلمي. وإضافة إلى ذلك، فإن الجملَ العلميَّةَ تتضمن -غالبًا-أكثر من فكرة، إذ يعكس تعدد الأفعال داخل الجملة دلالاتٍ على أحداثٍ خارجيَّةٍ وداخليَّةٍ متسلسلةٍ؛ مما يخلق بنيةً نصيَّةً معقدةً تنظم المعلوماتِ

بطريقةٍ منهجيَّةٍ تتيح للمتلقي متابعةَ الظواهرِ العلميَّةِ بوضوح.

يُعد التماسك النصي في لغة العلوم عاملاً جوهريًا في بناء الخطاب العلمي، حيث يعتمد على آليات لغويَّة متعددة، من بينها الإحالة النصيّة التي تتمثل في الضمائر والمعدلات القبليَّة والبعديَّة، وهو ما يُسهم في تحقيق الاتساق الدلالي والتمدد اللغوي داخل النصوص العلميَّة. كما أن العلاقات بين العناصر المعجميَّة والنحويَّة تظهر في شكل التلازم والتوارد، إذ يعتمد التلازم على التكرار المنتظم لعناصر لغويَّة محددة، في حين يعمل التوارد على ربط هذه العناصر ضمن أنماط تركيبيَّة متماسكة، لا سيما في النمطين الثابت والمتعرج، مما يعزز ترابط النصوص العلميَّة ودقتها التعبيريَّة.

وتؤكد هذه النتائجُ أهميةَ النظريَّةِ اللغويَّةِ الوظيفيَّةِ النظاميَّةِ في تحليل لغة العلوم؛ إذ توفر إطارًا فعالًا لفهم طبيعة الخطاب العلمي وتيسير تعليمه. كما تُسهم في مساعدة المعلمين في توجيه الطلاب نحو إستراتيجيات لغويَّة تمكّنهم من التعامل مع النصوص العلميَّة المعقدة وفهم بنيتها بعمق. وبذلك، يمكن القول: إن دمج هذه النظريَّةِ في تدريس العلوم من شأنه أن يطور مهاراتِ التحليلِ اللغوي والقراءة النقديَّة لدى الطلاب، ويجعل عمليةَ الكتابةِ العلميَّةِ أكثرَ وضوحًا ودقة؛ مما يُسهم في تحسين جودة التواصل الأكاديمي والعلمي على حد سواء.

التوصيات:

١. الدراسات العربيّة في هذه المجال لا تزال غير كافية، ولا بد من استخدام هذه النظريَّة للتعرف إلى السمات والخصائص اللغويَّة لكل حقل من الحقول العلميَّةِ وتكثيف الدراسات وفق هذه النظريَّة.

٢. يمكن الاستفادة من النظريَّةِ اللغويَّةِ الوظيفيَّةِ النظاميَّةِ، واتخاذها أداة للتعرف إلى السمات اللغويَّة في علوم مختلفة غير العلوم مثل: الرياضيات، والأدب، والعلوم، الاجتماعية، واستخدام نتائجها في تفكيكك نصوصها وتدريب طلابها على قراءتها وكتابتها بشكل محترف.

٣. يمكن الاستفادة من المدونات للقيام بمثل هذه الدراسات؛ لأنها تسهلُ استخلاصَ هذه السماتِ اللغويَّةِ لكل لغة مكتوبة في حقل معين، وتقيس مدى تكرارها أو شيوعها.

٤. بعد استخلاصِ السماتِ اللغويَّةِ لكلِّ حقلٍ علميٍّ، فإنَّ هناك حاجة إلى وضع إستراتيجيات تدريسية مناسبة لها، ومن ثم تطبيقها وقياس أثرها للتأكد من مدى فعاليتها.

اَلْمَصَادِرُ وَاَلْمَرَاجِعُ:

المراجع العربيّة:

إستيتية، سمير. *اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج*. عمان: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٥ وط٢٠٠٨م.

دو سوسير، فردينان. *علم اللغة العام*. ترجمة. بوئيل يوسف عزيز مراجعة. يوسف مالك المطلبي. بغداد: دار آفاق عربية،١٩٨٩.

سامبسون، جيفري. *مدارس اللسانيّات التسابق والتطور*. ترجمة. محمد زياد كبة. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٧ه.

الطلحي، ردة الله. *دلالة السياق* (رسالة دكتوراه في علم اللغة). جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية. ١٤١٨هـ.

عمايرة، خليل. *في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق*. جدة: عالم المعرفة، ١٩٨٤م.

عمر، أحمد. *مدرسة براغ اللغوية*. مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت، ١٩٧٧م.

نحلة، محمود. *علم اللغة النظامي، النظرية اللغوية، هاليداي*. الإسكندرية: ملتقى الفكر، ٢٠٠١.

وزارة التربية والتعليم. *البكتيريا، أحياء*، المستوى الأول.

وزارة التربية والتعليم. الموائع الساكنة والموائع المتحركة،

فيزياء، المستوى الثالث.

وزارة التربية والتعليم. *مركبات الكربونيل*، *كيمياء*، المستوى الثاني.

المراجع الأجنبية

Abbaszadeh, Zahra. Genre-based approach and second language syllabus design. Procedia-Social and Behavioral Sciences, 84 (2013): 1879-1884.

Butler, Christopher. Systemic linguistics: Theory and applications London, (1985).

Fang Zhihui & Schleppegrell Mary. Reading in Secondary Content Areas: A Language-Based Pedagogy. Michigan: University of Michigan Press ELT, 2008.

Fang Zhihui, Adams Brittany , Gresser Valerie, Li Cuiying. Developing critical literacy in science through an SFL-informed pedagogical heuristic', English Teaching: Practice & Critique, 18.1 (2019): 4-17.

Fang, Zhihui. Disciplinary literacy in science: Developing science literacy through trade books. Journal of Adolescent & Adult Literacy, 57. 4 (2013): 274–278. doi:10.1002/JAAL.250.

Fang, Zhihui. Preparing content area teachers for disciplinary literacy instruction. Journal of Adolescent & Adult Literacy, 57. 6 (2014): 444–448. doi:10.1002/JAAL.269.

Fang, Zhihui. Disciplinary literacy in science: Developing science literacy through trade books. Journal of Adolescent & Adult Literacy, 57.4 (2013): 274-278. oi:10.1002/JAAL.250.

Fang, Zhihui. Scientific literacy: A systemic functional linguistics perspective. *Science education* 89.2 (2005): 335-347.

Firth, John. Papers in Linguistics 1934-1951. London: Oxford University press, 1957.

Halliday, M. A. K., & Martin, J. R. (2003). Writing science: Literacy and discursive power. Routledge.

Jetton, Tamara L., and Cynthia Shanahan, eds. Adolescent literacy in the academic disciplines: General principles and practical strategies. Guilford Press, 2012.

Nordin Shahrina, Mohammad Norhisham. The Best of Two Approaches: Process/Genre-Based Approach to Teaching Writing.' The English Teacher, 35,(2009): 75-85. Retrieved from http://journals.melta.org.my/index.php/tet/article/view/315.

Palmer, Frank. selected papers of J.R.Firth, longman, (1998).

Rosa, Holly, and Tracy Hodgson-Drysdale. Learning to teach science genres and language of science writing: Key change processes in a teacher's critical SFL praxis. Language and education, 35.5 (2021): 429-445.

Shanahan, Cynthia. Learning with text in science. In T. L. Jetton & C. Shanahan (Eds.), Adolescent literacy in the academic disciplines: General principles and practical strategies, (pp. 154–171). New York: The Guilford Press. 2012.

Wanselin, Hanna, Kristina Danielsson, and Susanne Wikman. "Analysing multimodal texts in science—A social semiotic perspective." Research in science education, 52.3 (2022): 891-907.

Yang, Yilong. Teaching Chinese College ESL Writing: A Genre-Based Approach. English language teaching 9.9, (2016): 36-44. Retrieved from http://www.ccsenet.org/journal/index.php/elt/article/view/61464

Zhang, Wei. A functional approach to twenty-first century science literacy. Science teacher preparation in content-based second language acquisition (2017): 271-284.

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ١٥٥-١٧٦، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 155-176, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

أثر استخدام تقنيات السينما في القصيدة العربية المعاصرة: (يوميات كهل صغير السنّ) لأمل دنقل نموذجًا

سمر بنت كمال السقا

أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الجوف، السعودية.

(قدم للنشر في ٨/ ٧/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ١١/ ١٠/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-8

الكلمات المفتاحية: إعادة إنتاج النَّص، تقنيات السِّينما، الصُّورة الذهنية، القراءة المنتجة، ملء فراغات النص، نظرية التلقي.

ملخص البحث: السينما والشعر فنان يجتمعان في توظيف الصورة بطريقتين مختلفتين، فالصورة في السينما يتم التقاطها بأنواع مختلفة من الكاميرات متعددة الوظائف والمهام، بينما تكون الصورة التي يستعين بها الشعراء في قصائدهم هي الصورة المجازية أو الذهنية. تحاول هذه الدراسة تقديم قراءة تحليلية تأويلية لإحدى القصائد المعاصرة التي تجمع بين تقنيات السينما وجماليات النص الشعري المعاصر، وهي قصيدة (يوميات كهل صغير السنّ) للشاعر المصري (أمل دنقل)، ويتكئ البحث في تأويله لإعادة إنتاج النص على معطيات نظرية التلقّي كما قدمها الألماني " ولفجانج إيزر التي ترى أن العمل الأدبي لا يمكن له التحقق إلا بفعل إنجازي يقوم به قراء ومتلقون يقدمون من خلاله قراءة منتجة له مع ملء فراغاته ومساحاته البيضاء؛ استنادًا إلى جماليات النقد السينمائي ومناهجه في البحث والتحليل.

The Impact of Using the Techniques of Cinema on Contemporary Arabic Poetry: (yawmyat Kahl Sageer assen) Diary of a young Elder by Amal Dunqul as an example

Samar Kamal Alsaqa
Associate Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Al-Jouf University, Saudi Arabia.
(Received: 8/ 7/1446 H, Accepted for publication 11/ 10/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-8

Keywords: text reproduction, cinema techniques, mental image, productive reading, filling in the spaces of the text, reception theory.
Abstract. Both cinema and poetry use picture. However, picture in cinema is captured with different types of cameras of multiple functions and tasks, while the image that poets use in their poems is metaphorical or mental image. This study attempts to provide an analytical and interpretive reading of one of the contemporary poems that combines cinematic techniques and the aesthetics of contemporary poetic text. this poem is (Diary of a Young Elder) by the Egyptian poet (Amal Dunqul). In its interpretation of reproducing the poem, the research relies on the reception theory, as presented by the German Wolfgang Iser. The theory believes that a literary work cannot be achieved except through an accomplished act carried out by readers and recipients through which they provide a productive reading, while filling in its spaces.

مقدمة:

لقد بتنا "نعيش الآن في عالم تتخلله الصور بشكلٍ خاطف وسريعٍ وتهيمن عليه؛ حيث تملأ الصور الصحف والمجلات والكتب والملابس ولوحات الإعلانات وشاشات التليفزيون والكمبيوتر والإنترنت والتليفونات المحمولة (النقالة) امتلاءً لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية عامة"(١).

ولذا يُقال عن العصر الذي أصبحنا ننتمي إليه الآن أنه (عصر الصورة)، ويقصد به تلك الفترة الزمنية الممتدة من عام ١٨٣٩م حتى وقتنا الراهن، وتعدّ هذه الفترة من أزهى فترات ازدهار فن التصوير الفوتوغرافي؛ الذي تطورت آلياته وتقنياته – في عصر الصورة- واتسعت مجالات انشغالاته واستخداماته فصار متداخلاً في كل نواحي المعرفة الإنسانية سواءً أكان ذلك في مجال الفنون أم العلم أم الإعلام أم التوثيق التاريخي.

ولأن السينما والشعر فنان يجتمعان في توظيف الصورة؛ وإن كانا على نحو مختلف، فالصورة في السينما يتم التقاطها بأنواع مختلفة من الكاميرات المتعددة الوظائف والمهام، أي: بالآلة Machine، بينما تكون الصورة التي يستعين بها الشعراء في قصائدهم هي الصورة المجازية أو الذهنية Image، التي تعني "عودة الإحساسات في الذهن مع غياب الأشياء التي تثيرها أو تعبر عنها"(٢)، ومجالها الخيال الإنساني الخصب والتخييل Imagination وليس الآلة.

ومع التطور المعرفيّ والتقنيّ أخذ أغلب الشعراء المعاصرين يغترفون من جماليات السينما، ويوظفونها في قصائدهم؛ مستفيدين من الإمكانات الثرة للسينما مثل السيناريو والمونتاج والإخراج والتصوير والحوار، وبدأت قصائدهم تستجيب لهذه المعطيات ربما دون قصدٍ منهم أحيانًا، أما الذين انتبهوا لها فكانوا أكثر وعيًا بأهميتها ودورها، ونجحوا في توظيفها والتعبير بجمالياتها عن قضاياهم الخاصة والعامة، وعن مضامينهم وهواجسهم تجاه ما يحدث في مجتمعهم، وأصبحت السينما من أهم الوسائل التعبيرية المعنية بكشف التحولات المجتمعية بإلقاء الضوء على ما يحدث داخل شرائح هذا المجتمع وطبقاته، حيث تستقي السينما – عادة- مضامينها ومحتواها الفني من محيط واقعها.

وتحاول هذه الدراسة تقديم قراءة تحليلية تأويلية لإحدى القصائد المعاصرة التي حاولت توظيف معطيات السينما وفق جماليات القصيدة العربية المعاصرة، وقد تخير البحث قصيدة (يوميات كهل صغير السنّ) للشاعر المصري (أمل دنقل)(٣)، نموذجًا لهذا التحليل.

أمل دنقل والسينما:

يجد القارئ المتمعن في شعر "أمل دنقل" أن رصد دور (السينما) بوصفها مؤسسة خاضعة لسلطة الدولة لا يلقى استجابة كبيرة ولا يمثل اهتمامًا في دواوينه، فلا تكاد توجد "غير صورة شعرية وحيدة لفيلم يأتي رصدها في قصيدة (الموت في لوحات)؛ فالشاعر يعقد موازنة أو مفارقة بين الملصقات التي تدعو لمشاهدة فيلم (أبي فوق الشجرة)(٤)،

(١) شاكر عبد الحميد، *عصر الصورة*، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣١١، يناير ٢٠٠٥م)، ص٣.

(٢) مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (بيروت/ لبنان، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م)، ص ٢٢٧.

(٣) ولد (محمد أمل فهيم أبو القسام محارب دنقل) في الثالث والعشرين من يونيو (حزيران) عام ١٩٤٠م بقرية (القلعة) التابعة لمركز (فقط) بصعيد مصر. انتقل إلى القاهرة بعد أن أنهى دراسته الثانوية في قنا ملتحقًا بكلية الآداب، ولكنه انقطع عن الدراسة منذ العام الأول لكي يعمل. صدرت له ستة دواوين شعرية، بدأها بالبكاء بين يدي زرقاء اليمامة (١٩٦٩م) واختتمها بأوراق الغرفة ٨ الذي صدر بعد رحيله عام ١٩٨٣م. توفي في الواحد والعشرين من مايو (أيار) ١٩٨٣م متأثرًا بإصابته بمرض السرطان. يعد واحدًا من قامات الشعر العربي المعاصر.

(٤) هو فيلم مصري قام ببطولته عبد الحليم حافظ وعماد حمدي ونادية لطفي وميرفت أمين تم إنتاجه عام ١٩٦٩م ويعد من الأفلام المصرية المهمة، وأُخذ عن قصة لإحسان عبد القدوس، وسيناريو سعد الدين وهبة، ومن إخراج حسين كمال.

وملصقات السلطة التي تدعو لبقاء (الثورة المنتصرة)، ويسخر الشاعر من رجالات السلطة الذين يؤدون دورًا لا يمارسونه في الواقع، تمامًا، كممثلي السينما"[٥]؛ على فرض أن السينما تعتمد على الإيهام لا الحقيقة.

لذلك يجب التفريق بين موقف الشاعر من السينما بوصفها أداة للسلطة، وبين معطيات السينما نفسها، ومن الواضح أن اهتمام "أمل دنقل" بالأفلام وتقنيات السينما مع توظيفها في أشعاره بغزارة كان ملمحًا بارزًا، وتذكر السيدة "عبلة الرويني" زوجة الشاعر "أمل دنقل" أنه ظل "يرفض دخول دور السينما حتى سن الرابعة عشرة؛ لأن ذلك لا يليق به بوصفه شابًا جادًّا، حتى أن أول فيلم شاهده كان (مصطفى كامل)[٦]، وأنه حرص على مشاهدة فيلم (سبارتكوس Spartacus)[٧] ثلاث مراتٍ في يوم واحد قبل أن يبدأ الشروع في كتابة قصيدته (أقوال سبارتكوس الأخيرة)، والقارئ لهذه القصيدة يلاحظ تطابقًا بين مشهد مقتل "سبارتكوس" كما قدمه الفيلم، وما ذُكر كذلك في القصيدة، وهو ما يكشف عن تأثير السينما ببعض معطياتها وأبعادها في شعر "أمل دنقل"، فسبارتكوس يتم شنقه أو صلبه "ومن أمامه تمرّ زوجته وهي تحمل رضيعه الذى ولد خلال المعركة الأخيرة.

هذا المشهد الدراميّ -بامتياز- الذي جعله "أمل" مشهد الافتتاح ومشهد الختام في قصيدته شاهد صريح على أن شخصية "سبارتكوس" التي قدمها نص أمل دنقل هي "سبارتكوس" الفيلم، لا "سبارتكوس" التاريخ، فالأخير لم ترد قصة إنجابه لطفل قبيل صلبه، ولا وجدت شواهد على قصة زواجه"[٨].

وتشير "عبلة الرويني" إلى أن "أمل دنقل" قد عني عناية خاصة "بالبناء الهندسيّ والمعماريّ للقصيدة، فلهذا كان المونتاج الشعري، أو القراءة الثانية لا تقل أهمية عن لحظة انفجار القصيدة في كتابتها الأولى، ولم يكن ذلك المونتاج يعني مسودة مكتوبة؛ بل أحيانًا كان يتبلور في صورة ذهنية يصعب تحديد ملامحها"[٩].

قصيدة (يوميات كهل صغير السنّ):

نشرت القصيدة لأول مرة في مجلة (المجلة) القاهرية العدد رقم (١٤١) الصادر في الأول من سبتمبر عام ١٩٦٨م، وأعيد نشرها ضمن دفتيْ ديوان (البكاء بين يديْ زرقاء اليمامة) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٩م، وثمة إشارة في نهاية القصيدة المنشورة في الديوان ذاته إلى أنها كتبت عام (١٩٦٧م)، وبالتأكيد إذا كان التاريخ المعلن لكتابتها صحيحًا (وهو ما لا نملك الجزم بدقته) فإنه سيكون على الأقل بعد وقوع الهزيمة في يونيو (حزيران) ١٩٦٧م؛ لأن بصمات الهزيمة بدتْ جلية وواضحة في كل صور القصيدة وتجربتها، وفي قصائد أخرى مشابهة في الديوان، والمطابق بين النصين المنشورين في وعائيْ النشر (مجلة المجلة- ديوان الشاعر) سيلاحظ وجود بعض الفروق الطفيفة في متن القصيدة [١٠]، وكانت تلك عادة الشاعر "أمل دنقل" عند إعادة نشر قصائده أن يبدل ويعدّل في بعض المفردات؛ بما

(٥) منير فوزي، *صورة الدم في شعر أمل دنقل، مصادرها- قضاياها- ملامحها الفنية* (القاهرة، دار المعارف ١٩٩٥م) ، ص ١١٣.

(٦) عبلة الرويني، *سيرة أمل دنقل: الجنوبي* (الكويت (الصفاة)، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢م، ص ٥٦.

(٧) فيلم أمريكي للمخرج ستانلي كوبريك سيناريو دالتون ترامبو، بطولة كيرك دوجلاس ولورانس أوليفييه وجين سيمونز عن رواية تحمل نفس الاسم للبريطاني هوارد فاست. يروي الفيلم قصة سبارتكوس وأحداث حرب العبيد الثالثة الذين ثاروا على الإمبراطورية الرومانية من أجل نيل حريتهم.

(٨) أسامة جاد، *السينما كأداة شعرية* (القاهرة، ج. أخبار الأدب المصرية، عدد الأحد، ٢٨ مايو ٢٠٢٣).

(٩) عبلة الرويني، الجنوبي، ص ٩٠.

(١٠) المرجع السابق .

يتوافق مع رؤيته ووجهات نظر أصدقائه المقربين له بعد الاستماع لملحوظاتهم.

يقودنا تاريخ كتابة القصيدة المعلن (١٩٦٧م) إلى فترة النكسة التي مُني بها الجيش المصري على وجه الخصوص والجيوش العربية على نحو عام، وتركت بصماتها على الوجدان والوعي العربيين، وتتوازى القصيدة مع فكرة قيام مشروع قومي مشترك أو فكرة تقود لوحدة ثم انهيار هذا المشروع، وهو ما يفضي إلى فراغ وشعور بالوحدة واللا جدوى حيث يكون الموت نتيجة حتمية لهذا الإخفاق وسمة له.

وستحاول هذه الدراسة الوقوف على أبعاد هذه التجربة الإبداعية للقصيدة بإعادة إنتاجٍ للنص في مظهرٍ مغايرٍ على وفق تأويل نقدي جمالي سينمائي مستنبط من مجريات أحداث القصيدة؛ مع الاتكاء على خلفية تاريخية يفترض أن تكون قوام العمل ومجال فضاءاته المتعددة، وهذا النمط من الدراسات الجمالية يمثل واحدًا من أنماط إضاءة النص وإعادة إنتاجه في إطارٍ موازٍ، وربما تكون هذه الخطوة جديدة غير مسبوقة؛ لأن البحث يمازج بين لونيْن مختلفيْن من الآداب والفنون وهما الشعر والسينما، ولكل منهما جمالياته وآليات تذوقه وفهمه، التي ستنعكس لا ريب مع طرح فكرة التلقي لكليهما في وقتٍ واحد.

وسيعمد البحث إلى تقديم تصور سينمائي موازٍ أو رؤية مشهدية لكل مقاطع القصيدة مع عدم إغفال كليها، بالاعتماد على الصور والخلفيات والرموز الواردة داخل متن النص، مع ملء فراغاته على وفق ما هو مسكوت عنه داخله، ومن تقاطعات نص القصيدة وصورها مع النصوص الأخرى لذات المرحلة في الديوان المنشور إن تطلب الأمر ذلك؛ حيث سيقوم البحث باستكمال ملء الفراغات مع إضافتها لخلفيات المشاهد من أجل أن تكون شارحة لها، وموضحة وعاكسة لأبعادها الكلية.

ويبقى السؤال الملحّ: لماذا الوقوف أمام هذا النص بالتحديد دون غيره من نصوص الشاعر الكثيرة، وإعادة إنتاجه وفق جماليات السينما مع التسليم بأن الشاعر عُنيَ في كثيرٍ من قصائده بتوظيف معطيات السينما وجمالياتها، ويمكن اختزال الإجابة عن هذا السؤال فيما يلي:

١-تمثل هذه القصيدة إطارًا متكاملاً للأحداث والشخصيات والفضاءات المكانية والزمانية، وفيها تعدد للأصوات، وتكامل للأحداث؛ وفيها الحوار بنوعيْه الخارجيّ والداخليّ؛ مما يجعل هذا النص غنيًا بمعطيات الفيلم السينمائي في مختلف جوانبه وأبعاده.

٢-تحتشد القصيدة بالمشاهد العاطفية والوجدانية Emotions التي من شأنها تأجيج وجدان المتلقي والاستحواذ على تعاطفه وشد انتباهه وتفاعله معها؛ من أجل متابعة الأحداث والاستغراق فيها؛ خصوصًا عندما تكون قصة الفيلم عن معاناة حبيبيْن أو عاشقيْن يواجهان ظروفًا معيشية صعبة.

٣-قدم الشاعر صورًا كثيرة لعناصر الطبيعة واستخدم تعددية للألوان ذات الدلالات البهيجة والحزينة؛ مما ينشّط جوانب التصوير، واعتمد على التتابع المنطقي للأحداث وفق لقطات متتالية، مما يخصّ جوانب المونتاج السينمائي، وقدم نماذج لفئاتٍ متعددة من شرائح المجتمع، مثل: بائعة اللبن والطبيب والموظف والراقصة ومرتادي الحانات.

٤- جمع النص بين الواقع والخيال، ومزج بين الرمز والحقيقة في إطار المتخيل السرديّ الذي يعد أساس بنية الحكاية وقوام أحداثها، والقصة التصويرية هي اللبنة الأساسية لأي فيلم.

منهجية البحث:

يتكئ البحث على معطيات (نظرية التلقي The theory of reception) كما قدمها الألماني "ولفجانج إيزر Wolfgang

Iser"(١٩٢٦-٢٠٠٧م) الذي أسهم مع زميله (هانز روبرت ياوس Hans Robert Jauss) (١٩٢١-١٩٩٧م) في إرساء دعائم مدرسة كونستانس الألمانية، معتمدًا على إبراز دور المتلقي وتعظيم ردود أفعاله في عملية القراءة المنتجة النابعة من التفاعل بين بنية النص والمتلقي، حيث إن النص لا يعدو أن يكون عند "إيزر" أكثر من (رصف للكلمات)، بينما يأتي دور القارئ في إضفاء المعاني عليه، ذلك أن العمل الأدبي لا يتحقق إلا بفعل إنجازي يقوم به قراء ومتلقون لهم وجود حقيقي ووظيفة فعلية؛ تتمثل في إعادة إنتاج المعنى للنص ولا يتحقق ذلك إلا من خلال القراءة المنتجة له وملء فراغاته، وهذا النوع من القراء يسميه إيزر بالقارئ الضمني(١١).

وفي ضوء هذه النظرية سيعنى البحث بتقديم قراءة تأويلية موازية لنص الشاعر "أمل دنقل" (يوميات كهل صغير السن)؛ في ضوء إعادة إنتاجه مرة أخرى ضمن الوعاء الذي حرص الشاعر على تقديم النص به، وهو جماليات تقنيات السينما، مع ملء الفراغات أو البياض الذي لم يقم الشاعر باستكماله في نصه؛ من أجل إتمام كل صور الجوانب الفكرية والجمالية للنص الشعري.

وقد توزعت منهجية البحث على محورين متكاملين: أولهما إعادة إنتاج نص أدبي موازٍ للنص الأصلي في قالب فني حددته معطيات النص الأصلي وحتّمت اختياره؛ إذ تجلت القصيدة متكئة على جماليات السينما اتكاءًا واضحًا تمامًا؛ مما أوجب اختيار هذا القالب الفنيّ دون غيره لإعادة الإنتاج، وطبعيّ أن تتم هذه المعالجة في إطار فني أو أدبي؛ لأنها تمثل إبداعًا موازيًا يتوافق مع لغة الحياة وبساطتها، وشخصياتها، فاستخدمت لغةٌ فنيةٌ تتماهى مع نص القصيدة الأصليّ وتحافظ على مساراته.

أما الشق الثاني فكان يمثل التحليل النقديّ- الفنيّ للقصيدة بتشابكها مع السيناريو وبيان أثر جماليات استخدام تقنيات السينما في أبعادها، ومن المؤكد أن مستويات لغة النقد هنا ستختلف عن لغة الإبداع، وستكون أكثر دقة ورصانة بما يتوافق مع مصطلحات المنهج النقدي وأدواته.

الدراسات السابقة:

لطالما عدت العلاقة بين السينما والأدب "علاقة متبادلة، فبقدر ما تأثرت النصوص السينمائية بالأدب فقد أثّرت السينما في الأدب كذلك، وجرت تخمينات عديدة مفادها أنَّ من ربع الأفلام الطويلة إلى خمسها قد استخرجت من النصوص الأدبية، ذلك أن العلاقة بين السينما والأدب لم تكن ذات طريقٍ واحد"(١٢).

ويرى الدكتور "محمد الصفراني" أنه قد "بدأ الاتصال الفعليّ بين الشعر الحديث والسينما بين ١٩١٠-١٩٢٠م مع ظهور الحركة الإيماجية مع باوند التي كان لها تأثيرها الواضح في السينما والمتزامن مع تطورها. ويرجع ريتشاردسون علاقة الشعر الحديث بالسينما إلى جذريْن أساسييْن: الأول: شعر رامبو وويتمان أو ما يطلق عليه اسم الشعر الاحتفائيّ أي بدلالة الاحتفاء بالحياة لدى ويتمان واكتشاف تفاصيلها من دون تفسيرها؛ وذلك ببناء تتابع من الصور تقف وحدها معلنة ما اكتشفه دون تفسيره، وبهذا المعنى يصبح كل من الشعر الحديث والفيلم في جزئهما الأوسع احتفائيين، أما

(١١) حول مفهوم نظرية التلقي، انظر: هانز روبيرت ياوس، *جمالية التلقي: من أجل تأويل جديد للنص الأدبي*، تقديم وترجمة: رشيد بنحدو (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ا ٢٠٠٤) م؛ عبد الناصر حسن محمد، *نظرية التلقي بين ياوس وإيزر* (القاهرة، دار الشرق للطباعة ٢٠٠٢م.

(١٢) زينب دريانورد الغيصي وآخرون، *تطور النقد السينمائي وظهوره في مدونة الأدب العربي الحديث*، مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية، (اليمن، السنة الثامنة، العدد السابع والعشرين، سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٢١م)، ص٢٧٧.

الجذر الثاني: فهو بعض الشعراء التقليديين في أواخر القرن التاسع عشر أمثال روبرت براوننغ"[١٣].

وانتقل الانشغال بتوظيف معطيات السينما في الشعر العربي الحديث مع اندفاع الشعراء العرب المعاصرين إلى الإفادة من معطيات السينما وتقنياتها الفنية، بعد أن تشرب عدد كبير منهم تجارب رامبو وويتمان وإليوت وغيرهم، حيث اطلعوا عليها في صيغتها الأصلية مثل بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور أو المترجمة إلى العربية، وحاولوا الإفادة منها في تشكيل قصائدهم معتمدين على جماليات المونتاج السينمائي والسيناريو بصفة خاصة، وبرز دور الناقد السينمائي بصفته وسيطًا "بين ميادين حيوية بالنسبة للعمل السينمائي، وهذه الوساطة ليست بالعمل السهل، وككل وساطة فهي لا تعمل لمصلحة طرف معين، وإنما تعمل على المصالحة، وفي النهاية تعمل على إيجاد الحقيقة... ولكن ما الحقيقة بالنسبة للناقد السينمائي؟ إنها الزمن الذي يلتقي فيه الناقد والأثر الفني الذي يجمع بين الشخصية الحية والتعبير الممتاز"[١٤].

ومع انفتاح مجالات القصيدة العربية المعاصرة على مختلف مجالات الآداب الأخرى والفنون، اتسع نطاق توظيف معطيات السينما، وتعددت طرق التوظيف والاستخدام لها، وراح الشاعر المعاصر يغترف من معينها ليعبر من خلاله عن قضاياه ومضامينه المعاصرة.

وقد انتبه عدد من الباحثين والنقاد إلى أهمية استخدام السينما وتوظيف بعض تقنياتها في الشعر العربي المعاصر، وبالتحديد: فن المونتاج، ومن هذه الدراسات (أسلوب المونتاج السينمائي في شعر الصائغ) لزينب دريانورد ورسول بلاوي، التي نشرت في مجلة (بحوث في اللغة العربية) وكانت تصدر نصف سنوية عن جامعة أصفهان (العدد ٢١، خريف وشتاء ١٤٤١هـ)، وخلص صاحباها بعد مقاربة عدد من النصوص الشعرية للشاعر العراقي الصائغ وتحليلها فنيًّا إلى إثبات براعة الشاعر وانفتاحه على تقنية المونتاج السينمائي، وأنه باستخدام هذا الأسلوب تمكن الشاعر من إيصال فكرته إلى المتلقي.

وجاءت دراسة (الدكتور عبد الستار عبد الله صالح والسيد حمد محمود الدوخي) كذلك بعنوان: (**المونتاج في ديوان محمود درويش: مديح الظل العالي**)؛ التي نشرت في (مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية التي تصدر عن جامعة الموصل بالعراق، المجلد (٩) العدد (٣) ٢٠١٠م)، وحاول فيها صاحباها إثبات أن القصيدة العربية المعاصرة أفادت من أسلوب المونتاج وتقنياته التي تعد بؤرة العمل السينمائي.

أما دراسة (عابد بن سحنون ووقادة جروسي) فقدما فيها إطارًا أكثر اقترابًا من عالم تقنيات السينما مع محاولة إيجاد مشابهة له في إطار فن الشعر عبر الوسيط الكتابي، وجاءت الدراسة في (مجلة آفاق سينمائية، المجلد (١) العدد (١)، الجزائر ٢٠٢١م)، بعنوان (التقنيات السينمائية ودورها في تشكيل الشعر العربي المعاصر: مقاربة مشهدية)، وحاولا أن يثبتا من خلالها عددًا من الفروض، من أهمها أن الشعر العربي المعاصر أعطى بتقنية السينما والسرد تمثيلاً حسيًا للمعنى، وانعكاسًا ذهنيًا لما سبق إدراكه، مع إيقاظ الأحاسيس الوجودية القديمة في كينونة المتلقي.

ومن الملاحظ على جميع هذه الدراسات السابقة وغيرها أنها حاولت الربط بين استخدام تقنيات المونتاج والسينما في الشعر، ولكنها في أقصى غاياتها لم تستطع إثبات التشابه التام بين تقنيات السينما والشعر لاختلاف وسائل وأدوات التعبير بينهما؛ مما جعل هذه الدراسات تتوقف عند حدود المشابهة في استخدام تقنيات بعينها لا تتجاوزها إلى التطابق التام، وكذلك لم تغامر بطرح تصور أو مقابل سينمائي متكامل

---

(١٣) محمد الصفراني، *التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (١٩٥٠-٢٠٠٤م)*، الرياض، النادي الأدبي بالرياض، ٢٠٠٨م)، ص ٢٢٨.

(١٤) خميس خياطي، *النقد السينمائي*، (القاهرة، سلسلة (كتابك)، (العدد (١٤٥)، دار المعارف، ١٩٨٢م)، ص١٨.

الأبعاد للمشاهد الشعرية، ولم تقدم ما طالب به "إيزر" من قراءة منتجة للنصوص تتجاوز التأويل، وتملأ فضاءات النص بما يجعل نسيجه متكاملاً؛ على النقيض من الطرح الذي يقدمه هذا البحث في صورة متخيل سينمائي تم تشكيله في إطار (سيناريو) يماثل ما ورد في المتخيل السردي الأصليّ للقصيدة ويضاهيه تفصيلاً؛ بل يزيد عنه بملء فراغاته وإكمال جوانبه وسطوره البيضاء.

النص وقراءته المنتجة:

من المتفق عليه لدى أغلب نقاد الأدب أنه "لا حياة للنص إلا بالقراءة والتأويل المتجدد، وكون النص صالحًا لكل زمان ومكان معناه أنه مفتوح على تأويلاتٍ ومعانٍ لا حصر لها، بل هي متغيرة متحركة على حسب تغير الواقع وظروف الزمان والمكان"(١٥).

ولأننا نعلم أن أساس قراءة أي عمل أدبي هو تحقق ذلك "التفاعل بين بنيته النصية ومتلقيه، فالنص ذاته لا يقدم إلا مظاهر خطاطية يمكن من خلالها أن ينتج الموضوع الجمالي للنص؛ بينما يحدث الإنتاج الفعلي من فعل التحقق الذي ينجزه القارئ"(١٦)؛ لذلك سيحاول البحث في السطور التالية طرح نص القصيدة مع تقديم قراءة تأويلية منتجة لكل مقطع من مقاطعها الثلاثة عشر:

المقطع الشعري الأول:

أعرف أن العالم في قلبي.. مات!(

لكني حين يكفُّ المذياعُ.. وتنغلق الحجرات:

أنبش قلبي، أخرج هذا الجسد الشمعي

وأسجِّيه فوق سرير الآلام.

أفتح فمه، أسقيه نبيذ الرغبةْ

فلعلّ شعاعا ينبض في الأطراف الباردة الصلبةْ

لكن.. تتفتت بشرتُه في كفّي

لا يتبقّى منه.. سوى: جمجمةٍ.. وعظام!)

قراءة المشهد سينمائيًا:

ليل. داخلي

نحن في شقة الزوجية. تحديدًا في غرفة المعيشة. يبدو بها أريكة أشبه بسرير. أعلى الحائط صورة في إطار مذهّب لجمال عبد الناصر تبرز في زاوية ما من الحجرة. صوت مذياع يحدث ضجيجًا حماسيًا. البطل يقوم بإغلاق باب الحجرة ثم يجلس على أريكته وأمامه زجاجة نبيذ. يغلق المذياع بيده فيكفّ الصوت المنطلق منه. يشعر ببعض الألم في صدره فيتحسس ضلوعه. يمرر يده على صدره كأنما يتثبت من أنه ما يزال حيًّا. يدلك بيده صدره محاولاً أن يبعث الدفء فيه. يتكئ ممددًا ساقيه على الأريكة، ويصب لنفسه كأسًا. يجترع النبيذ مرة واحدة ويتجشأ. يحدّق حوله في بلاهة. ويقرر النوم فيسحب عليه الغطاء.

ترتكز الكاميرا على رصد الوحدة والفراغ والبياض والصمت.

قطع

المقطع الشعري الثاني:

(تنزلقين من شعاعٍ لشعاع..

وأنت تمشين – تُطالعين– في تشابك الأغصان في الحدائقْ

حالمةً.. بالصيف في غُرفات شهر العسل القصير في الفنادقْ

ونزهةٍ في النهر..

واتكاءةٍ على شراع!

.....

(١٥) بن الدين بخولة، *النص بين الإنتاج والتأويل* (الجزائر، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف – مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب ، المجلد الخامس، العدد (٢)، يونيو ٢٠١٩م، ص ١٣.

(١٦) الصديق الصادقي العماري، *جماليات التلقي من أجل تأويل النص الأدبي* (المغرب، مجلة وادي درعة، إصدار مركز النخيل للتوثيق، العدد (٢٩)، ٢٠١٧م)، ص٧٥.

.. وفي المساء، في ضجيج الرقص والتعانقْ
تنزلقين من ذراعٍ لذراع!
تنتقلين في العيون.. في الدخان العصبيِّ.. في سخونة الإيقاعْ
وفجأة.. ينسكب الشرابُ في تحطم الدوارقْ
يبلُّ ثوبك الفَرَاشيَّ.. من الأكمام حتى الخاصرةْ!
وحين يفغر المغني فمه مرتبكا
تنفجرين ضحكًا!
تشتعلين ضحكًا!ْ
وتخلعين الثوبَ في تصاعدات النغم الصارخ.. والمطارقْ
وتخلعين خُفَّك المشتبكا
ثمَّ..
تواصلين رقصك المجنونَ.. فوق الشَّظَيَات المتناثرةْ!!)
قراءة المشهد سينمائيًا:

نهار. داخلي

تتابع الكاميرا رصد انتقالات المرأة (البطلة). ترتكز اللقطات على رصد مشيتها مع موسيقا ذات إيقاع هادئ يتناسب مع هدوء الحركة وهي تتهادى في ممر ضيق بين صفين من الأغصان المتشابكة بإحدى الحدائق العامة. تستشعر حالة حلم ونشوة ينعكسان على وجهها وابتسامتها. ينساب من بعيد صوت "شادية" وهي تدندن بأغنية (فارس أحلامي).

قطع أول

ليل. داخلي

مرقص يجتمع فيه رجال ونساء من مختلف الأعمار. موسيقا صاخبة مع إيقاع حاد. رقصات عنيفة متشنجة مضطربة. تنتقل حركة البطلة فيها من راقص مزاملٍ لآخرين. ثمَّ دخان متصاعد يعكس الرغبات والالتهاب في المشاعر مع ضوء ضبابيّ. يختل توازن بعض الراقصين والراقصات. تضطرب الطاولات فينسكب الشراب من الأكواب والكؤوس. يتطاير رذاذ الماء ليسقط على أكمام البطلة وأجزاء من فستان سهرتها. فيرتبك المغني ويوشك أن يوقف غناءه، لكن البطلة ترفع عنه الحرج بالضحك الهستيريّ. يعود الإيقاع لحدته بل يتزايد فيها. فتنتفض البطلة مع جدة الإيقاع متحررةً من قيود حذائها، لترقص في جذل أكثر، وحين تجد أن الجميع يلتفتون نحوها منبهرين فإنها تقوم بخلع ثوبها المبلول مستمرة في الرقص والغناء. تركز الكاميرا على اهتزاز خصرها وعلى لمعان شظيات الزجاج المتناثرة أسفل قدميها حيث بقايا الأكواب والكؤوس المحطمة.

نشاهد البطل مع مجموعة من أصدقائه على منضدة يحتسون المشروبات ويضحكون في صورة شبحية حيث يتعالى الدخان من حولهم. تخفت الصورة تدريجيًا حتى تبهت تمامًا مع تباعد أصوات الإيقاع والموسيقا.

قطع ثانٍ

المقطع الشعري الثالث

(عينا القطة تنكمشان..
فيدقُّ الجرسُ الخامسةَ صباحا!
أتحسس ذقني النابتةَ.. الطافحةَ بثورًا وجراحًا
(.. أسمع خطو الجارة فوق السقفْ
وهي تعد لساكن غرفتها
الحمَّامَ اليوميَّ ...!)
دفءُ الأغطية، خريرُ الصنبورْ
خشخشة المذياع.. عذوبة جسدي المبهورْ
(.. والخطو المتردد فوقي ليس يكف ...!)
لكني في دقة بائعة الألبانْ:
تتوقف في فكِّي.. فرشاةُ الأسنانْ)
قراءة المشهد سينمائيًا:

فجر. خارجي

لقطة بانورامية كبيرة لضوء الشفق وهو يبدأ في الظهور في السماء. تنتقل الكاميرا لداخل شقة البطل. تتأمله في غرفة نومه يبدو نائمًا. تتثاءب في حضنه قطة راقدة في الفراش.

تنتفض بعدها في مواء باحثة عن طعام. يرنّ جرس المنبه الموضوع أعلى الكومدينو. إنها الخامسة صباحًا.

يتنصت البطل لصوتٍ ما. يتمطى. يتسمع بوضوح خطو جيرانه المتردد في الشقة العلوية. أصوات خرير الماء في الحمام تتقاطع مع خشخشة صوت المذياع في أغنية ذات دلال. ينهض البطل من الفراش. يتجه للحمام ليغسل وجهه وأسنانه. بينما يضع الفرشاة في فمه ممتزجة بالمعجون. يتهيأ بعدها لحلاقة ذقنه. نسمع صوت رنين جرس باب شقته. توضح له الطارقة أنها بائعة اللبن. فيدعوها أن تترك زجاجة اللبن خارج باب الشقة.

قطع

المقطع الشعري الرابع:

في الشارعْ(

أتلاقى – في ضوء الصبح – بظلِّي الفارعْ:

نتصافح.. بالأقدام!)

قراءة المشهد سينمائيًا:

نهار. خارجي

ترصد الكاميرا إغلاق باب شقة البطل مع نزوله على السلم. يبدو دوران السلم متكررًا. يخرج البطل من العمارة أو المبنى إلى الشارع. ينعكس ظل الشمس على مشيته ونتبين من مساحة الظل أنه يتسم بطول القامة نسبيًا. ترصد الكاميرا حركة انتقال القدمين في دأب ونشاط.

المقطع الشعري الخامس

حبيبتي، في الغرفة المجاورةْ(

أسمع وقع خطوها.. في روحةٍ وجيئةْ

أسمع قهقهاتها الخافتة البريئةْ

أسمع تمتماتها المحاذرةْ

حتى حفيف ثوبها.. وهي تدور في مكانها.. تهم بالمغادرةْ

..يومان، وهي إن دخَلْتْ(

تشاغلَت بقطعة التطريزْ

بالنظر العابر من شباكها إلى الإفريزْ

بالصمت إن سَألتْ!)

..وعندما مرت عليَّ.. بقعة مضيئة

ألقت وراء ظهرها.. تحية انصرافها الفاترة

فاحتقنتْ أذناي.. واختبأتُ في أعمدة الوظائف الشاغرةْ

حتى تلاشى خطوها.. في آخر الدهليزْ!)

قراءة المشهد سينمائيًا:

ليل. داخلي

شقة البطلة المجاورة لشقة البطل. نسمع صوت ضحكات البطلة وتمتماتها في الغرفة الملاصقة لشقة البطل. تبدو في حديث ربما يكون هاتفيًا مع أحد معارفها. نسمع وقع خطوها وهي تتنقل على أرضية الغرفة جيئة وذهابًا مع انخفاض صوتها بتحذيرات وتنبيهات وتمتمات. يبدو أنها على موعد خاص. صوت درفة دولاب تغلق. تنتهي من ارتداء ثيابها على عجل وتشرع في مغادرة الحجرة.

قطع

ليل. داخلي

شقة البطل. نراه يتنصت لصوت محبوبته في الشقة المجاورة. يتحرك ناحية البلكونة فيراها هناك واقفة في شباكها مشغولة بالتطريز. ينظر إليها فتقصي نظرتها عنه متكئة على الإفريز المجاور. يحاول أن يكلمها بصوت مهموس حتى لا يسمعهما أحد. تصغي ولا ترد عليه. ومع تكشف الضوء مع مرور إحدى السيارات فإنها تنفر عائدة للداخل. يبدو البطل منفعلًا بسبب تركها له على هذا النحو. يعود لداخل شقته. يجلس على أحد الكراسيّ. يمسك بالجريدة ويقلّب في صفحاتها باحثًا عن وظيفة. نسمع صوت خطو البطلة متباعدًا على سلم المبنى حتى يختفي من على الدرجات.

إظلام

المقطع الشعري السادس

(أطرق باب صديقي في منتصف الليلْ
(تثب القطةُ من داخل صندوق الفضلاتْ)
كلُّ الأبوابِ.. العلويَّة والسفليَّة، تُفتح إلا.. بابه
وأنا أطرق.. أطرقُ
"حتى تصبح قبضتيَ المحمومةُ
خفاشًا يتعلق في بندول"!
.....
يتدفق من قبضتي المجر
يترقرق.. عذبًا.. منسابًا.. يتساند في المنحنيات
تغتسل الرئتان المتعَبَتان من اللون الدافئ،
ينفثُ السمّ..
يتلاشى البابُ المغلقُ.. والأعين.. والأصواتْ!!
.. وأموت على الدرجاتْ!!)

قراءة المشهد سينمائيًا:

منتصف الليل. داخلي

يلوح البطل عائدًا من حانة مخمورًا. تضطرب مشيته ويترنح. يتجه نحو مدخل إحدى البنايات فيدلف إليها صاعدًا درجات السلم في مشقة وتعب. تنفلت من بين أرجله قطة عجلى كانت تعبث بكيس فضلات. يتوقف عند إحدى الشقق العلوية. يقرأ اسمًا على بابها. يبدأ في الطرق على الباب. لا يجيبه أحد فيكرر الطرق بعنف. غير أنه لا يجيب أحد من الشقة. فيزداد طرقًا وصخبًا مما ينبه الجيران فيفتحون أبواب شققهم ملتفتين له في تأنيب وتوبيخ. يومئون له بأن صاحب الشقة لم يعد موجودًا. ينظرون له في عطفٍ وإشفاق ثم يلوون شفاههم في لوعة عائدين لغلق أبواب شققهم. يتنبه البطل إلى أن هناك دمًا يسيل من يده بسبب عنف الطرق. تتلاشي صور الباب والجيران وتبدأ الأصوات والهمهمات في الاختفاء تدريجيًا. يسقط مغشيًا عليه على درجات السلم!

قطع

المقطع الشعري السابع:

(تدقّ فوق الآلة الكاتبة القديمةْ
وعندما ترفع رأسها الجميلَ في افتراق الصفحتيْنْ
تراه في مكانه المختار.. في نهاية الغرفةْ
يرشف من فنجانه رشفةْ
يريح عينيه على المنحدر الثلجي، في انزلاق الناهديْنْ!
(.. عينيه هاتين اللتين
تغسل آثارهما عن جسمها – قبيل أن تنام – مرتيْنْ!)
وعندما ترشقه بنظرة كظيمةْ
فيسترد لحظةً عينيه: يبتسم في نعومة
وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتيْنْ!
.....
في آخر الأسبوع..
كان يعدُّ – ضاحكًا – أسنانها في كتفيْه
فقرصت أذنيْه..
وهي تدسُّ نفسها بين ذراعيْه.. وتشكو الجوعْ)

قراءة المشهد سينمائيًا:

نهار. داخل

مكان عمل البطلة. نراها جالسة تكتب على آلة الاختزال. تقلب بعض الصفحات. تتنبه عند تغيير الصفحة وجوده أمامها في نهاية الغرفة يتطلع إليها وفي يده فنجان فهوة يرتشف منه. تتنبه أنه يسلط عينيه على صدرها البض. تلجمه بنظرة عاتبة فيرتد بنظره بعيدًا عنها مبتسمًا. بينما هي تشد جيبتها القصيرة على ركبتيها.

ليل. داخلي

شقة البطل. يتعانق البطل مع البطلة في اشتياق واحتياج. يتحسس كل منهما الآخر. تتضاءل مساحات الضوء وتختفي تدريجيًا مع لحظات عناقهما وغيابهما عن الوعي.

إظلام

المقطع الشعري الثامن:

حين تكونين معي أنتِ:(
أصبح وحدي..
في بيتي!)
قراءة المشهد سينمائيًا:

ليل. داخلي

تبدو مساحات الأضواء شحيحة. يلوح البطل والبطلة في هيئة شبحين أو ظلين يتبادلان الغرام. موسيقى هادئة يعقبها سكون. صورة للبطل نصف عارٍ وهو يغط في نوم عميق.

قطع

المقطع الشعري التاسع:

جاءتْ إليَّ وهي تشكو الغثيان والدوارْ
(.. أنفقتُ راتبي على أقراص كمنعِ الحمْلْ!)
ترفع نحوي وجهَها المبتلّ..
تسألني عن حلّ!
.....
هنأني الطبيبُ! حينما اصطحبتُها إليه في نهاية النهارْ
رجوته أن يُنهي الأمر... فثارَ (.. واستدارْ
يتلو قوانين العقوبات عليَّ كي أكفَّ القول!)
هامش:
أفهمته أن القوانينَ تُسنُّ دائما لكي تُخرقْ
أن الضمير الوطنيَّ فيه يُملي أن يقل النسلْ
أن الأثاث صار غاليًا لأن الجدبَ أهلك الأشجارْ
لكنه.. كان يخاف الله.. والشرطةَ.. والتجارْ!)

قراءة المشهد سينمائيًا:

ليل. داخلي

شقة البطل. يدق الباب. يفتح البطل فتدخل البطلة متسللة تتلفت حولها خشية أن يكون أحد قد رآها. تغلق الباب وتخبره بأنها أصبحت حاملاً منه. اكتشفت حدوث ذلك رغم حرصها على استخدام حبوب منع الحمل. تبين له أنها حاولت التخلص من المشكلة ولم تفلح. تسأله بجزع يظهر على وجهها وخوف أن يجد لها حلاً قبل تفاقم الفضيحة.

قطع

نهار. داخلي

عيادة طبيب النساء. ازدحام شديد. البطل والبطلة في العيادة في موضعين منفصلين بانتظار دورهما في الدخول. يقترح البطل دفع رسم مستعجل للدخول للطبيب بسرعة خشية أن يراهما أحد. دقائق من الصمت. ينادي التمرجي على اسم صديقته فيدخلان للطبيب. يقوم الطبيب بالكشف الدقيق على البطلة وينتهي معلنًا بابتسامة: ألف مبروك!

ينتحي البطل بالطبيب محاولاً التوضيح له بأنه لا يريد إنجاب الطفل في هذا الوقت ويطلب مساعدته في التخلص منه بعملية إجهاض. ينتفض الطبيب غضبًا ويعلن أنه لن يغضب الله ولا يمكن أن يخالف ضميره ومهنته ويعرض نفسه للمساءلة القانونية. يلحّ عليه البطل لكنه يتمسك برأيه ويدعوه أن يفرح بالنعمة التي منّ الله عليه بها، فكثير من الناس لا يقدرون على الإنجاب مثله ويأتون له لكي يساعدهم في إنجاب طفل. وحين لا يجد البطل مفرًا يترك العيادة وقد بدا على وجهه الوجوم.

قطع

المقطع الشعري العاشر:

(في ليلة الزفافِ.. في التوهج المرهقْ
ظلت تُدير في الوجوه وجهها المنتصر المشرقْ
وحين صرنا وحدنا – في الصمت الكثيف الكلماتْ
داعَبَت الخاتم في إصبعها الأيسرِ.. ثم انكمشت خجلى!
(.. كانوا –وراء الباب– يكنسون النور والظلا
وتخلع الراقصةُ الشقراءُ عريَها.. وتحسب الهبَاتْ!)
قلت لها " ما أجمل الحفلا "
فأطرقت باسمةَ الغمازتين والسماتْ.

وعندما لمستُها: تثلجت أطرافها الوجلى!
وانفلتت عجلى ...!
كأنها لم تذق الحبَّ.. ولم يثر بصدرها التنهداتْ!!)
قراءة المشهد سينمائيًا:

ليل. داخلي (مشهد١)

أصوات موسيقا صاخبة وطبول وأنوار كثيرة متوهجة. أغنية (متذوقيني يا ماما لمها صبري) تترجرج أصداءها عاليًا. تبدو الكوشة علي مرمى البصر. يجلس البطل في بزة أنيقة والبطلة في ثوب عرسها الشفاف وعلى رأسها طرحة بيضاء. حشود عائلية تهنئ وتبارك. تتلفت البطلة حولها مزهوة يبدو عليها السعادة والانتصار. بعد قليل ينفض الجمع. مشهد لراقصة تجمع (النقوط) في دلال. تعزف موسيقا الزفاف ويمضي البطل يده في يد عروسه حتى دخولهما شقتهما.

ليل. داخلي (مشهد٢)

داخل شقة البطل حيث نراه وحيدًا برفقة عروسه. تنظر إليه وتدعك خاتم زواجهما بفرحة وانتصار. يقترب منها ويحدثها بأن حفل الزفاف كان جميلاً جدًا فتبتسم. يقبلها ويحاول أن يضمها إليه فتنفلت منه في خجل إلى داخل غرفة حيث يتبعها مغلقًا خلفه الباب.

إظلام

المقطع الشعري الحادي عشر:

(مذ علقنا – فوق الحائط – أوسمة اللهفةْ
وهي تطيل الوقفة في الشرفة!
واليوم!
قالت إن حبالي الصوتية تُقلقها عند النوم!
(.. وانفردت بالغرفة!!
قراءة المشهد سينمائيًا:

نهار. داخلي

شقة البطل التي تحولت لشقة الزوجية. في غرفة المعيشة نرى البطل في بيجامة منزلية يقرأ في إحدى الجرائد اليومية. وصوت مذياع يعلو بأناشيد حماسية. فيتململ مستهجنًا: لا صوت يعلو فوق صوت المعركة.

الزوجة تبدو واقفة في الشرفة. تنظر للقادمين والراحلين. بطنها يبدو كبيرًا بالحمل. تعود من الشرفة لزوجها تخبره بأنها لا تستطيع النوم بجواره؛ فصوت شخيره بات عاليًا مزعجًا لها. تستأذنه أن ينام في الصالة تاركًا السرير لها وحدها. يقبل الزوج دون تبرم ويدخل ليسحب بطانية ووسادة يلقي بهما على أريكة الصالة ويفترشهما دون اهتمام.

المقطع الشعري الثاني عشر:

(في جلسة الإفطار.. في الهُنيهة الطفليَّة المبكرةْ
أعصب عيني بالصحيفة التي يدسُّها البائع تحت الباب
وزوجتي تبدأ ثرثرتَها اليومية المثابرةْ
وهي تصبُّ شايَها الفاتر في الأكواب!
(.. تقصُّ عن جارتها التي ارتدت..
وجارها الذي اشترى..
وعن شجارها مع الخادم والبواب والقصَّاب،
.. ثمّ تشدُّ من يدي: صفحةَ الكرةْ!)
قراءة المشهد سينمائيًا:

نهار. داخلي

شقة الزوجية. الزوجان يتناولان طعام الإفطار على السفرة. خبز وجبن وفول وبيض وإبريق شاي وحليب. يقرأ الزوج في الصحيفة اليومية. الزوجة تثرثر بالكلام عن قصص الجيران ومشكلتها مع البواب الذي لا يلبي طلباتها والجزار الذي لا يحضر لها اللحوم في ميعادها ودومًا لا تكون في حالة جيدة رغم أنها تدفع له أكثر من الثمن المعروض. تستمر في شكواها من الجميع وحين تجد أن الزوج لا يصغي لها تشد منه الصفحة المفضلة في الجريدة التي يطالعها وهي صفحة الكرة. يستسلم الزوج لفعل زوجته دون أن يؤنبها. تصب له شاي الصباح فيشربه باردًا غير أنه لا يتململ، ويقرر أن يغادر الشقة باتجاه أصحابه في المقهى.

المقطع الشعري الثالث عشر:

(.. العالم في قلبي ماتْ
لكني حين يكف المذياع.. وتنغلق الحجراتْ
أخرجه من قلبي.. وأسجِّيه فوق سريري
أسقيه نبيذ الرغبة
فلعلَّ الدفء يعود إلى الأطراف الباردة الصلبة
لكن.. تتفتت بشرتُه في كفي
لا يتبقى منه سوى.. جمجمةٍ.. وعظام!
وأنام!!).

قراءة المشهد سينمائيًا:

هو ذاته مشهد المقطع الأول من القصيدة.

ليل. داخلي

نحن في شقة الزوجية. تحديدًا في غرفة المعيشة. يبدو بها أريكة أشبه بسرير. أعلى الحائط صورة في إطار مذهّب لجمال عبد الناصر تبرز في زاوية ما من الحجرة. صوت مذياع يحدث ضجيجًا حماسيًا. البطل يقوم بإغلاق باب الحجرة ثم يجلس على أريكته وأمامه زجاجة نبيذ. يغلق المذياع بيده فيكفّ الصوت المنطلق منه. يشعر ببعض الألم في صدره فيتحسس ضلوعه. يمرر يده على صدره يتحسس قلبه أكثر ليتأكد من أنه ما يزال ينبض، وأنه على قيد الحياة. يدلك بيده ضلوعه محاولاً أن يبعث الدفء فيها. يتكئ ممددًا ساقيه على الأريكة، ويصب لنفسه كأسًا. يجترع النبيذ مرة واحدة ويتجشأ. يحدّق حوله في بلاهة. ويقرر النوم فيسحب عليه الغطاء.

ترتكز الكاميرا على رصد الوحدة والفراغ والبياض والصمت والنوم.

إظلام

التحليل الموضوعي للنص

يتشكل نص (يوميات كهل صغير السنّ) من ثلاثة عشر مقطعًا شعريًا أو من ثلاثة عشر مشهدًا سينمائيًا، تتكئ البنية الإيقاعية للنص على استخدام بحرين عروضيين هما: بحر الرجز وبحر الخبب (المتدارك التام)، سبعة مقاطع تمضي على وتيرة الرجز وستة مقاطع على تفعيلة الخبب؛ وإذا ما اتفقنا على أن القصيدة بناؤها دائري أي تبدأ أحداثها (المقطع الأول) من حيث انتهاء هذه الأحداث (المقطع الثالث عشر) وحذفنا ما يبدو أنه مقطع متكرر فيصبح استخدام البحرين متساويًا لكل منهما بواقع ست مرات لكل بحر عروضي.

م	رقم المقطع/ المشهد	البحر العروضي	ملاحظات
١	الأول	الخبب	المقطع الأول يمثل تكرارًا للثالث عشر
٢	الثاني	الرجز	
٣	الثالث	الخبب	
٤	الرابع	الخبب	
٥	الخامس	الرجز	
٦	السادس	الخبب	
٧	السابع	الرجز	
٨	الثامن	الخبب	
٩	التاسع	الرجز	
١٠	العاشر	الرجز	
١١	الحادي عشر	الخبب	
١٢	الثاني عشر	الرجز	
١٣	الثالث عشر	الخبب	

الخبب= ٧ مرات الرجز= ٦ مرات

وهو ما يعكس فكرة محاولة خلق التوازن والتوافق بين وحدات الإيقاع المستخدمة إلى حد ما، مع سيطرة طفيفة للخبب (المتدارك) الذي رأى "صلاح عبد الصبور" أن تفعيلته "أقرب إلى لهجة الحوار من الرجز، وفيها موسيقية راقصة وخاصة إذا تكونت من متحرك فساكن فمتحرك

فساكن، ولكنها إن حركت آخر حروفها أحيانًا – وهذا لم يجزه الأقدمون- أصبحت ذات إيقاعٍ جاد، وانكسرت الحركة الراقصة لتحلّ محلها تناوبات موسيقية متماوجة"[١٧]، وربما يكون هذا السبب هو ما دفع بالشاعر "أمل دنقل" إلى الإكثار من استخدام تفعيلة هذا البحر.

ليس بوسعنا فهم أبعاد القصيدة بمعزل عن الظرف الحضاري والسياق التاريخي لتاريخ إنتاج القصيدة الذي تعمد الشاعر إيضاحه بأنه عام (١٩٦٧م)، وبالتأكيد فإن المرحلة من هذا العام ستكون تالية لتاريخ وقوع الهزيمة لا قبلها، وفي ضوء هذا المدخل فإنه سيتعين علينا لبلوغ مقاصد الشاعر التنبه لمسألتين أولاهما: طبيعة الصراع بين السلطة والمثقف على مدار الفترة من (١٩٥٢-١٩٦٧م) ورغبة رجالات الجيش في الاستحواذ على هذه السلطة في إطار مطلق لا يقبل مشاركة أو مساءلة من أحد[١٨]، وثانيهما: واقع الهزيمة المريرة بما آل إليه مع ضياع الأرض واستشهاد كثير من الجنود وأسر بعضهم الآخر، وفي ضوء فهم هذين المدخلين فإن القصيدة تبدو تعبيرًا عن ذروة هذا الصراع والرغبة في امتلاك الشرعية الزائفة، التي بموجبها تكتسب حقوقًا وتفرض واجبات.

ربما ترمز المرأة/ الخطيبة -التي قامت بينها وبين الراوي/ الخطيب علاقة غير شرعية- للسلطة، بينما يرمز الراوي/ الخطيب للمثقف الذي استسلم لمتطلبات هذه السلطة التي تعمدت أن توقعه في خطيئة (في النص: علاقة تقود لحمل غير شرعيّ) لتجبره من خلالها على منحها الشرعية بالزواج، وبعد أن تملكت كل شيء انفردت بالسيطرة المطلقة وأخرجته من كل الدوائر والحقوق، فبدا واضحًا للمتلقي القارئ أن "العلاقة التي تربط الزوجة بـ "الكهل صغير السنّ" أشبه بالعلاقة التي تربط السلطة بالمواطنين، فعندما أتيح لهذه الزوجة أن تمتلك الصفة الشرعية (بعقد الزواج) تخلت عن جمالها وفتنتها، وكشفت عن وجهها الآخر، فسيطرت على البيت و(الزوج) الذي صار مطالبًا بأن يشرب ما تقدمه له دون حقّ التبرم، ويُصغي – رغمًا عنه- إلى كل ما تسوقه له من أخبار، بل وطردته من مكانه الطبعيّ (غرفة النوم)"[١٩] .

فليست القصيدة قصة حب عادية قامت بين شاب وفتاة وانتهت بالزواج والملل، بل هي – في تأويلٍ- رمز للصراع الذي صاحب قيام ثورة ١٩٥٢م وعبّر عنه الشاعر "أمل دنقل" في معظم قصائده، وانتهى بعزل المثقف والانفراد بالسلطة، وقد كان الشاعر حريصًا بدوره "على تأكيد أن هذا الجيل -جيله- قد شاب قبل الأوان، وأن تجاربه في الحياة والسياسة قد انتهت مبكرًا، وأنه قد عزل عن أداء دوره، وتفريغ مكانه منه"[٢٠]؛ مما أدى إلى تهميشه وازدياد طغيان السلطة.

من جماليات توظيف معطيات السينما:

عديدة هي أشكال توظيف معطيات السينما في النصوص الشعرية ومتنوعة، وعلينا أن نتنبه -بادئ ذي بدء- إلى الاختلاف النوعي لأدوات التعبير في الشعر عن هذه الجماليات في السينما، فبينما تتوسل السينما بالآلات والكاميرات والتقنيات فإن وسيلة الشعر ليست سوى العين المجردة والتخييل السردي، يحاول الشاعر من خلالها توظيف جماليات السينما اتكاءً على معطيات القصيدة المعاصرة، ومن أبرز صور هذه الجماليات:

(١٧) صلاح عبد الصبور، *مأساة الحلاج* (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م)، (التذييل) ص١٢٧.

(١٨) حول هذه القضية يُنظر بالتفصيل: منير فوزي، *صورة الدم في شعر أمل دنقل*، الباب الثاني، الفصل الأول: السلطة والمثقفون، الصفحات من (٨١-١٢٠).

(١٩) منير فوزي، *صورة الدم في شعر أمل دنقل*، ص ٨٦.

(٢٠) المرجع السابق.

١-**الحدث المتوازي:**

ونراه متحققًا في المقطع الثالث من القصيدة حيث نشاهد حدثين متوازيين ينموان في وقت واحد، عند الراوي في غرفة نومه التي يتسرب لها من خلف ستارة الشرفة ضوء الصباح، مما يجعل مساحة حدقة عيني قطته تتضاءل، ومعلوم أن عيون القطط تتسع حدقتها في الظلام وتقل مع ازدياد مساحات الضوء، فالساعة باتت الخامسة صباحًا، ويد بائعة اللبن تدق الباب، فينهض الراوي متحسسًا ذقنه التي ملأتها البثور والجراح:

(عينا القطة تنكمشان..
فيدقُّ الجرسُ الخامسةَ صباحا!
أتحسس ذقني النابتةَ.. الطافحةَ بثورًا وجراحًا

وفي الوقت ذاته الذي كان الراوي فيه ممددًا على سريره ملتحفًا بالأغطية الدافئة، كان هناك حدث موازٍ يتشكّل في الدور العلويّ له، حيث جارته التي منحت زوجها أو صديقها ليلة ساخنة استوجبت قيامه بالاغتسال، يعكسه تدفق ماء الصنبور، مع حركة الجارة الوثابة على أرضية غرفتها، وتلتقي الصور المتتابعة والأصوات معًا، فالراوي ممدد على سريره وزوج الجارة أو صديقها ممدد على البانيو، ويتداخل صوت الصنبور مع تداخل صوت جرس المنبه، وخشخشة المذياع، كما تتوازى حركة الجارة المتكررة مع حركة الراوي/ الكهل صغير السنّ المتوجه للحمام ليغسل أسنانه:

(.. أسمع خطو الجارة فوق السقف
وهي تعد لساكن غرفتها
الحمَّامَ اليوميَّ ...!)
دفءُ الأغطية، خريرُ الصنبور
خشخشة المذياع، عذوبة جسدي المبهور
(والخطو المتردد فوقي ليس يكف!..)
لكني في دقة بائعة الألبان:
تتوقف في فكِّي.. فرشاةُ الأسنان)

ومن خلال هذه التداخلات بين معطيات الحدثين تتوزع الرؤية البصرية ما بين أسفل (حيث غرفة الراوي) وأعلى (غرفة الجارة)، وتمتزج الأفعال ما بين تحقق الرغبة عند الجارة والانبهار عند الراوي، ونشاط الجارة المتمثل في حركتها الدؤوب وكسل الراوي.

٢-**القطع الصوتي:**

يعني سينمائيًا "وصلاً للقطتين ليس بينهما استمرارية، وسواء أكان وصل اللقطتين يؤدي إلى تغيير اتجاه الشاشة، أم يقوم بالتركيز على حدث غير متوقع، أو أنه ببساطة لا يجعل المتفرج يرى في اللقطة الثانية اتصالاً للسياق مع اللقطة الأولى، فإن نتيجة القطع القافز هي التركيز على عدم الاستمرارية ...إنه ينبه المتفرج إلى أنه يرى فيلمًا، ويجب أن يكون واعيًا بأن الفيلم يقوم بالتلاعب به"(٢١).

تبدأ اللقطة بمحاولة البطل الذهاب إلى شقة الصديق الذي كان فيما يبدو زميلاً له في الكتيبة أيام الحرب؛ بعد ليلة شرب فيها هذا البطل كثيرًا لينسى، إنه يصل لشقة صديقه ويطرق بابه دون إدراك منه بأن هذه الشقة قد خلا منها باستشهاده أو بأسره، ولأنه لا يوجد أحد فيها يصبح الطرق عبثًا وألمًا، ومع تزايد الطرق الحادّ غير المجدي يتنبه الجيران لهذا الطارق الغريب، ويحاولون أن يفهموه أن صديقه لم يعد لشقته منذ وقت الحرب، لكنه لا يفهم ولا يعي:

(أطرق باب صديقي في منتصف الليل
تثب القطةُ من داخل صندوق الفضلات)
كلُّ الأبواب، العلويَّة والسفليَّة، تُفتح إلا.. بابه

(٢١) كين دانسايجر، *تقنيات مونتاج السينما والفيديو*، ترجمة وتقديم أحمد يوسف (القاهرة، المركز القومي للترجمة ٢٠١١م، ص ١٧٥.

وأنا أطرق.. أطرق

حتى تصبح قبضتيَ المحمومةُ خفاشًا يتعلق في بندول!

وتنتقل اللقطة من مشهد صعود السلم لأخرى تحتية، فنرى السارد منكفئًا على آخر درجات سلم العمارة التي كان يقطن فيها صديقه الذي لم يجده هناك، وقد بسط قبضته يتأمل الدم المنساب منها بسبب عنف دقاته بقبضة يده، وتفتح صورة انسياب الدم تذكارات لمشاهد الموت والاستشهاد وآثار الهزيمة، فلا يكون إلا الغياب وفقدان الوعي:

يتدفق من قبضتي المجروحة خيطُ الدم

يترقرق.. عذبًا.. منسابًا.. يتساند في المنحنيات

تغتسل الرئتان المتعَبَتان من اللون الدافئ،

ينفثُ السمّ..

يتلاشى البابُ المغلقُ.. والأعين.. والأصوات!!

وأموتُ على الدرجات

ويمثل انقطاع الصوت أو تلاشيه هنا فقدانًا لكل مقومات الحياة، سواء أكان هذا الصوت الطرق على الباب أم صوت صعود القدمين على السلم أو نزولهما، أو صوت لهاث البطل وإعيائه الذي يقوده إلى الإحساس بدنو الأجل وتوقف القلب عن الخفقان على درجات السلم.

٣-اللقطة من وضع الحركة:

تعتمد تقنية (اللقطة من وضع الحركة) على انتقال الكاميرا من مسار حركةٍ إلى أخرى، مما يقود لانتقال من الماضي للحاضر، وهو الأمر الذي من شأنه أن "يتيح استمرارية الحركة البصرية، والاكتشاف الدرامي، لحظة مبهرة من الاكتشاف"[٢٢].

في المقطع/ المشهد الثاني يتتبع انتقالات البطلة من مسار لآخر، محاطة بعناصر الطبيعة (أشعة الشمس- أغصان الأشجار- النهر)، وتتوازى انسيابية الحركة مع تدفق موجات ماء النهر في رحلة القارب الذي يمخر عبابه:

(تنزلقين من شعاعٍ لشعاع..

وأنت تمشين – تُطالعين- في تشابك الأغصان في الحدائق

حالمةً.. بالصيف في غُرفات شهر العسل القصير في الفنادق

ونزهةٍ في النهر..

واتكاءةٍ على شراع!

ثمة رغبة لدى البطلة في التشابك أو الاقتران مع الآخر، تعكسها صورة الشجر المتشابك في الحدائق التي تمر بينها، واسترخاءة شراع المركب (اتكاءة على الشراع)، يتداخل بعدا اللقطة المتحركة عبر مستويين: الخارجي: المتمثل في عناصر الطبيعة وتشابك الأغصان، والداخلي في الحالة النفسية للبطلة بمشاعرها وأحلامها، ورغبتها في الاقتران.

٤-القطع إلى نقطة خارج السياق

(في الشارعْ

أتلاقى – في ضوء الصبح- بظلِّي الفارعْ:

نتصافح.. بالأقدام!)

نشاهد هنا استخدام المفارقة الساخرة irony بين الإنسان وذاته، أو الإنسان وظله، وبدلاً من أن يكون بين الطرفين تناسب وتماهٍ، نجد الظلَّ يرسم صورة لشخص عملاقًا فارع الطول، معطيًا إياه أكبر من حجمه الطبعيّ، وفي توازٍ مع هذه المفارقة الأولى تأتي المفارقة الثانية حيث يلتقي الإنسان بظله، فيتصافحان بالأرجل بدلا من الأيدي.

ويؤدي هذا القطع دوره في انتقال المشهد لفضاءٍ يكون خارج النسق الأصليّ، وخارج سياق الحكي، مما يهيئ المتلقي/ المشاهد للقطة أو القارئ للنص الابتعاد عن تفاصيل الحدث الأصليّ وهو رصد تنامي علاقة السارد بالبطلة، كما

(٢٢) كين دانسايجر، *تقنيات مونتاج السينما والفيديو*، ترجمة وتقديم أحمد يوسف (القاهرة، المركز القومي للترجمة ٢٠١١م، ص ١٧٥.

تتماهى الظلال مع الضوء لترسم صورة شبحية للبطل السارد، يبدو فيها فارغًا عملاقًا على عكس حقيقته.

٥-اللقطة القريبة

(وأنام!!..)

ربما تكون هذه اللقطة التصويرية الأخيرة في المقطع النهائي للقصيدة أبلغ تعبيرًا عن عمق أزمة البطل، الذي استلب منه كل شيء، ولم يعد يمتلك ما يدفعه للحياة، فيجيء تعبير موت العالم عنده (العالم في قلبي مات) دالةً كاشفةً على عمق أزمته الحقيقية، فلا عاد له بيت يمتلكه ولا زوجة ولا ابن (يفترض أنه كان هناك حمل قبل الزواج بات مسكوتًا عنه طيلة مقاطع القصيدة)، ولا يتبقى لهذا البطل سوى الفراغ والوحدة والبرودة، فيلجأ للشراب حتى ينسى، ورغم كثرة الشراب فإنه لا يدفعه للنسيان، وتأتي اللحظة الصعبة ليستلقي فيها على أريكته محاولاً إغماض عينيه طالبًا النوم والسكينة. وتنتهي اللقطة وهو يجاهد النوم الذي لا تؤكد المفردة الأخيرة (وأنام) تحققه، ذلك لأنه لا يقرّ بأنه نام بالفعل أو في مرحلة النوم؛ بل (أنام) التي ربما تمثل أملاً يرغب في تحققه مستقبلاً.

فاللقطة القريبة هنا للبطل وهو وحيد يجافيه النوم وتحاصره الأوجاع والأحزان، تكون كاشفة ودالة ومعبرة عن عمق ما وصل له هذا البطل من أوجاع وخيبات، وإن التركيز بالضوء على ملامح الوجه واسترخاءة الجسد على الأريكة كافية باختزال حجم الألم والمعاناة للمشاهد.

٦-الزمن الدرامي وسرعة الإيقاع

يؤدي الزمن دورًا كبيرًا في تتابع الأحداث ونمو الشخصيات، في الأنساق السردية والحكايات، وتتعدد جماليات الزمن الدرامي بارتباطها بتدفق الأحداث وسرعة إيقاعها، وكلما ازداد الحدث سخونة، تزايدت سرعة إيقاع الزمن الدرامي لتتوافق مع سرعان جريان الأحداث، ومن الأمثلة الدالة على هذا التداخل بين الزمن الدرامي وسرعة الإيقاع ما يرد في المقطع/ المشهد الثاني:

.. وفي المساء، في ضجيج الرقص والتعانق
تنزلقين من ذراعٍ لذراع!
تنتقلين في العيون، في الدخان العصبِيِّ، في سخونة الإيقاع
وفجأة.. ينسكب الشراب في تحطم الدوارق
يبل ثوبك الفَرَاشِيَّ.. من الأكمام حتى الخاصرة!
وحين يفغر المغني فمه مرتبكا
تنفجرين ضحكًا!
تشتعلين ضحكًا!
وتخلعين الثوبَ في تصاعدات النغم الصارخ.. والمطارق
وتخلعين خُفَّك المشتبكا
ثم..
تواصلين رقصك المجنون..
فوق الشَّظَايَات المتناثرة !!)

ونرى هنا كيف يؤدي الزمن الإيقاعيّ دوره في رصد اللقطات السينمائية مع كونه ملازمًا لها وكاشفًا لأبعادها، وإذا كان لكل مشهد زمنه الخاص، فإن هذا الزمن يتبدل إيقاعه وفق متطلبات المشهد وحدة الفعل (**Action**)، وكلما تزايدت حدة الأفعال وردودها تزايد إيقاع الزمن وتحول من البطء للسرعة، فالأسرع، وهو ما نلمسه في المشهد السابق، فمع ضجيج الأصوات والإيقاعات تضطرب خطوات البطلة وتتسارع، ويعكس الفعل (تنزلقين) التسارع والانبساط والتمدد، ومع الانتقال من (ذراع) لـ (ذراع) تتماهى الحركة وتتغير اللقطة من البورتريه الأمامية للوجه إلى البروفيل الجانبية، كما تنقل الكاميرا لتعدد ملامح المرأة في العيون

الملتفتة باتجاهها (**تنتقلين في العيون، في الدخان العصبيِّ، في سخونة الإيقاع)**، ومع تعالي سرعة الإيقاع يتدافع الزمن وتتسارع الأحداث، (ينسكب الشراب- تتحطم الدوارق- يُبَلّ الثوب- يفغر المغني فاه- يرتبك – الانفجار في الضحك والانغماس فيه (الاشتعال)- خلع الثوب المبلل- خلع الخفّ- تصاعد الأنغام والدفوف- مواصلة الرقص الجنوني).

وتكشف هذه التحولات السريعة المتعاقبة اضطراب نفسية البطلة، كما حرص أن يقدمها نص الشاعر، فهي لا مبالية، وغير منضبطة، راغبة في الاستمتاع بكل لحظات حياتها ولذاتها، دون تقيد بضوابط أو أعراف، ولو على حساب الآخرين، فما يعنيها فقط تحقق سعادتها ومتعتها، دون النظر في عواقب الأمور، وهذه الصورة تكون بمثابة مقدمة تمهيدية للقارئ/ المشاهد تكشف له عن لامبالاة هذه البطلة، مما يجعلنا نتقبل أن تقوم بعلاقة مع خطيبها دون زواج.

٧-الحوار السينمائي

ثمة إجماع على أنه "يتميز الحوار السينمائي عن الحوار في عالم الروايات بغياب الراوي الأدبي الذي يمكن أن يلخص أو يفسر أو يوضح كلام الشخصيات ووجهات نظر ذاتية لعقول ومشاعر الشخصيات والذي يفكرون به. كما تقوم الكاميرا والميزنسين **Meez-ahn-sen** [أي وضع الشيء في المشهد] والمونتاج والموسيقى التصويرية بهذه المهام في بعض الأحيان. ويعد الحوار السينمائي هو أحد المكونات المميزة لشريط الصوت في الفيلم حيث لا يمكن قياس رد فعل المتلقي بين قراءته للكلمات المطبوعة على صفحات الرواية، وسماعه للكلمات بصوت الممثلين"(٢٣).

ولا تختلف أنواع الحوار في السينما عن الأدب، فهناك حوار خارجي **dialogue** بين شخصية وأخرى أو آخرين، وهناك حوار داخلي **monologue** بين الشخص وذاته، ومثال النوع الأول ما يرد في المقطع/ المشهد التاسع، حيث يلتقي البطل بالبطلة في شقته:

جاءتْ إليَّ وهي تشكو الغثيان والدوارْ (
)! ..أنفقتُ راتبي على أقراص منعِ الحمل(
ترفع نحوي وجهَها المبتلّ..
تسألني عن حلّ!

ثمة حوار تبدو فيه البطلة مضطربة، تعاني من كثرة الغثيان والإحساس الدائم بالدوار، مما يشي منطقيًا باستنتاج أنها أعراض الحمل، وتتحدث البطلة بأنها كانت دومًا حريصة ألا يحدث هذا الأمر، فقد كانت تتعاطى أقراص منع الحمل في موعدها، وأنها لم تقصر من ناحيتها، وتغرورق عيونها بالدموع سائلة عن حلّ فقد باتت حبلى، بينما يبدو الانزعاج على وجه البطل، وهو يفكر في البحث عن حل لهذه المشكلة العويصة.

وننتقل للمشهد التالي مباشرة حيث يدور حوار بين الطبيب الذي قام بتوقيع الكشف الطبي على البطلة مؤكدًا ثبوت الحمل، ومهنئًا البطل، ظانًا منه أنه زوجها، غير أن الحوار الخارجي هنا يأخذ منحى آخر مع مطالبة البطل للطبيب بضرورة التخلص من الجنين، فيثور الطبيب ويؤكد له أن هذا أمر مخالف للضمير وللقوانين التي وضعتها الدولة، وأن هناك تجريمًا وعقوبات، وحين يجد الطبيب أن البطل ما يزال مستمرًا في مطالبته حيث لا يلتزم معظم الناس بالقوانين، فإنه يقرأ عليه مواد تجريم الإجهاض وعقوباتها لكي يكف عن الاستمرار في الكلام، ويحاول البطل عبثًا بشتى وسائل الإقناع أن يثنيه عن قراره لكنه يتشبث بالأمر مؤكدًا أنه يخشى الله.

هنأني الطبيبُ! حينما اصطحبتُها إليه في نهاية النهارْ
رجوته أن يُنهي الأمر... فثارَ (.. واستدارْ
يتلو قوانين العقوبات عليّ كي أكفَّ القول!)

(٢٣) سارة أبو ريا، *الحوار السينمائي* (القاهرة ٢٠٢٢م)، ص ٨.

هامش:

أفهمته أن القوانين تسنّ دائما لكي تُخرقْ
أن الضمير الوطنيَّ فيه يُملي أن يقل النسلْ
أن الأثاث صار غاليًا لأن الجدبَ أهلك الأشجارْ
لكنه.. كان يخاف الله.. والشرطةَ.. والتجارْ!)

أما الحوار الداخلي فنراه في المقطع الأول حيث يتحدث البطل مع نفسه مؤكدًا أن نبض الحياة قد توقف لديه، وأنه لم يعد هناك ما يستحق أن يعيش لأجله، وأن كل المحاولات من أجل إحياء رغبته في الحياة تبوء بالإخفاق، فلا يتدفق الدم للأطراف، ولا تسري سوى البرودة والصقيع:

(أعرف أن العالم في قلبي.. مات!
لكني حين يكف المذياع.. وتنغلق الحجرات:
أنبش قلبي، أخرج هذا الجسد الشمعي
وأسجِّيه فوق سرير الآلام.
أفتح فمه، أسقيه نبيذ الرغبة
فلعلّ شعاعا ينبض في الأطراف الباردة الصلبة
لكن.. تتفتت بشرتُه في كفي
لا يتبقى منه.. سوى: جمجمةٍ.. وعظام!)

يمكننا أن نعد الحوار السينمائي "إحدى أدوات رسم شخصيات العمل الفني والكشف عن طبيعتها، بالإضافة إلى دفع الأحداث باتجاه العقدة؛ على أن يكون مناسبًا للشخصية ويشكّل مفتاحًا للوصول إليها"(٢٤).

ولأن الحوار يكون بمنزلة مناقشة بين طرفيْن أوْ مجموعتيْن؛ بقصد طرح تصور أو تصحيح فِكْرة، أو إظهار حُجَّة، أو مشاركة أمرٍ ما من الأمور، فإن الحوار السينمائي يمثل وجهًا من أوجه الأساليب السينمائية التي تكسب المشاهد تعددية في الأصوات وتنوعًا في مستوياتها ودلالاتها، ذلك أنها تختلف باختلاف الشخصيات، وتكون جاذبة للمتلقي من خلال التنوع الصوتي لهذه الشخصيات بما يكشف عن أبعادها المجتمعية والطبقية والأيدلوجية، كما تنبهنا حوارية باختين، فنتمكن بها من متابعة المشاعر والانفعالات ما بين الليونة والرقة والصخب والوداعة، وكلها تمثلات لعناصر أساسية جاذبة لدى المشاهد أو المتلقي.

خاتمة:

تأسست هذه الدراسة على معطيات (نظرية التلقي The theory of reception) كما قدمها "ولفجانج إيزر" الذي رأى أن النص- في حقيقته- ليس أكثر من (رصف للكلمات)، بينما الدور الحقيقي إنما يكون للقارئ/ الناقد الذي يُسبغ المعاني على هذا النص؛ بقراءة واعية منتجة له تتكامل مع ملء فراغات هذا النص بما هو مسكوت عنه أو غير مصرح به داخل فضاءات هذا النص، تقود لإعادة استكمال هيكله الكليّ واستيفاء معالمه.

واستنادًا لهذا الطرح تناول هذا البحث أبعاد التجربة الإبداعية لإحدى القصائد العربية بإعادة إنتاجها، وهي قصيدة (يوميات كهل صغير السنّ) للشاعر المصري (أمل دنقل) في مظهرٍ مغايرٍ للشعر؛ وفق تأويل نقدي جماليّ سينمائي فرضته مجريات أحداث القصيدة وطبيعة بنائها؛ حيث غلبت عليها معطيات السينما وجمالياتها؛ وهذا النمط من التأويل ربما يعد جديدًا في حقل الدراسات الأدبية والنقدية، ويمثل واحدًا من أنماط إضاءة النص وإعادة إنتاجه في إطارٍ موازٍ، لأنه يمازج بين لونين مختلفين من الآداب والفنون وهما: الشعر والسينما، ومعلوم أن لكل منهما جمالياته وآليات تذوقه وفهمه التي قد تختلف عن الآخر، مع تقديم تصور سينمائي موازٍ أو رؤية مشهدية لكل مقاطع القصيدة دون إغفال كليتها، واستكمال ملء فراغاتها.

(٢٤) سارة أبو ريا، *الحوار السينمائي* (القاهرة ٢٠٢٢م)، ص ٨.

قدم البحث تحليلا موضوعيًا لقصيدة الشاعر، ثم أتبعه بتأويل سينمائي لكل مقاطع القصيدة الثلاث عشرة، التي مثل كل مقطع منها مشهدًا أو أكثر، موضحًا أبعاد النص، ومستكملاً المسكوت عنه من فراغات هذا النص، وفق الرؤية الكلية المقترحة لفهمه، وتحول هذا التأويل السينمائي للنص إلى إطار جماليّ آخر موازٍ للنص متوافق مع بنيته وتركيبه العضويّ، مع اختلاف جمالياته وتلقيه، واختتم البحث بكشف مظاهر هذه الجماليات وأثرها في التأويل السينمائي والرؤية بتحليل سبعة من أنماط جماليات السينما وهي: الحدث المتوازي، والقطع الصوتي، واللقطة من وضع الحركة، واللقطة إلى نقطة خارج السياق، واللقطة القريبة، والزمن الدرامي وسرعة الإيقاع والحوار السينمائي، مع التدليل على كل نمط منها من واقع نصوص القصيدة، وكشف أثرها الجمالي وما أضفته على مسار الفيلم.

وقد خلص البحث بعد استيفاء الموضوع من جوانبه كافة إلى عدد من النتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

١-كشف البحث عن اتساع معطيات العصر الثقافية والفنية وهو ما أدى إلى التداخل بين الأنواع أو القوالب الأدبية والفنون، بما صُعب معه وجود استقلالية تامة للنوع الأدبي أو الفنيّ.

٢-أظهر البحث أنه لم يعد بمقدور أحد من النقاد أو المتلقين المعاصرين الادعاء بضرورة الفصل التام بين حدود النصوص الأدبية (التي باتت مدمجة ومتداخلة بتداخل الأنواع الأدبية) ومختلف الفنون، ذلك أن التداخل بين الآداب والفنون صار أمرًا واقعًا وحقيقيًا، مثل امتزاج جماليات الشعر بتقنيات السينما، وهو ما أثبته هذا البحث بتحليله للأنساق الجمالية لقصيدة الشاعر أمل دنقل التي امتزجت فيها القيم الفنية للقصيدة بجماليات تقنيات السينما.

٣-أكد البحث على ضرورة إلمام المبدع - حتى يواكب العصر- بجوانب متعددة من ثقافات هذا العصر، متمثلة في إلمامه بمختلف الآداب والفنون، وعلى رأسها الفن السابع، وأنه يحقّ له استخدام بعض جوانبها الفنية والجمالية وتوظيفه في كتاباته.

٤-أكد البحث على أهمية السينما وجمالياتها، بوصفها أداة تعبيرية شديدة التأثير في جمهورها، وأن الاحتياج لها والوعي بأهميتها ضرورة متطلبة، وبين أنها قادرة بمعطياتها أن تضيف عند استخدامها وتوظيفها في النصوص الأدبية قيمًا جمالية مغايرة، تضفي على النصوص رونقًا وتمايزًا أكبر بما لها من أنماط وتقنيات تثري العمل ويبرز قيمته.

٥-أكد البحث على قيمة نظرية التلقي وأهميتها مع بروز دور المتلقي فيها متمثلاً في إعادة إنتاج النص الأدبي بمعرفة هذا القارئ/ المتلقي وملء فراغاته في إطار خلقٍ موازٍ.

٦-كشف البحث عن أهمية نص (يوميات كهل صغير السن) للشاعر أمل دنقل وكيف أنه يعدّ من النصوص المتميزة التي حفلت بمعطيات السينما واتكأت على جمالياتها؛ حيث استعان بها الشاعر لاستكمال رؤيته في التعبير من خلالها عن قضية محورية شغلته وأرقته، وهي قضية: الصراع بين السلطة والمثقف.

٧- أظهر البحث أثر الفنون الجميلة في الإبداع الأدبي كالسينما والموسيقا والمسرح والإذاعة والباليه وغيرها، بوصفها قيمًا جمالية وإبداعية ثرة، وأنه يمكن رصد انعكاس مظاهر هذا الأثر وتبين دلالاته في بناء العمل الأدبي.

٨-تناول البحث كثيرًا بعض المعطيات التقنية للسينما وبين أثرها الجمالي والفني في النص الأدبيّ، ولكن تبقى هناك جماليات للسينما لم تدرس أو تعالج؛ لغيابها في نص الشاعر.

٩-يؤكد البحث على أهمية كشف جماليات الفنون الجميلة كلها وليس السينما فقط في النصوص الأدبية، ويدعو إلى قيام الباحثين بإعداد دراسات متنوعة تكشف أثر جماليات المسرح أو الأوبرا أو الباليه أو الموسيقا أو الرقص الإيقاعي في نصوص أدبية بعينها، تمثلت هذه الفنون ووظفتها.

١٠-من أنماط جماليات السينما: الحدث المتوازي، والقطع الصوتي، واللقطة من وضع الحركة، واللقطة إلى نقطة خارج السياق، واللقطة القريبة، والزمن الدرامي وسرعة الإيقاع والحوار السينمائي، وقد أحسن الشاعر أمل دنقل توظيفها في نصه.

١١-يدعو البحث على استكمال الجماليات الأخرى للسينما في نصوص مبدعين آخرين معاصرين استخدموا هذه الجماليات، حيث إنه كان من المستحيل أن يحيط البحث بكل جماليات السينما لكثرتها وغزارتها؛ بمبرر عدم التطرق لهذه الجماليات والتقنيات الأخرى وكان سببه إغفال الشاعر لها في قصيدته.

المصادر والمراجع

أبو ريا، سارة، *الحوار السينمائي*، القاهرة ٢٠٢٢م.

بخولة، بن الدين، *النص بين الإنتاج والتأويل*، الجزائر، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف - مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب، المجلد الخامس، العدد (٢) يونيو ٢٠١٩م.

جاد، أسامة. (٢٠٢٣م)، *السينما كأداة شعرية*، القاهرة، ج. أخبار الأدب المصرية، عدد الأحد، ٢٨ مايو ٢٠٢٣م.

خياطي، خميس، *النقد السينمائي*، (القاهرة، سلسلة (كتابك)، العدد (١٤٥)، دار المعارف، ١٩٨٢م)، ص١٨

دانسايجر، كين، *تقنيات مونتاج السينما والفيديو*، ترجمة وتقديم أحمد يوسف، القاهرة، المركز القومي للترجمة ٢٠١١م.

دنقل، أمل، *الأعمال الكاملة*، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق ٢٠١٢م.

دهني، صلاح، *قصة السينما: تاريخ- فن- ثقافة*، بيروت/ لبنان، دار العلم للملايين ١٩٥٠م.

الرويني، عبلة، *سيرة أمل دنقل: الجنوبي*، الكويت، دار سعاد الصباح ١٩٩٢م.

زينب دريانورد الغيصي وآخرون، *تطور النقد السينمائي وظهوره في مدونة الأدب العربي الحديث*، مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية، (اليمن، السنة الثامنة، العدد السابع والعشرين، سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٢١م)،

الصفراني، محمد، *التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (١٩٥٠-٢٠٠٤م)*، الرياض، النادي الأدبي بالرياض، ٢٠٠٨م)،

عبد الحميد، شاكر، (٢٠٠٥م). *عصر الصورة*، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٣١١)، يناير ٢٠٠٥م.

عبد الصبور، صلاح، *مأساة الحلاج*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م.

العماري، الصديق الصادقي، *جماليات التلقي من أجل تأويل النص الأدبي، المغرب*، مجلة وادي درعة، إصدار مركز النخيل للتوثيق، العدد (٢٩)، ٢٠١٧م.

فوزي، منير، *صورة الدم في شعر أمل دنقل: مصادرها- قضاياها- ملامحها الفنية*، القاهرة، دار المعارف ١٩٩٥م.

محمد، عبد الناصر حسن، *نظرية التلقي بين ياوس وإيزر*، القاهرة، دار الشرق للطباعة ٢٠٠٢م.

وهبة، مجدي، *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب* (بيروت/ لبنان، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

ياوس، هانز روبيرت، *جمالية التلقي: من أجل تأويل جديد للنص الأدبي*، تقديم وترجمة: رشيد بنحدو، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٤م.

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ١٧٧-١٩٥، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 177-195, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

في الخطاب اليومي والعادات الكلامية التداولية

ذكرى بنت يحيى القبيلي

أستاذ اللسانيات، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، السعودية.

(قدم للنشر في ٢٦/ ٧/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ١٣/ ٨/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-9

الكلمات المفتاحية: اللسانيات الاجتماعية، التعدد اللغوي، الازدواج، التحول اللغوي، المزج اللغوي، الهجين، العادات الكلامية.

ملخص البحث: الخطاب اليومي سجل حياة، ينبغي أن يولى عناية في الدراسة والوصف المحايد لأحواله وعادات الكلام، فاللغة وجوهنا وتاريخنا، وكاشفة عن الواقع وسمات المتحدثين والخلفيات الاجتماعية والثقافية والإيدلوجية، وهذه الورقة العلمية تقف على نواح عدّة في الخطاب اليومي، تتمثل في: مستويات الواقع اللغوي العربي، وملامح في الكلام العادي، وعادات المتكلمين، ومبادئ أساسية في الحدث التواصلي ومظاهره وتمثلاته، وتناقش إشكالاتٍ ومزالقَ في ممارسة الكلام اليومي كالهجين. تأتي الورقة ضمن اللسانيات الاجتماعية، وقد اعتمدت الوصف والتحليل في سعيها للإجابة عن الأسئلة البحثية المطروحة، فانتظمت في قسمين الأول: واقع الخطاب اليومي عاداته ومتغيراته، والثاني: مبادئ العادات الكلامية وظواهرها.

Daily speech and conversational speech habits

Dhikra Yahya Al-Qubaili
Professor of Linguistics, Department of Arabic Language, College of Humanities and Social Sciences, King Saud University, Saudi Arabia.
(Received: 26/ 7/1446 H, Accepted for publication 13/ 8/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-9

Keywords: Sociolinguistics, Multi Linguisme, Diglossia, Code-switching, Code-mixing, Speech habits.
Abstract. Daily discourse is a life scroll, and should be given attention in the studies, the impartial description of its conditions, and the habits of speech. Language is our present and history, revealing the reality and features of speakers, social, cultural and ideological backgrounds. This scientific paper is based on several aspects of daily discourse: levels of Arab linguistic reality, features in ordinary speech, speakers' habits and basic principles in the communication event and its manifestations and representations. It also discusses problems and pitfalls in the practice of daily speech. The paper adopted the analytical descriptive curriculum in its quest to answer the research questions raised, organized in two sections: the realities and variations of daily discourse, also the principles and phenomena of speech habits.

المقدمة:

الحمد لله خلق الإنسان علّمه الأسماء، والصلاة والسلام على المرسل بلسان عربي مبين.

يعد هذا البحث محاولة في التجسير بين مفاهيم الدرس اللساني وأداء المتكلم العادي وممارساته اليومية، ويسعى إلى وصف الواقع اللغوي بموضوعية، وإلى الكشف عن عادات كلامية في الوعي واللاوعي. وقد وسمناه بـ(في الخطاب اليومي والعادات الكلامية).

شرعنا فيه بوصف لغة الواقع اليومي وما تتسم به من تنوع وتحول؛ من الكلمة إلى خطاب متعدد الوسائط بات يشكل خطاب اليوم، ثم قدّم حزمة من المبادئ في الممارسة اللغوية وعادات المتكلمين وعرض لظواهر في أدائهم اليومي، وناقش إشكالية ظاهرة إشكالية الهجين، وهي ممارسة غير منصفة من الأبناء لا تستحقها اللغة الأم.

أما أهمية تسليط الضوء على الممارسة اللغوية وعاداتها، فإن فهم المتكلم أسرار اللغة وجوانب اشتغالها يساعده في حسن توظيفها ويسهم في جودة الأداء اللغوي والتواصل الناجح، وتفسير المواقف التواصلية. فاللغة ليست كلمات وجملًا مبتورة، بل هي حياة وإنجاز. والاهتمام بالممارسة اللغوية في كليتها هو عناية بالحياة وجودتها.

ويعتمد البحث الوصف والتحليل في الإجابة عن سؤال (ما):

- ما الواقع اللغوي اليوم ومستويات التواصل؟
- ما أبرز المتغيرات والإشكالات؟
- ما المبادئ التي ينطلق منها المتكلمون؟
- ما المظاهر التي تلون عاداتهم الكلامية؟

وقد جاء البحث في قسمين: الأول عن الواقع اللغوي وتنوعه، والثاني في العادات الكلامية، وانتظم الإطاران أو القسمان في محاور، تسبقهما مقدمة وتتبعهما خاتمة وتوصيات، على النحو الآتي:

القسم الأول: واقع الخطاب اليومي ومتغيراته، ضمّ المحاور الآتية:

- اللسانيات الاجتماعية.
- التعدد والتنوع اللغوي.
- الواقع اللغوي اليوم ولغة الحدث التواصلي، وأجملناها في خمسة مستويات.

القسم الثاني: مبادئ في العادات الكلامية وظواهرها، ضمّ المحاور الآتية:

- مبادئ عامّة في العادات الكلامية.
- ظواهر في الحفاظ على نجاح التواصل. تناولنا فيه:
- الافتراضات السابقة والقواسم المشتركة وعمليات: المسلمة والإضافة، والاختصار، والحذف.
- الاستلزامات التخاطبية والأساليب غير المباشرة.
- الحفاظ على سيرورة التواصل.

ثم ختمنا البحث بأبرز النقاط والنتائج التي جاءت مبثوثة في صفحاته، وقدمنا مجموعة من التوصيات العلمية المرجوة.

وأخيرًا، فإن الخطاب اليومي مشروع واسع، ويتمظهر في مجالات عديدة تتقارب وتتباين، وهو، لا شك، يستحق المقاربة والمعاودة؛ ودراسته ذو أهمية بالغة، وثمار يانعة، تعود بالنفع على الفرد والمجتمع والمؤسسات العامّة والحكومات. ونسأل الله التوفيق والسداد.

القسم الأول: الخطاب اليومي، الواقع ومتغيراته.

١-١ توطئة

لكل مجموعة بشرية لسان يجمعها ويميزها عن غيرها، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (القرآن الكريم. الروم: ٢٢).

تؤدى الممارسة اللغوية وفق نظام مشترك في أذهان أصحابه، ينطلقون منه يتمثل في لغة محددة أو لسان معيّن، العربي، مثلا: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (القرآن الكريم. الشعراء: ١٩٥). وهذا اللسان المعيّن عادة ما يتمثل في عدّة لهجات متنوعة، وهي التي كان يسميها العرب لغات، فيقولون: لغة قريش ولغة هذيل وقيس وأسد وتميم وغيرها. وقد جاء القرآن الكريم بلغة قريش ولغات القبائل الأخرى. وكذلك الحديث الشريف، وقد أجاب رسولنا الكريم بلغة السائل، كما روى الإمام أحمد في المسند[١]، فقال: حَدَّثَنَا عَبدُ الرَّزَّاقِ، أَخبَرَنَا مَعمَرٌ، عَنِ الزُّهرِيِّ، عَن صَفوَانَ بنِ عَبدِ اللهَّ، عَن أُمِّ الدَّردَاءِ، عَن كَعبِ بنِ عَاصِمٍ الأَشعَرِيِّ - وَكَانَ مِن أَصحَابِ السَّقِيفَةِ - قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: "لَيسَ مِن امبِرِّ امصِيَامُ فِي امسَفَرِ"[٢]. يريد: ليس من البر الصيام في السفر، وذلك في إجابته عن سؤال: هل من امبر امصيام في امسفر؟ وهي صورة في اللهجات العربية تُعرف بالطمطمانية في لغة حمير، يبدلون لام التعريف ميمًا، لا تزال مستعملة حتى اليوم في بعض مناطق في اليمن.

إذن يحدد المتكلم شفرة تواصله بما يتوافق مع البيئة اللغوية والمقام التواصلي، ويختار اللغة الرسمية أو اللهجة المحلية أو بهما وهو الحاصل اليوم في كثير من الأحياز والأحيان. فهناك التعددية اللغوية والازدواجية والتحويل اللغوي والمزج اللغوي وغير ذلك مما يعنى بدراسته علم اللغة الاجتماعي أو اللسانيات الاجتماعية، ويحثنا يقع ضمنها. وسنعرف بها وموضوعاتها في عجالة.

١-٢ اللسانيات الاجتماعية (sociolinguistic).

هي فرع من اللسانيات التي تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع كما نص ريتشارد هدسون Richard Hidson[٣]، وفي تصوري أن اللغة أهم مكون ثقافي اجتماعي له أثره وسطوته وحضوره الممتد في الحياة الاجتماعية وكل مظاهرها، وعبر دراستها يكون تسليط الضوء على مختلف القضايا المعاشة، وذلك له نتائج علمية واسعة وحياتية ملموسة. وتسعى اللسانيات الاجتماعية إلى تناول موضوعات متنوعة لغوية اجتماعية، من أبرزها: اللغات الرسمية واللهجات، وأحادية اللغة في مجتمع، وتعدد اللغات وتداخلها وازدواجية اللغات والتحويل والمزج اللغوي، وتأثير اختلاف الطبقات الاجتماعية والمهن والسن والجنس على اللغات، وسمات في لغة المرأة عن الرجل، والحظر اللغوي، وصراع اللغات والتطور الدلالي، وغيرها من الموضوعات التي يهتم بها علم اللغة الاجتماعي، نجد توضيحًا لبعضها عند محمد دمياطي[٤]، على النحو الآتي:

أولًا: يهتم برصد أبعاد العلاقة وأشكالها المختلفة التي تظهر في تعدّد المستويات اللغوية في المجتمع الواحد أو تعدد اللغات واللهجات ويهتم برصد هذه المستويات أو اللهجات أو اللغات، وتحديد المجتمعات التي تستخدمها سواء أكانت هذه الجماعات عرقية أم دينية أم مِهَنِيَّة أم طَبَقيّة، كذلك يهتم في هذا الإطار بالتخطيط اللغوي Language plan ning-

(١) مسند الإمام أحمد: ٥/ ٤٣٤.

(٢) الطبراني في الكبير، ١٩/ ١٧٢ ح ٣٨٧، والبيهقي في السنن: ٤/ ٢٤٢.

(٣) هدسون، *علم اللغة الاجتماعي*، ترجمة: د. محمود عياد، (بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٠م)، ١٢.

(٤) دمياطي، محمد عفيف الدين: *مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي*، (إندونيسيا، مكتبة لسان عربي، ط٢، ٢٠١٧م)، ١٠.

الذي يعالج قضايا كثيرة، مثل: تقرير النظام الكتابي، واختيار اللغات الرسمية، وأساليب المحافظة عليها وتطويرها.

ثانيًا: يهتم بدراسة التباين الاجتماعي الذي يظهر واضحا في المجتمع اللغوي ويسجّل الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة، كما يرصد التحوّل أو الانتقال الاجتماعي من طبقة لأخرى وأثر ذلك في الأشكال اللغوية التي يختارها أفراد تلك الطبقة، كما يضع هذا العلم في الاعتبار عند دراسة معاني الكلمات تحديد دلالاتها من خلال سياقها الاجتماعي ومواقف قائلها ومكانتهم في الطبقات الاجتماعية.

ثالثًا: يهتم بدراسة محظور الكلام أو الكلمات المحظورات Tabooed words والتعبيرات الاصطلاحية وظاهرة الاقتراض اللغوي لأنّ هذه الظواهر ترتبط بالمجتمع أو الجماعة اللغوية ارتباطا وثيقا كما أنّ استعمال اللغة يخضع لقواعد واعتباراتٍ اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر.

رابعًا: يتناول دراسة العوامل الاجتماعية التي تحكم الاستعمالات اللغوية المختلفة بين الأفراد، ومنها على سبيل المثال العلاقات المحدّدة بين المشاركين في الحديث، وأسلوب التخاطب والمكانة الاجتماعية لكل منهم والأدوار الاجتماعية التي يقومون بأدائها وهدف المحادثة وموضوعها وآداب الحديث، وما إلى ذلك.

٣-١ التعدد والتنوع اللغوي.

يمكن إجمال أكثر المصطلحات المتعلقة بالباب على النحو الآتي:

أ.اللسان الواحد أو أحادية اللغة: تعني المستعمل مكتوبا ومنطوقا بلغة رسمية (وطنية) واحدة فقط.

ب. التعدد اللغوي (Multi Linguisme): ويكون في الدول التي تعتمد لغتين رسميتين أو أكثر وتستعملها بالتساوي -التقريبي طبعا-، وقد تهيمن لغة على أخرى.

ت.ومنه الثنائية اللغوية (Bilingualism): التي تظهر في المجتمع الذي يستعمل أعضاؤه لغتين مختلفتين، يختارون استعمال إحداهما في مواقف معينة ويستعملون الثانية في مواقف أخرى، وقد يزاوجون بين اللغتين في موقف تواصلي واحد في آن معا[٥]. ويراها زكريا ميشال[٦]: في الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين، دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر مما هي في اللغة الأخرى. فهي تتحقق إذن في الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب حسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين.

ث.الازدواج اللغوي (Diglossia) ويتحقق عند استعمال المتكلم اللغة الفصحى مع اللهجة.

وعرف فرجسون ازدواجية اللغة بأنها حالة لغوية مستقرة نسبيًا تتمثل في وجود لهجات محكية إلى جانب مستوى رفيع (الفصيح) تتعلمه فئات كبيرة من المجتمع، وتستعمله في الأغراض الرسمية، بينما لا تستعمله الفئات المختلفة في أغراض الحياة اليومية[٧].

ويرى بعض الباحثين أن الازدواجية اللغوية تتحقق عند استعمال مستويين أو أكثر من لغة واحدة، (مستوى لغوي راقي)، (مستوى لغوي وضيع). فيقولون إن أحد المستويات يكون نمطا راقيا رفيعا يستعمل في الأغراض الرسمية ويكون خاصا بطبقات اجتماعية معينة كالمثقفين والعلماء، ويستخدم (مستوى لغوي وضيع) للطبقة العامة. ولا أحبذ استعمال مفردة (وضيع) في هذا السياق، ونفضّل (أدنى) أو

---

(٥) الدبابسة، فتحية محمد، *نهاد الموسى وجهوده اللغوية*، رسالة ماجستير، (الخليل، جامعة الخليل، ٢٠١١م)، ٦١.

(٦) ميشال، زكريا، *قضايا ألسنية تطبيقية*، (دار العلم للملايين، ١٩٩٣م)، ٤٥.

(٧) استيتيه، سمير شريف، *اللسانيات الوظيفة والمجال والمنهج*، (إربد، عالم الكتاب الحديث، ط٢، ٢٠٠٨م)، ٦٦٦.

(شعبي) أو غيرها من المفردات الأنسب والألطف؛ وتجنب استعمالها في وصف أي لغة أليق لعّدة أسباب؛ منها:

١ – أن من يستعمل (وضيع) من اللغويين، هو نفسه يريد به الدلالة اللغوية المتعلقة بالأقل والأدنى. فلمَ لا نذهب إلى مفردة (أدنى) مباشرة؟

٢–الدلالة السلبية المتضمنة لكلمة (وضيع)، في المعنى المعجمي والمعنى الاجتماعي: الدنيء والخسيس.

٣– أنهم يطلقونه وصفا على اللغة العامية والشخصية وغير ذلك، وهذه تشكل أكبر المساحات في حياة الأفراد. فليس من الكياسة وصفها بالوضيعة.

ج.التحول اللغوي (code-switching): مصطلح يدل على تنوع الأداء اللغوي أو التناوب فيه، ويقصد به الانتقال من لغة إلى أخرى في ذات الحدث التواصلي وتناوب أكثر من لغة رسمية فيه، أو الانتقال بين لغة ولهجة من الفصحى إلى العامية في موقف تواصلي واحد. ويمكن أن نقول إنه يضم الازدواجية والخلط اللغوي وهو أعمُّ منها. ويُعرّف بأنه "القدرة على التحول من استعمال لغة إلى أخرى في تفاعل تواصل واحد"[٨]، و"الاستعمال البديل لأكثر من رمز واحد (اللغة، أو اللهجة، أو التنوع الكلامي) في المحادثة نفسها أو في التفاعل التواصلي الواحد"[٩].

وهو ظاهرة لغوية شائعة بين المتكلمين بلغتين أو لهجتين عندما يتحول المتكلم فجأة، ويستعمل عبارة أو جملة أو أكثر بلغة أو بلهجة أخرى. وأول من أشار إلى ظاهرة التحول اللغوي من اللسانيين الغربيين هو فاينريش (Weinreich) عام ١٩٥٣م في كتابه: اللغات في تماس، ثم توالت الكتابات في الموضوع[١٠].

ح.الخلط اللغوي (Code-mixing) ويعني التناوب بين اللهجات وبين اللغات، ويتحقق عندما يستعمل المتكلم أكثر من لهجة في الحدث التواصلي الواحد. فهو "ظاهرة لغوية يتم فيها استعمال رمزين أو لغتين مختلفتين في عملية تواصلية واحدة"[١١].

وترجمت زينب عاطف (code-switching) إلى التبديل اللغوي، في ترجمتها كتاب (Bilingual) لمؤلفه (Francois Grosjean) وهو: "الاستخدام المتبادل للغتين؛ بمعنى تحول المتحدث بالكامل إلى لغة أخرى من أجل استخدام كلمة أو عبارة، أو جملة، ثم عودته مرة أخرى إلى اللغة الأساسية"[١٢]. كما ترجمت (code-mixing) إلى الاقتباس ويعنى به "أحد الأساليب الأخرى التي يدخل ثنائيو اللغة لغتهم الأقل استخدامًا، هو اقتباس كلمة أو تعبير قصير من هذه اللغة وتعديلها صرفيًا (وعادة صوتيًا) لتتلاءم مع اللغة الأساسية"[١٣].

٤–١ الواقع اللغوي اليوم ولغة الحدث التواصلي

يمكن أن نصف مستويات التواصل اليوم، ونجملها على وجه العموم لا الخصوص، على هذا النحو:

أولًا: اللغة الفصحى الجزلة، لغة القرآن الكريم الذي شرفت اللغة العربية وعلا شأنها بنزوله بها، والحديث الشريف. ونجدها اليوم في الخطب والنصوص الأدبية عموما

(8) Alrasheed Samaher H. (2022) Code Switching between Arabic and English as a Communicative Strategy among Preschool Bilingual Saudi Children, International Journal of English Linguistic, vol.12, no 6, published by Center of Science and Education, 1.

(9) Ajibade Adetunji Christ (2017) Socio Linguistic Study of Code-switching among Yoruba Users of English Language in South Western Nigerian, International Journal of Advanced Academic Research/Arts, Humanities&Education, vol.3, issue 9 September, 2.

(١٠) القاسمي، علي، "*التداخل اللغوي والتحول اللغوي*"، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، الجزائر، ع١، (٢٠١٠م)، ٨٤.

(11)Essien Okon (1995) cited in Ajibade Adetunji Christ, 10.

(١٢) جروجون فرانسوا، *ثنائيو اللغة*، ترجمة: زينب عاطف، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي. ٢٠١٧م)، ٦١.

(١٣) المرجع السابق، ٦٧.

والشعرية خاصّة، وفي عدد من البرامج التلفازية وخاصّة الإخبارية. وعند قلة من المتحدثين اليوم، نسأل الله أن يكثّرهم.

ثانيًا: اللهجة، وهي التي يستعملها الفرد مع عائلته والأصدقاء والجيران والمقربين، وقد يتحدث بلهجة واحدة، أو يستعمل أكثر من لهجة في الحدث التواصلي نفسه، حيث يحدث الخلط عند بعضهم وربما الأكثر.

ثالثا: اللغة الوسطى أو البيضاء، هي سمّة التواصل الحالي، وهي بين المستويين السابقين فلا هي معربة تحقق المرفوع والمنصوب والأسماء المجرورة، ولا تطغى عليها العامّية ولا المفردات الخاصّة. وهي التي نعتمدها في التواصل الرسمي اليوم، وفي المحاضرات العلمية أو المحافل الأكاديمية والتعليمية مثلا، وفي عدد من البرامج الحوارية التلفازية. وهذا هو حال أكثر متكلمي اليوم، وقد يظهر عند بعضهم تناوب بين الفصحى واللهجة لكنه ليس الأصل.

رابعًا: الهجين، سنتوقف مع الهجين وصفًا واقعًا وأثرًا لخطورة الظاهرة، إذ يحدث اليوم أن كثيرا من متكلمي اللغة العربية يخلطون حديثهم اليومي بمفردات وعبارات من لغات أخرى، ولا سيما الإنجليزية، دونما حاجة أو مبرر. ولقد شاع وراج في السنوات الأخيرة في كل البلاد العربية وسار فيها كالنار في الهشيم؛ نرى عجبًا في استعمال العربية عند أهلها يهجرون المفردات العربية في الحديث اليومي ويستبدلونها بمفردات أجنبية حتى غدا كلام بعضنا خليطًا هجينًا!

لاحظ كلامنا اليومي: اعمل له برنت (فماذا لو قال اطبع!)، رايح الميتينق (المقابلة!)، سآخذ بهذا الأوبشن (الاختيار!) والأوردر جاهز، الأبلكيشن (التطبيق)، اللوكيشن (الموقع)، الأكاونت (الحساب)، فلوّرز (متابعين)، وغيرها كثير من الاستعمالات التي شكلت ظاهرة وتربعت في ممارساتنا اللغوية اليومية. وهي لا شك ممارسة لغوية غير منصفة للغتنا، التي تخوض صراعا على أرضها، وتدمى بألسنتهم.

وسأضع بين يديك تحليلًا لمقطع فيديو، وقد تصاب بالإحباط حين تجده قد تضمن أكثر من (٣١) كلمة وعبارة إنجليزية، في مدة لا تتجاوز الثلاث الدقائق.

جدول بالكلمات الأجنبية في مقطع ترويجي لخدمة تجهيز وجبات طعام:

المقطع مدته ٣ دقائق فقط وفيه أكثر من (٣١) كلمة وعبارة إنجليزية.	
١	Hi guys
٢	So
٣	Business
٤	Front camera
٥	Already
٦	Chicken Gyros
٧	Ricotta stuffed pasta shells
٨	Pasta
٩	and you got to go
١٠	Dishes
١١	Baking dish
١٢	Spoon
١٣	Mixing bowl
١٤	aluminium foil
١٥	that's it
١٦	Steps
١٧	Ingredients
١٨	Shells
١٩	Ricotta sauce
٢٠	Parmesan cheese
٢١	I'm drooling
٢٢	It's very sauci
٢٣	Sauce
٢٤	Let's try it
٢٥	Butter not scratch
٢٦	Zesty
٢٧	Ricotta amazing
٢٨	Everything about this was amazing
٢٩	Guys chick it out
٣٠	Honestly
٣١	Really good

آثارها السلبية:

أما عن وجه خطورتها على حاضر اللغة وعلى مستقبلها، فالاستعمال له هيمنةٌ وسلطة؛ واللغات والمفردات تقوى بالاستعمال وتموت بالإهمال، والبقاء للمستعمَل. وحين نهجر كلمات لغتنا نتسبب في اندثارها، وفي المقابل باستعمالنا المفردات الأجنبية نحن نسهم في تعزيزها وإحلالها محل لغتنا الأم. ولعل الأخطر هو ما يتعلق بمستقبل اللغة؛ إذ إن متكلم اليوم يعرف الكلمات العربية ويميزها عن غيرها، لكن مع تباعد الوقت وامتداد الاستعمال للأجنبي واستقراره ينسى الأصل وتموت المفردات العربية، وتحدث القطيعة بين الأجيال القادمة ولغتهم العربية لغة القرآن الكريم.

الدوافع أو المبررات:

لا شك في وجود أسباب وراء هذا الاستعمال كدخول المستلزمات والتقنيات الحديثة إلى حياتنا مع مسمياتها. وأن بعض الباحثين له مبرراته كأن يكون الشخص قد نشأ في دائرته الخاصة والعملية على استعمال اللغة الثانية فيجدها أسهل في التواصل، وباتت تزاحم لغته الأم وأخذت مكانها في لسانه. أو أن يكون متعلما للغة الثانية فهدفه أن يحفظ المفردات الجديدة ويثبتها. ثم لا ننسى تأثير مواقع التواصل الاجتماعي وحسابات أكثر المشاهير الذين يرددون العبارات غير العربية ترديدًا مستمرًا ومكثفًا، فيتلقاها الجمهور وتشكل جزءًا من معجمهم اليومي عبر الاستماع الذي هو وسيلة اكتساب اللغات بما في ذلك اللغة الأم، ولذا فالوعي بخطورته وأثره مهم. وغيرها من الأسباب الكثيرة التي ليس آخرها الهشاشة واهتزاز الهوية عند بعضهم وتقليد الآخرين، أو محاولة الظهور بمظهر المثقف الذي يتقن اللغات! والكثير يجهل أنه يعمل معول الهدم في لغته دون وعي منه.

وقد لا نحتاج التأكيد على أنّ هناك فرقا كبيرًا وعميقًا بين تعلم اللغات الأخرى وبين ما نحن بصدده هنا؛ فالتعلم محمود ومرغوب وله فوائد مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات والدول. أما ما نتحدث عنه فهو الاستعمال الهجين للغة العربية في الحياة اليومية والإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي. وعلى المتكلم العربي أن يعي دوره ويتحكم في استعماله للفظ الأجنبي بقدر حاجته وعند مقامات الأسباب الحقيقية.

وعلينا أن نتذكر بأن للغة حقّا علينا ومن واجب الأسرة حمايتها والمؤسسات التعليمية، وتوعية النشء بالتحدث بها وتعلمها وتعليمها، وللإعلام بأنواعه مرئي ومسموع ومكتوب مسؤولية كبيرة وله دور أساسي.

خامسًا: العربية المكسرة. هي ظاهرة لغوية سلبية أخرى تتمثل في اللغة المستعملة مع العمال غير العرب وما يعرف بالعمالة غير العربية، يحدث فيها تكسير للمفردات والقواعد والتذكير والتأنيث والعدد وخلط كلمات العربية مع الإنجليزية وحذف الروابط بين الكلمات والجمل، وغيرها من الممارسات التي تشكل مستوى لغويا ركيكا مشوها للغة الأم. ومن أمثلة هذه الظاهرة: إنتا في روح سوق، إيش مشكل أي ما المشكلة؟ أنا في معلوم: أنا أعلم بالأمر أو فهمت، مدام قول أي قالت المدام، ما في شوف، أي هل رأيت؟ مال أنا ومعناه هذا لي. أو يخصني، الخلط بين المذكر والمؤنث: ماما ينام، ما في سوّي كذا. خلط العربي مع الإنجليزي: أوبن باب. خلط المفرد بالجمع: بيبي كلو نايم، ما في يجي هنا، إلخ.

وفي مقال للدكتور علي آل شريدة، في صحيفة الرياض (٢٠١١). بعنوان اللغة الهجين، لغة العمالة الوافدة بين الضرر والضرورة، يقول: لا يمكننا اعتبار هذه اللغة لغة أصلية لأحد وإنما تكتسب كلغة ثانية، تعلمها الجميع كلغة وظيفية

بالدرجة الأولى. ويصفها بأنها لغة مبسطة بين جماعتين أو أكثر من لغات مختلفة من أجل التواصل لأغراض تجارية بشكل رئيس، لأهداف تواصلية تصطبغ غالبًا بالصبغة التجارية. الجماعة الأولى مسيطرة ولغتها العربية، والجماعات الأخرى أقليات ذات نفوذ أقل من الجماعة الأولى (الهندية، والأردية والبنغالية وغيرها). ويقول عن السبب في نشوء هذه الظاهرة، التواصل وقضاء المصالح بين متحدثي اللغة العربية وهذه الأقليات التي تتحدث عشرات اللغات المختلفة. ويبرر وجودها بقوله فبعض هذه الأقليات لا تعرف شيئًا عن اللغة العربية، ولم تخضع لتعليم رسمي أو غير رسمي عن اللغة العربية؛ ومع ضرورة تواصلها مع المجتمع الجديد الذي قدمت إليه، كان لابد من تطوير لغة سهلة ومبسطة لتتواصل مع لغة هذه الثقافة الجديدة، ومن هنا نشأت هذه اللغة التي نسمعها ونستخدمها حينما نتواصل مع هذه الأقليات.

واسمحوا لي أن أقدم هنا مقترحًا ربما يساعد في حماية اللغة العربية من التكسير وفي التخفيف من هذه الممارسة. المقترح يقوم على تحديد مجموعة من المفردات والجمل الشائعة المتكررة المترددة في البيئة العربية والمجتمعات التي تحتاج العمالة وتستقدمها. ويطلب من العامل التعرف عليها وتعلم هذه الجمل قبل قدومه، فيكون شرط (تعلم الجمل العربية الأساسية) ضمن شروط الاستقدام. ولكي يتحقق المقترح ينبغي العناية بالآتي: ١- صياغة الجمل الأساسية باللغة البيضاء العامة. ٢-عدم تضمنها مفردات خاصة ومعقدة. ٣- ضرورة تحديد عدد الجمل والاقتصار على الجمل الأكثر شيوعًا. ٤- مراعاة الظروف الاقتصادية الصعبة التي غالبا بسببها اختار العامل القدوم. ويمكن تطوير المقترح ليحقق فوائد منها الحفاظ على لغة أفراد الأسرة، وتجنب تكسير اللغة، ويسهم في نشر اللغة العربية والحفاظ عليها، فضلًا عن أنه سيوفر فرصًا جديدة للمتخصصين في تعليم اللغة العربية.

سادسًا: تعدد الوسائط (Multimodality)، إذا سلّمنا بأن التغير حال الحياة ومن ثم حال المتكلمين، وأن الكلام ابن للبيئة ومستجداتها. فإن أبرز التغيرات في مشهد اليوم التواصلي قد يكون في شيوع الوسائط المختلفة وسيطرتها فأينما يممنا وجوهنا اليوم نجد الصور والمقاطع والأيقونات والشعارات والعلامات التجارية والهاشتاقات. وهذا يعني وجود معطيات جديدة وعالم مغاير لما كان، وانتقال إلى تعدد الوسائط الذي يشكل الواقع التواصلي اليوم. ويمكن القول إننا تحولنا من الاعتماد الكلي على الكلمات منطوقة ومكتوبة إلى تعدد الوسائط Multimodality، وباتت الكلمة جزءًا من المشهد التواصلي، وليس كله.

والخطاب عند فان لوين van Leeuwen " ليس هو النص المكتوب أو المطبوع فقط، وإنما يشمل كل العلامات والرموز والأيقونات المنطوقة والمرئية والمكتوبة بما توفره من ألوان وإطارات وحروف وحركات وتصميم وغيرها، وتنتقل هذه الموارد السيميائية عبر الوسائط المتعددة. بما فيها الكتب والأفلام والصور والرسوم والآثار ووسائل الإعلام ومواقع الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، ويخفي أي وسيط من هذه الوسائط ايديولوجيات وعلاقات سلطة، يجب أن يعمل التحليل النقدي على فحصها"[١٤].

وعرفت القبيلي[١٥] الخطاب بأنه "وسيطة مستعملة في مقام تواصلي بهدف التأثير على الآخر، والوسيطة تشمل العبارة المكتوبة والمنطوقة والإيماءات والصوت والصورة والفيديو، بوصفها وسائل تواصلية موجَهة وموجِهة للآخر، كاشفة عن

(١٤) شومان، محمد، *التحليل النقدي للخطاب من اللغويات إلى الوسائط المتعددة*، (القاهرة، دار المعارف، ط١، ٢٠٢٣م)، ١٥٧.

(١٥) القبيلي، ذكرى يحيى، "الخطاب الجدلي لجائحة كورونا في ضوء التحليل النقدي لخطاب تعدد الوسائط"، (*مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية – جامعة الأميرة نورة*، مجلد ٧، ع٢، ٢٠٢٢م):
https://www.pnu.edu.sa/ar/ViceRectorates/VGS/Shariah Arabic/MagazineResearch/Documents/seasone14/12.pdf

الخلفيات المجتمعية والثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية والإعلامية والفلسفية". ويقوم تحليل الخطاب متعدد الوسائط (MDA) على تكامل اللغة مع الموارد غير اللغوية الأخرى لإنتاج وتفسير المعنى الذي تم إنشاؤه في النصوص أي يوسع اللغة ويستخدمها مع موارد أخرى[١٦].

هذه الموارد تشمل كل ما يعبر به الإنسان من كلام لغوي منطوق ومكتوب، ومن صوت وصورة ورسوم وأشكال، وكل ما يحمل معنى في عرف ثقافي اجتماعي؛ فالفن المعروض والتصميم المرئي والصوتي واللعبة والوسائط الرقمية والتغريدات والأيقونات الاجتماعية تعدّ امتدادات للغة أو ما تتحول إليها اللغة في إنتاج الفكر وتداوله[١٧].

ويركز تحليل الخطاب متعدد الوسائط (MDA) على كيفية اعتماد النصوص على وسائل الاتصال مثل: الصور والأفلام، والفيديو والصوت مجتمعةً مع الكلمات لتصنع المعنى. وقد دُرِست أنواعًا مطبوعة بالإضافة إلى أنواع أخرى مثل: صفحات الويب والأفلام والبرامج التلفازية. وهي تأخذ بعين الاعتبار كيفية تصميم النصوص المتعددة الوسائط، وكيف تُسهم أدوات السيميائية مثل: اللون، والتأطير، والتركيز، وتحديد العناصر في صناعة المعنى في هذه النصوص[١٨].

ويبلور فان لوين Van Leeuwen مفهوم تعددية الوسائط في كونها:

أولا: دراسة كيفية صنع المعاني، والتي يتم صنعها في سياقات محددة، بوسائل مختلفة للتعبير أو أنماط سيميائية، سواء تم التعبير عنها بواسطة الجسد (الكلام، الحركات، تعابير الوجه، الإيماءات وما إلى ذلك) أو بواسطة الأدوات كمواد الكتابة والرسم وصنع الموسيقى وما إلى ذلك).

ثانيًا: دراسة الطرق التي يمكن من خلالها دمج الأنماط السيميائية المتعددة في نصوص متعددة الوسائط متماسكة. لذلك فإن دراسة تعددية الوسائط لا تقتصر على الوسائط المتعددة. بمعنى الوسائط الرقمية المعاصرة، ولكنها تنطبق أيضًا على الاتصال وجها لوجه وأنواع النصوص غير الرقمية الأخرى[١٩].

ونختم هذا القسم بالتأكيد على أن خطاب اليوم هو خطاب متعدد الوسائط، مما يحتم علينا الالتفات إلى هذه الوسائط على اختلافها، وما تنتجه من معان، وتحديث أدواتنا البحثية لتواكب المستجدات. ولم يعد مقبولا علميا تجاهل وسائط الصور والرسوم والفيديو والهاشتاقات والترند، وغيرها من الوسائط التي تنتج المعنى وتحمل الرسائل وتشكل واقعا تواصليا يستلزم الالتفات والعناية.

القسم الثاني: مبادئ في العادات الكلامية وظواهرها

٢-١ مبادئ عامّة في العادات الكلامية.

المبادئ اللغوية هي حقائق وآليات ذهنية وعمليّة تتمظهر في سلوكيات وعادات كلامية في الأحداث التواصلية. وأما العادة الكلامية فهي طريقة في تأدية اللغة يمارسها المتكلمون تصاحب التوليد اللغوي والفهم والتأويل وإنتاج المعنى، وتبدو كأنها تطبيق لحزمة من المبادئ والقوانين، وعادات الأفراد الكلامية هي تأدية للمنظومة اللغوية، ثم إنها تشكل الظواهر اللغوية الجمعية، فهي ذو علاقة جدلية.

(16) Omar, Amira. 2021, 23 Omar Ghonim, Amira. (2021). A Multimodal Critical Discourse Analysis of the 2018 Utah Senate Mid-term Election Debate, 23.

(17) Matthiessen, Christian M.I. M. (2007). The Multimodal Page: A Systemic Functional Exploration. Royce, Terry D.; Bowcher, Wendy (Eds). New Directions in the Analysis of Multimodal Discourse. New Jersey, London, Lawrence Erlbaum Associates Publishers, 2.

(١٨) بالتريدج، براين، *تحليل الخطاب*، ترجمة: عبد الرحمن الفهد، (الرياض، دار جامعة الملك سعود للنشر، ط١، ٢٠١٨م)، ٢١٥.

(١٩) شومان، *التحليل النقدي للخطاب*، ١٦٥.

وقد حاولنا أن نجمل حزمة من المبادئ العامة والأساسية التي ينتهجها المتكلمون، فجاءت كما يأتي:

- عادة ما ينطلق المتكلم من المخزون الشخصي وخبراته وتجاربه والخلفيات الاجتماعية.
- عادة ما تظهر في اختيارات المتكلم الإيدلوجيا الشخصية والجمعية.
- المتكلمون عادة ما يتكئون على افتراضات ومعارف وتجارب سابقة وقواسم المشتركة.
- عادة ما يعتمد الاستلزامات التخاطبية والتليمحات والأساليب غير المباشرة.
- عادة ما يعتمد آليات التصنيف والتجسيد والمزج ويرسم خطاطات ذهنية لأنشطته مادية أو معنوية.
- عادة ما يراعي المسافة الاجتماعية مع أطراف التواصل.
- عادة ما يحرص على سيرورة التواصل وانتظامه وعدم تعثره.
- عادة ما يتجنب الكلام المحظور المتعلق بالعورات والجنس والعيوب.
- للفرد عادات كلامية خاصّة ولوازم.
- عادة ما يتعاون أطراف الحدث التواصلي ويسعون إلى نجاح التواصل ويحرصون عليه. ونجاح التواصل لا يقوم على طرف دون آخر بل مسؤولية الأطراف جميعها.

وقد يكون من المفيد الإشارة إلى ما يعرف بمبدأ التعاون Cooperative Principle. الذي افترض غرايس (Grice) من كلّ مشاركٍ احترامه، وفكرته تتلخص في: (اجعل إسهامك الحواري بالقدر المطلوب في الموقف الحواري، وفي إطار غاياتها وأهدافها المشتركة). وجعله في أربعة مبادئ هي:

- الكم (Quantity) ويتعلق بالقدر الضروري من المعلومات، ويوصي بأن يكون الاسهام في الحوار بالقدر المطلوب، لا أقل ولا أكثر منه.
- الكيف (Quality) ويتعلق بالصحة والتحري وقول ما نملك دليلا عليه، ويوصي بألا تقول إلا ما تعتقد أنه صادق، وألا تقول ما ليس لديك الحجة على صدقه.
- العلاقة أو المناسبة (Relation) ويعبر عنه بالالتزام بهدف الحوار وما له صلة بموضوع المتحدث فيه.
- الطريقة أو الأسلوب (Manner)، ويجمل في: (كن واضحًا). وينصّ على الإيجاز والترتيب، والابتعاد عن غموض العبارة (obscurity)، وعن اللبس (ambiguity)[٢٠].

ما سقته أعلاه مجموعة مبادئ من حزمات كثيرة يمارسها المتكلم في الوعي واللاوعي. وإذا كانت الظواهر ممارسات لمعارف مكتسبة ومتراكمة للفرد، تعكس فهمه وحكمه في مختلف المجالات من دينية واجتماعية وثقافية وسياسية وغيرها، فإن ظواهر الممارسات اللغوية سلوكيات لعادات ومبادئ الفرد الذي عادة ما يمارس هيمنة من نوع ما، في سعيه إلى إنجاح التواصل وتحقيق الغرض أو نقل رسالة معينة.

٢-٢ من مظاهر الحفاظ على نجاح التواصل.

١-٢-٢ البناء على الافتراضات السابقة:

عمليات التواصل في أكثر أحوالها تقوم على قواسم مشتركة بين أطراف التواصل، الذين يوظفونها للحصول على تواصل ناجح ومثمر. والقواسم المشتركة تعرف في التداولية بالافتراض المسبق، وهو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوّه

(20) Grice Paul (1989) Studies in the Way of Words, Language Teaching and Research Press, 26.

بالكلام كما يقول جورج يول George Yule وهو موجود عند المتكلمين وليس في الجمل[٢١]. فالافتراض المسبق يجري تعريفه على أساس العلاقات بين التلفظات ومواقف التلفظ، فلفظ معين لجملة ما، يفترض سابقًا من الوجهة التداولية أن سياقه مناسب، أي أن السياق يسمح بأن يفسر التلفظ. فمثلا جملة: افتح النافذة، تفترض سابقًا وجود حجرة لها باب، وأن الباب مفتوح[٢٢].

إن لأي خطاب رصيدًا من الافتراضات السابقة يضم معلومات مستمدة من المعرفة العامة وسياق الحال والجزء المكتمل من الخطاب ذاته، كما يرى فينيمان، وأن لدى كل طرف من أطراف الخطاب رصيدا من الافتراضات السابقة يظل في تزايد مع تقدم عملية الخطاب. فضمن رصيد الافتراضات السابقة المصاحبة لأي خطاب، نجد مجموعة من المسلّمات الخطابية، وكل خطاب إلى حد ما إنما يدور حول مسلّماته الخطابية[٢٣]. ومن النافلة، القول بأن المتكلم لا يحتاج إلى ذكر كل شيء بل تقلُّ الكلمات ونجده يحذف ويركز على الإضافة. ويمكن صياغتها كمعادلة: (كلما كثرت القواسم المشتركة بين المتكلمين، قلّت الكلمات)؛ فهم يبنون على الحاصل والوضع المشترك، ولا يحتاجون في معظم الأحيان إلى إعادة تقرير كل ذلك وتفاصيله إلا في حالات بقدرها. ويؤكد جورج يول بأنه كلما كان بين أطراف الخطاب معلومات مشتركة حول أمر ما أو موضوع ما، قلت الكلمات والألفاظ المستعملة في الحديث عنه[٢٤].

(٢١) يول، جورج، *التداولية*، ترجمة: قصي العتابي، (الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠م)، ٢٦.

(٢٢) جوناتان، كلر، *مطاردة العلامات، علم العلامات والآداب والتفكيك*، ترجمة: خيري دومة، (القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٨م)، ١٥٨.

(٢٣) يول، *التداولية*، ٩٦.

(٢٤) المرجع السابق، ٢٦.

٢-٢-٢ البناء على القواسم المشتركة.

يبدو أنه نتيجة لاعتماد المتكلم على القواسم والخلفيات المشتركة، تتمظهر عمليات متعددة في الممارسة الكلامية، منها على سبيل المثال:

أ-الكلام المبتور: وهو جمل غير مكتملة لفظا أو إسنادًا لكنها مكتملة المعنى والإفادة، فعادة ما تكثر الجمل الناقصة والإجابات بكلمات مفردة أو حتى بالإيماء ولغة الجسد. دون إخلال بالمعنى أو تشتت عن الغرض. وربما أجريت مكالمة فيها فقط: سأكون هناك بعد قليل أو بعد ساعة. دون إعادة لكل ما سبق هذه الجملة من اتفاق وترتيبات، بل ودون أن تحتاج -أحيانا- إلى النصّ على الزمن والتوقيت المعتاد؛ يكلم الصديق صديقه في الجوال قائلا: مسافة الطريق. ويقفل الخط وتنتهي المكالمة. فهاتان الكلمتان (مسافة الطريق)، اللتان لا تفهمان شيئا ولا تقولان قولا، لمن هو خارج الحدث التواصلي وسياقه، هما مقياس زماني ومكاني، تحددان المسافة والوقت المستغرق للوصول. الكلمتان نفسهما توجزان حكاية من الموضوعات والاتفاق على اللقاء في زمان محدد بين طرفين محددين -وربما أكثر- سيلتقيان في مكان محدد، وبينهما معرفة مشتركة بمكانهما الحالي وموقع الهدف الذي يتجهان إليه وكم تبلغ المسافة بين النقطتين. إن كلمتي (مسافة الطريق) تشكلان حلقة في سلسلة من التفاهمات اللفظية والتداولية وحتى الإدراكية.

ومنه حذف أحد أركان الجملة أو مكملاتها. وكما هو كثير في الأسلوب العادي والعامي من الحوارات اليومية؛ اعتمادا على الموقف ذاته، او مواقف سابقة في الحياة العملية، هو كذلك حاصل في المستوى الرسمي، والاستعمالات الفصيحة في المنطوق والمكتوب. يقول عبد القاهر الجرجاني[٢٥]: (إنك

(٢٥) الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: أحمد شاكر، (القاهرة، دار الخانجي، ط٣، ١٩٩٢م)، ١٠٦.

ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن، وهذه الجملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر).

ب-المسلمة والإضافة: المتكلم في كثير من المواقف يذهب إلى الإضافة والجديد بدلا من المسلمات والمعروف ويتجاوزها أو يمرُّ عليها سريعا ويجعل تركيزه على الإضافة. لاحظ نفسك حين تتكلم مع صديق هل تعطي كل المعلومات المسلمة والمشتركة أم تتجاوزها في معظم الحالات التي لا تحتاج التركيز عليها، وتقول الفكرة والإضافة والجديد والخبر والمعلومة والطلب والاعتذار والالتماس إلخ.

هذه أحوال عامّة، وهناك بالمقابل ممارسات لغوية فيها الإعادة والإسهاب وذكر التفاصيل والتركيز عليها؛ وهذه تعتمد على طبيعة المتحدث من ناحية وعلى المواقف وظروفها وأغراض التواصل؛ فقد يجد المتكلم نفسه بحاجة إلى القبض على الفكرة وتكثيف المفردات وتكرارها وإعادة المسلمات والمنطلقات والحيثيات والأفكار المشتركة ويستعمل المؤكدات (intense) وغير ذلك كثير.

ولعل من النافلة، القول إنه كما يتكئ المتكلم على الخلفيات الاجتماعية والقواسم المشتركة، فإن هذه القواسم نفسها يعتمد عليها الطرف المستقبل في التأويل والتفسير والفهم؛ إذ المتلقي وإن كان خالي الذهن في موقف، فإنه في كل أحواله يأتي مكتنزا ومتشبعا بتجاربه وخبراته الحياتية والعلمية والثقافية والاجتماعية. وقد يأخذ قول المتكلم (المباشر وغير المباشر) فيأوله بطريقة مخالفة للسطح؛ بناء على طبيعة الجمل وأسلوب المتحدث وطريقته، والخلفيات الاجتماعية والقواسم المشتركة والقرائن النصّية والمقامية.

٣-٢-٢ الاستلزامات الحوارية والأساليب غير المباشرة. (conversational implicature)

عن الأسلوب غير المباشر يذكر غرايس(Grice) أنه من الممكن التعبير عن شيء دون التصريح به، وهو ما يعرف بالأقوال المضمرة؛ إذ يمكن أن يدل الملفوظ: الجو حار، ببساطة على أن الجو حار فعلا في مقام تواصلي، وقد يفيد مثل هذا الملفوظ من بين ما يفيد حسب الحالات: افتح النافذة، أو أغلق جهاز التدفئة[٢٦]. بل قد يتعمد المتكلم ألا يكون مباشرا في حالات أو مواقف معينة. من ذلك مثلا كما يقول أحد الباحثين؛ قد يلجأ إليه المتكلم ليتخفى وراء المعنى الحقيقي الذي يريده هربًا من ردة فعل المتلقي إذا كان قد انزعج إلى معنى آخر[٢٧].

وترى أوركيوني أن المعلومات وإن لم يفصح عنها فإنها بطريقة آلية واردة ومُدرجة في القول الذي يتضمنها أصلًا بغض النظر عن خصوصيته في إطار الحديث الذي يتجلى فيه. وميّزت بين القول المضمر والافتراض المسبق، بأن الافتراض المسبق يتعلق مباشرة بالبُنى التركيبية العامة على عكس القول المضمر الذي يتم استنتاجه انطلاقًا من المتكلم والملكة البلاغية التداولية الموسوعة والمنطقية[٢٨].

إن الفهم الشامل للملفوظ يضم فهم مقتضياته، ومضمراته وسائر استلزاماته[٢٩]. ومُحلل الخطاب شأنه شأن المخاطب لا يملك طريقة مباشرة للوصول إلى المعنى المقصود

---

(٢٦) باتريك شارودو، ودومينيك منغو: *معجم تحليل الخطاب*، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، (تونس، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م)، ٢٩٦.

(٢٧) بلخير، عمر، *تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية*، (الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٣م)، ١١٨.

(٢٨) المرجع السابق، ١١٤.

(٢٩) باتريك شارودو، ودومينيك منغو: *معجم تحليل الخطاب*، ٢٤٨.

من طرف المتكلم عند تلفظه بالقول، فهو بالغالب يحتاج إلى عملية الاستنتاج التي تمكنه من فهم المقولات[٣٠].

لاحظ معي دلالات الجملة: (الساعة الآن العاشرة تماما)، التي قد تسمعها في مقامات عدّة، لكنها لا تعطي النتيجة نفسها، بل ينتج معناها بعد تفسير المتلقي حسب ظروف المقام؛ فهي تنشئ مجموعة معان مختلفة، منها:

- الإخبار وهو المعنى الحرفي. فالمتكلم يخبر عن التوقيت أو يجيب عن سؤال: كم الساعة الآن؟
- طلب الإسراع وأن الوقت قد تأخر.
- رجاء التمهل والتأني وأن في الوقت فسحة.
- التذكير، كما قد يحدث عندما تقال للطلاب في القاعة الدراسية وهم يؤدون الاختبارات. ولعلنا نتفق أن هذا القول في مقام الاختبار ذو حدين؛ الأول إيجابي مساعد ومفيد للطالب في تقسيم وقت الإجابة؛ فقد يسهو بعضهم عن الوقت ويفوته أشياء مهمة كالانتهاء من الإجابة أو تدقيقها ومراجعتها. الثاني سلبي يسبب التوتر والتشتت لدى الطلاب، لاسيما إذا تكرر التنبيه أو زاد عن حده. وقسّ على هذا.

٣-٢ عادات المتكلم في الحفاظ على سيرورة التواصل

١-٣-٢

واحدة من الأمور التي يمارسها الفرد -في الوعي واللاوعي- أثناء المحادثات اليومية الطبيعية هي عنايته بسيرورة التواصل وانتظامه وعدم تعثره. وتختلف عاداتنا في المحافظة على انتظام الكلام؛ دعونا نسميها (عادات كلامية فردية خاصّة): فهناك من لديه كلمات معينة نحو: اسمع، انتبه، شوف، بُص، وترديد اسم المخاطب أثناء الكلام، إضافة إلى أننا نعتمد لغة الجسد والتواصل البصري؛ بالنظرة المباشرة أو بإطالتها أو تركيزها، ومنهم من ينبه المخاطب باللمس بين حين وآخر. والأخيرة مقبولة في مسافات القرب ودائرة المقربين، بخلاف المسافات الرسمية وقد تكون مرفوضة عموما في مجتمعات.

وهناك كلمات تتردد في مجال أكثر من غيره فمثلا في قاعات الدرس يكرر الأستاذ التوجيه أو الاستفهام، نحو: ركّزْ وهدوء واقفل الجوال، ويسأل من حين إلى آخر: مفهوم، واضح، فهمتم إلخ.

وهذه قد تكون لوازم كلامية في لغة الأفراد ففضلا عن نغمة الصوت، هناك اللوازم الكلامية منها: يعني، أحسّ، شوف. اسمع، انتبه، خليك معي، واخد بالك، أو الاستفهام ما رأيك؟ هل تعتقد؟ واضح؟ ويمكن أن نمثّل كذلك بعادات المثقف مثلا فكثيرا ما يبدأ جمله بعبارة: (الحقيقة أن كذا) أو يقول أثناء حديثه: (ضع خطا تحت كذا) أو يشير بيديه قائلا بعد كلمة ما أو عبارة معينة: (بين قوسين) أو يعيد جملة محددة وهو يهزّ رأسه مكررا كلمة نعم أو أيوه، أو متمما بهمهمة صوتية.

٢-٣-٢ النداء وسيرورة الكلام

النداء أسلوب ينبَّه فيه المخاطب، فهو أحد وسائل الحفاظ على سيرورة التواصل، وبالنسبة للمنادى فعادة يتم النداء في البلاد العربية بالاسم الأول للشخص، لا اسم العائلة، فيكون النداء بالكنية، فيقال أبو فلان وأم فلان، وهو رائج في كثير من البلاد العربية. ويمكن أن نستشهد بما جاء في لقاء قناة ثمانية بودكاست سقراط مع عبد الله بن يحيى المعلمي من السعودية وهو خبير في الشؤون الدبلوماسية؛ إذ يحكي أنه عندما تعين في أمانة جدة، كان يحدث أن يأتي الموظف فيخبره

(٣٠) براون، ويول، جورج. *تحليل الخطاب*. ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي. (الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م)، ٣٢.

عن سير العمل، قائلا: أبو فلان قام بكذا وأبو فلان عمل كذا...، فيسألهم من هو أبو فلان؟ فيوضح أو ينصّ على اسم من يعنيه. فقال: يالله عرفت أسماءكم! والآن أولادكم! فنصحهم بعدم استعمال الكنية في الدوائر الرسمية، وقد كان.

وفيما يخصُّ العلم المؤنث فله خصوصية في كثير من المجتمعات العربية، التي لا يفضل فيها الرجل أن يصرح بالاسم العلم للمرأة، بنتًا كانت أم زوجة أم أختا وأمًّا. ويكون أكثر تشددًا مع اسم الزوجة، فإذا تكلم عنها قال: أم فلان باسم أكبر أبنائها، ومن الشائع كذلك أن يعبر عنها ويكنى بمفردات كثيرة، منها: البيت، الأهل، المدام، الزوجة، أم الأولاد، حتى صار الأمر يدخل في الطرفة فيقول: الحكومة، والسلطة، وغيرها مما يرونه أهون من التصريح باسم أم العيال.

ولا ندعي التعميم لكنها حاصلة في كثير من المجتمعات والمناطق، والعجيب أن هذه ظاهرة في المدن أكثر منها في حياة البادية والأرياف. ويبدو لي أنها حاليا أخفّ من ذي قبل، ولعلها تتلاشى ويعود للمرأة اسمها مع أم العيال.

٣-٣-٢ نموذج من العادات الكلامية الفردية.

نختم هذا العمل بنموذج من العادات الكلامية الفردية، وقد وقع اختيارنا على لقاء بودكاست فنجان (إذاعة ثمانية) مع المدرب ياسر الحزيمي بعنوان: كيف تنجح العلاقات؛ كونه من المقابلات التي لقت تفاعلًا وقبولًا واستحسانًا، وحصدت ملايين المشاهدات، ففي اليوتيوب وصلت مشاهدات الحلقة إلى أكثر من (١٣٣) مليون مشاهدة، (حتى ١-١-٢٠٢٥)، فضلًا عن المقتطفات والمقاطع الجزئية والقصيرة في اليوتيوب والمنصات الأخرى. وسأعرض هنا للتمثيل فقط، وصفًا عامًا وملامسة تحليلية عاجلة، والحلقة تستحق أن تفرد بتحليل لساني للمقدم والضيف ضمن مقاربات تحليل المحادثة، وغيرها من المقاربات. وربما أفعل في المستقبل!

لغة الضيف: هي ما تعرف بالبيضاء لا إعراب فيها، مفرداته عامّة معروفة ومفهومة لمتحدثي العربية بغض النظر عن لهجاتهم، وهذا لا يعني عدم ظهور لهجته في اللكنة، وفي عدد من مفردات لهجته، لكنها معروفة ليست من الغريب أو الخاص، يقول مثلا: شوف، مو بزين، ليش، شوي، يمون عليه، يشيله، يحوسه، يزعل، يطقطق عل كرشتي. ويطرد لديه تسهيل الهمز؛ وهي ظاهرة في لغة قريش وفي لهجات اليوم: حد بدلا من أحد، جونا ضيوف وليس جاءنا، شريت وليس اشتريت. تراكيبة عربية لا هجين فيها، ومفرداته كذلك إلا من بعض كلمات، مثل: بكج package، ستل still.

كان ينادي مقدم البودكاست عبد الرحمن أبو مالح بـ: عبد الرحمن، يا أخي، يا بو عمر، (هي يا أبا لكننا في اللهجات نستعملها بصورة واحدة بالواو فنقول: يا أبو وقد تحذف الهمزة نطقًا).

وفي موضوع الحلقة كيف تنجح العلاقات تستوقفك ظاهرة لنسميها ثنائيات الحزيمي، وهذا بعض مما جاء منها:

وفي الختام لعله من الجدير الإشارة إلى نص لابن تيمية استعمل فيه (عادات)، وهو يتحدث عن ممارسات خاصّة بالفرد يبنى عليها فهم كلامه وأن من المهم والواجب: "أنّ يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض، ويؤخذ كلامه ههنا وههنا ، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به، وتعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضع آخر ، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه كان هذا مما يستعان معرفة مراده، وأما إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك اللفظ يجعل كلامه متناقضًا، ويترك كلامه على ما يناسب سائر كلامه، كان ذلك تحريفا لكلامه عن موضعه وتبديلا لمقاصده وكذبًا عليه" فاللافت فيه استعماله مفردة (عادته) وتنبيهه إلى ارتباط المعنى بعادات المتكلم التي تكشف عن مراده، وأنه لا ينبغي تأويل المعنى بعيدًا عن المتكلم نفسه وما جرى عليه في استعماله الفردي وما عرف عنه[٣١].

خاتمة:

وقف هذا العمل على اللغة اليومية وما يكمن خلفها من مبادئ وعادات وظواهر، وأكد أن فهم الممارسة اليومية والوعي بها مهم في الحياة العملية والعلمية. ومن أبرز النتائج والنقاط:

- يحدد المتكلم شفرة تواصله بما يتوافق مع البيئة اللغوية والمقام، ويتنوع الأداء الكلامي بين اللغة الرسمية واللهجة المحلية أو بهما، وهو الحاصل اليوم في كثير من الأحياز والأحيان.

(٣١) ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،١٩٩٥م)، ٦/ ٣٦٥

- اللغة الوسطى أو البيضاء تعدّ سمّة التواصل العام والرسمي اليوم، وهي بين الفصحى الجزلة واللهجة، فلا هي معربة تحقق المرفوع والمنصوب والأسماء المجرورة، ولا تطغى عليها العامّية ولا المفردات الخاصّة.
- تعدّ ظاهرة الهجين من الإشكالات والمزالق في استعمال اليوم، وقد شاعت بين متكلمي اللغة العربية الذين يخلطون حديثهم اليومي بمفردات وعبارات من لغات أخرى، ولا سيما الإنجليزية، دونما حاجة. وهي لا شك ممارسة لغوية غير منصفة للغتنا، نرجو ألا تفرض واقعًا ستتلقاه الأجيال القادمة على أنه لغتها، ونخشى أن تحدث قطيعة بينهم ولغتهم العربية لغة القرآن الكريم.
- خطاب اليوم هو خطاب متعدد الوسائط، وأينما يممنا وجوهنا نجد الصور والمقاطع والأيقونات والشعارات والعلامات التجارية والهاشتاقات.
- تجمع العملية اللغوية بين ممارسات ذهنية داخلية، وممارسات كلامية خارجية، وعادات كلامية خاصّة.
- من مبادئ العادات الكلامية: أن المتكلم ينطلق من المخزون الشخصي وخبراته وتجاربه، ويعتمد على الخلفيات الاجتماعية والقواسم المشتركة، وتظهر في اختيارات المتكلم الإيدلوجيا الشخصية والجمعية، فالمتكلمون يتكئون على افتراضات ومعارف وتجارب سابقة، ويعتمد الاستلزامات التخاطبية والتليمحات والأساليب غير المباشرة، ويباشر آليات التصنيف والتجسيد والمزج ويرسم خطاطات ذهنية لأنشطته مادية أو معنوية.
- المعجم الشخصي واختيارات المتكلم كاشفة عن مكامن شخصية وفكرية وثقافية، وهو مكتنز بالإيدلوجيا سواء أكانت شخصيّة أم جمعيّة.
- من ظواهر الحفاظ على نجاح التواصل وسيرورته.
- يوظف أطراف التواصل الافتراضات السابقة والقواسم المشتركة للحصول على تواصل ناجح ومثمر.
- من عمليات اعتماد المتكلم على الافتراضات السابقة الحذف؛ اعتمادا على ما سبق ذكره في الحوار أو في الحياة الفعلية ومواقف سابقة أو في الموقف ذاته، والاختصارات التي عادة ما تكثر الجمل الناقصة والإجابات بكلمات مفردة أو حتى بالإيماء ولغة الجسد. دون إخلال بالمعنى أو تشتت عن الغرض.
- المتكلم في كثير من المواقف يذهب إلى الإضافة والجديد ويتجاوز المسلمات.
- هناك مواقف تتطلب من المتكلم الإعادة والإسهاب والتوكيد وتكثيف الفكرة والمفردات وتكرارها وإعادة المسلمات والمنطلقات والحيثيات والأفكار المشتركة.
- يتكئ المتكلم على الخلفيات الاجتماعية والقواسم المشتركة، فإن هذه القواسم نفسها يعتمد عليها الطرف المستقبل وتساعده في التأويل والتفسير والفهم.
- واحدة من الأمور التي يمارسها الفرد أثناء المحادثات اليومية الطبيعية هي عنايته بسيرورة التواصل وانتظامه وعدم تعثره.
- عادة ما يكون النداء في معظم البلاد العربية بالاسم الأول للشخص، لا اسم العائلة. إضافة إلى أن النداء بالكنية رائج في كثير من البلاد العربية.

- عادة ما يراعي المتكلم العربي المسافة الاجتماعية، وهي تعتمد على العلاقات بين المتكلمين ببعضهم ونوعها؛ وتتوقف على درجة القرب أو البعد بين أطراف التواصل وعلى مقامات التواصل وظروفها.

التوصيات:

- نوصي بالالتفات للخطابات اليومية وتأملها والعناية بصورها وظواهرها.
- العناية بالمنطوق كونه أكثر استعمالا في التواصل اليومي. وكذلك العناية بالبرامج الحوارية، وعمليات أدوار الكلام.
- الوسائط تشكل المشهد التواصلي المعاصر الذي سمته تعدد الوسائط، ولا بد من تحديث أدواتنا البحثية لتواكب المستجدات والعناية بالوسائط وما تنتجه من معان.
- العمل على توعية أبناء العربية بخطورة الهجين، وأنها ممارسة لغوية غير منصفة للغتنا، ولا تستحقها العربية من أبنائها. والواقع اليوم يؤكد خطورة هذه الممارسة؛ فقد هجرت تراكيب عربية أصيلة، وبات العربي يتكلم بالمفردات الأجنبية ويحلها محل لغته العربية دون حاجة.

المراجع:

المراجع العربية:

استيتيه، سمير شريف، *اللسانيات الوظيفة والمجال والمنهج*، ط٢، إربد: عالم الكتاب الحديث، ٢٠٠٨م.

باتريك شارودو، ودومينيك منغو: *معجم تحليل الخطاب*، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، تونس: دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م.

بالتريدج، براين، *تحليل الخطاب*، ترجمة: عبد الرحمن الفهد. ط١، الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٨م.

براون، ويول، جورج. *تحليل الخطاب*. ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م.

بلخير، عمر، *تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية*، الجزائر، منشورات الاختلاف، ٢٠٠٣م.

ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،١٩٩٥م.

الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، القاهرة، دار الخانجي، ١٩٩٢م.

جروجون فرانسوا، *ثنائيو اللغة*، ترجمة: زينب عاطف، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي. ٢٠١٧م.

جوناتان، كلر، *مطاردة العلامات، علم العلامات والآداب والتفكيك*. ط١، ترجمة: خيري دومة، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٨م.

خرما، نايف، *أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة*، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، عالم المعرفة، ١٩٧٨م.

الدبابسة، فتحية محمد، *نهاد الموسى وجهوده اللغوية*، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، ٢٠١١م

دمياطي، محمد عفيف الدين، *مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي*، ط٢، إندونيسيا، مكتبة لسان عربي، ٢٠١٧م.

شومان، محمد، *التحليل النقدي للخطاب من اللغويات إلى الوسائط المتعددة*، ط١، القاهرة: دار المعارف، ٢٠٢٣م.

القاسمي، علي. *التداخل اللغوي والتحول اللغوي، مجلة الممارسات اللغوية*، ع١، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٠م.

القبيلي، ذكرى يحيى، الخطاب الجدلي لجائحة كورونا في ضوء التحليل النقدي لخطاب تعدد الوسائط. *مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية- جامعة الأميرة نورة*، مجلد ٧، عدد:٢، ٢٠٢٢م:
https://www.pnu.edu.sa/ar/ViceRectorates/VGS/ShariahArabic/MagazineResearch/Documents/seasone14/12.pdf

القلفاط، المنجي، *النص والخطاب في المباحث العرفانية*. عمان، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٨م.

ميشال، زكريا، *قضايا ألسنية تطبيقية*، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.

هدسون، *علم اللغة الاجتماعي*، ترجمة: د. محمود عياد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

يول، جورج، *التداولية*، ترجمة: قصي العتابي، ط١، الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م.

المراجع الأجنبية:

Ajibade Adetunji Christ (2017) Socio Linguistic Study of Code-switching among Yoruba Users of English Language in South Western Nigerian, International Journal of Advanced Academic Research/Arts, Humanities&Education, vol.3, issue 9 September.

Alrasheed Samaher H. (2022) Code- Switching between Arabic and English as a Communicative Strategy among Preschool Bilingual Saudi Children, International Journal of English Linguistic, vol.12, no 6, published by Center of Science and Education.

Essien Okon (1995) cited in Ajibade Adetunji Christ.

Matthiessen, Christian M.I. M. (2007). The Multimodal Page: A Systemic Functional Exploration. Royce, Terry D.; Bowcher, Wendy (Eds). New Directions in the Analysis of Multimodal Discourse. New Jersey, London, Lawrence Erlbaum Associates Publishers, 2.

Grice Paul (1989) Studies in the Way of Words, Language Teaching and Research Press.

Omar Ghonim, Amira. (2021). A Multimodal Critical Discourse Analysis of the 2018 Utah Senate Mid-term Election Debate, 23.

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ١٩٧-٢٢٢، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)

Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 197-222, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

فاعليَّة العلاج بالمعنى وأثره في تطوير الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة

خلود بنت برجس العبدالكريم

أستاذ الخدمة الاجتماعية المشارك، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، السعودية.

(قدم للنشر في ١٠/ ٩/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ١١/ ١٠/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-11

الكلمات المفتاحية: العلاج بالمعنى، الخدمة الاجتماعيَّة، التدخُّل العلاجي، الأخصائيين الاجتماعيين.

ملخص البحث: يُعَدّ العلاجُ بالمعنى أحدَ الأساليب العلاجيَّة الحديثة التي تُسهِم في تطوير الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة لتعزيز جودة الحياة لدى المُستفِيدينَ، وتهدف الدراسة الحاليَّة إلى تحليل نموذج العلاج بالمعنى، وبيان أُسُسه وفنياته، والتفريق بينَه وبينَ العلاج السردي، مع تسليط الضوء على إمكانيات تطبيقه في مجال الخدمة الاجتماعيَّة، واعتمدت الباحثة على المنهج الوثائقي؛ حيث تم تحليل الأدبيات والدراسات السابقة ذات الصلة لاستخلاص المفاهيم والتطبيقات العَمليَّة؛ ليضيف البحثُ في الختام رؤيةً تحليليَّةً لكيفية دمج العلاج بالمعنى في ممارَسات الأخصائيين الاجتماعيين، مما يُشكِّل خطوةً للأمام نحو تحديث إستراتيجيات التدخُّل في مجال الخدمة الاجتماعيَّة.

The Effectiveness of Meaning Therapy and Its Impact on the Development of Professional Social Work Practice

Khulud Burjas Al-Abdulkareem

Associate Professor of Social Work, Department of Social Studies, College of Humanities and Social Sciences, King Saud University, Saudi Arabia.

(Received: 10/ 9/1446 H, Accepted for publication 11/ 10/1446 H)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-11

Keywords: Logotherapy, Social Work, Therapeutic Intervention, Social Workers.

Abstract. Logotherapy is considered one of the modern therapeutic approaches that contribute to the development of professional practice in social work to enhance the quality of life for beneficiaries. The current study aims to analyze the logotherapy model, clarify its foundations and techniques, distinguish it from narrative therapy, and highlight its applicability in the field of social work. The researcher adopted a documentary approach, analyzing relevant literature and previous studies to extract concepts and practical applications. Ultimately, the study offers an analytical perspective on how to integrate logotherapy into social work practices, representing a step forward in updating intervention strategies within the field.

مقدمة:

شهدت الخدمة الاجتماعيَّة تطورًا ملحوظًا في مناهجها وأساليبها العلاجية؛ إذ لم تعد تقتصر على تقديم المساعَدة المباشِرة، بل أصبحت تسعى إلى تمكين الأفراد والجماعات من التكيُّف مع التحدِّيات النفسيَّة والاجتماعيَّة وتحقيق التوازن في حياتهم[١][٢]. ومن هذا المنطلَق، برزت الحاجة إلى استكشاف وتوظيف أساليب علاجية حديثة تُواكِب المستجِدَّات الاجتماعيَّة والنفسيَّة، ومنها أسلوب العلاج بالمعنى (Logotherapy) الذي أسَّسَه فيكتور فرانكل، ويقوم هذا الأسلوب العلاجي على افتراض أن البحث عن المعنى يُمثل دافعًا رئيسًا في حياة الإنسان، ويُسهِم في تحسين الصحة النفسيَّة والاجتماعية[٣].

ولقد أثبتت العديد من الدراسات أن العلاج بالمعنى يُعَدّ من الأساليب العلاجية الفعَّالة في تعزيز جودة حياة الأفراد، والتخفيف من معاناتهم النفسيَّة، ولا سيما عند التعامُل مع الفئات التي تواجه أزمات نفسية عميقة؛ مثل: الفَقْد، والإعاقة، أو الأمراض المزمنة[٤][٥].

وأظهرت نتائج دراسة أحمد (٢٠١٨) أن تطبيق برنامج علاجي قائم على العلاج بالمعنى أدَّى إلى تحسُّن ملحوظ في مستوى التوافُق النفسي لدى المعاقينَ حركيًّا، كما بيَّنَت دراسة الخواجة (٢٠٢٣) فاعليتَه في تعزيز التدفُّق النفسي لدى طلاب الجامعات.

ويُعَدّ العلاج بالمعنى ذا أهمية خاصة في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة؛ نظرًا لقدرة هذا الأسلوب العلاجي على تمكين الأخصائيينَ الاجتماعيينَ من مساعَدة العملاء في تجاوُز حالات الإحباط، والفراغ الوجودي، والشعور بانعدام الهدف[٦][٧].

ومن جانب آخَر، فإنَّ دمج أسلوب العلاج بالمعنى في الممارَسة المهنية يُعزز من كفاءة الأساليب العلاجية، ويُساعِد على إحداث تغيير عميق في إدراك العملاء لذواتهم وظروفهم الحياتية.

إن التحدِّيات التي يواجهها الأخصائيون الاجتماعيون، مثل: ضغوط العمل، وتعقيد المشكلات الاجتماعيَّة، تفرض الحاجةَ إلى أدوات وأساليب فعَّالة تساعدهم على تقديم خدمات مهنية متكاملة، تستند إلى أحدث ما توصلَتْ إليه العلوم النفسيَّة والاجتماعية[٨][٩].

وفي ظل ذلك، تُسلِّطُ هذه الدراسةُ الضوءَ على أثر توظيف العلاج بالمعنى في تطوير الممارَسة المهنية للخدمة الاجتماعيَّة، وتسعى إلى سد فجوة بحثية تتمثَّل في قلة الدراسات التي تربط بين هذا الأسلوب العلاجي والنسيج الاجتماعيّ في البيئة العربية تحديدًا[١٠][١١].

---

(١) سعيد السكري. "فعالية برامج الخدمة الاجتماعية في تحسين الأداء المهني: دراسة تطبيقية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٨ (٨)، ٢٠٠٠.

(٢) حسين سليمان، وآخرون. "*الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الجماعة والمؤسسة والمجتمع*". ط١، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

(3) Frankl, V. E. *Psychotherapy and existentialism.* Washington Square Press, 1967.

(4) Hutzell, R. R. *An Introduction to Logo Therapy In*, 1990.

(5) Pargament, K. I. *Spiritually integrated psychotherapy: Understanding and addressing the sacred*. Guilford Press, 2017.

(6) Yalom, I. D. *Existential psychotherapy*. Basic Books, 1980.

(٧) أحمد محمود حسن. "ممارَسة العلاج بالمعنى في خدمة الفرد لتحسين معنى الحياة لدى المراهقين نزلاء المؤسَّسات الإيوائيَّة". *مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعيَّة والعلوم الإنسانيَّة*، ٣ (٥١)، ٦١٩، ٢٠٢٠.

(٨) دخيل الدخيل. "اتجاهات الأخصائيين الاجتماعيين نحو تطوير الأداء المهني في المؤسسات الصحية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٦ (٥)، ٢٠٠٦.

(9) Wallace Chi Ho Chan. *Applying Logotherapy in Teaching Meaning in Life in Professional Training and Social Work Education*, 2023.

(١٠) نهى الناجم. "معوقات تطبيق الممارسات المهنية في مؤسسات الخدمة الاجتماعية: دراسة ميدانية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٩ (٢)، ٢٠٠٩.

(١١) محمد عبدالرحمن. "فاعليَّة برنامج قائم على العلاج بالمعنى لتحسين الهدف من الحياة لدى مجموعة من المراهقين الصُّمّ". *جامعة الأزهر*. مج

وتنطلق هذه الدراسة من قناعة بأن العمل الاجتماعيّ، كونه مهنة قائمة على مساعدة الأفراد في تحقيق التوازن النفسي والاجتماعيّ، فإنَّه يتطلب الاستفادةَ من الأساليب العلاجية التي تُعزز من فاعلية الأخصائيين الاجتماعيين وقدرتهم على الاستجابة للاحتياجات المتزايدة والمتجددة للمجتمع[١٢][١٣].

أولًا: مشكلة الدراسة:

تُعَدّ الخدمة الاجتماعيَّة من المهن الأساسيَّة التي تعمل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات بهدف مواجَهة المشكلات، وإشباع الاحتياجات الإنسانيَّة، وتحقيق الرفاهية الاجتماعيَّة والتوافق لهم من خلال إحداث التغييرات المرغوبة بهدف تحقيق النمو المتبادَل بين الأفراد وبيئاتهم[١٤].

وتسعى الخدمة الاجتماعيَّة إلى تطوير أساليبها وتقنياتها للارتقاء بالممارَسة المهنيَّة، وتبنِّي كل ما من شأنه أن يُقدم ممارسة على درجة عالية من المهنيَّة، ولعل من أساسيات نجاح الأخصائي الاجتماعيّ مواكبته لكل جديد، واكتسابه للمعارف والأدوات المتجددة في تقديم الخدمات الاجتماعيَّة وقدرته في توظيف وتطبيق هذه الأساليب في التعامُل مع متلقِّي الخدمة الاجتماعيَّة، والقدرة على توظيف ذلك كله في التعامُل مع العملاء المُستفِيدينَ من الخدمات الاجتماعيَّة[١٥].

وتتعامل الخدمة الاجتماعيَّة مع المشكلات الفرديَّة المختلفة من خلال نظريات ونماذج علاجيَّة متعددة، ويُعَدّ العلاج بالمعنى أحد هذه الأساليب العلاجيَّة، ويُسهِم في تحقيق المعنى الإيجابي للحياة لدى الأفراد بوصفه أحد النماذج العلاجيَّة للتعامل مع المشكلات الناجمة عن أسباب اجتماعيَّة ونفسيَّة[١٦].

ويُعَدّ العلاج بالمعنى أحد المداخل العلاجيَّة التي تقوم على تقديم المساعَدة من خلال خَلْق المعنى، وتم تطويره على يد الطبيب النفسيّ النمساوي فيكتور إيميل فرانكل؛ حيث قام بتطوير الأُطُر الأساسيَّة لنظرية العلاج بالمعنى بوصفه الدافع الجوهري والأساسي للإنسان، ويركز هذا العلاج حول بحث الإنسان عن المعنى في حياته[١٧].

واهتم الباحثون باستخدام وتطبيق العلاج بالمعنى في العديد من المجالات والتخصصات، وقد أظهرت نتائج العديد من الدراسات فاعليَّة العلاج بالمعنى في مجالات متعددة، ومن أبرزها ما توصلت إليه نتائج دراسة أحمد (٢٠١٩) بوجود تحسُّن في مستوى التوافُق النفسيّ لدى المعاقين حركيًّا المُشارِكينَ في الدراسة بفعل استخدام العلاج بالمعنى، وتُشِير نتائجُ دراسة الخواجة (٢٠٢٣)، إلى فاعليَّة التدريب على برنامج العلاج بالمعنى في تعزيز وتحسين مستوى التدفُّق النفسيّ عند مجموعة التجريب التي تلقَّت التدريب، وخلصت الدراسة إلى التوصية بتدريب طلاب الجامعات على العلاج بالمعنى أثناء الدراسة؛ لِمَا له من أهميَّة في تنمية وتحسين جوانب الشخصيَّة المختلفة عند الطلاب، ويشير حسن (٢٠٢٠) إلى أن برنامج العلاج بالمعنى في خدمة الفرد أكثر فاعليَّةً في تحسين معنى الحياة لدى المراهقين من نزلاء المؤسَّسات الإيوائية، وتُشِير نتائجُ دراسة (Tugba seda colak & Mustafa Koc, 2020) إلى فاعليَّة العلاج بالمعنى في

٣٥، ٢٠١٦.

(12) Putriana, L. *Social work practices in contemporary society*. Routledge, 2024.

(١٣) سناء حسين خلف. "أثَر برنامج إرشادي قائم على العلاج بالمعنى في تنمية الوفاء الوجودي لدى طالبات الجامعة". *مجلة الفتح للبحوث التربويَّة والنفسيَّة*، ٤ (٢٧)، ٢٠٢٣.

(١٤) حسن. *مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعيَّة والعلوم الإنسانيَّة*، ٣ (٥١).

(١٥) خلود العبدالكريم. "إدارة الحالة في تقديم الخدمات الاجتماعيَّة بمؤسسات الرعاية الاجتماعيَّة بالمجتمع السعودي". *مجلة شؤون اجتماعيَّة*، ع ١٤٥، ٢٠٢٠.

(١٦) حسن. *مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعيَّة والعلوم الإنسانيَّة*، ٣ (٥١).

(١٧) منى بركة البخيت. (٢٠٢٠): "الإرشاد النفسيّ بالمعنى مدخلًا للتخفيف من الاحتراق النفسيّ وتنمية الكفاءة الذاتيَّة لدى معلِّمات التربية الخاصَّة والمدربات في مجال الصحة النفسيَّة". *مجلة الدراسات التربويَّة والإنسانيَّة*، كلية التربية – جامعة دمنهور، ١٢ (٢)، ٢٣١-٢٨٥.

تعزيز التسامُح.

وعلى الرغم من النتائج الإيجابيَّة لممارَسة العلاج بالمعنى، لكن بمراجَعة الأدبيات السابقة، بالإضافة إلى مجال الممارَسة المهنيَّة والأكاديميَّة للباحثة لاحظت قِلَّة استخدام وتطبيق الباحثين والممارسين للعلاج بالمعنى في الخدمة الاجتماعيَّة، وفي هذا الشأن تشير دراسة الناجم (٢٠٠٩) إلى أن هناك حاجة ماسَّة لتطوير الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة وتطبيق الممارِسينَ للمستجِدَّات المهنيَّة؛ ممَّا يؤكِّد أهميَّة موضوع الدراسة الراهنة[١٨].

وانطلاقًا ممَّا سبَق عرضه، تتحدد مشكلة الدراسة الحاليَّة في تناوُل العلاج بالمعنى بوصفه أحد النماذج العلاجيَّة الفعَّالة، الذي يمكن توظيفه ضمنَ الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة بهدف رفع جودة الخدمات المقدَّمة للعملاء وتعزيز كفاءة الأخصائيين الاجتماعيين في تحسين جودة حياتهم.

وانطلاقًا من هذا الطرح، تتبلور مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي: ما مدى فاعلية توظيف العلاج بالمعنى في تطوير الممارَسة المهنية في الخدمة الاجتماعيَّة؟

ثانيًا: أهميَّة الدراسة:

١- الأهمية النظرية:

- تُسهم الدراسة في إثراء الإطار النظريّ بتوظيف أسلوب العلاج بالمعنى ضمن نماذج التدخل المهني في الخدمة الاجتماعيَّة.
- تُسهم الدراسة في معالجَة القصور في الأدبيات العربية المتعلِّقة بتوظيف أسلوب العلاج بالمعنى في الممارَسة المهنية للخدمة الاجتماعيَّة.
- توفر الدراسةُ قاعدةً معرفيةً للباحثينَ لإجراء دراسات مستقبلية تتناول أثر توظيف أسلوب العلاج بالمعنى في تحسين الأداء المهني للأخصائيين الاجتماعيين.
- تُعزِّز الدراسةُ مفاهيمَ "البحث عن المعنى"، و"تحقيق التوازن النفسي والاجتماعيّ" بوصفها مرتكزات أساسية لنجاح التدخلات المهنية في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة.

٢- الأهمية التطبيقيَّة:

- تزوّد الدراسة الأخصائيين الاجتماعيين بآليات واستراتيجيات عملية لتوظيف أسلوب العلاج بالمعنى داخل المؤسَّسات الاجتماعيَّة.
- تُساعد الدراسة في تحسين كفاءة الأخصائيين الاجتماعيين في التعامُل مع المشكلات النفسيَّة والاجتماعية المرتبطة بفقدان الهدف من الحياة أو الإحباط أو الفقد.
- تُعزز الدراسة جودة التدخلات المهنية المقدَّمة للعملاء من خلال توظيف العلاج بالمعنى بوصفه أسلوبًا علاجيًّا فعَّالًا.
- تُسهم الدراسةُ في تطوير الأداء المهني داخل المؤسَّسات الاجتماعيَّة، من خلال تحسين مهارات الأخصائيين في التعامُل مع العملاء بطُرُق أكثر عمقًا وفاعليةً.

ثالثًا: أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسةُ لتحقيق الهدف الرئيس الآتي:

مدى فاعلية توظيف العلاج بالمعنى في تطوير الممارَسة المهنية في الخدمة الاجتماعيَّة.

ويندرج تحت هذا الهدف الرئيس، الأهداف الفرعية الآتية:

١. تحديد العوامل التي تُعيق تبنِّي العلاج بالمعنى في المؤسَّسات الاجتماعيَّة.
٢. تحليل التحدِّيات التي تواجه الأخصائيين الاجتماعيين في تطبيقه داخل بيئات العمل

(١٨) العبدالكريم. *مجلة شؤون اجتماعيَّة*، ١٣.

المختلفة.

٣. تصميم إطار عمليّ لتطبيق العلاج بالمعنى في الخدمة الاجتماعيَّة، بما يتوافق مع احتياجات العملاء ومتطلَّبات الممارَسة المهنية للأخصائيين الاجتماعيين.

٤. تقديم توصيات علميَّة لتأهيل الأخصائيين الاجتماعيين وتدريبهم على توظيف العلاج بالمعنى بهدف رفع كفاءتهم وتعزيز جودة الأداء المهني.

رابعًا: تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسةُ للإجابة عن التساؤل الرئيس:

ما مدى فاعلية توظيف العلاج بالمعنى في تطوير الممارَسة المهنية في الخدمة الاجتماعيَّة؟

ويندرج من هذا التساؤل عددٌ من التساؤلات الفرعية؛ وهي:

١. ما العوامل التي تُعيق تبني العلاج بالمعنى في المؤسَّسات الاجتماعيَّة من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين؟

٢. ما التحدِّيات التي تواجه الأخصائيين الاجتماعيين في تطبيق العلاج بالمعنى داخلَ بيئات العمل المختلفة؟

٣. كيف يمكن تصميم إطار عمليّ لتطبيق العلاج بالمعنى يتناسب مع احتياجات العملاء ومتطلَّبات الممارَسة المهنية في الخدمة الاجتماعيَّة؟

خامسًا: مفاهيم الدراسة:

•مفهوم الفاعليَّة :(Effectiveness)

لغةً: الفاعلية مأخوذة من "فَعَلَ"، أي الإنجاز وتحقيق الأثر أو النتيجة[١٩].

اصطلاحًا: الفاعلية تعني تحقيق الأهداف المرجُوَّة في سياق محدَّد مع الكفاءة في استخدام الموارد للوصول إلى النتائج[٢٠].

الفاعليَّة هي مدى تحقيق الأهداف المرجُوَّة في مرحلة معينة من البرنامج أو المشروع، مع مراعاة الجوانب الإيجابيَّة والسلبيَّة الناتجة عن الإنجاز، وتُقاس من خلال البيانات الكَمِّيَّة والوصفيَّة التي يتم جمعُها وتقييمُها وَفق معايير الممارَسة المهنيَّة المتعارَف عليها[٢١]. وتُعرَّف الفاعليَّة بأنَّها تحقيق نتائج مخطَّط لها ومرغوب فيها بكفاءة وبتكلفة معقولة؛ ممَّا يُسهِم في إحداث التغيير المستهدَف[٢٢].

وفي الخدمة الاجتماعيَّة، يشير الدخيل (٢٠٠٦) إلى أن الفاعليَّة تعني تحقيق هدف مقرَّر سابقًا ومدى صلاحية واستخدام العناصر المختلفة للوصول إلى النتائج المطلوبة، بحيث تُفهم الفاعليَّة كعلاقة بين العناصر وليس مجرد كَمِّيّتها وربطها بالعائد المحقَّق.

وتُعرَّف الفاعليَّة في هذه الدراسة: بأنَّها مدى تحقيق أسلوب العلاج بالمعنى للأهداف المخطَّط لها في تطوير الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة؛ وذلك من خلال تقييم التغييرات الإيجابيَّة في مهارات الأخصائيين الاجتماعيين وكفاءة الممارَسات المهنيَّة المقدَّمة للعملاء، استنادًا إلى معايير الأداء والنتائج المتحققة في الممارَسة المهنيَّة.

---

(١٩) محمد ابن منظور. *"لسان العرب"* (تحقيق عبدالله الكبير). الطبعة الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٣.

(٢٠) محمد قنديل. "مدى تأثير الأساليب الحديثة في الخدمة الاجتماعية: دراسة ميدانية على واقع الممارسة المهنية في السعودية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٨ (٨)، ٢٠٠٨.

(٢١) السكري، *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٨ (٨).

(٢٢) قنديل. *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٨ (٨).

•مفهوم العلاج بالمعنى (The Concept of Logotherapy):

لغةً: العلاج مشتقّ من "عَلَجَ"، أي معالجة الأمر أو دفع الداء، و"المعنى" مأخوذ من "عني"، أي قصد وأراد، والمعنى هو ما يدل عليه اللفظ أو يُفهم منه[٢٣] .

اصطلاحًا: هو أسلوب علاجيّ وجوديّ يساعد الأفرادَ على اكتشاف معنى الحياة، خصوصًا في ظل الأزمات، ويُعد إرادة المعنى دافعًا رئيسًا لحياة الإنسان[٢٤].

يشير كورسيني Corsini (١٩٩٤)، إلى أن الكلمة اليونانية (Logos) تعني "المعنى(Meaning)"، ويُعرَّف العلاج بالمعنى بأنَّه: أسلوب علاجيّ يركز على إيجاد المعنى في حياة الإنسان، ولا سيما في مواجَهة فِقدانه أو غيابه، ويضيف هاتزل Hutzell (١٩٩٠) أن هذا النوع من العلاج يعالج رحلة الإنسان في البحث عن المعنى وإيجاده في حياته.

ويُعَدّ العلاج بالمعنى أحد الاتجاهات الحديثة في العلاج النفسيّ، وينتمي إلى المدرسة الإنسانيَّة في علم النفس؛ حيث يقوم على فكرة أن الإنسان -بطبيعته- مدفوع لفعل الخير، ولديه دافع للنمو، والارتقاء، والإبداع، وتحقيق الذات[٢٥].

ويمكن تعريف العلاج بالمعنى بأنَّه: أسلوب علاجيّ قائم على مساعَدة الأفراد في العثور على معنى لحياتهم، لكنه ليس علاجًا عامًّا لكل الأمراض، بل يكون فعَّالًا في بعض الحالات، بينما قد لا يكون مناسبًا لحالات أخرى[٢٦].

أمَّا منصور فقد عرَّف العلاج بالمعنى بأنَّه: أسلوب علاجيّ يركز على دافع أساسي يشكل جوهر حياة الإنسان من منظور فرانكل، وهو إرادة المعنى (Will to Meaning)؛ حيث يتمحور هذا الدافعُ حولَ البحث عن معنى الحياة والوجود، ويشعر الفرد بالتوتر والاضطراب عندما يواجه فجوة بين الشعور بالخواء الذي يعيشه وبين الحياة التي يجب أن يعيشها عندما يحدد معنى واضحًا لحياته، وهو الأمر الذي ينعكس على جميع أنشطته وسلوكياته[٢٧].

وفي السياق ذاته، يؤكد الدعدي وآخرون[٢٨] أن معنى الحياة يُعد عنصرًا جوهريًّا يساعد الإنسانَ على البقاء حتى في أصعب الظروف؛ ممَّا يُمكِّنه من تجاوُز ذاته والتعامل بإيجابية مع الحياة.

وتُعرِّف الباحثةُ العلاج بالمعنى في الممارَسة المهنيَّة بأنَّه: أحد الأساليب العلاجيَّة التي يستخدمها الأخصائي الاجتماعيّ لمساعَدة العملاء على اكتشاف المعنى في حياتهم، وإعادة تفسير تجاربهم بطريقة إيجابيَّة؛ ممَّا يعزِّز قدرتهم على تحمُّل الضغوط، وتحقيق التكيُّف النفسيّ والاجتماعيّ، وإيجاد أهداف ذات قيمة تُمكّنهم من العيش برضا وتوازُن.

•مفهوم التدخُّل العلاجي في الممارَسة المهنيَّة (The concept of therapeutic intervention in professional practice).

لغةً: التدخل مأخوذ من "دخل"، أي ولج أو شارك في أمر ما، والعلاج هو إزالة العلَّة أو تحسين الوضع الصحي أو النفسي[٢٩].

اصطلاحًا: هو مجموعة من الخطط المهنية التي يتبعها الأخصائيون لمساعَدة الأفراد في التغلب على المشكلات النفسيَّة والاجتماعية من خلال استراتيجيات علاجية ممنهَجة[٣٠].

---

(٢٣) مجمع اللغة العربية. *"المعجم الوسيط"* . القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤.

(24) Frankl, *Psychotherapy and existentialism*, 1967.

(٢٥) علي عبيد. "أثر التطوير المهني على جودة الخدمة الاجتماعية في المؤسسات الصحية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٣٥ (٤)، ٢٠١٧.

(٢٦) فيكتور إيميل فرانكل. *"إرادة المعنى - أُسُس وتطبيقات العلاج بالمعنى"*، دار زهراء الشرق، ١٩٤٦.

(٢٧) رشدي منصور. *علم النفس العلاجي والوقائي*، ١٣٠.

(٢٨) أثير الدعدي؛ خديجة الطويلمي."الانتحار في ضوء العلاج بالمعنى في الخدمة الاجتماعيَّة". *مجلة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة*، ٦ (١٥)، (٢٠٢٢).

(٢٩) ابن منظور، *"لسان العرب"* ، ٢٠٠٣.

(٣٠) الدخيل، *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٦ (٥).

يُعرَّف التدخُّل العلاجي في الخدمة الاجتماعيَّة بأنَّه مجموعة من الأساليب والاستراتيجيات المهنيَّة التي يستخدمها الأخصائي الاجتماعيّ لمساعَدة الأفراد على التعامُل مع المشكلات النفسيَّة والاجتماعيَّة باستراتيجيات علاجيَّة تهدف إلى تحسين مستوى الأداء الاجتماعيّ والنفسيّ لديهم[٣١]. ويرتكز هذا التدخُّل على نماذج ونظريات علاجيَّة مختلفة، مثل: العلاج المعرفيّ السلوكيّ، والعلاج السرديّ، والعلاج بالمعنى؛ حيث يُستخدَم كلُّ نموذج وَفق طبيعة المشكلة التي يواجهها المستفيد[٣٢].

وتُعرِّف الباحثةُ التدخُّل العلاجي في الممارَسة المهنيَّة بأنَّه: مجموعة من الأساليب والاستراتيجيات المهنيَّة التي يُوظِّفُها الأخصائي الاجتماعيّ بهدف مساعَدة العملاء في مواجَهة المشكلات النفسيَّة والاجتماعيَّة، بمساعَدة مهنيَّة تُسهِم في تحسين تكيُّفهم، وتُعزِّز الصحة النفسيَّة، وتُحسِّن جودةَ حياتهم.

•مفهوم الممارَسة المهنيَّة في الخدمة الاجتماعيَّة: (Professional Practice in Social Work)

لغةً: الممارَسة تعني التطبيق والتفعيل، و"المهنية" مشتقَّة من المهنة أي الحرفة أو العمل المتخصص الذي يقوم به الفرد وفقَ ضوابط وقواعد محدَّدة [٣٣].

اصطلاحًا: تشير إلى استخدام الأخصائي الاجتماعيّ للمعرفة والمهارات والقِيَم المهنية لمساعَدة الأفراد والجماعات والمجتمعات على تحقيق التكيُّف وحل المشكلات[٣٤].

تشير الممارَسة المهنيَّة في الخدمة الاجتماعيَّة إلى التطبيق المنظَّم للمعرفة والمهارات المتخصِّصة في تقديم الخدمات الاجتماعيَّة، بما يتماشى مع القِيَم والمبادئ الأساسيَّة للمهنة[٣٥]. وتُعرَّف بأنَّها: قدرة الأخصائيين الاجتماعيين على التعامُل مع مختلف الأنساق، مثل: الأفراد، والأُسَر، والجماعات الصغيرة، والمنظَّمات، والمجتمعات، بتوظيف إطار نظريّ فعَّال يمكِّنهم من اختيار الأساليب والاستراتيجيات المناسِبة للتدخُّل وَفق طبيعة المشكلات والمستويات التي تعمل عليها هذه الأنساق[٣٦].

وفي هذه الدراسة تُعرَّف الممارَسة المهنيَّة: بأنَّها قدرة الأخصائيين الاجتماعيين على توظيف أسلوب العلاج بالمعنى توظيفًا فعَّالًا في تعامُلِهم مع العملاء، باستخدام أساليب واستراتيجيات مهنيَّة مستنِدة إلى إطار علمي؛ بهدف تحسين جودة الخدمات الاجتماعيَّة المقدَّمة، وتعزيز كفاءة التدخُّلات العلاجيَّة في مواجَهة المشكلات الاجتماعيَّة.

سادسًا: منهج الدراسة:

استخدمت الدراسةُ الحاليةُ المنهجَ الوثائقيَّ، بوصفه أحد المناهج الكيفيَّة، ويُستخدَم فيه الجمع الدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة التي لها عَلاقة بموضوع الدراسة؛ ومِن ثَمَّ تحليل محتواها بهدف الإجابة عن تساؤلات الدراسة.

آلية تطبيق المنهج الوثائقي في الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوثائقي بوصفه إطارًا رئيسًا لتحليل الموضوعات الرئيسة والفرعيَّة المرتبطة بفاعليَّة العلاج بالمعنى في تطوير الممارَسة المهنية للخدمة الاجتماعيَّة. وقد أُستخدم المنهج وفق الخطوات الآتية:

١-تحديد الموضوعات الرئيسة والفرعيَّة: استخدم المنهج بتحديد الموضوعات المركزية التي تشمل: مفهوم العلاج

(31) Greene, R. R. *Human behavior theory and social work practice*. Transaction Publishers. 2017.

(32) Turner, F. J. *Social work treatment: Interlocking theoretical approaches*. Oxford University Press, 2017.

(٣٣) مجمع اللغة العربية. *"المعجم الوسيط"*، ٢٠٠٤.

(٣٤) سليمان، وآخرون. *الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الجماعة والمؤسسة والمجتمع*.

(٣٥) السكري، *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٨ (٨).

(٣٦) سليمان، وآخرون. *الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الجماعة والمؤسسة والمجتمع*.

بالمعنى، أُسُسه النظرية، فنِّيَّاته، وأثرُه على الممارَسة المهنية للخدمة الاجتماعيَّة.

٢-جَمْع الأدبيات العِلميَّة: جُمعت الدراسات السابقة، والكتب المتخصِّصة، والمقالات العِلميَّة ذات الصلة من قواعد بيانات محكمة ومصادر أكاديمية معتمَدة لتغطية الموضوعات المحدَّدة.

٣-تحليل المحتوى: حُللت مضامين الأدبيات المستخلَصة وفق منهجية تحليل المضمون، بتصنيف المعلومات إلى محاور رئيسة وفرعية، مثل: (التحدِّيات المهنية، وفعالية العلاج، تطبيقاته العَمليَّة، والآثار النفسيَّة والاجتماعية).

٤-المقارَنة بين المصادر: قارنَت الدراسة بين نتائج الدراسات المختلفة لإبراز أَوْجُه الاتفاق والاختلاف؛ مما ساعَد على بناء رؤية شاملة عن فعالية العلاج بالمعنى في بيئات العمل الاجتماعيّ.

٥-الاستخلاص والتحليل النظري: اُستخلصت النتائج ورُبطت بالإطار النظريّ للدراسة، مع توضيح كيفية دمج العلاج بالمعنى في الخدمة الاجتماعيَّة بشكل عِلميّ وعَمليّ.

نظرية الدَّوْر:

تُعد نظرية الدَّوْر من النظريات الاجتماعيَّة الأساسية التي تُستخدَم في تحليل التفاعلات بين الأفراد داخل المواقف الاجتماعيَّة والمهنية وتفسيرها، وتفترض النظرية أن لكل فرد دورًا محددًا تحكمه مجموعة من التوقُّعات والمعايير التي تُوجِّه سلوكَ الأفراد داخل المواقف الاجتماعيَّة المختلفة. وفي تخصص الخدمة الاجتماعيَّة، تُسهم هذه النظرية في توضيح دور الأخصائي الاجتماعيّ والعملاء في العَمليَّة المهنية، وكيفية تحقيق التوازن بين الأدوار المختلفة لتحقيق أهداف التدخل العلاجي.

وتُساعد نظريةُ الدَّوْر على تفسير العَلاقات المهنية داخل بيئات المؤسَّسات الاجتماعيَّة، وتُبرز أهمية وضوح الأدوار في تحسين فاعلية الأخصائي الاجتماعيّ وتطوير أدائه، خاصة عند تطبيق الأساليب العلاجية مثل العلاج بالمعنى.

وقد تم توظيف نظرية الدَّوْر في هذه الدراسة لتفسير وتحليل كيفية توظيف العلاج بالمعنى في تطوير الممارَسة المهنية للأخصائيين الاجتماعيين، حيث تُساعد النظريةُ في توضيح الأدوار التي يقوم بها الأخصائي والعميل داخل الموقف المهني، فقد ركزت الدراسة على تحليل العَلاقة المهنية بين الأخصائي الاجتماعيّ والعميل أثناء تطبيق التدخل القائم على العلاج بالمعنى، بتوضيح دور الأخصائي بصفته مسهلًا لعملية البحث عن المعنى ومساعِد للعملاء في اكتشاف أهدافهم ومواجَهة الأزمات النفسيَّة والاجتماعيَّة.

واعتمدت الدراسة على هذه النظرية في تفسير كيفية تعزيز العلاج بالمعنى لقدرة الأخصائي على أداء دوره أداءً أكثر كفاءةً، وذلك بتمكينه من تطبيق استراتيجيات علاجية قائمة على دعم العميل، وتحفيزه لإعادة صياغة معنى لحياته يتجاوز الأزمات التي يعاني منها.

وتستند الدراسة إلى "نظرية الدَّوْر" لفهم ديناميكيات العَلاقة المهنية؛ حيث يُعد وضوح الدور المهني للأخصائي الاجتماعيّ عاملًا مهمًّا في بناء علاقة علاجية فعَّالة مع العميل، الأمر الذي يُسهِم في تحسين نتائج التدخل العلاجي، كذلك تُفسِّر النظرية التحدِّيات التي قد تواجه الأخصائي الاجتماعيّ نتيجة غموض الأدوار أو تضاربها في بيئة العمل، وما قد ينتج عن ذلك من صعوبات في توظيف العلاج بالمعنى بفعالية في الممارَسة المهنية.

وأخيرًا، استخدمت الدراسة النظرية بوصفها منهجًا تفسيريًّا؛ لفَهْم العَلاقة بين الدور المهني للأخصائي الاجتماعيّ والنَّسَق الاجتماعيّ الذي يعمل ضمنَه، وكيف أن العلاج بالمعنى يُساعد الأخصائي في تحقيق التوازن بين أدواره المهنية واحتياجات العملاء في المجتمع المحلي.

أولًا: الدراسات السابقة:

نظرًا لأهمية الدراسات السابقة في تكوين الإطار المعرفيّ لأي دراسات علميَّة ستعرض الباحثة فيما يأتي بعض الدراسات العِلميَّة القريبة من موضوع الدراسة الراهنة وَفق ما يأتي:

-الدراسات المحليَّة:

هدَفَت **دراسة (أحمد، ٢٠١٨)** إلى تحسين التوافُق النفسيّ لدى عينة من المعاقين حركيًّا بجامعة جازان بالمملكة العربيَّة السعوديَّة، وتكوَّنت العينة من (٨) طلاب معاقينَ حركيًّا من الذكور ممَّن اكتسبوا الإعاقة الحركيَّة نتيجة حادث مروريّ، قسَّم الباحث عينته إلى مجموعتين ضابطة وتجريبية، وتوصلت النتائج إلى وجود تحسُّن دالّ إحصائيًّا في مستوى التوافُق النفسيّ لدى المعاقين حركيًّا المُشارِكينَ في الدراسة بفعل استخدام العلاج بالمعنى.

وهدَفَت **دراسة (العسكر، ٢٠١٩)** إلى التعرُّف على فاعليَّة برنامج قائم على الإرشاد بالمعنى في خفض قلق المستقبل لدى المعاقات حركيًّا في مدينة الرياض، وتكوَّنت العينة من مجموعتين تجريبية وضابطة بعدد (٧) من ذوات الإعاقة الحركيَّة من الدرجة البسيطة إلى المتوسطة وتتراوح أعمارهن بين (٢٠-٣٥) سنة، وجميعهن معاقات منذ الولادة، خرجت الدراسة بعدد من النتائج؛ منها: وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة بين متوسط رُتَب المجموعتين التجريبيَّة والضابطة في القياس البَعديّ، وبلغت قيمة الدلالة الإحصائيَّة (٠,٠٢٥)، وكانت لصالح المجموعة التجريبيَّة، ووجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة بين القياسين القَبليّ والبَعْديّ في المجموعة التجريبيَّة بلغت دلالته الإحصائيَّة (٠,٠١٨)، وكانت لصالح القياس البَعديّ، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة بين القياسين البَعديّ والتتبُّعيّ في المجموعة التجريبيَّة.

هدَفَت **دراسة (الحارثي، ٢٠٢٢)** الدراسةُ إلى خفض الضغوط النفسيَّة وقلق المستقبل لدى عينة من الأحداث الجانحين المودَعين بدار الملاحَظة الاجتماعيَّة بمحافظة جدة، وذلك بإعداد برنامج إرشادي قائم على الإرشاد بالمعنى، وتكوَّنت عينة الدراسة من (٢٠) حدثًا، تم تقسيمهم إلى مجموعتين (١٠) أحداث يمثلون المجموعة التجريبيَّة، و(١٠) أحداث يُمثِّلون المجموعة الضابطة، وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالَّة إحصائيًّا بين متوسطات درجات أفراد المجموعتين التجريبيَّة والضابطة في القياس البَعديّ لصالح المجموعة التجريبيَّة، وتوجد فروق دالَّة إحصائيًّا بين متوسطات درجات أفراد المجموعتين التجريبيَّة والضابطة في القياسين القَبليّ والبَعديّ لصالح القياس البَعديّ.

هدَفَت **دراسة (الدعدي والطويلمي، ٢٠٢٢)** إلى التعرُّف على ظاهرة الانتحار في ضوء العلاج بالمعنى في الخدمة الاجتماعيَّة؛ وذلك باستعراض العوامل المؤدية للانتحار، وأشكاله وتصنيفاته، بالإضافة إلى تحليل دور العلاج بالمعنى بوصفه أحد الأساليب الحديثة في ممارَسة الخدمة الاجتماعيَّة. وتناوَلَت الدراسةُ فلسفةَ العلاج بالمعنى، وأهدافه، والافتراضات التي يقوم عليها، إلى جانب استراتيجياته وفنياته المستخدَمة في التدخُّل المهنيّ مع الأفراد الذين لديهم أفكار انتحارية. وقد كشفت نتائج الدراسة عن أهميَّة توظيف العلاج بالمعنى في الحد من الأفكار الانتحاريَّة، وتمكين الأفراد من إعادة اكتشاف معنى الحياة وتعزيز إحساسهم بالمسؤولية والغاية. وأكَّدَت على أن دمج هذا الأسلوب العلاجي في الخدمة الاجتماعيَّة يُسهِم في تقديم تدخلات مهنيَّة أكثر فعاليةً واستدامةً؛ ممَّا يُساعِد الأفراد على التعامُل مع الأزمات النفسيَّة بطريقة بنَّاءة. وأوصَتِ الدراسةُ بضرورة إدراج العلاج بالمعنى ضمن برامج التأهيل النفسيّ والاجتماعيّ، وتعزيز تدريب الأخصائيين الاجتماعيين على تقنياته،

بالإضافة إلى إجراء المزيد من الدراسات العِلميَّة للتحقُّق من مدى فاعليَّة هذا النموذج العلاجي في الوقاية من السلوكيَّات الانتحاريَّة ومعالَجَة المشكلات النفسيَّة العميقة.

-الدراسات العربيَّة:

هدَفَت **دراسة (زيادة، ٢٠١٥)** إلى التعرُّف على فاعليَّة العلاج بالمعنى واستمرار تأثيره في خفض اضطراب صورة الجسم وتنمية الكفاءة الاجتماعيَّة لدى الأفراد المعاقين حركيًّا. شملت الدراسة عينة استطلاعية مكوَّنة من (١٠٨) أفراد من ذوي الإعاقة الحركيَّة، بالإضافة إلى عينة أساسيَّة ضمت (١٠٠) فرد، تراوحت أعمارهم بين (٢٠ و٤٠) عامًا. اعتمدت الدراسة على المنهج التجريبيّ؛ حيث تم تقسيم العينة إلى مجموعة تجريبية خضعت للعلاج بالمعنى، ومجموعة ضابطة لم تتلقَ العلاج؛ وذلك بهدف قياس مدى فاعليَّة التدخُّل العلاجي. وقد أظهَرَت النتائجُ فاعليَّة العلاج بالمعنى واستمرار تأثيره الإيجابي خلالَ فترة المتابَعة؛ ممَّا يؤكِّد أهميته بوصفه مدخلًا علاجيًّا في تحسين الصورة الذاتيَّة والكفاءة الاجتماعيَّة لدى الأفراد المعاقين حركيًّا.

هدَفَت **دراسة (عبدالرحمن، ٢٠١٦)** إلى التحقُّق من فاعليَّة برنامج العلاج بالمعنى في تحسين الهدف من الحياة لدى عينة من المراهقين الصُّمّ، واشتملت العينة على (١٠) من طلاب مدرسة الأمل للصُّمِّ، وتوصلت النتائج إلى أنَّه توجد فروق ذات دلالة إحصائيَّة بين متوسطات رُتَب أفراد المجموعة التجريبيَّة من الذكور والإناث في القياسين القَبليّ والبَعْديّ على مقياس الهدف من الحياة لصالح القياس البَعديّ.

هدَفَت **دراسة (عبد الرحيم، ٢٠١٨)** إلى استقصاء واقع الاحتراق النفسيّ لدى الممرضينَ العاملينَ في مستشفى حكوميّ في الأردن، والتحقق من وجود فروق في درجات الاحتراق النفسيّ وَفق بعض المتغيِّرات؛ ومِن ثَمَّ استقصاء برنامج إرشادي قائم على العلاج بالمعنى في تخفيف مستوى الاحتراق النفسيّ لديهم، تكوَّنت عينة الدراسة من (١٨) ممرضًا وممرضة، منهم (٧) ممرضين و(١١) ممرضةً، وأظهرت نتائجُ الدراسة وجودَ فروق ذات دلالة إحصائيَّة بين المجموعتين الضابطة والتجريبية على الدرجة الكليَّة للمقياس لصالح المجموعة التجريبيَّة في جميع أبعاد الاحتراق النفسيّ، وكذلك استمرار أثر البرنامج في خفض شدة الاحتراق النفسيّ بعد مدة انتهاء البرنامج.

هدَفَت **دراسة (البخيت، ٢٠٢٠)** إلى بيان أثر استخدام فنِّيَّات العلاج النفسيّ بالمعنى في التخفيف من الشعور بالاحتراق النفسيّ، وأثر ذلك في تنمية الكفاءة الذاتيَّة لدى معلِّمات ومُدرِّبات مجالات الاستشارات النفسيَّة وخدمات الدعم النفسيّ بدولة الكويت، وأظهرت نتائج الدراسة الأثر الفعَّال لاستخدام فنِّيَّات العلاج النفسيّ بالمعنى في التخفيف من الشعور بالاحتراق النفسيّ، وأثر ذلك في تنمية الكفاءة الذاتيَّة لدى معلِّمات ومُدرِّبات مجالات الاستشارات النفسيَّة وخدمات الدعم النفسيّ في دولة الكويت.

هدَفَت **دراسة (حسن، ٢٠٢٠)** إلى اختبار فعالية ممارَسة برنامج التدخُّل المهنيّ باستخدام العلاج بالمعنى في خدمة الفرد لتحسين معنى الحياة لدى المراهقين نزلاء المؤسَّسات الإيوائيَّة، وتم تطبيق برنامج التدخُّل المهنيّ باستخدام العلاج بالمعنى في خدمة الفرد على عيِّنة الدراسة المكوَّنة من (١٠) مراهقين نزلاء المؤسَّسات الإيوائيَّة، ثم معاودة القياس البَعديّ وتحديد درجة الفروق بين القياسينِ القَبليّ والبَعْديّ، وتحليل النتائج، وأشارَتِ النتائجُ إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة لصالح القياس البَعديّ.

هدَفَت **دراسة (الخواجة، ٢٠٢٣)** إلى بناء وتطوير برنامج للإرشاد الجَمعِيّ استنادًا إلى العلاج بالمعنى، ثم تقصِّي مدى فاعليته في تحسين مستوى التدفُّق النفسيّ لدى عينة من طلاب جامعة نزوى، وتألفت العينة من (٣٢) طالبًا كانت درجاتهم على مقياس التدفُّق النفسيّ متوسطة، وقسمت العينة إلى مجموعتين: ضابطة، وتجريبية، وتكوَّنت كل مجموعة من (١٦)

مشاركًا، تم تطبيق العلاج بالمعنى على المجموعة التجريبيَّة فقط، الذي تشكَّل من (٨) جلسات: إرشاد جمعيّ، بواقع جلستين في الأسبوع الواحد لمدة أربعة أسابيع متتالية، في حين لم تخضع المجموعة الضابطة لأي تدريب، وأظهَرَت نتائجُ الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة معنويَّة للمجموعتين التجريبيَّة والضابطة على القياس البَعديّ لمقياس التدفُّق النفسيّ، وكان لصالح المجموعة التجريبيَّة التي خضعت للتدريب؛ ممَّا يُشِير إلى فاعليَّة التدريب على برنامج العلاج بالمعنى في تعزيز وتحسين مستوى التدفُّق النفسيّ عند مجموعة التجريب التي تلقَّت التدريب، وخلصت الدراسة إلى التوصية بتدريب طلاب الجامعات على العلاج بالمعنى أثناء الدراسة؛ لِمَا له من أهميَّة في تنمية وتحسين جوانب الشخصيَّة المختلفة عند الطلاب.

هدَفَت **دراسة (خلف، ٢٠٢٣)** إلى التعرُّف على أثَر برنامج إرشادي قائم على العلاج بالمعنى في تنمية الوفاء الوجودي لدى طالبات الجامعة. صممت الباحثة برنامجًا إرشاديًّا قائمًا على العلاج بالمعنى، تضمَّن (١٢) جلسة، بواقع جلستين أسبوعيًّا لمدة (٤٥) دقيقةً، وتوصلت في نتائجها إلى أن أفراد المجموعة التجريبيَّة الذين تم تطبيق البرنامج الإرشاديّ عليهم أدى إلى تنمية الوفاء الوجدانيّ لديهم مقارنةً بأفراد المجموعة الضابطة الذين لم يتعرضوا للبرنامج الإرشاديّ؛ ممَّا يُشِير إلى تأثير البرنامج الإرشاديّ القائم على العلاج بالمعنى في تنمية الوفاء الوجدانيّ لدى المجموعة التجريبيَّة.

-الدراسات الأجنبيَّة:

دراسة (Amanda and others, 2016)، "Using existential meaning-making as a therapeutic tool for clients affected by poverty" استخدام صنع المعنى الوجودي بوصفه أداة علاجيَّة للعملاء المتأثرين بالفقر، ويعتقد الباحثون بوجود علاقة بين صُنع المعنى والتطوُّر النفسيّ الاجتماعيّ والرفاهية، تتمثل في الإرشاد لصُنع المعنى في ما يتعلَّق بالأفراد المتأثرين بالفقر، وذلك بمساعَدة الأفراد المتأثرين بالفقر على تطوير شعورهم بالتمكين في ما يتعلَّق بظروفهم الحاليَّة، ويُشجِّع الباحثون دمج صُنع المعنى في ممارساتهم الاستشاريَّة بوصفه إجراءً لمساعَدة المتأثرين بالفقر بتوفير بيئة صادقة وداعمة، تتمثل في عملهم مدافعين على المستويات الفرديَّة والجماعيَّة والمؤسَّسِيَّة والمجتمعيَّة لفحص العقبات التي قد تمنع نمو العملاء، ويؤكد الباحثون بأنَّ صُنع المعنى لن يحل المشاكل الاجتماعيَّة العامَّة المرتبطة بالفقر، لكنَّه قد يُسهِم في تحسين جودة الحياة من خلال التركيز على إنسانيَّة العملاء، ويوفر للعملاء فرصًا؛ للتمكين وتوجيه الذات في السعي لتحقيق الإشباع الحياتي، ويمنحهم القدرةَ على اتخاذ القرار.

هدَفَت **دراسة (Tugba seda colak & Mustafa Koc, 2020)** إلى إعداد برنامج استشاريّ نفسيّ جماعيّ موجَّه للعلاج بالمعنى بهدف تعزيز التسامُح، وتمت مراجعةُ الأدبيات المتعلِّقة بالتسامح والعلاج بالمعنى، وتم تصميم برنامج استشاريّ نفسيّ يتكوَّن من (٨) جلسات، تم تنفيذه على (١٢) مشاركًا، وتوصَّلت الدراسةُ إلى أنَّه فعَّال في تعزيز التسامُح.

ناقشت **دراسة (Shirin Rahgozar and Lydia Gimenez, 2020)** أسس وتطبيقات العلاج بالمعنى لتحسين الصحة النفسيَّة للسكان المهاجرين في الألفية الثالثة، وأشارت الدراسة إلى أنَّها أثبتَتْ فعاليةَ العلاج بالمعنى في مساعَدة المرضى على إيجاد المعنى والغرض في تجاربهم وحياتهم، ويمكن تطبيق ذلك على مختلف مشاكل الصحة العقليَّة التي يواجها المهاجرون، وهناك ثلاث تقنيات؛ هي: النيَّة المتناقضة، والتخلي عن التفكير، والحوار السقراطي، وتمكَّن المهاجرون من قَبول مسؤوليتهم عن عيش حياة ذات معنى.

وفي مقالة علميَّة لـ (Wallace Chi Ho Chan, 2023)، بعنوان: **"The application of meaning therapy in teaching the meaning of life in vocational training and social work education." تطبيق العلاج بالمعنى في تعليم معنى الحياة في التدريب المهنيّ وتعليم العمل الاجتماعيّ**، هدفت هذه المقالة إلى توضيح كيفيَّة تطبيق العلاج بالمعنى لفكتور فرانكل بوصفه إطارًا في تعليم معنى الحياة لطلاب العمل الاجتماعيّ والمهنيين المساعدين، وذلك بالفحص النقديّ لتجربة تعليم معنى الحياة ودمجه مع مُكوِّنات التدريب والتعليم المختلفة؛ مثل: السلوكيَّات البشريَّة، ورعاية نهاية الحياة، وفَقْد الأحبة، والعناية الذاتيَّة للمهنيين المساعدين والطلاب، وأشار إلى أهميَّة تعليم معنى الحياة لتأثيرها المزدوج على الجوانب الشخصيَّة والمهنيَّة، ويؤكد أنَّ تعليم معنى الحياة قد يكون له تأثيرات كبيرة على الصحة النفسيَّة.

هدَفَت دراسة (**Harir Putriana and others, 2024**)، **"Applying meaning therapy to enhance self-esteem and resilience among teenagers in an orphanage." تطبيق العلاج بالمعنى لزيادة تقدير الذات والمرونة لدى المراهقين في دار الأيتام** إلى تحديد فعالية العلاج بالمعنى لزيادة الذات والمرونة لدى المراهقين في دُور الأيتام، باستخدام طريقة النموذج التجريبيّ بتصميم اختبار قَبْلي وبَعْدي لمجموعة واحدة، وتكوَّنت العينة من (١٠) أفراد، منهم (٤) ذكور، و(٦) إناث، تم اختيار المراهقين الذين لديهم تقدير ذاتيّ ومرونة في الفئات المتوسطة والمنخفضة، وأشارَتِ النتائجُ إلى الاختلاف في نتائج الاختبار القَبليّ والبَعْديّ قبلَ وبعدَ تلقِّي العلاج؛ ممَّا يُثبِت فاعليَّةَ العلاج بالمعنى في زيادة تقدير الذات وزيادة المرونة لدى المراهقين في دُور الأيتام.

-أَوْجُه التشابُه والاختلاف بين الدراسة الحاليَّة والدراسات السابقة:

تُظهِر الدراسات السابقة فاعليَّة العلاج بالمعنى في مختلف المجالات التي طُبِّقت فيها؛ حيث أكدت نتائج دراسات، مثل: (أحمد، ٢٠١٨، والعسكر، ٢٠١٩، والحارثي، ٢٠٢٢، وعبد الرحيم، ٢٠١٨، والبخيت، ٢٠١٩) أن لهذا الأسلوب العلاجي تأثيرًا إيجابيًّا على تطوير الممارَسة المهنيَّة، ومن ثَمَّ تُسهِم في تحسين جودة الحياة النفسيَّة والاجتماعيَّة للمستفيدين، وقد استفادت الدراسة الحاليَّة من هذه النتائج؛ حيث شكَّلت الأدبيات السابقة أساسًا معرفيًّا ساعَد في بناء الإطار النظريّ وتحليل مدى إمكانية دمج العلاج بالمعنى في الخدمة الاجتماعيَّة.

وعلى الرغم من هذا التشابه، فإن الدراسة الراهنة تختلف عن الدراسات السابقة من جوانب عديدة؛ أبرزها المنهج المستخدَم، فبينما اعتمدت معظم الدراسات السابقة على المنهج شبه التجريبيّ لقياس تأثير العلاج بالمعنى على فئات معينة، اختارت الدراسة الحاليَّة المنهج الوثائقي؛ ممَّا يُتيح تحليلًا عميقًا للأُطُر النظريَّة والمفاهيميَّة المرتبطة بهذا النموذج العلاجي. كذلك نطاق الدراسة مختلفٌ؛ إذ ركزت البحوث السابقة على مجموعات محدَّدة، مثل: المراهقين، والأشخاص ذوي الإعاقة، أو الأحداث الجانحين، بينما تتناول الدراسة الراهنة العلاج بالمعنى بوصفه أسلوبًا علاجيًّا عامًّا يمكن تطبيقُه في الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة دونَ التقيُّد بفئة معينة. وتسعى الدراسة الحاليَّة إلى تقديم رؤية تحليليَّة حول كيفيَّة دمج العلاج بالمعنى في بيئات العمل الاجتماعيّ، وهو ما يجعلها مكمِّلةً للأبحاث السابقة التي ركزت أكثرَ على الجوانب التطبيقيَّة وقياس الأثر المباشر للعلاج؛ وبذلك، لا تُعَدّ هذه الدراسة مجرد إضافة للأدبيات السابقة، بل تُمثِّل خطوةً جديدةً نحوَ فَهْم عميق لكيفية تطوير استراتيجيات التدخُّل العلاجي في الخدمة الاجتماعيَّة باستخدام العلاج بالمعنى.

ثانيًا: أدبيَّات الدراسة:

•السياق التاريخيّ للعلاج بالمعنى:

يُعَدّ العلاج بالمعنى (Logotherapy) أحد أبرز الأساليب العلاجيَّة التي تنتمي إلى الكيان الإنسانيّ؛ حيث أسَّسَه الطبيبُ النفسيُّ النمساويُّ فيكتور فرانكل (Viktor Frankl) في منتصف القرن العشرين. وجاء هذا العلاج ردَّ فعلٍ على التيارات النفسيَّة السائدة آنذاك، مثل: التحليل النفسيّ لفرويد (Freudian Psychoanalysis) الذي ركَّز على اللذة بوصفها دافعًا أساسيًّا للسلوك، وعِلْم النفس الفرديّ لأدلر (Adlerian Psychology) الذي أكَّد على السعي للسُّلطة، بينما رأى فرانكل أن البحث عن المعنى هو القوة الدافعة الرئيسة للحياة[٣٧].

واستندت فلسفة العلاج بالمعنى إلى تجربة فرانكل الشخصيَّة في معسكرات الاعتقال النازية خلال الحرب العالميَّة الثانية؛ حيث لاحظ أن الأفراد الذين تمكنوا من إيجاد معنى لحياتهم كانوا أكثرَ قدرةً على تحمُّل المعاناة مقارنةً بمن افتقدوا ذلك الشعور. هذه الملاحَظة ألهمته لتطوير أسلوبه العلاجي، الذي أكده لاحقًا في كتابه الشهير "البحث عن المعنى (Man's Search for Meaning)"، الذي نُشر عام (١٩٤٦)، وأصبح أحد أكثر الكتب تأثيرًا في علم النفس الحديث[٣٨].

وفي الخمسينيات من القرن العشرين، بدأ العلاج بالمعنى يلقى اعترافًا أكاديميًّا؛ إذ صنِّف ضمنَ العلاجات الوجودية إلى جانب أعمال رولو ماي (Rollo May) وإيرفين يالوم (Irvin Yalom)؛ ممَّا أسهَم في انتشاره عالميًّا[٣٩]. وتم اعتماده منهجًا علاجيًّا في العديد من الجامعات والمعاهد النفسيَّة، خصوصًا في أوروبا والولايات المتحدة؛ فقد أثبت فعاليته في مساعَدة الأفراد على إعادة تفسير تجاربهم والتكيُّف مع الأزمات النفسيَّة والاجتماعيَّة[٤٠].

ومع تطوُّر العلوم النفسيَّة، شهد العلاج بالمعنى تحديثات متعددة؛ حيث دُمِج مع العلاجات الحديثة، مثل: العلاج المعرفيّ السلوكيّ (CBT)، والعلاج بالقَبول والالتزام (ACT)؛ مما أسهَم في تعزيز قدرته على التعامُل مع الاضطرابات النفسيَّة المختلفة[٤١]. واتسع نطاق تطبيقه ليشمل مجالات متعددة، مثل: علاج الإدمان، والرعاية التلطيفية، والإرشاد المهنيّ، والعلاج الأُسريّ؛ ممَّا يعكس مرونتَه بوصفه أسلوبًا علاجيًّا يمكن تكييفُه وفقَ احتياجات العملاء[٤٢].

وهكذا، يظل العلاج بالمعنى أحد أهم العلاجات النفسيَّة الوجودية التي تساعد الأفرادَ على تحقيق التكيُّف النفسيّ لمواجَهة الأزمات، وإيجاد قيمة ومعنى لحياتهم؛ ممَّا يعزِّز صحتهم النفسيَّة والاجتماعيَّة على المدى الطويل.

•البُعْد الفلسفيّ للعلاج بالمعنى:

يستند العلاج بالمعنى إلى مفاهيم فلسفيَّة ونفسيَّة عديدة، أبرزها:

١. **الفلسفة الوجودية (Existentialism)**: تأثر فرانكل بفلاسفة، مثل: فريدريك نيتشه، ومارتن هايدغر؛ حيث أكَّد أن الإنسان قادر على خَلْق معنى لحياته حتى في أصعب الظروف[٤٣].

٢. **عِلْم النفس الفرديّ (Individual Psychology):** كان فرانكل أحد طلاب ألفرد أدلر وتأثَّر بفكرته حول الدوافع

(37) Frankl, V. E. *Man's search for meaning*. Beacon Press, 1959.
(38) Frankl, V. E. *The will to meaning: Foundations and applications of logotherapy*. Penguin Books. 1988.
(39) Batthyány, A. *Logotherapy and existential analysis*. Springer. 2016

(40) Wong, P. T. *The human quest for meaning*. Routledge, 2012.
(41) Schulenberg, S. E., & Melton, A. M. Logotherapy in modern psychology. *Journal of Humanistic Psychology*. 2023.
(42) Wong, P. T., & Weiner, B. *The science of meaning*. Cambridge University Press, 2022.
(43) Frankl, V. E. Psychotherapy and existentialism. Washington Square Press, 1967.

الإنسانيَّة، لكنَّه اختلف معه في وصف البحث عن المعنى بأنه القوة الأساسيَّة في الحياة، وليس السعي إلى السُّلطة أو الشعور بالأهمية[٤٤].

٣. **التحليل النفسيّ(Psychoanalysis)**: على الرغم من تأثُّره بسيغموند فرويد، انتقد فرانكل تركيز التحليل النفسيّ على الغرائز والصراعات اللاواعية، وقدَّم بديلًا يُركِّز على حرية الإنسان في اتخاذ القرارات وصُنع معنى لحياته[٤٥].

- **أُسُس العلاج بالمعنى:**

يستند العلاج بالمعنى على ثلاث دعائم تتمثَّل فيما يأتي:

١. **حرية الإرادة**: تعني حرية الإرادة الإنسانيَّة، وتعني حرية اتخاذ موقف معيَّن تجاه أي ظروف قد تواجه الإنسان[٤٦].

٢. **إرادة المعنى**: تعني محاوَلة الإنسان الدائمة للبحث عن المعنى، فهو القوة الأساسيَّة في حياته، وأن البحث عن معنى هو إرادة المعنى، ويعتقد فرانكل أنَّ إرادة المعنى أقوى الدوافع في حياة الإنسان، وبدونها لا يكون هناك هدف للحياة، وهو دافع فطري يختلف من فرد إلى آخَر، ويتم تحقيقه بما يقوم به الناس من مهام لإثبات ذواتهم وإنجاز هذه المهام[٤٧].

وتشير إرادة المعنى إلى سعي الأفراد للوصول إلى معنى محسوس في الوجود الشخصيّ؛ لذا فالإنسان عليه السعي والاجتهاد لتحقيق هدف يعيش من أجله؛ ممَّا يُساعِد في بقائه بفاعليَّة، فإرادة المعنى -وفق فرانكل- هي القوة الأوليَّة لدى الإنسان ومحاولاته الدائمة للبحث عن معنى[٤٨].

٣. **معنى الحياة**: ويتمثَّل في وسائل تعبير الفرد عن ذاته ولا يوجد معنى مطلق للحياة، بل هي المعاني الفرديَّة التي ترتبط بالمواقف الفرديَّة، وهي القِيَم التي تُوفِّر على الفرد صعوبة اتخاذ القرار، وتؤدِّي إلى شعور الأفراد بقيمة الحياة وتوقعاتهم الإيجابيَّة نحوَها، والمعنى هو وسائل التعبير عن الذات، وتتسم بالفردية للمواقف التي يمر بها الإنسان، فالحياة ذات معنى تامّ وغير مشروط في كل الأحوال، ويتحقق للأفراد من خلال ما يتم اكتسابهم له من الخبرات من العالَم المحيط أو تجاربهم الشخصيَّة[٤٩].

- **الافتراضات الأساسيَّة للعلاج بالمعنى:**

١. **الإنسان كائن حر**: تعني أنَّ الفرد تتوقف اختياراته على العوامل البيئيَّة، ويفترض العلاج بالمعنى أن هناك بُعدًا إنسانيًّا وهو البُعْد المعنوي، بالإضافة إلى المعنيينِ الجسميّ والنفسيّ، ويؤكد فرانكل أنَّ الإنسان يحكمه البُعْد الجسميّ، ويدفعه البُعْد النفسيّ، ويحرره البُعْد المعنوي.

٢. **اعتماد المعنى الشخصيّ على المواقف التي يمر بها الإنسان،** فحياة الأفراد سلسلة متعددة من المواقف التي يستجيب لها وَفق طريقته الخاصَّة، وأن الإنسان يستجيب لمهامه، ويبحث عن المعاني بقيامه بهذه المهام.

٣. **الحياة تجعل الإنسانَ يخاطر لإيجاد معانٍ لمواقف حياته،** فيسعى للبحث عن المعاني الجديدة في العالَم الذي يعيش فيه.

٤. **درجة المعاناة لدى الفرد تتضمَّن قِيَمًا وتَبُثُّ معانيَ جديدةً** فلابدَّ أن يكون الفرد مستعِدًّا لتحمُّل المعاناة ومواجَهة المشكلات.

٥. **تمكن الفرد من تحقيق المعنى وإيجاده لحياته،** فلن يتحقق له ذلك بسهولة ويسر، بل عليه المكافَحة لتحقيق أهدافه بتوظيف الإرادة والقدرات للمساهَمة في حل مشكلاته.

٦. **المعاني ليست هي السعادة،** فالسعادة قد تعتمد على موقف

(44) Frankl, V. E. *The unheard cry for meaning: Psychotherapy and humanism*. Simon & Schuster, 1978.
(45) Frankl, V. E. *The will to meaning: Foundations and applications of logotherapy*.1988.

(٤٦) الدعدي وآخرون. *مجلة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة*، ٤٨.

(٤٧) حسن. *مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعيَّة والعلوم الإنسانيَّة*، ٦٢٦.

(٤٨) البخيت. *مجلة الدراسات التربويَّة والإنسانيَّة*، ٢٥٠.

(٤٩) حسن. *مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعيَّة والعلوم الإنسانيَّة*، ٦٢٦.

جزئيّ محدَّد يشعر بها من خلاله، ولكنَّ المعنى يتولَّد بالديمومة والاستمرار نحو الفكرة الشموليَّة التي تسمو على المواقف الجزئيَّة.

٧. **الإحباط في إرادة المعنى** يؤدِّي إلى الفراغ الوجودي، وللتغلُّب على الفراغ الوجودي يكون ذلك بإيجاد معنًى وهدف للحياة يتمثل في التفاعل مع الآخَرين والتواصل المستمر معهم[٥٠].

- **أهداف العلاج بالمعنى:**

١. مساعَدة الفرد بأن يكون واعيًا ومسؤولًا، فالحرية ليست مطلقة، بل تتطلَّب قيودًا وحدودًا.
٢. مساعَدة الأفراد للوصول إلى معنى لحياتهم، ثم إيجاد المعاني الإيجابيَّة لحياتهم.
٣. مساعَدة الأفراد لإدراك ومواجَهة مشكلاتهم الناتجة عن عدم وجود معانٍ لحياتهم.
٤. مساعَدة الأفراد على تكوين الشعور بالمعنى والهدف من حياتهم بتوجيههم نحو المستقبل، ومواجَهة التحدِّيات والمعوِّقات لتحقيق أهدافهم وذواتهم.
٥. مساعَدة الأفراد ومنحهم الأمل والتفاؤل، ويُعَدّ العلاج بالمعنى علاجًا واقعيًّا يساعد الأفراد على تعديل مشاعرهم السلبيَّة لإيجابية وَفق فرديتها وطبيعتها.
٦. مساعَدة الأفراد على تحمُّل المعاناة أثناءَ بحثهم عن المعاني وتحمُّل المشاق وتقديم التنازلات من أجل الحفاظ على المعاني[٥١].

ويُوضِّح (حسن، ٢٠٢٠: ٦٢٦) أهداف العلاج بالمعنى فيما يأتي:

١. الاعتبار بأن اهتمام الإنسان يَنْصَبّ على تحقيق المعاني والقيم بدلًا من اهتمامه بإشباع دوافعه.
٢. دَعْم وتعزيز الشعور بالمسؤولية لدى الأفراد، بمعنى أن كل فرد مسؤول.
٣. الرغبة في تحقيق المعنى هي الدافع الأساسيّ لدى الفرد، ولكي يواجه متطلَّبات حياته ينبغي عليه أن يُجدِّد معنًى لها.
٤. تكوين هدف لدى العميل، فبدونه لا يوجد معنى للحياة ولا سبب للاستمرار.
٥. أن الشخصيَّة الإنسانيَّة يرتبط معناها بالبيئة التي يحيا فيها العميل.

- **فنيَّات واستراتيجيات العلاج بالمعنى:**

يستخدم المعالج في ظل العلاج بالمعنى العديد من الفنيَّات العلاجيَّة، التي يمكن من خلالها إيجاد المعنى والمغزى للحياة، وتتمحور الفنيَّات الإرشاديَّة لاستخدام العلاج بالمعنى حول الحوارات التي يُجريها الفردُ مع نفسه، التي يكون هدفها تعديل المعتقَدات والاتجاهات التي يحملها عن ذاته، ومن أبرزها:

١. **الحوار السقراطي (Socratic Dialogue)** وتهدف هذه الفنيَّة إلى إثارة المعنى للتعرُّف على المعنى المفقود في حياة الفرد بتوجيه الأسئلة في إطار حوار تساؤليّ، ويستخدم المعالجون هذه الفنيَّة بتوجيه الأسئلة الحوارية التي يتعلم الفرد منها كيفيَّة سير حياته، بما يُسهِم في الاستبصار الجيد بذاته، وما يشعر به من أعراض، ومن ثمَّ يُسهِم ذلك في تعديل الاتجاهات الحاليَّة وتنمية اتجاهات جديدة؛ لاكتشاف معنى الحياة، ويتعلم الفرد من هذه الحوارات كيفيَّة الفصل بين ما يعانيه من أعراض، مع إدراكه لِمَا يملكه من الاختيارات والبدائل المتاحة، ويُسهِم في زيادة

---

(٥٠) الدعدي وآخرون. *مجلة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة*، ٥٢.

(٥١) عهود بنت بشير العسكر. (٢٠٢٠): "*فاعليَّة برنامج قائم على الإرشاد بالمعنى في خفض قلق المستقبل لدى المعاقات حركيًّا بمدينة الرياض*". رسالة دكتوراه – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، الرياض، ٥١.

الوعي بأنَّه ليس ضحية لما يمر به ظروف[٥٢] .

٢. **تعديل الاتجاهات (Attitude Modification)**، ويكون هدف المعالِج التخفيف من المشاعر السلبيَّة والشعور بالإحباط واليأس وتوسيع المعاني وتعزيزها، ويساعده ذلك على اكتشاف إمكانيات العملاء وتوجيههم.

٣. **التحليل بالمعنى (Meaning Analysis)**، يُقيِّم المعالِجُ الخبراتِ الحاليَّةَ لدى الأفراد بتوضيحه لمعنى الحياة في إطار السعي للبحث عن خبرات جديدة يكتشف بها رؤية جديدة للهدف في الحياة.

٤. **فنيَّة تشتُّت التفكير (Dereflection)** وتعتمد هذه الفنيَّة على التسامي بالذات، ويُعَدّ هذا الأسلوب الإرشاديّ لمساعَدة الأفراد الذين يعانون من التركيز المُفرِط على أمر ما، وما ينتج عن ذلك من القلق والخوف، ويعمل المعالِج على تشجيع العميل على تحويل التركيز؛ مما يشغل تفكيره إلى جوانب حياتية أخرى تُخفِّف من حدة التفكير والقلق، فالإنسان –وفق فرانكل– عند جهله بالمعنى المحدَّد ينصبّ تركيزُه على المشكلة بدلًا من السعي لحلها، فيؤثِّر عليه سلبًا في التفكير المُفرِط والهواجس، التي تسيطر على إدراكه وقدرته على اتخاذ القرارات، لذلك تتركز هذه الفنيَّة في تعليم العملاء كيفيَّة تجاهل الأعراض، **ويمكن تحقيق هذه الفنيَّة من خلال:**

- تحقيق النمو الداخليّ من خلال عدم التركيز على الذات.
- مساعَدة الأفراد على التركيز على شيء يحقق المعاني بدلًا من التركيز على المشكلات.
- مساعَدة الأفراد على التسامي بالذات، وتحقيق الابتكار من خلال إيجاد المعاني[٥٣].

٥. **فنيَّة تحسين الذات التعويضيّ (Compensatory Self-Enhancement)** تَهدُف هذه الفنيَّة إلى زيادة إحساس الفرد بإمكانياته المتاحة في جوانب حياته المتعدِّدة غير التي تبدو معطياتٍ ثابتةً غيرَ قابلة للتعديل، وتتم هذه الفنيَّة من خلال تحسين شعور العميل بإمكانياته الحاليَّة وما يملكه من قدرات تحقق الوعي بجوانب حياته الأخرى واستغلاله لقدراته لتخفيف شعوره السلبي[٥٤].

٦. **المقصد المتناقض ظاهريًّا (Paradoxical Intention)** ويُعَدّ علاجًا يتم بتوجيه العميل لفكرة تُناقِض الفكرةَ السلبيَّةَ، بالاعتماد على قدرة الفرد على التسامي بذاته والانفصال عنها، ويتم إدراك هذه الفنيَّة من خلال الأخذ بعين الاعتبار ميكانزم القلق التوقعي، الذي يشير إلى أن الفرد يستجيب للأحداث بتوقعاته السلبيَّة عنها ومخاوفه من تكرارها؛ ومن ثمَّ يُشجِّع المعالجُ العميلَ على المشارَكة في السلوك المتجنَّب، مع تشجيعه على عدم تجنبه ومواجَهة الموقف الذي يشعر بالخوف منه[٥٥].

٧. **أسلوب القصة الرمزية (Symbolic Storytelling)** يقوم المعالج بطرح قصة يصعب التعبير عنها بطريقةٍ مباشرةٍ[٥٦].

٨. **فنيَّة المسرحيات القائمة على المعنى (Meaning-Based Role Play)** من خلال تخيُّل الماضي بهدف تعزيز الإحساس بالمسؤولية نحوَ الوجود الشخصيّ[٥٧].

•خطوات العلاج بالمعنى:

تشمل الخطوات المتَّبَعة أثناء العلاج لمساعدة العميل على إعادة بناء نظرته للحياة.

(٥٢) البخيت. *مجلة الدراسات التربوية والإنسانية*، ٢٥١.

(٥٣) العسكر. *فاعليَّة برنامج قائم على الإرشاد بالمعنى في خفض قلق المستقبل لدى المعاقات حركيًّا بمدينة الرياض*، ٥٨.

(٥٤) الدعدي وآخرون. *مجلة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة*، ٥٣.

(٥٥) العسكر. *فاعليَّة برنامج قائم على الإرشاد بالمعنى في خفض قلق المستقبل لدى المعاقات حركيًّا بمدينة الرياض*، ٥٦.

(٥٦) الدعدي وآخرون. *مجلة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة*، ٥٣.

(٥٧) البخيت، *مجلة الدراسات التربوية والإنسانية*، ٢٥٣.

-الخطوات الأساسيَّة للعلاج بالمعنى[٥٨] :

أ) تحديد المشكلة بالتقييم الذاتيّ، وتبصير العميل بمجموعة المعاني التي يفتقر إليها وسبَّبَت له المشكلة.

ب) إيجاد الهدف: من خلال المواجَهة.

ج) التخفيف من المشكلة وتوظيف الإرادة وتحمُّل المسؤوليَّة.

د) التوجيه نحو إدراك المعنى باتخاذ القرار والاشتراك فيه والمساهَمة في الأنشطة المختلفة واكتساب المهارات والخبرات.

-الخطوات المعزِّزة للعلاج بالمعنى:

١. **تحليل السرد الشخصيّ (Personal Narrative Analysis)**: توجيه العميل إلى سرد قصة حياته مع التركيز على اللحظات التي كان لها معنى عميق، والهدف هو مساعَدة العميل على إعادة بناء القصة بطريقة إيجابيَّة، والتركيز على القوة بدلًا من الضَّعْف[٥٩].

٢. **تقنيَّة رسالة إلى الذات المستقبليَّة (Letter to Future Self)**: يكتب العميل رسالة لنفسه في المستقبل، يتحدث فيها عن القيم التي يريد تعزيزها، والأهداف التي يسعى لتحقيقها، والتحدِّيات التي تغلَّب عليها، ويساعد ذلك في تعزيز الشعور بالمسؤولية وإيجاد معنى مستمر للحياة[٦٠].

٣. **استخدام التأمُّل الموجَّه (Guided Reflection)**: يُطلَب من العميل الجلوس بهدوء والتأمل في معنى الأحداث التي مر بها، وكيف يمكنه استخدامها دروسًا إيجابيَّة؛ فيساعد ذلك في تقليل التوتر والقلق، وزيادة الوعي بالمعنى الشخصيّ للحياة[٦١].

٤. **تمرين لو لم تكن موجودًا (If You Were Not Here Exercise)**: يتم سؤال العميل: كيف ستكون حياة الآخَرين لو لم تكن موجودًا؟ يساعد هذا التمرينُ في جعل العميل يدرك أهميته وتأثيره على الآخَرين؛ ممَّا يعزِّز الشعور بالمعنى والقيمة[٦٢].

•**أساليب العلاج بالمعنى**: تشمل الأساليب العامَّة التي يمكن استخدامها لتطبيق العلاج بالمعنى في حياة العميل.

١. **الاستفادة من الطبيعة (Nature-Based Meaning Therapy)**: قضاء الوقت في الطبيعة يساعد الأفراد على التفكير في المعنى العميق للحياة من خلال الاتصال بالطبيعة والتأمل في الجَمال المحيط بهم[٦٣].

٢. **تقنيَّة المقابَلة مع ذاتك المثاليَّة: (Interviewing Your Ideal Self)** يتخيل العميل أنَّه يُجرِي مقابَلةً مع نسخته المثاليَّة في المستقبل، ويسأله كيف وصَل إلى هذه المرحلة؛ وهذا يساعد في وضع أهداف واضحة وتحقيق التغيير الإيجابي[٦٤].

٣. **ممارَسة لحظات الامتنان (Gratitude Moments)**: يُسجِّل العميلُ -يوميًّا- ثلاثة أشياء يشعر بالامتنان تجاهها؛ ممَّا يُساعِد في تعزيز الإيجابيَّة والوعي بالمعنى[٦٥].

٤. **توظيف الفنون في العلاج بالمعنى (Art-Based Meaning Therapy)**: يمكن للعميل التعبير عن أفكاره ومعاناته من خلال الرسم، أو الكتابة، أو الموسيقى، أو التمثيل المسرحيّ؛ ممَّا يجعَله يُعِيد تفسيرَ تجاربه بطريقة أكثر معنى[٦٦].

---

(٥٨) حسن. *مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعيَّة والعلوم الإنسانيَّة*، ٦٢٧.

(59) Wong, P. T. *The human quest for meaning*, 2012.
(60) Batthyány, A. *Logotherapy and existential analysis*.
(61) Lukas, E. *Meaning-centered psychotherapy*. Springer. 2019.
(62) Marshall, J. & Marshall, C. *Finding meaning in everyday life*. Oxford University Press, 2020.
(63) Brymer, E., Freeman, E., & Richardson, M. Nature and meaning in life. *Journal of Positive Psychology*, 2021.
(64) Schulenberg, & Melton, *Journal of Humanistic Psychology*.
(65) Kleiman, E. M., Adams, L. M., & Kashdan, T. B. Gratitude and the search for meaning. *Journal of Positive Psychology*, 2019.
(66) Heintzelman, S. J., & King, L. A. *The role of art in meaning-making*. American Psychologist. 2020.

٥. **التخيُّل الموجّه للنجاح: (Guided Success Visualization)**: يُساعد العميل على تخيُّل نفسه وهو يحقق أهدافه؛ ممَّا يعزِّز الدافعيَّة والمعنى الشخصيّ[٦٧]، وذكَر حسن أن هناك العديد من الأساليب العلاجيَّة التي يعتمد عليها العلاج، ومن أبرزها النصح والتسامح والتوجيه، والمواجَهة، والصبر، والشجاعة، والتأمل، والوعي بالمسؤولية والتسامي عن الذات، وتحدي المواقف، وإرادة المعنى[٦٨].

٦. **التسامُح والتسامح الذاتيّ (Forgiveness Therapy)**: مساعَدة العميل على التصالح مع الماضي وتقبل أخطائه وأخطاء الآخَرين؛ ممَّا يُقلِّل من الشعور بالندم[٦٩].

٧. **تقنيَّة بناء القيم الشخصيَّة (Personal Values Clarification)**: يحدد العميل القيم الأساسيَّة التي يرغب في العيش وفقها؛ ممَّا يُساعِده في اتخاذ قرارات ذات معنى[٧٠].

●**التخصُّصات المهنيَّة الخاصَّة بتطبيق العلاج بالمعنى:** يُستخدَم العلاج بالمعنى في العديد من التخصُّصات المهنيَّة؛ حيث يعتمد المختصون عليه لمساعَدة الأفراد على إيجاد معنى لحياتهم، وتحقيق التكيُّف النفسيّ والاجتماعيّ.

فيما يأتي أبرز التخصُّصات المهنيَّة التي تستخدم هذا النموذج العلاجي:

١. **علم النفس العيادي (Clinical Psychology)**: يطبّقه الأخصائيون النفسيون والمعالجون النفسيون في علاج الاكتئاب، والقلق، ومَنْ لديهم أفكار أو ميول انتحارية، واضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، ويُستخدم العلاج بالمعنى لمساعَدة المرضى على إعادة بناء إدراكهم للذات، وتحويل المعاناة إلى فرصة للنمو[٧١][٧٢].

٢. **الطب النفسيّ (Psychiatry)**: يستخدمه الأطباء النفسيون إلى جانب العلاجات الدوائية لمساعَدة المرضى على تحقيق التوازن النفسيّ وإيجاد دافع للحياة، ويُطبَّق في علاج الإدمان، والاضطرابات الوجدانيَّة، والرهاب الاجتماعيّ[٧٣][٧٤].

٣. **الخدمة الاجتماعيَّة (Social Work)**: يستخدم الأخصائيون الاجتماعيون العلاج بالمعنى في مساعَدة الأفراد الذين يمرون بأزمات، مثل: العنف الأُسريّ، أو الفقر، أو التشرد، ويُستخدم كذلك في العلاج في تطوير برامج الدعم النفسيّ والاجتماعيّ للفئات المستضعَفة مثل اللاجئين والمهاجرين[٧٥].

٤. **الإرشاد النفسيّ والتربويّ (Counseling & Educational Psychology)**: يستخدمه المرشدون النفسيون في المدارس والجامعات لمُساعَدة الطلاب على إيجاد أهدافهم في الحياة والتعامل مع الضغوط الدراسيَّة والاجتماعيَّة، ويساعد في توجيه الشباب نحوَ مسارات مهنيَّة تتماشى مع قيمهم وطموحاتهم[٧٦].

(67) Wong, & Weiner. *The science of meaning*, 2022.

(٦٨) حسن. *مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعيَّة والعلوم الإنسانيَّة*، ٦٢٧.

(69)Worthington, E. L., Jr., & Scherer, M. Forgiveness is a choice: A step-by-step process for resolving anger and restoring hope. *American Psychological Association*, APA Books, 2004.

(70) Rokeach, M. *The nature of human values*. Free Press, a division of Macmillan Publishing Co., Inc., 1973,

(71) Frankl, V. E. *Man's search for meaning*. 1959.

(72) Wong, P. T. *The human quest for meaning*, 2012.

(73) Batthyány, A. *Logotherapy and existential analysis*.

(74) Schulenberg, & Melton, *Journal of Humanistic Psychology*.

(75) Shirin Rahgozar and Lydia Gimenez. *Foundations and Applications of Logotherapy to Improve Mental Health of Immigrant Populations in the Third Millennium*, 2020.

(76) Marshall, J. & Marshall, C. *Finding meaning in everyday life*, 2020.

٥. الرعاية الصحيَّة والتلطيفية (Healthcare & Palliative Care): **يستخدمه الأطباء والممرضون والمتخصصون في الرعاية التلطيفية لمساعَدة المرضى على التكيُّف مع الأمراض المزمنة وإيجاد معنى للحياة رغم الألم، ويُطبَّق مع مرضى السرطان والأمراض العصبيَّة التنكسية**[٧٧][٧٨].

٦. **العلاج الأُسريّ والزواجي (Family & Marriage Therapy)**: يستخدمه المعالجون الأسريون لمساعَدة الأزواج والعائلات على إعادة بناء علاقاتهم وتعزيز التواصُل بينهم ويُستخدَم في حالات الطلاق، وفِقْدَان أحد أفراد الأسرة، والمشاكل العاطفيَّة[٧٩].

٧. **الإرشاد المهنيّ والتطوير الشخصيّ (Career Counseling & Coaching)**: يطبّقه المرشدون المهنيون والمدربون التنفيذيون لمساعَدة الأفراد على اكتشاف معنى في عملهم وتعزيز رضاهم المهنيّ، ويساعد في التخطيط للمستقبل الوظيفيّ وتحديد الأهداف الشخصيَّة والمهنيَّة[٨٠].

٨. **دَعْم الفئات المستضعَفة (Support for Vulnerable Populations)**: يستخدَمه الأخصائيِّون في مجال حقوق الإنسان والمنظَّمات الإنسانيَّة لمساعَدة الفئات المهمَّشة؛ مثل: اللاجئين، والسجناء، وضحايا الكوارث، ويساعد الأفراد على إيجاد معنى جديد لحياتهم رغم التحدِّيات[٨١].

(77) Lukas, E. *Meaning-centered psychotherapy*, 2019.
(78) Wong, & Weiner. *The science of meaning*, 2022.
(79)Worthington, & Scherer, *American Psychological Association*. 2004.
(80) Schulenberg, & Melton, *Journal of Humanistic Psychology*.
(81) Shirin Rahgozar and Lydia Gimenez. *Foundations and Applications of Logotherapy to Improve Mental Health of Immigrant Populations in the Third Millennium*, 2020.

•الفروقات بين العلاج بالمعنى والعلاجات النفسيَّة البديلة في الممارَسة المهنيَّة:

م	العلاج بالمعنى Logotherapy	العلاج السردي Therapy Narrative	العلاج الروحي Spiritual Therapy	العلاج الوجودي Existential Therapy
المؤسِّس	فيكتور فرانكل (Viktor Frankl)	مايكل وايت وديفيد إبستون (Michael White) & (David Epston)	كينيث بارغمنت (Kenneth Pargament)	فين يالوم (Irvin Yalom) مستنِدًا إلى أفكار الفلاسفة مثل سارتر وهايدغر وكيركغارد
التعريف	أسلوب علاجي يساعد الأفراد على إيجاد معنى لحياتهم حتى في ظل المعاناة والصعوبات (Frankl, 1969).	أسلوب علاجي يركز على إعادة سرد القصص الشخصيَّة بطريقة تمنحها معنى جديدًا. (White & Epston, 1990)	أسلوب علاجي يدمج الروحانية والدِّين في العلاج النفسيّ لتعزيز الصحة النفسيَّة (Pargament, 2007)	أسلوب علاجي يركز على مواجَهة الإنسان لحريته، ومسؤوليته، وحيرته الوجودية Yalom, (1980)
الهدف الأساسيّ	إيجاد معنى للحياة وتجاوُز الأزمات	مساعَدة الأفراد على إعادة تفسير قصصهم الشخصيَّة، بشكل إيجابي.	تحقيق الطمأنينة والتوازن الروحي	مواجَهة التساؤلات الفلسفيَّة، مثل: الموت، الحرية، العزلة.
الأساس النظريّ	الفلسفة الوجودية وعلم النفس الإيجابي (Frankl, 1969)	علم النفس السردي والبنائي (White & Epston, 1990)	علم النفس الروحي والتوجُّهات الدينيَّة في العلاج (Pargament, 2007)	الفلسفة الوجودية والتحليل النفسيّ (Yalom, 1980)
طريقة العلاج	الحوار السقراطي (Socratic Dialogue) تقنيَّة النيَّة المتناقضة (Paradoxical Intention) التحليل الوجودي (Existential Analysis) (Frankl, 1969)	إعادة سرد الأحداث (Re-authoring) توثيق القصص الشخصيَّة (Documenting Stories) تحليل الهُوِيَّة الثقافيَّة (Cultural Narratives) (White & Epston, 1990)	التأمُّل والصلاة (Meditation & Prayer) التوجيه الروحي (Spiritual Guidance) استخدام النصوص المقدَّسة والممارَسات الدينيَّة (Sacred Texts & Rituals) (Pargament, 2007)	المواجَهة المباشِرة لقضايا الوجود (Confronting Existential Issues) التفكير العميق في الحرية والمسؤوليَّة (Reflection on Freedom & Responsibility) القَبول والتعايش مع عدم اليقين (Acceptance of Uncertainty) (Yalom, 1980)
نظرة الإنسان	الإنسان كائن يسعى للبحث عن المعنى حتى في أصعب الظروف	الإنسان يتأثر بقصصه الشخصيَّة وكيف يرويها	الإنسان يجد الطمأنينة من خلال الإيمان بالله والتأمل الروحي	الإنسان يتحمل مسؤوليَّة تشكيل حياته، وعليه التكيُّف مع حالات عدم اليقين ومواجَهتها
نظرة المعاناة	يمكن للمعاناة أن تمنح الإنسان هدفًا، وليست مجرد حاجز في الحياة (Frankl, 1969).	المعاناة تُعاد صياغتها من خلال تغيير التعبير الشخصيّ (White & Epston, 1990)	يمكن للإيمان والبُعْد الروحي أن يُخفِّفَا من وطأة المعاناة. (Pargament, 2007)	المعاناة جزء طبيعيّ من الحياة ويجب مواجهتها مباشرةً. (Yalom, 1980)
الدور الاجتماعيّ	العَلاقات الاجتماعيَّة يمكن أن تُعزِّز الإحساس بالمعنى لكنها ليست ضروريَّة دائمًا. (Frankl, 1969).	يعتمد على العَلاقات الاجتماعيَّة والثقافيَّة في تشكيل الهُوِيَّة. (Epston, 1990).	يرى أن الروابط الروحية والدينيَّة يمكن أن تكون مصدر قوة للفرد والمجتمع. (Pargament, 2007).	يُركِّز على المسؤوليَّة الفرديَّة ولكنه يعترف بأهمية العَلاقات في تشكيل الوعي الذاتيّ (Yalom, 1980).
مستوى التركيز	يتمحور حول فَهْم الإنسان لدوره ومعناه في الحياة.	يُركِّز على السرد الشخصيّ وكيفية إعادة صياغته.	يُركِّز على البُعْد الروحي وتأثير الإيمان في العلاج.	يُركِّز على المواجَهة الفلسفيَّة لمشكلات الوجود.
الفئة المستهدَفة	الأشخاص الذين يعانون من فِقْدَان الهدف أو الشعور بالفراغ.	يُستخدَم مع الأشخاص الذين يشعرون أن حياتهم فقدت المعنى بسبب أحداث مؤلمة أو تحوُّلات كبيرة.	الأشخاص الذين يبحثون عن السلام الروحي واليقين	الأشخاص الذين يشعرون بالقلق الوجودي أو ارتباك في تعريف ذاتهم.

•التحدِّيات التي تواجه تطبيق العلاج بالمعنى:

رغم الفوائد العديدة للعلاج بالمعنى، إلا أن هناك تحديات تعيق تطبيقه -بشكلٍ فعَّالٍ- في مختلف المجالات العلاجيَّة. وفيما يأتي أبرز هذه التحدِّيات:

١. **نقص الوعي والتدريب المهنيّ (Lack of Awareness & Professional Training)**: يعاني العديد من الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين من قِلَّة التدريب على العلاج بالمعنى؛ ممَّا يؤدِّي إلى ضَعْف تطبيقه في الممارَسة المهنيَّة؛ فمعظم برامج التدريب في علم النفس تركز على العلاج المعرفيّ السلوكيّ (CBT)، أو التحليل النفسيّ؛ ممَّا يُقلِّل من انتشار العلاج بالمعنى[٨٢][٨٣].

٢. **صعوبة قياس الفعاليَّة العلاجيَّة (Difficulty in Measuring Effectiveness)**: نظرًا لأن العلاج بالمعنى يركز على المعاني الشخصيَّة والتجارب الذاتيَّة، فإنَّه من الصعب تحديد مقاييس كميَّة دقيقة لقياس نجاحه؛ فغياب أدوات تقييم معياريَّة مثل تلك المستخدَمة في العلاجات الأخرى (مثل العلاج المعرفيّ السلوكيّ) يجعل من الصعب تقييم نتائجه علميًّا [٨٤][٨٥].

٣. **مقاوَمة العملاء للتغيير (Client Resistance to Change)**: فبعض العملاء يجدون صعوبةً في إعادة تعريف معاني حياتهم، خاصةً إذا كانوا معتادين على نمط تفكير سلبي طويل الأمد؛ فالمرضى الذين يعانون من الاكتئاب الحاد أو اليأس الوجودي قد يواجهون صعوبة في إيجاد معنى لحياتهم؛ ممَّا يجعَل العلاجَ أقلَّ فاعليَّةً[٨٦] [٨٧].

٤. **قِلَّة الدراسات التجريبيَّة والسَّريريَّة (Lack of Empirical Research & Clinical Trials)**: لا تزال هناك حاجة إلى مزيد من الأبحاث السريرية التي تُثبِت فاعليَّةَ العلاج بالمعنى مقارنةً بالعلاجات الأخرى مثل العلاج المعرفيّ السلوكيّ (CBT)؛ فمعظم الدراسات حول العلاج بالمعنى تعتمد على حالات فرديَّة وتقارير نوعيَّة؛ ممَّا يجعَل من الصعب تعميم النتائج[٨٨].

٥. **عدم توافق العلاج مع بعض الاضطرابات النفسيَّة (Incompatibility with Certain Disorders)**: العلاج بالمعنى قد يكون أقلَّ فاعليَّةً مع بعض الحالات النفسيَّة الحادَّة؛ مثل الفصام أو الاضطرابات الذهانية؛ حيث قد يُواجه المرضى صعوبةً في التفكير التجريدي أو إيجاد معنى في تجاربهم؛ فالمرضى الذين يعانون من تدهور معرفيّ (مثل مرضى الزهايمر) قد لا يتمكنون من التفاعل مع العلاج بفعاليَّة[٨٩].

٦. **التحدِّيات الماليَّة واللوجستية (Financial & Logistical Challenges)**: قِلَّة الموارد والتمويل لمراكز العلاج النفسيّ التي تُقدِّم العلاج بالمعنى؛ ممَّا يجعَله غير متاح على نطاقٍ واسعٍ، ونقص الأخصائيين المدرَّبين في هذا المجال؛ ممَّا يزيد من صعوبة الوصول إليه[٩٠].

•مناقَشة:

يُعدّ العلاج بالمعنى إطارًا علاجيًّا يركز على البحث عن المعنى بوصفه وسيلة لتعزيز الصحة النفسيَّة والاستقرار المعنوي؛ إذ لا يقتصر العلاج النفسيّ على مجرد تخفيف الأعراض، بل يمتد إلى إعادة تشكيل نظرة الإنسان لحياته، وتحفيزه على إيجاد هدف أَسْمَى يوجه مسيرته الشخصيَّة

(82) Batthyány, A. *Logotherapy and existential analysis*.
(83) Schulenberg, & Melton, *Journal of Humanistic Psychology*.
(84) Schulenberg, & Melton, *Journal of Humanistic Psychology*.
(85) Wong, P. T. *The human quest for meaning*, 2012.
(86) Frankl, V. E. *Man's search for meaning*.1959.
(87) Lukas, E. *Meaning-centered psychotherapy*, 2019.

(88) Batthyány, A. *Logotherapy and existential analysis*.
(89) Lukas, E. *Meaning-centered psychotherapy*, 2019.
(90) Schulenberg, & Melton, *Journal of Humanistic Psychology*.

والمهنيَّة؛ فالضغوط والتحدِّيات اليوميَّة تجعل الأفراد أكثرَ عرضةً للإحباط العميق والشعور بالفراغ النفسيّ، وهنا يأتي العلاج بالمعنى ليؤكد أن الإنسان قادر، حتى في أشد الظروف، على إيجاد معنى لحياته واستعادة التحكم مجددًا في مسار حياته.

وهذا يتوافق مع المنظور الإسلامي الذي يرسخ فكرة أن الإنسان مخلوق له غاية أَسْمَى في الحياة؛ وهي عبادة الله وإعمار الأرض، كما قال تعالى:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ فالإيمان بأن للحياة معنى أعمق من مجرد التحدِّيات اليوميَّة يمنح الإنسانَ قوةً داخليَّةً تُعِينُه على الصبر والتحمُّل، ويجعل مفهومَ "الابتلاء" ليس مجرد معاناة، بل فرصة للنمو والتقرب إلى الله؛ مما يتقاطع بوضوح مع جوهر العلاج بالمعنى.

ولكن على الرغم من النجاحات التي حققها هذا الأسلوب العلاجي، لكن هناك العديد من التحدِّيات التي تعيق انتشاره، سواء من حيث نقص التدريب المهنيّ، أو صعوبة القياس التجريبيّ، أو المقاوَمة الثقافيَّة والفرديَّة؛ وعليه، فإن مستقبل العلاج بالمعنى يعتمد على مواصَلة البحث العلميّ، وتطوير أدوات قياس فعَّالة، وتوسيع نطاق تدريسه وتطبيقه في مختلف المجالات.

وتتجلَّى فاعليَّة العلاج بالمعنى في تطوير الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة بتمكين الأخصائيين الاجتماعيين من تبنِّي إستراتيجيات وأساليب علاجيَّة أكثر شموليَّةً وعمقًا، تركز على مساعَدة الأفراد في إعادة بناء إدراكهم لذواتهم وحياتهم، فبدلًا من الاقتصار على التدخُّلات العلاجيَّة التقليديَّة التي تستهدف الأعراض الظاهرة، يوفر العلاج بالمعنى إطارًا يُمكِّن الأخصائيين من العمل على المستويات العاطفيَّة والفكريَّة العميقة لعملائهم؛ ممَّا يُسهِم في تعزيز قدراتهم على التكيُّف مع التحدِّيات الحياتيَّة بطريقة أكثرَ إيجابيَّةً وفاعليَّةً، وهذا -بدوره- يُعزِّز جودةَ الخدمات الاجتماعيَّة المقدَّمة، ويجعل التدخُّلات المهنيَّة أكثر تأثيرًا واستدامةً.

علاوةً على ذلك، فإن دمج العلاج بالمعنى في الممارَسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة يُسهِم في تطوير مهارات الأخصائيين الاجتماعيين في مجالات، مثل: التقييم العلاجي، وتصميم التدخُّلات، وتعزيز الذكاء العاطفيّ لديهم؛ ممَّا يجعَلهم أكثرَ قدرةً على التعامُل مع الفئات المختلفة بطرق تلبِّي احتياجاتهم النفسيَّة والاجتماعيَّة بشكل أكثر دقةً، وأن تدريب الأخصائيين على هذا النموذج العلاجي يفتح آفاقًا جديدةً في مجال الخدمة الاجتماعيَّة؛ حيث يُتيح لهم تقديم دعم أكثر تكاملًا وشموليةً، ويُمكِّن العملاءَ من تحويل معاناتهم إلى دافع للتطور وإعادة التعرُّف على قدراتهم الفعليَّة.

ختامًا، يبقى البحث عن المعنى رحلة شخصيَّة يخوضها كل فرد بطريقته الخاصَّة، لكنَّه ليس وحدَه في هذه الرحلة، بل يمكن -من خلال تدخلات علاجيَّة مخطَّطة- مساعدة الأفراد على تحويل معاناتهم إلى دافع للنمو، وإعادة تشكيل رؤيتهم للحياة بما يمنحهم القوةَ والاستقرارَ النفسيَّ؛ لذلك، فإنَّ تبنِّي العلاج بالمعنى ليس مجرد خيار نظريّ، بل ضرورة إنسانيَّة تعكس حاجة الأفراد إلى أن يشعروا بأن حياتهم تحمل قيمةً ومعنًى، بِغَضِّ النظرِ عن التحدِّيات التي تواجههم.

وعليه توصي الدراسة التالية بعدد من التوصيات:

١-تبنِّي الأقسام الأكاديميَّة للخدمة الاجتماعيَّة في الجامعات في مناهجها تعليم نموذج العلاج بالمعنى؛ ممَّا يُساعِد على اكتساب الطلاب أساسًا معرفيًّا يمكنهم من تطبيقه.

٢-دَعْم طلاب الدراسات العليا لإجراء الدراسات العِلميَّة لدراسة وتطبيق نموذج العلاج بالمعنى.

٣-عَقْد وِرَش عمل تدريبيَّة وتوعوية تشرح مفهوم العلاج بالمعنى وفنياته وطُرُق تطبيقه.

٤-لضمان التطبيق الفعَّال للعلاج بالمعنى في الممارَسة

للمهنية، يجب أن يتحلى الأخصائيون الاجتماعيون بمجموعة من المهارات المقترَحة التي تُعزِّز قدرتَهم على توظيف هذا النموذج العلاجي بكفاءة وفعالية. **ومن أبرز هذه المهارات:**

١-مهارات الإنصات الفعَّال والتواصل العلاجي.

٢-مهارات التفكير النقديّ وطرح الأسئلة العلاجيَّة العميقة.

٣-مهارة الإرشاد النفسيّ لتعزيز وعي العملاء بذواتهم ومعاني تجاربهم الحياتيَّة.

٤-مهارات الفَهْم العميق للمسائل الفلسفيَّة الحياتيَّة والتعامل مع القلق المرتبط بها.

٥-مهارة الاستبصار الذاتيّ وتعزيز الوعي الداخليّ.

٦-مهارة توظيف التقنيات العلاجيَّة الحديثة في العلاج بالمعنى.

٧-المهارات اللازمة لتقييم الحالة العلاجيَّة ومتابَعة تطوُّرها بفعاليَّة.

٨-مهارة التحليل الأخلاقي وتطبيق القِيَم في الممارَسة العلاجيَّة.

٩-مهارة التحفيز على الإبداع في استكشاف المعنى.

١٠-مهارة توظيف اللُّغة الرمزية والمجازيَّة في التفاعل العلاجي.

المراجع

المراجع العربيَّة:

ابن منظور، محمد. (٢٠٠٣). *"لسان العرب"* (تحقيق عبد الله الكبير). الطبعة الثالثة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أحمد، حنتول. "فاعليَّة العلاج بالمعنى كأسلوب إرشادي في تحسين مستوى التوافُق النفسيّ لدى عينة من الشباب الجامعيّ ذوي الإعاقة الحركيَّة الناجمة عن الحوادث المروريَّة". *مجلة العلوم النفسيَّة والتربويَّة*، ٢٠١٨.

البخيت، منى بركة. "الإرشاد النفسيّ بالمعنى مدخلًا للتخفيف من الاحتراق النفسيّ وتنمية الكفاءة الذاتيَّة لدى معلِّمات التربية الخاصَّة والمدربات في مجال الصحة النفسيَّة". *مجلة الدراسات التربويَّة والإنسانيَّة*، كلية التربية – جامعة دمنهور، ٢٠٢٠.

البريثن، عبدالعزيز عبدالله. "مدى ارتباط أبحاث ورسائل الخدمة الاجتماعيَّة بالممارَسة المهنيَّة: دراسة استطلاعية لرسائل الدكتوراه التي أُجيزت في حقل الخدمة الاجتماعيَّة في المملكة العربيَّة السعوديَّة". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٨ (٨)، ٢٠٠٠.

حسن، أحمد محمود. "ممارَسة العلاج بالمعنى في خدمة الفرد لتحسين معنى الحياة لدى المراهقين نزلاء المؤسَّسات الإيوائيَّة". *مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعيَّة والعلوم الإنسانيَّة*، ٣ (٥١)، ٢٠٢٢.

خلف، سناء حسين. "أثَر برنامج إرشادي قائم على العلاج بالمعنى في تنمية الوفاء الوجودي لدى طالبات الجامعة". *مجلة الفتح للبحوث التربويَّة والنفسيَّة*، ٤(٢٧)، ٢٠٢٣.

الخواجة، عبد الفتاح. "فاعليَّة برنامج الإرشاد الجَمعِيّ بالمعنى في تحسين مستوى التدفُّق النفسيّ لدى عينة من طلاب جامعة نزوى". *مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث. فلسطين، غزَّة*. ٣ (٥)، ٢٠٢٣.

الدخيل، دخيل. "اتجاهات الأخصائيين الاجتماعيين نحو تطوير الأداء المهني في المؤسسات الصحية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٦ (٥)، ٢٠٠٦.

الدعدي، أثير، الطويلمي، خديجة. "الانتحار في ضوء العلاج بالمعنى في الخدمة الاجتماعيَّة". *مجلة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة*، ٦ (١٥)، ٢٠٢٢.

زيادة، شيماء. *"فاعليَّة العلاج بالمعنى في خفض اضطراب صورة الجسم وتنمية الكفاءة الاجتماعيَّة لدى المعاقين حركيًّا"*. رسالة ماجستير. جامعة أسيوط – كلية التربية،

قسم علم النفس، ٢٠١٥.

السكري، سعيد. "فعالية برامج الخدمة الاجتماعية في تحسين الأداء المهني: دراسة تطبيقية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٨ (٨)، ٢٠٠٠.

سليمان، حسين، عبدالمجيد، هشام والبحر، منى. "*الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الجماعة والمؤسسة والمجتمع*". ط١، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

عبدالرحمن، محمد. "فاعليَّة برنامج قائم على العلاج بالمعنى لتحسين الهدف من الحياة لدى مجموعة من المراهقين الصُّمّ". *جامعة الأزهر*. مج ٣٥، ٢٠١٦.

العبدالكريم، خلود. "إدارة الحالة في تقديم الخدمات الاجتماعيَّة بمؤسسات الرعاية الاجتماعيَّة بالمجتمع السعودي". *مجلة شؤون اجتماعيَّة*، ع ١٤٥، ٢٠٢٠.

عبيد، علي. "أثر التطوير المهني على جودة الخدمة الاجتماعية في المؤسسات الصحية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٣٥ (٤)، ٢٠١٧.

العسكر، عهود بنت بشير. "*فاعليَّة برنامج قائم على الإرشاد بالمعنى في خفض قلق المستقبل لدى المعاقات حركيًّا بمدينة الرياض*". رسالة دكتوراه – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، الرياض، ٢٠١٩.

فرانكل، فيكتور إيميل. "*إرادة المعنى – أُسُس وتطبيقات العلاج بالمعنى*"، دار زهراء الشرق، ١٩٤٦.

قنديل، محمد. "مدى تأثير الأساليب الحديثة في الخدمة الاجتماعية: دراسة ميدانية على واقع الممارسة المهنية في السعودية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٨ (٨)، ٢٠٠٨.

مجمع اللغة العربية. *"المعجم الوسيط"*. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤.

منصور، رشدي. "*علم النفس العلاجي والوقائي*"، رحيق السنين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠.

الناجم، نهى. "معوقات تطبيق الممارسات المهنية في مؤسسات الخدمة الاجتماعية: دراسة ميدانية". *مجلة العلوم الاجتماعية*، ٢٩ (٢)، ٢٠٠٩.

المراجع الأجنبيَّة:

Amanda M Evans, Annette Kluck, Doris Hill. *Utilizing Exittential Meaning- Making a Therapeutic Tool for Clients Affected Poverety*, 2016.

Batthyány, A. *Logotherapy and existential analysis*. Springer, 2016.

Brymer, E., Freeman, E., & Richardson, M. Nature and meaning in life. *Journal of Positive Psychology*, 2021.

Chan, Wallace Chi Ho. *Applying Logotherapy in Teaching Meaning in Life in Professional Training and Social Work Education*, 2023.

Frankl, V. E. *Man's search for meaning*. Beacon Press, 1959.

Frankl, V. E. *Psychotherapy and existentialism*. Washington Square Press, 1967.

Frankl, V. E. *The unheard cry for meaning: Psychotherapy and humanism*. Simon & Schuster, 1978.

Frankl, V. E. *The will to meaning: Foundations and applications of logotherapy*. Penguin Books. 1988.

Greene, R. R. *Human behavior theory and social work practice*. Transaction Publishers. 2017

Harir Putriana, IGAA Noviekayati, Dyan Evita Santi. *The Applicatcation of Logtherapy to Increase Self-Esteem and Resilience of Adolescents in Orphanage*, 2024.

Heintzelman, S. J., & King, L. A. *The role of art in meaning-making*. American Psychologist. 2020.

Hutzell, R. R. *An Introduction to Logo Therapy In*, 1990.

Kleiman, E. M., Adams, L. M., & Kashdan, T. B. Gratitude and the search for meaning. *Journal of Positive Psychology*, 2019.

Lukas, E. *Meaning-centered psychotherapy*. Springer. 2019.

Marshall, J. & Marshall, C. Finding meaning in everyday life. Oxford University Press, 2020.

Pargament, K. I. *Spiritually integrated psychotherapy: Understanding and addressing the sacred*. Guilford Press, 2017.

Putriana, L. *Social work practices in contemporary society*. Routledge, 2024.

Rokeach, M. *The nature of human values*. Free Press, a division of Macmillan Publishing Co., Inc., 1973

Schulenberg, S. E., & Melton, A. M. Logotherapy

in modern psychology. *Journal of Humanistic Psychology*. 2023

Shirin Rahgozar and Lydia Gimenez. *Foundations and Applications of Logotherapy to Improve Mental Health of Immigrant Populations in the Third Millennium*, 2020.

Tugba Seda Colak & Mustafa Koc. *Logotherapy Oriented Group Counseling Program To foster Forgivenees Flexibility*, 2020.

Turner, F. J. *Social work treatment: Interlocking theoretical approaches*. Oxford University Press, 2017.

Wong, P. T. *The human quest for meaning*. Routledge, 2012.

Wong, P. T., & Weiner, B. *The science of meaning.* Cambridge University Press, 2022.

Worthington, E. L., Jr., & Scherer, M. Forgiveness is a choice: A step-by-step process for resolving anger and restoring hope. *American Psychological Association*, APA Books, 2004.

Yalom, I. D. (1980). *Existential psychotherapy*. Basic Books .

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ١٩٧-٢١١، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 193-211, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

إشكالية تطور الرواية التاريخية لوفاة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس في ضوء المصادر المملوكية: رؤية نقدية تحليلية

سند بن أحمد عبد الفتاح
أستاذ التاريخ، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت.

مشعل بن محمد العنزي
أستاذ التاريخ المشارك، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت.

(قدم للنشر في ٧/ ٨/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ١١/ ٩/ ١٤٤٦هـ)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-10

الكلمات المفتاحية: بيبرس، القاهر، التنجيم، الخضر، سلاجقة الروم.

ملخص البحث: يتعرض هذا البحث إلى إشكالية المصادر المملوكية حول وفاة السلطان الظاهر بيبرس (ت.٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) التي على الرغم من توفر شهود عيان من مؤرخي عصر بيبرس، وتوفر الكثير من المصادر المملوكية التي تعرضت بالدراسة لفترة حكمه؛ لكن الغموض أحاط بأسباب وفاته؛ وظهرت العديد من التساؤلات حول طريقة وفاته؛ هل كانت لأسباب صحية أم جنائية أم عسكرية أم اقتصادية أم سيكولوجية -نفسية- أم ميثولوجية -خارج نطاق العقل- متعلقة بخرافات التنجيم ونبوءات شيوخ الصوفية، أم هو خليط من كل هذه الأسباب؟ وهل كان هناك أشخاص محددين لهم مصلحة خاصة في وفاة بيبرس أم لا؟ هذا الاختلاف حول أسباب وفاة بيبرس جعل كتابات المؤرخين المماليك مختلفة وعاجزة عن تفسير الأسباب الحقيقية لوفاته على الرغم من وفرة المصادر المعاصرة لبيبرس واللاحقة عليه أيضًا. ومن جهة أخرى سيشرح البحث تطور الروايات التاريخية المتعلقة بوفاة الظاهر بيبرس بدءًا من روايات المصادر المعاصرة لبيبرس في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وما لحق بهذه الروايات من زيادة أو نقصان أو تغيير في محتواها في القرون التالية حتى القرن التاسع الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي؛ وبمعنى آخر كيف اختلفت روايات القرن السابع الهجري التي تحدثت عن وفاة بيبرس عن نظيراتها في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وهل كانت هذه الإضافات من ابتكار المؤرخين اللاحقين دون التحقق من مصادر معلوماتهم.

The Problem of the Development of the Historical Narrative of the Death of the Mamlūk Sultan Al-Zāhir Baybars in Light of Mamlūk Sources: A Critical Analytical View

Sanad Ahmed Abdul Fattah
Professor of History, Department of History and Archaeology, Faculty of Arts, Kuwait University, Kuwait.

Meshal Mohammed Al-Enezi
Associate Professor of History, Department of History and Archaeology, Faculty of Arts, Kuwait University, Kuwait.

(Received: 7/ 8/1446 H, Accepted for publication 11/ 9/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-10

Keywords: Baybars, Al-Qāhir, Astrology, Al-Khidr, Seljuks.

Abstract. This research deals with the problem of Mamlūk sources about the death of Sultan Al-Zāhir Baybars (d. 676 AH/1277 AD). Despite the availability of eyewitnesses from historians of Baybars' era, and the availability of many Mamluk sources that studied his reign; the reasons for his death were surrounded by ambiguity. Many questions arose about the manner of his death; was it for health reasons, criminal, military, economic, psychological, or mythological reasons related to astrology superstitions and prophecies of Sufi sheikhs, or was it a mixture of all these reasons? The research explains the development of historical narratives related to the death of Al-Zāhir Baybars, starting with the narratives of contemporary sources of Baybars in the seventh century AH/thirteenth century AD, and what happened to these narratives in terms of additions, decreases, or changes in their content in the following centuries until the ninth century AH/sixteenth century AD.

مقدمة

أسباب اختيار الموضوع:

تُعد الدراسات الحضارية من الدراسات التي يسلط عليها الباحثون المعاصرون الضوء لفض العديد من الإشكاليات المثارة حول بعض المواضيع التاريخية؛ بعيدًا عن الدراسات السياسية التي نالت قسطًا كبيرًا من مصنفات المكتبة العربية، وإذا كان السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (٦٥٩-٦٧٦هـ/ ١٢٦١-١٢٧٧م)(١) قد تناولته بالدراسة العديد من الأبحاث؛ لكن المكتبة العربية تكاد تخلو من دراسة مستقلة عن إشكالية وفاته التي تنوعت فيها رؤى المؤرخين المعاصرين له واللاحقين عليه، لذا أخذ الباحثان على عاتقهما دراسة هذا الموضوع نقدًا وتفصيلًا في ضوء المصادر المملوكية.

تساؤلات الدراسة:

يتعرض هذا البحث إلى إشكالية المصادر المملوكية حول وفاة السلطان الظاهر بيبرس والتي بالرغم من توفر شهود عيان من مؤرخي عصر بيبرس، وتوفر الكثير من المصادر المملوكية التي تعرضت بالدراسة لفترة حكمه؛ إلا أن الغموض أحاط بأسباب وفاته؛ وظهرت العديد من التساؤلات حول طريقة وفاته؛ فتنوعت المصادر في ذكر الأسباب الصحية والجنائية والعسكرية والاقتصادية والسيكولوجية -النفسية- والميثولوجية -خارج نطاق العقل- المتعلقة بعلم التنجيم من ناحية(٢) ونبوءات شيوخ الصوفية من ناحية أخرى؟ فما هي حقيقة منطقية هذه الأسباب؟ وهل كان هناك أشخاص محددين لهم مصلحة خاصة في وفاة بيبرس أم لا؟ هذا الاختلاف الوارد في المصادر حول أسباب وفاة بيبرس جعل أقوال مؤرخي المماليك مختلفة وعاجزة عن تفسير الأسباب الحقيقية لوفاته؛ وهذا ما أكده المؤرخ العيني بقوله: **"أن الكلام فيه على أنواع"**(٣)، وحذا حذوه المؤرخان العمري وابن الوردي بقولهما: **"وَاخْتلف فِي سَبَب مَوته"**(٤)، وكذلك ابن الفرات قائلًا: **"واختلف أهل التاريخ والسير في سبب وفاة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي"**(٥).

أهداف الدراسة والمنهج المتبع:

تهدف هذه الدراسة إلى إعطاء رؤية منطقية حول أسباب وفاة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بعدما اختلفت المصادر حول أسباب وفاته؛ لذا سوف يستعرض هذا البحث حصر أغلب الروايات الجدلية الواردة في المصادر المملوكية حول وفاة بيبرس ومحاولة تحليلها وفق المنهجين؛ أولًا: المنهج الوصفي التحليلي لمحتوى هذه النصوص، وثانيًا: المنهج النقدي لشذرات النصوص المتعلقة بوفاة الظاهر بيبرس في محاولة لإعطاء جميع التفسيرات المنطقية والعقلانية التي تدعم الإجابة حول فرضية البحث الرئيسية وهي هل كانت وفاته نتيجة لأحد الأسباب سالفة الذكر في مقدمة البحث؛ أم أن وفاته اجتمعت فيها كل هذه العوامل جميعًا؛ مع الأخذ في الاعتبار أنه وبالرغم من وجود شهود عيان من المؤرخين المعاصرين لبيبرس ووفرة المصادر اللاحقة التي تحدثت عنه؛

---

(١) هو السلطان المملوكي بيبرس البندقداري (٦٥٩-٦٧٦هـ/ ١٢٦١-١٢٧٧م)، عدّه بعض الباحثين خامس سلاطين الدولة المملوكية باعتبار شجر الدر أول سلطانة مملوكية، وعدّه بعضهم الآخر رابع السلاطين بعد حذف اسم شجر الدر من أسماء السلاطين باعتبار أن المرأة لا تعتلي عرش الحكم في الإسلام، وهو قاهر الصليبيين في معركة المنصورة٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، وقاهر المغول في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وله العديد من الإنجازات على الصعيدين الداخلي والخارجي. انظر ترجمته التفصيلية في: صلاح الدين الصفدي، *الوافي بالوفيات*، تح. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي، ط١، ج١٠، (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠)، ص٢٠٧-٢١٤.

(٢) علم التنجيم يختلف عن علم الفلك وهو علم النظر في النجوم، وكان للمسلمين في علم الفلك باع كبير، حيث كانوا يستخدمونه في معرفة الطرق البرية والبحرية، وكذلك معرفة المواقيت، وقد تطور هذا العلم كثيرًا في ظل الدولة الإسلامية بعد أن ترجم المسلمون مؤلفات العلماء اليونان في علم الفلك، ليظهر جيل من العلماء المسلمين البارزين الذين أثروا المكتبة العربية بالكثير من المؤلفات في هذا العلم، أما التنجيم فقد ارتبط كثيرًا بادعاء معرفة الغيب وأمور الكهانة ومعرفة مصائر الناس، والتمييز بين العلمين كان واضحًا منذ عصر السيرة وعصر الخلفاء الراشدين الذين حثوا على تعلم النجوم للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر. أكرم العمري، *عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين*، (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٩)، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٣) بدر الدين محمود العيني، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، تح. محمد محمد أمين، ج٢، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية ٢٠١٠)، ص١٧٤.

(٤) شهاب الدين العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، ج٢٧، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ)، ص٤٢٣؛ زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، *تاريخ ابن الوردي المعروف بـ"تتمة المختصر في أخبار البشر"*، ج٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ص٢١٨.

(٥) ناصر الدين بن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، تح. قسطنطين زريق، مج٧، (بيروت: المطبعة الأمريكانية، ١٩٤٢)، ص٨٤.

إلا أننا لاحظنا وجود روايات مختصرة جدا لم تتجاوز بضع كلمات عن حادثة وفاته، يقابلها على الجانب الآخر روايات أخذت حيزًا كبيرًا من التحليل بحيث ستعطي الباحثان -قدر الإمكان- الإجابة على تساؤلات الدراسة في محاولة بسيطة لتركيز الضوء وكشف الغموض المحيط بوفاة الظاهر بيبرس.

الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات عصر الظاهر بيبرس وأهم أعماله وإنجازاته، إلا أن دراسة الأسباب المتعلقة بوفاة الظاهر بيبرس وتطورها في المصادر المملوكية وتحليلها لم يسبق دراسته في قاعدة البيانات التي رجع الباحثان إليها -على حد علمهما- وذلك بالرغم من تناول بعض الباحثين لطقوس الدفن والعزاء للأمراء والسلاطين، لكن فكرة البحث القائمة على اختلاف الروايات وتطورها هي فكرة أصيلة لم يُشر إليها الباحثون من قبل.

مصادر الدراسة:

يتناول البحث تطور الروايات التاريخية المتعلقة بوفاة الظاهر بيبرس بدءًا من روايات المصادر المعاصرة لبيبرس في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وما لحق بهذه الروايات من زيادة أو نقصان أو تغيير في محتواها في القرون التالية حتى القرن التاسع الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي؛ وبمعني آخر كيف اختلفت روايات القرن السابع الهجري التي تحدثت عن وفاة بيبرس عن نظيرتها في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وهل كانت هذه الإضافات من ابتكار المؤرخين اللاحقين دون التحقق من مصادر معلوماتهم؟ فعلى سبيل المثال سنجد أن الروايات الواردة من المصادر الرسمية لحكم بيبرس والمتمثلة في المؤرخَين اللذين كتبا سيرة بيبرس وهما ابن شداد في كتابه" **تاريخ الملك الظاهر**"، وابن عبد الظاهر في كتابه **"الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر"** جاءت روايتهما مختلفة إلى حد كبير عن بقية المؤرخين اللاحقين، وهو ما سيطرح تساؤلات عديدة مثل: من هو صاحب الرواية الصحيحة في وفاة بيبرس؟ وهل حاول ابن شداد وابن عبد الظاهر تجميل صورة بيبرس-باعتباره ولي نعمتهما- حتى في إشكالية وفاته بتجاهلهما معًا لإحدى الروايات المشهورة في موته وهي قيامه باغتيال الملك القاهر أحد أفراد ملوك البيت الأيوبي بدس السم له ثم موت بيبرس بعد شربه من نفس الكأس؛ كذلك لا يمكن إغفال الروايات المعاصرة الأخرى لهذه الفترة، مثل كتاب شافع بن علي (**حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية**)، وكتاب ابن العبري (**تاريخ مختصر الدول**)، وكتاب ابن المغيزل (**ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**)، إضافة إلى المصادر المملوكية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين؛ مثل: مؤلفات أبي الفدا، وابن الدواداري، وبيبرس الدوادار، والنويري، والذهبي، والصفدي، وابن كثير، والمقريزي، وابن حجر العسقلاني، وابن تغري بردي، والسيوطي ... إلخ. التي ضمنتها الدراسة داخل متن البحث؛ ومنها يمكن تقسيم هذا البحث إلى محاور عديدة:

المحور الأول: **رواية موت بيبرس بالسم وعلاقتها بعلم التنجيم والتآمر على حياة الملك القاهر الأيوبي.**

المحور الثاني: الروايات الطبية والحربية وارتباطها بوفاة بيبرس.

المحور الثالث: الروايات المذهبية وارتباطها بوفاة بيبرس.

المحور الأول: روايات الموت بالسم وعلاقتها بعلم التنجيم والتآمر على حياة الملك القاهر الأيوبي.

بادئ ذي بدء حين نتعرض لأشهر الروايات التفصيلية الواردة في المصادر المملوكية بصدد وفاة بيبرس فسنجدها مرتبطة بعلم الفلك والتنجيم؛ وكان بيبرس من المهتمين بعلم التنجيم والمنجمين؛ فأوردت المصادر أنه كان **"مولعًا بالنجوم وما يقوله أرباب التقاويم كثير البحث عن ذلك"**[٥]، وربطت المصادر وفاة بيبرس بأن ذلك كان بسبب أن **"القمر انكسف كسوفًا كليًا، وانتشر بين الناس أن ذلك سيكون بسبب موت ملك عظيم"**[٦]، بل إن بعض المؤرخين كانوا أكثر تحديدًا حيث ذكروا أن هذا الملك سيموت بالسم[٧]، فحزن بيبرس كثيرًا وأصابه الغم لأنه أحس أنه الملك المقصود برواية المنجمين؛ فأراد أن يُبعد تفسير ظاهرة الكسوف عن نفسه وينجو بحياته، لذا أخذ يبحث عن شخص من نسل الملوك حتى تنطبق عليه رؤيا الكسوف فوجد هدفه في الملك القاهر بن الناصر داوود بن المعظم عيسى[٩] وهو من سلالة ملوك الدولة

(٦) قطب الدين اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٢)، ص ٢٧٣؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ص ٨٦.

(٧) عماد الدين إسماعيل أبو الفدا، *المختصر في أخبار البشر*، ج٤، (القاهرة: المطبعة الحسينية، ب.ت)، ص ١٠؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ج ١٩، ص ١٢٥.

(٨) اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص ٢٧٣؛ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تح. عمر عبد السلام تدمري، ج٥٠، (بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٩٣)، ص ٢٣٢؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ص ٨٦.

(٩) هو أحد ملوك الدولة الأيوبية وجده هو الناصر داوود الذي استرد بيت المقدس من أيدي الصليبيين عام ٦٣٧هـ عقب تسليمه للإمبراطور

الأيوبية، فاستدعاه لمجلسه وأمر بتقديم شراب القمز[١٠] (لبن الخيل المخمر) له بعد أن دس له السم في كأسه، وخرج الظاهر بيبرس لقضاء حاجته في (بيت الخلاء) فلما عاد قام الساقي بوضع الشراب لبيبرس في نفس الكأس الذي شرب منه الملك القاهر الأيوبي وكان مازال به آثار السم، ونسي الظاهر وشرب منه، ومات القاهر بالفعل مسمومًا في اليوم التالي، أما **الظاهر** بيبرس فحدثت له مضاعفات صحية بدأت بالحمى إلى أن ساءت حالته وتوفي بعد **القاهر** بأيام معدودة[١١]، وهذه الرواية علّق عليها بعض المؤرخين مثل: بيبرس الدوادار الذي أخبرنا أن الكأس **"كان ممزوجًا فيما قيل بسم"**[١٢]، وعلق عليها المؤرخ الصفدي بذكر اسم الأمير الذي رواها وهو الأمير عز الدين أيدمر العلائي[١٣] بقوله: **"بلغه ذَلِك من مطلع على الْأُمُور لَا يُشَك فِي أخباره"**[١٤]، كذلك علّق عليها المؤرخ ابن تغري بردي قائلًا: **"قلت: وهذا القول مشهور وأظنّه هو الأصحّ في علّة موته، والله أعلم"**[١٥]، وعلّق الكتبي بقوله: **"والله أعلم بحدوث ذلك"**[١٦]، أما عبارات المؤرخ ابن العبري فجاءت تحمل في معناها الشك وعدم التأكيد بقوله: **"يقولون ... وآخرون قالوا ..."**[١٧]، فمن اللافت للنظر أن جميع المؤرخين الذين ذكروا رواية وضع السم وربطوها بين وفاة بيبرس والملك القاهر هم من مؤرخي القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع والخامس عشر الميلاديين، بينما خلت مصادر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي من تلك الحادثة.

الجدير بالذكر -أيضًا- أن المؤرخ ابن الفرات يروي حادثة السم بطريقة أخرى مؤداها أن الظاهر بيبرس اتفق مع بعض سُقاته أن يقوموا بسم الملك القاهر حين حضوره لمجلسه، فلما حضر القاهر أشار بيبرس برأسه إلى الساقي الذي أوصاه بدس السم فناوله كأسًا من الفضة مخصصًا للملك القاهر فشربه ومات بعد خروجه من مجلس بيبرس، وبعد هذه الحادثة بثلاثة أيام جلس بيبرس لشرب القمز فنسي الساقي وسقاه في نفس الكأس التي بها آثار السم، فلما أحس بالشر من الوجع استفسر من الساقي عن الكأس فلما رأى الكأس وعرف أنها

فردريك الثاني من قبل الملك الكامل، واستمر ملوك بني أيوب في مشاركة سلاطين المماليك الحكم في عهد السلطان عز الدين أيبك ثم انزوى حكمهم ليكون قاصرًا على حكم بعض الولايات الشامية وبخاصة مدينة حماة، وسعى سلاطين المماليك في كسر شوكتهم دائمًا خوفًا من عودتهم إلى كرسي السلطنة مرة أخرى، وهو ما جعل المؤرخين يربطون بين تخلص بيبرس من الملك القاهر الأيوبي خوفًا من زوال ملكه، خاصة وأن المصادر كانت كثيرة المدح في صفات القاهر الأيوبي. انظر ترجمته في: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ج١٩، ص١٢٥-١٢٦.

(١٠) شراب القمز هو لبن الخيل المخمر، وقد اعتبره البعض من المسكرات، وكانت ممالك الترك في آسيا تعتمد عليه كشراب أساسي، وإلى الآن يشربونه في أوزبكستان حيث يُعد من تراث هذه الدول.

(١١) اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص٢٧٣؛ أبو الفدا، *المختصر في أخبار البشر*، ج٤، ص١٠؛ بيبرس الدوادار، *زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة*، تح. دونالد ريتشاردز (بيروت: الشركة المتحدة، ١٩٩٨)، ص١٦٠؛ العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، ص٤٢٣؛ الذهبي، *تاريخ الإسلام*، ص٢٣٣-٢٣٤؛ *الذهبي، دول الإسلام*، تح. حسن مروة، تقديم: محمود الأرناؤوط، ج٢، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٩)، ص١٩٨؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ج١٩، ص١٢٥- ١٢٦؛ ابن الوردي، *تاريخ ابن الوردي*، ص٢١٨؛ أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي بن كثير، *البداية والنهاية*، تح. عبد الله التركي، ج١٧، (الرياض: دار هجر، ١٩٩٩)، ص٥٣١؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. محمد عبد القادر عطا، ج٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ص١٠٣-١٠٤؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ص٨٦؛ العيني، *عقد الجمان*، ص١٧٩-١٨٠، ١٩٦؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تح. محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عاشور، ج٣، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ب.ت)، ص٤٦٣. تذكر المصادر أن اختيار بيبرس للقاهر تحديدًا كان بسبب حسده له لشجاعته وسيرته الجميلة بين الرعية، وأن أفعاله في معركة الأبلستين فاقت كل حدود الشجاعة، أضف إلى ذلك أن بيبرس أخبره بندمه على تورطه في الحرب في بلاد الروم، فوبخه القاهر وأسمعه كلامًا لا يليق، فحقد عليه بيبرس وأضمرها في نفسه. انظر: اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ص٢٧٣؛ الذهبي، *تاريخ الإسلام*، ص٢٣٣؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ج١٩، ص١٢٥؛ المقريزي، *السلوك*، ص١٠٣؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ص٨٦.

(١٢) بيبرس الدوادار، *زبدة الفكرة*، ص١٦٠.

(١٣) هو أخو الأمير أيدكين الصالحي كان محبًا للعلماء والفقراء وكان الملك الظاهر يثق به لأمانته، ولّاه الظاهر بيبرس نيابة السلطنة بصفد. الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ج١٠، ص٥؛ ج١٩، ص١٢٥.

(١٤) الصفدي، *الوافي بالوفيات*، ج١٩، ص١٢٦.

(١٥) ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج٧، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ب.ت)، ص١٧٧.

(١٦) محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، *فوات الوفيات والذيل عليها*، تح. إحسان عباس، ج١، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٣)، ص١٥٤.

(١٧) أبو الفرج جريجوريوس بن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، تح. أنطوان صالحاني اليسوعي، (بيروت: دار الشرق ،١٩٩٢)، ص٢٨٨.

الكأس المسمومة أيقن بالموت[١٨]؛ ويرى الباحثان أنه من الصعب التصديق بهذه الرواية فليس من المنطقي بأن يظل الكأس بدون غسيل لمدة ثلاثة أيام في مجلس السلطان الذي يحوي كثيرًا من الخدم القائمين على النظافة.

ومع تكرار رواية موت بيبرس بالسم داخل المصادر المملوكية وارتباطها بالملك القاهر الأيوبي ينفرد المؤرخ ابن العبري من بين مؤرخي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي والمعاصر لحكم بيبرس برواية وضع السم له دون أن يحدد أسماء الأشخاص المتهمين في ذلك؛ قائلًا إن: **"أناسًا من جماعته سقوه في لبن الخيل سمًا، ولما أحس عاد وسقى لمن أسقاه منه فماتا اثناهما"**[١٩]، ويلاحظ الباحثان أن رواية المؤرخ ابن العبري هي عكس ما ورد في أغلب المصادر حيث يذكر أن بعض الأمراء هم الذين حاولوا اغتيال بيبرس بوضع السم، وأنه لما أحس بالسم في جسده، قام أيضًا بوضع السم لمن حاول اغتياله وماتا معًا، وهي رواية غامضة وغير محدد فيها أسماء الأمراء الذين حاولوا قتله، كذلك من غير المنطقي وما لا يقبله العقل أن يكون المرء مصابًا بالسم ويقوم والألم يعتصره ليضع السم فيمن قام بِسَمِه!

نجد أيضًا أن المصادر المملوكية المعاصرة لفترة حكم الظاهر بيبرس- تحديدًا ابن شداد وابن عبد الظاهر- لم تتعرض لرواية السم التي حدثت بين بيبرس والقاهر الأيوبي؛ فالمؤرخ ابن شداد وهو الكاتب الرسمي لبيبرس لم يتعرض لاسم الملك القاهر داخل متن مؤلفه "تاريخ الملك الظاهر" إلا في رواية واحدة ضمن حوادث سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م حيث ذكر اسمه فقط، وأنه لم يُخصص له ترجمة ولو مختصرة في حوادث سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م وهو العام الذي توفي فيه هذا الملك الأيوبي[٢٠].

أما المؤرخ ابن عبد الظاهر فقد زاد الأمر غموضًا حين لم يذكر أي روايات تتعلق بكسوف القمر أو أية تفصيلات عن مرض بيبرس وإصابته بالحمى وجاء حديثه في كتابه عبارة عن رثاء طويل لبيبرس وتعداد فضائله وصفاته الجميلة دون أن يذكر أية تفصيلات تتعلق بأسباب وفاته أو الأعراض التي كان عليها قبل وفاته والتي ذُكرت في المصادر الأخرى[٢١]، وجاءت إشارته الوحيدة المتعلقة بوفاته قاصرة فقط على مدة مرضه والتي دامت حوالي ثلاثة عشر يومًا، والتي قارنها ابن عبد الظاهر بمدة مرض السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي[٢٢]، وحذا حذوه المؤرخان الذهبي واليافعي في ذكر مدة مرضه[٢٣]، وربطها المؤرخ ابن الدواداري بمدة مرض النبي ﷺ[٢٤]، ومسألة ربط المؤرخين مدة مرض بيبرس بمدة مرض النبي محمد ﷺ، والسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي هي نوع من التقديس له وجعله من الأبطال العظماء الذين تركوا بصمة واضحة في المجتمع الإسلامي.

أضف إلى ذلك أن هناك فريقًا آخر من المؤرخين جاءت عباراتهم مختصرة جدًا بصدد الحديث عن وفاة الظاهر والقاهر على حدّ سواء؛ فاتفق المؤرخان ابن كثير والبرزالي بقولهما فقط: **"أنه سُم"**[٢٥] عن وفاة

---

(١٨) ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ص٨٦-٨٧. غير أن المؤرخ الصقاعي في كتابه ذكر أن الساقي لم يكن يعلم شيئًا عن السم، وأن بيبرس وضعه في الكأس دون علمه، ويبدو رأيه أقرب للصواب لأن الساقي لو كان مشتركًا في وضع السم لكان حريصًا على حياة بيبرس. انظر: فضل الله بن أبي فخر الصقاعي، *تالي كتاب وفيات الأعيان*، تح. جاكلين سوبله، (دمشق: المعهد الفرنسي،١٩٧٤)، ص٥١.

(١٩) ابن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، ص٥٠٣.

(٢٠) عز الدين بن محمد بن علي بن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، تح. أحمد حطيط، (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٩٨٣)، ص١٣٥.

(٢١) محيي الدين عبد الله شوان بن عبد الظاهر، *الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر*، تح. عبد العزيز الخويطر، (الرياض: ب.ن، ١٩٧٩)، ص٤٧٣-٤٧٤؛ وكذا نقل عنه نفس الرواية: شهاب الدين النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج٣٠، (القاهرة: دار الكتب والوثائق، ١٤٢٣)، ص٣٦٥-٣٦٦؛ بدر الدين ابن حبيب، *درة الأسلاك في دولة الأتراك* (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦١٧٠ تاريخ)، ورقة٥١؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ص٨٧-٨٩.

(٢٢) ابن عبد الظاهر، *الروض الزاهر*، ص٤٧٤؛ ونقل عنه أيضًا: ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ص٨٩؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تح. محمود الأرناؤوط، أخرجه: عبد القادر الأرناؤوط، ج٧، (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٦)، ص٦١٠.

(٢٣) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، *العبر في خبر من غبر*، تح. أبو هاجر محمد، السعيد زغلول، ج٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت)، ص٣٣٠؛ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، تح. خليل منصور، ج٤، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ص١٣٢.

(٢٤) أبو بكر بن عبد الله بن أيبك بن الدواداري، *كنز الدرر وجامع الغرر، المسمى "الدرة الزكية في الدولة التركية"*، تح. هانس روبرت رويمر، ج٨ (القاهرة: المعهد الألماني، ١٩٦٠)، ص٢١١.

(٢٥) علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي، *تاريخ البرزالي المقتفي لتاريخ أبي شامة*، تح. عبد الرحمن العثيمين، بشار عواد معروف،

الملك القاهر الأيوبي، وأورد الذهبي خبر وفاة القاهر مختصرًا بقوله: **"مات مسمومًا"**[٢٦]، واكتفى ابن واصل والذهبي وابن حبيب بالقول فقط إن وفاة الملك القاهر كانت في دمشق في أوائل سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م[٢٧]، وجاءت عبارة المؤرخ البرزالي عن وفاة بيبرس مختصرة بقوله: **"ابتدأ المرض بالسلطان الملك الظاهر"**[٢٨]، كذلك سار على نفس الاختصار ابن تغري بردي وابن قاضي شهبة بقولهما: **"توفي بقصره الأبلق بمرجة دمشق جوار الميدان"**[٢٩].

على نقيض أغلب المصادر التي اتفقت على أن الملك القاهر مات مسمومًا بتخطيط من بيبرس يذكر المؤرخ اليونيني منفردًا أن القاهر الأيوبي **"توفي يوم السبت خامس عشر المحرم فجأة من غير مرض"**، حيث اشتكى من وجع بقلبه وهو راكب على فرسه بسوق الخيل بدمشق، وكان قريبًا من منزل ابنته فذهب إليها إلا أنه مات على باب دارها[٣٠]، وهذه الرواية ضد رواية التنجيم وتنسفها من الأساس حيث تُبريء بيبرس من عملية اغتيال القاهر بالسم.

كذلك وجدنا من بين مؤرخي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي المؤرخ ابن الوردي الذي تصدى منفردًا للدفاع عن بيبرس ومكذبًا لرواية شرب الخمر واغتيال الملك القاهر الأيوبي قائلًا: **"قلت: وَهَذَا لَا يثبت"**[٣١]، ثم أخذ يعدد صفات الظاهر بيبرس مثل: تدينه وحرصه على أداء الصلوات الخمس في مواقيتها، وإلزام حاشيته بها، وأنه حارب المنكرات ولم يشرب الخمر قط، بل حاربها ومنع ما كان يُجمع منها من الأموال التي كانت تُقَّدر يوميًا بألف دينار تقريبًا، وأنه كسا الكعبة وحجرات النبيﷺ بالحرير[٣٢]، لذا فمن وجهة نظره أن أعمال الخير ومحاربته للخمر في فترة حكمه تنسف من الأساس رواية موته بسبب شرب الخمر وسّم الملك القاهر، مع الأخذ في الاعتبار أن المصادر ذكرت أن المجلس الذي كان به بيبرس والقاهر كان الشراب فيه القمز وهو لبن الخيل المخمر ذو الفوائد الكبيرة، وقد اشتهر الأتراك بتناوله إلى الآن، بينما عدّه ابن الوردي خمرًا لذا أراد أن يُبعد عن بيبرس رواية شرب الخمر وقتل القاهر.

المحور الثاني: الروايات الطبية والحربية وارتباطها بوفاة بيبرس.

أما عن الرواية الطبية المرضية التي تناولتها أغلب المصادر المملوكية فقد اختصت بالحديث عن الأسباب الطبية التي أودت بحياة الظاهر بيبرس منها أنه حينما عاد من معركة الأبلستين ببلاد الروم[٣٣] عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م وكان بيبرس كعادته محبًا للطعام فأخذ يتناول الطعام بشراهة حتى امتلأت بطنه بطعام ثقيل صعب عليه هضمه[٣٤]، ثم أخذ في شرب القمز بالقصر الأبلق[٣٥] بدمشق طوال الليل، ثم بدأ يشعر بالمرض

ج٢، (بيروت: دار ابن حزام، ٢٠١٩)، ص٤٢.

(٢٦) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، *الإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام*، تح. إبراهيم صالح، (بيروت: دار ابن الأثير ،١٩٩١)، ص٣٦٧.

(٢٧) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تح. حسنين محمد ربيع، سعيد عاشور، ج٤، (القاهرة دار الكتب المصرية، ١٩٥٧)، ص٢١٩؛ الذهبي، *الإشارة إلى وفيات الأعيان*، ص٣٦٧؛ ابن حبيب، *درة الأسلاك في دولة الأتراك*، ورقة ٥١.

(٢٨) البرزالي، *المقتفي لتاريخ*، ص٤٥.

(٢٩) ابن تغري بردي، *الدليل الشافي على المنهل الصافي*، تح. فهيم محمد شلتوت، ج١، (القاهرة: مركز البحث العلمي، ١٩٨٣)، ص٢٠٣؛ نقلًا عن: ابن العماد، *شذرات الذهب*، ص٦١١.

(٣٠) اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ص٢٧٢.

(٣١) ابن الوردي، *تاريخ ابن الوردي*، ص٢١٨.

(٣٢) المرجع السابق

(٣٣) تعد هذه المعركة آخر معارك الظاهر بيبرس قبل وفاته، وجرت أحداثها في بلاد سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، وقد تكاتف فيها قائد سلاجقة الروم معين الدين البروناة مع خان المغول أبغا، لكن الظاهر بيبرس ألحق بهم هزيمة قاسية، وخُطب له على منابر سلاجقة الروم وضربت السكة باسمه، وكان لهذه المعركة وقع سيء عند خان المغول أبغا الذي استباح مدينة قيسرية لجنوده كرد فعل انتقامي على بسط بيبرس نفوذه على بلاد سلاجقة الروم. شهاب الدين العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، ج٢٧، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ)، ص٤٢١-٤٢٢.

(٣٤) نور الدين علي بن عبد الرحيم بن أحمد بن المغيزل، *ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تح. عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٤)، ص٨٨. نقل ابن المغيزل هذه الرواية عن الأمير جمال الدين بن نهار مهمندار السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان مقربًا من الظاهر بيبرس.

(٣٥) قصر الأبلق أحد قصور دمشق الشهيرة، بناه الفاطميون مقرًّا للإمارة، ثم نزل فيه الظاهر بيبرس واتَّخذه سكنًا، وأبدع في عمارته وزخرفته على يد مهندسه إبراهيم ابن غانم، ودام الأبلق منزل السلاطين والأعيان وزوار دمشق، حتى خرَّبه تيمورلنك وأمر بهدمه، والأبلق من البلق وتعني البياض والسواد في اللون. العمري، *مسالك الأبصار*، ج٣،

في صباح اليوم التالي، فأشار عليه الأمير شمس الدين سنقر السلحدار بالتقيؤ، وحاول بيبرس الأخذ بنصيحته فلم يستطع التقيؤ، فبدأ الألم يشتد عليه، وبدأت حرارة بطنه في الارتفاع، فأعطته حاشية القصر دواءً دون أخذ مشورة الأطباء لكنه لم يُشفه، فقاموا في النهاية باستدعاء الأطباء الذين استنكروا إعطاءه الدواء دون مشورتهم، فأعطاه الأطباء أدوية مسببة للإسهال فلم تفلح أيضًا، ثم أعطوه دواءً آخر للإسهال فأصابه الإسهال المفرط وظل يسهل حتى أخرج دمًا، وزادت الحمى عليه، وبدأ الضعف في جسده وخارت قواه، وظن الأطباء أن كبده يتقطع من فرط الألم، وأن بيبرس أصيب بداء الاستسقاء[٣٦]، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يرجحون بأن بيبرس كان مصابًا بمرض الدوسنتارية الكبدية [٣٧]، وأنه من شدة الألم في بطنه كان يقف على قدميه ويحتضن الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بقوة ويصرخ **"آه يا بيليك"**[٣٨] ومع اشتداد الألم وعدم فائدة العلاج ظن الأطباء أن بيبرس ربما تناول طعامًا مسمومًا، فلجأ الأطباء إلى العلاج بالجواهر كآخر الحلول لمرضه، لكن ذلك لم ينجح وظلت حالته تتدهور حتى توفي في أيام معدودة، ولخص المؤرخ العمري حالته المرضية في كلمات معدودة ومختصرة بقوله: **"أما الظاهر فحصلت له حمّى محرقة وتوفي"**[٣٩].

أضف إلى الروايات السابقة في وفاة بيبرس؛ هناك أيضًا رواية عسكرية جديدة انفرد بها المؤرخ ابن العبري المعاصر لبيبرس عن باقي المؤرخين كشف فيها أن الظاهر بيبرس أصيب بسهم في فخذه في معركة الأبلستين أثناء غزوه لسلاجقة الروم ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، وبقي نصل السهم في فخذه أيامًا، وفشلت محاولة الأطباء في إخراج النصل من جسده فلجأوا إلى إخراج النصل بالقوة ومع الإصرار على خروجه من جسده فارق بيبرس الحياة[٤٠]، وعلى الرغم من أن هذه الرواية وردت عند أحد المؤرخين المعاصرين لبيبرس لكن الباحثَيْن يريان أنها مناقضة لما ذكره ابن شداد مؤرخ بيبرس الرسمي الذي كان ملازمًا له في أسفاره وفتوحاته وكان على صلة بالشهود العيان الذين حضروا وفاة بيبرس، ولم يتطرق إلى إصابة بيبرس على الإطلاق في معركة الأبلستين، ولو كانت الرواية صحيحة لوجدناها في مؤلفات المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة، مثل: ابن عبد الظاهر، وبيبرس الدوادار، والبرزالي، وشافع بن علي، واليونيني، وغيرهم، أضف إلى ذلك أن المصادر أجمعت على وفاة بيبرس في دمشق ومن المستحيل أن يظل نصل السهم في جسده أثناء انتقاله من بلاد سلاجقة الروم حتى عودته إلى دمشق؛ إذ يستغرق مدة طويلة وكان الأولى بهم أن يعالجوه جراحيًا في بلاد الروم وهو ما لم يثبت صحته.

المحور الثالث: الروايات المذهبية وارتباطها بوفاة الظاهر بيبرس

أما أكثر الروايات شهرة داخل المصادر المملوكية المعاصرة واللاحقة فهي رواية ميثولوجية مذهبية وردت في المصادر الصوفية[٤١] ونتج عنها

ص٥٢٠؛ محمد بن عبد الرزاق كرد علي، *خطط الشام*، ط٣، ج٤، (دمشق: مكتبة النوري، ١٩٨٣)، ص١١١.

(٣٦) ابن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، ص٢٢٢-٢٢٣؛ بيبرس الدوادار، *زبدة الفكرة*، ص١٦٠-١٦١؛ ابن الدواداري، *كنز الدرر*، ص٢٠٨-٢٠٩؛ اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ص٢٤٥؛ مفضل بن أبي الفضائل بن العسال، *النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد*، تح. محمد كمال الدين عز الدين، ج١ (دمشق: دار سعد الدين، ٢٠١٧)، ص٢٣٠-٢٣١؛ الذهبي، *دول الإسلام*، ج٢، ص١٩٦؛ صلاح الدين الصفدي، *الوافي بالوفيات*، تح. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج١٠، (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠)، ص٢١١؛ صارم الدين بن دقماق، *الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين*، تح. سعيد عاشور، مراجعة: أحمد دراج، (مكة: جامعة أم القرى، ١٩٨٢)، ص٢٨٢-٢٨٣؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ص٨٥-٨٦؛ المقريزي، *السلوك*، ج٢، ص١٠٣؛ العيني، *عقد الجمان*، ص٢٤٥؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، ص١٧٥.

(٣٧) شافع بن علي، *حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية*، تح. عبد العزيز الخويطر، (الرياض، ب.ن، ١٩٨٩)، ص٣٣٥، ابن المغيزل، *ذيل مفرج الكروب*، ص٨٨.

(٣٨) ابن المغيزل، *ذيل مفرج الكروب*، ص٨٨.

(٣٩) العمري، *مسالك الأبصار*، ص٤٢٣.

(٤٠) أبو الفرج جريجوريوس بن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، تح. أنطوان صالحاني اليسوعي، (بيروت: دار الشرق، ١٩٩٢)، ص٢٨٨.

(٤١) الصوفيون جماعات اشتهروا بإحداث طرق في العبادة والتنسك لم يشرعها الله في صلواتهم، وفي أذكارهم، وفي خلواتهم، يقال لهم الصوفية، قال بعضهم: معناه من التصوف؛ لأنهم يلبسون الصوف، فالتصوف: هو التعبد على طريقة خاصة، لم تأت بها الشريعة؛ ولهذا غلب على المتصوفة البدع، ويسمى الزاهد الذي يحرص على التفرغ للعبادة، والزهد في الدنيا، بالصوفي، وقد صار لفظ « الصوفية» لفظًا مجملًا يدخل فيه مَن هو صِدِّيق ومَن هو زنديق، فإنَّ من صَدَّق الرسولَ فيما أخبر وأطاعه فيما أمر، إذا حقق ذلك صار صدِّيقًا، ومن أعرض عن خبره وأمره حتى أخبر بنقيض ما أَخبر، وأمَرَ بخلاف ما أَمر، فإنه يصير زنديقًا. وهذا حال الملاحدة الذين ينتسبون إلى الصوفية، كالقائلين بوحدة الوجود ويسمون ذلك تصوفًا، ولذلك فهي من الفرق الإسلامية المختلف عليها. انظر:

فرضيات متعددة بعضها منطقي وبعضها لا يقبله العقل؛ ونعني بها رواية الارتباط بين وفاة بيبرس والشيخ خضر المهراني الذي لقبته المصادر بشيخ الملك الظاهر، ولتحليل هذه الرواية علينا أولًا أن نعرف أن الهدف منها هو إثبات خضوع بيبرس لشيوخ الصوفية ونعني به الشيخ خضر المهراني الذي تمكن في دولة الظاهر بيبرس نظرًا لتنبؤاته العديدة التي بسببها أصبح السلطان بيبرس أسيرًا له، حيث بشّره أولًا بجلوسه على عرش السلطنة حين كان بيبرس هاربًا في بلاد الشام من بطش المعز أيبك سلطان مصر عقب مقتل أستاذه فارس الدين آقطاي[٤٢]، وتنبأ له -أيضًا- بوقائع وأحداث كثيرة حدثت بالفعل على حدّ قول المؤرخين المعاصرين واللاحقين لبيبرس، فتنبأ له بسقوط مدينة أرسوف[٤٣] في عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م[٤٤]، ومدينة قيسارية[٤٥] في نفس العام[٤٦]، وتنبأ له بفتح قلعة صفد في عام ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م[٤٧]، وكذلك تنبأ له بسقوط حصن الأكراد عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م[٤٨]، ونتيجة لتلك التنبؤات آمن بيبرس بفضائل شيخه الخضر وطلب ملازمته له في مقر حكمه بالقاهرة؛ مما نتج عنه تمكن الشيخ خضر من أمور دولة الظاهر بيبرس، وارتفعت مكانته لديه، وأصبح مصاحبًا لبيبرس في أسفاره وفتوحاته[٤٩]، ثم زادت مكانته لدرجة أن بيبرس كان يطلعه على أسراره ويأخذ مشورته في معظم أموره بل يذهب له في منزله مرة أو مرتين في الأسبوع[٥٠]، ثم وصلت مكانته إلى قمة ازدهارها حين منحه بيبرس السلطة المطلقة ليتصرف في الدولة كيفما شاء[٥١] وإذا جاز لنا أن نرد بالمنطق والعقل على نبوءات المعارك التي ذكرها

ابن تيمية، *الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق*، تح. علي بن محمد، مراجعة: سعود بن عبد العزيز، ج١، (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٩م)، ص١٢٤.

(٤٢) اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ٢٦٤-٢٦٥؛ المقريزي، *كتاب المقفى الكبير*، ج٣، تح. محمد اليعلاوي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١)،٧٥١؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، ج٥، ص١٧١، ٢١٨.

(٤٣) مدينة تقع بين قيسارية ويافا، ووقعت في أيدي الصليبيين وظلت تحت أيديهم الى زمن الجغرافي ياقوت الحموي انظر: شهاب الدين ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ج١، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٩)، ص١٥١-١٥٢. وظلت كذلك إلى أن استردها الظاهر بيبرس خلال فترة حكمه.

(٤٤) عز الدين محمد بن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، تح. أحمد حطيط، (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٩٨٣)، ص٢٧٢-٢٧٣؛ اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ٢٦٥؛ محمد بن شاكر الكتبي، *فوات الوفيات والذيل عليها*، تح. إحسان عباس، ج١، (بيروت: دار صادر، ١٩٧٣)، ص ٤٠٤-٤٠٥؛ العمري، *مسالك الأبصار*، ج٨، ص٢٦٨؛ أبو حفص عمر بن علي بن الملقن، *طبقات الأولياء*، تح. نور الدين شريبة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤)، ص٤٣١. المقريزي، *المقفى*، ج٣، ص٧٥١.

(٤٥) بلدة من أعمال فلسطين ويُنسب لها العديد من الأشخاص، وكانت من المدن العامرة بالشام، لكنها أصبحت أشبه بالقرية منها للمدينة، وهي تختلف عن مدينة قيسرية التي تقع في بلاد الروم. ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ج٤، ص٤٢١.

(٤٦) يقال أيضًا قيسرية أو قيصرية وهي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين، كانت من المدن العامرة لكنها كانت على عصر ياقوت الحموي أشبه بالقرى منها للمدن، ويوجد مدينة أخرى بنفس الاسم في أملاك دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى. انظر للمزيد: ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ج٤، ص٤٢١.

(٤٧) ابن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، ص٢٧٣؛ اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص٢٦٥؛ الكتبي، *فوات الوفيات*، ج١، ص٤٠٥؛ المقريزي، *المقفى*، ج٣، ص٧٥١؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ج٧، ص١٠٢.

(٤٨) اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص٢٦٥-٢٦٦؛ الكتبي، *فوات الوفيات*، ج١، ص٤٠٥؛ العمري، *مسالك الأبصار*، ج٨، ص٢٦٨؛ ابن الملقن، *طبقات الأولياء*، ص٤٣٢؛ المقريزي، *المقفى*، ج٣، ص٧٥٢.

(٤٩) ابن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، ص٥٩؛ اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص٥-٦، ٢٦٥؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج٧، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ب.ت)، ص١٦٢، ٢٧٦-٢٧٧؛ *المنهل الصافي*، مج٥، ص٢١٩؛ شمس الدين محمد السخاوي، *المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي*، تح. أحمد فريد المزيدي، (بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠٠٥)، ص٥١-٥٢؛ المقريزي، *المقفى*، ج٣، ص٧٥١؛ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، *الطبقات الكبرى "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار"*، تح. محمد المليجي، ج٢، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٨٩٧)، ص٢.

(٥٠) العمري، *مسالك الأبصار*، ج٨، ص٢٦٨؛ المقريزي، *المقفى*، ج٣، ص٧٥١؛ تقي الدين أحمد المقريزي، *الخطط المقريزية*، ج٤، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ص٣٠٧؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ج٧، ص١٠.

(٥١) ابن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، ص٢٧٣؛ اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص٢٦٧؛ مفضل بن أبي الفضائل بن العسال، *النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد*، تح. محمد كمال الدين عز الدين، ج٢، (دمشق: دار سعد الدين، ٢٠١٧)، ص٢٩٥؛ عفيف الدين أبو محمد عبد الله اليافعي، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان*، تح. خليل منصور، ج٤، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)،

الخضر وانتصر فيها بيبرس فعليًا فهذا قد يكون بسبب أن الشيخ الخضر كان ذكيًا حيث رأى أن صفات بيبرس الحربية من الشجاعة والفروسية والخبرة العسكرية تؤهله أن يهزم أي خصم يواجهه في ميدان الحروب لذا تنبأ بانتصاراته سابقًا.

أما الرواية المثيرة والأكثر جدلًا التي وردت في كثير من المصادر المملوكية أيضًا وربطت وفاة بيبرس بالشيخ الخضر فقد وردت على موقفين:

الموقف الأول حينما غضب كبار الأمراء وعلى رأسهم الأمير بيليك الخازندار على الشيخ الخضر؛ لمكانته العظيمة في الدولة فدبروا له المكائد حتى تم اعتقاله في عام ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م، ونسبوا له العديد من الاتهامات منها شرب الخمور والزنا واللواط، وجرت محاكمة الشيخ الخضر في حضور بيبرس وكبار الأمراء وتشاوروا فيما بينهم حول مصير الخضر فاتفقوا جميعًا على إعدامه؛ لأنه على علم بكل صغيرة وكبيرة داخل الدولة المملوكية، وسمع الخضر جميع النقاشات التي جرت حول مصيره، وهنا تطالعنا المصادر بنبوءة قالها الخضر وربط فيها وفاته بوفاة بيبرس؛ حيث هدده قائلًا: **"اسمع ما أقول لك، أنا أجلي قريب من أجلك، وبيني وبينك أيام قليلة**[٥١]**، هي أيام، ليست أشهر ولا أعوام، من مات منا لحقه الآخر قريبًا، فافهم هذا، ولا تتعجل الموت لنفسك"**[٥٢].

أصاب الذهول بيبرس من كلام الخضر لإيمانه المطلق بنبوءاته التي تحققت في سلطنته، وبدأ يرتعد خوفًا من المصير الذي حدده شيخه، فلجأ إلى كبار الأمراء يطلب منهم المشورة والرأي، فصمتوا دون أن يعطوا أي نصيحة لبيبرس، وربما كان صمتهم؛ لأنهم لم يجرؤا على التحدث في شيء يتعلق بحياته، فما كان من بيبرس وهو المقصود بهذا التهديد على حياته إلا أن قام بتغيير الحكم على الخضر من القتل إلى السجن؛ على أن يكون السجن "في **مكان منفرد بقلعة الجبل، ولا يدخل إليه إلا من يثق السلطان به غاية الوثوق، فيكون مثل من قد قُبِرَ وهو حي"**[٥٤]، وبارك الأمراء حكم سلطانهم، فتم اعتقاله، وظل في محبسه طيلة خمس سنوات منذ شوال٦٧١هـ/ ١٢٧٢م حتى وفاته في المحرم عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، كان يُعامل أثناء مدة سجنه على أفضل ما يكون، وتُقدّم إليه أصناف الأطعمة الفاخرة والفواكه والحلوى والملابس ليلًا ونهارًا[٥٥]، دون أن يُقدِم أحد على المساس به حفاظًا على حياته التي هي وفق نبوءته؛ حفاظًا على حياة بيبرس -أيضًا- لمعرفة الأمراء بنبوءاته السابقة طوال فترة حكمه؛ والجدير بالملاحظة يرى الباحثان وفق هذه الرواية أنه لم تحدد السنة التي سيموت فيها الخضر أو بيبرس، وإنما الرابط بينهما هو موت أحدهما ثم يلحقه الآخر فقط، وكشفت هذه الرواية تحديدًا تأثير العامل النفسي لدى بيبرس حيث أصبح عقله الباطن مؤمنًا إيمانًا تامًا بكل ما يقوله شيخه الخضر، وبات بيبرس أسيرًا لوصول خبر وفاة الخضر في أي لحظة، وهذا بالتأكيد سيكون له الجانب الأكبر في تدهور حالته الصحية النفسية قبل الجسدية حين يسمع بخبر وفاة الخضر فعليًا.

الموقف الثاني تمثل في ربط حياة بيبرس بشيخه الخضر وكان أكثر تحديدًا من ناحية الزمن والتاريخ، فبعد اعتقال الخضر بأربع سنوات وتحديدًا في عام٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م نزل إليه بيبرس في محبسه بقلعة الجبل، وسأله عن نبوءته في حملته العسكرية على سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، فأخبره الشيخ الخضر بأنه سينتصر فيها **"ثم يعود إلى دمشق، ويموت فيها بعد أن أموت بعشرين يومًا، وكذلك اتفق الحال"**[٥٦]؛ وهنا يرى الباحثان وفق الرواية أن تاريخ الوفاة تم تحديده للطرفين زمنيًا؛ مما أثار بعض التساؤلات المنطقية للباحثَيْن حول هذه الروايات كلها للوصول إلى فرضيات منطقية لمحاولة إيجاد تفسير لوفاة بيبرس البندقداري والخضر،

ص١٤١؛ المقريزي، *المقفى*، ج٣، ص٧٥٢، ٧٥٥.

(٥٢) اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص٢٦٦-٢٦٧؛ شهاب الدين أحمد النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج٣٠، (القاهرة: دار الكتب والوثائق، ١٤٢٣هـ)، ص١٢٨؛ فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي، *تالي كتاب وفيات الأعيان*، تح. جاكلين سوبله، (دمشق: المعهد الفرنسي، ١٩٧٤)، ص٧٠؛ ابن الوردي، *تاريخ ابن الوردي*، ج٢، ص٢١٨؛ ابن الملقن، *طبقات الأولياء*، ص٤٣٢.

Holt Peter, "An Early Source on Shaykh Khadir Al-Mihrani," *BSOAS* 46, no.1 (1983), 36.

(٥٣) ابن الدواداري، *كنز الدرر*، ج٨، ص٢٢٣؛ ابن العسال، *النهج السديد*، ج٢، ص٢٩٧-٢٩٨.

(٥٤) اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص٢٦٧؛ النويري، *نهاية الأرب*، ج٣٠، ص١٢٨؛ ابن الدواداري، ج٨، ص٢٢٣-٢٢٤؛ العمري، *مسالك الأبصار*، ج٨، ص٢٦٩-٢٧٠؛ أبي العسال، *النهج السديد*، ج٢، ص٢٩٨.

(٥٥) اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص٢٦٧؛ الكتبي، *فوات الوفيات*، ج١، ص٤٠٥؛ ابن الدواداري، *كنز الدرر*، ج٨، ص٢٢٤؛ العمري، *مسالك الأبصار*، ج٨، ص٢٧٠؛ ابن العسال، *النهج السديد*، ج٢، ص٢٩٨.

(٥٦) ابن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، ص٢٧٣؛ الكتبي، *فوات الوفيات*، ج١، ص٤٠٥؛ ابن الملقن، *طبقات*، ص٤٣٢؛ المقريزي، *المقفى*، ج٣، ص٧٥٢؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ج٧، ص١٠٣؛ ابن العماد، *شذرات*، ج٧، ص٦١٣.

وبخاصةً أن الخضر مات بالفعل أولًا ثم لحقه بيبرس خلال شهر تقريبًا كما تذكر المصادر .

وفق الموقفين السابقين من نبوءة الخضر للظاهر بيبرس والمتعلقة بوفاته سيقوم الباحثان بالرد من خلال الفرضيات المنطقية المتاحة لدينا ومما تدعمه المصادر من نصوص؛ خاصة وأن وفاة بيبرس مرهونة بوفاة الخضر وفق النبوءة؛ فعلى سبيل المثال يذكر بعض المؤرخين أن الصاحب بهاء الدين بن حنا اتفق سرًا مع الملك السعيد بركة خان على التخلص من الشيخ خضر، وانتهزا فرصة غياب بيبرس في حملته على سلاجقة الروم بآسيا الصغرى وسلّطا عليه من قام بخنقه، معلقين على الخبر بعبارة **"والله أعلم"**[٥٧]، لكن هذا الرأي قد يبدو بعيد المنال لأسباب عديدة؛ أولها: معرفتهما السابقة بنبوءات هذا الشيخ طوال فترة حكم بيبرس، ومن ثمَّ لم يكن ليجازفا بحياة السلطان بعد نبوءته وتهديده الأخير لبيبرس أثناء محاكمته بعد اعتقاله عام ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م، ثانيها: لا يوجد من الأسباب المنطقية في فترة اعتقاله التي امتدت خمس سنوات ما يعجّل بوفاته، خاصة وأن المصادر المملوكية أثناء فترة حبسه لم تذكر الشيخ خضر من قريب أو بعيد، وثالث الأسباب: أنهما لو أرادا التخلص منه في فترة حبسه لتسنى لهم ذلك بكل بساطة في أثناء السنوات الخمس التي أُعتقل فيها؛ لأن بيبرس كان كثير التنقل والسفر ما بين أرجاء دولته، والسبب الوحيد المنطقي المؤدي إلى صحة رواية قتل الخضر على يد الصاحب والملك السعيد هو أن يكون الملك السعيد قد طمع في استعجال السلطنة، وأنه كان مثل أبيه بيبرس لديه الإيمان المطلق في نبوءات هذا الشيخ، وبناء عليه فحينما يقدم على قتل الخضر وفق النبوءة سيموت بيبرس بعده بأيام معدودة وينال الملك السعيد عرش السلطنة رسميًا بوصفه وليًا للعهد، خاصة وأن المصادر تخبرنا بالفعل أن اثنين من الأمراء وصلا بالخبر من دمشق إلى الملك السعيد بقلعة الجبل بالقاهرة ففرح ومنح كل واحد منهما مبلغ خمسة آلاف درهم[٥٨].

أيضًا أثار العيني رأيًا إشكاليًا آخر مؤداه أن الظاهر بيبرس هو الذي أمر بإعدامه خلال حملته على آسيا الصغرى[٥٩]، وهذا الرأي من وجهة نظر الباحثَيْن –وفق نبوءة الخضر– يطرح فرضيات عديدة؛ بسبب أن الخضر لم تصدر منه أية أفعال قبيحة في فترة حبسه في حق الظاهر بيبرس، بل إنه تنبأ له بالظفر في حملته العسكرية على سلاجقة الروم، فهذا الرأي يفرض علينا أن نتساءل لماذا لم يقم بيبرس بإعدامه في عام٦٧١هـ/ ١٢٧٢م بعد أن اتفق والأمراء على التخلص منه؟ والإجابة بكل منطقية هي أن بيبرس هو أكثر الأشخاص الذي نالته السعادة من نبوءات هذا الشيخ، فكيف يقدم على قتله وهو يعلم أن حياته مرتبطة بحياته حسبما أوحى إليه في جلسة محاكمته، وخير شاهد على ذلك ما روته بعض المصادر من أنه حينما عاد إلى دمشق من غزوة الأبلستين ضد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى وصلت إليه البريدية بخبر وفاة الخضر فأصابته حالة من الصراخ والنحيب؛ **"مردّدًا: مات"**، ثم قام من مجلسه دون أن يُكمل قراءة الكتاب، وبدأ العامل النفسي والجسدي ينال من بيبرس حينذاك وظل في تدهور حتى مات[٦٠]، أما منطقية أن بيبرس هو الذي أمر بإعدامه فقائمة على فرضية واحدة فقط، تمثلت في إيمان بيبرس بشيخه واعتقاده في نبوءاته، فإن النصر في حملته العسكرية على سلاجقة الروم، كان يعني أن أمام بيبرس–وفق نبوءته– أيام معدودة فقط؛ إذ تنبأ له بالنصر ثم يعود ويمكث عشرين يومًا ويموت بعدها؛ مما جعل بيبرس لا ينتظر قدره وعجّل بموت شيخه، وتأكيدًا لهذه النبوءة ذكر المؤرخ ابن شداد أنه سمعها تحديدًا **"من الأمير سيف الدين قشتمر العجمي من لفظه والعهدة عليه"**[٦١].

الغريب في رواية وفاة الشيخ الخضر ومن بعده الظاهر بيبرس؛ أن بيبرس كان يعلم قبل خروجه إلى حرب سلاجقة الروم أنه سينتصر عليهم، ثم يعود إلى دمشق حيث تدركه الوفاة بعد شيخه بعشرين يومًا– وفق نبوءته– وهذا ما يستدعي أن نتساءل أولًا ألم يكن في إمكان بيبرس أن يمنع نفسه من الخروج في تلك الحملة التي تتوقف عليها حياته؟ أو بما أنه خرج فعليًا أليس من الأفضل له أن يتكبد الخسارة في تلك الحرب؛ لأن نهاية حياته متمثلة في النصر عليهم؟ وجميع تلك الفرضيات والتساؤلات لو تمت لهدمت نبوءات الشيخ الخضر من الأساس.

غير أن الرد على تلك الفرضية الأخيرة تتمثل في أقوال المصادر حول شخصية الظاهر بيبرس الذي لم يعرف معنى الجُبْن، أو الذي يهاب الموت خاصة في أوقات الحروب؛ يشهد بذلك ما مر به من الوقائع الحربية الكثيرة منذ معركة المنصورة ضد لويس التاسع٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، ثم حروبه ضد المغول في عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م وما تلاها، وضد القلاع الصليبية في فترة حكمه؛ بالإضافة إلى ذلك أنه كان خفيف الحركة،

(٥٧) ابن الدواداري، *كنز الدرر*، ج٨، ص٢٢٤؛ ابن العسال، *النهج السديد*، ج٢، ص٢٩٨؛ بدر الدين محمود العيني، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، تح. محمد محمد أمين، ج٢، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠)، ص١٠٥.

(٥٨) ابن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، ص٢٢٤.

(٥٩) العيني، *عقد الجمان*، ج٢، ص١١٠.

(٦٠) ابن الدواداري، *كنز الدرر*، ج٨، ص٢٢٤؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، مج٥، ص٢٢٠.

(٦١) ابن شداد، *تاريخ الملك الظاهر*، ص٢٧٣.

جبارًا في الأسفار والفتوحات، دائم التنقل بين أنحاء دولته صيفًا وشتاءً[٦٢]، وشخصية بهذه القوة من المستحيل أن ترفض أمرًا يحفظ حدود الدولة المملوكية ضد سلاجقة الروم والمغول، والخروج لحربهم حتى وإن كانت حياته متوقفة على نبوءات شيخه!

بالإضافة إلى ما سبق -أيضًا- لا يجب أن نُغفل أحد الآراء الواردة في المصادر المملوكية التي تحدثت عن عفو شامل من بيبرس تجاه شيخه؛ فتروي المصادر أن بيبرس أرسل البريد على وجه السرعة إلى قلعة الجبل بالقاهرة لإطلاق سراح شيخه الخضر وإحضاره إليه، لكن تخبرنا المصادر أن البريد وصل بعد فوات الأوان[٦٣]، وتعددت الأسباب التي أدت إلى عفو بيبرس عن شيخه فذكر ابن الدواداري السبب الذي من أجله أطلق بيبرس سراح شيخه؛ حيث **"تذكره بمنام أفزعه"**[٦٤]، بينما أورد المناوي: **"أن الخضر ظهرت له جمرة أكلت ظهره، فأمر بإطلاق سراحه وتكريمه"**[٦٥]، وهذا الرأي يُدخلنا في حقيقة الصراع الدائر بين الأمراء، ففي الحقيقة إذا وصل خبر إطلاق سراح الشيخ الخضر إلى كبار الأمراء فسيكون هذا أسوأ خبر يتلقونه؛ لأنهم يعرفون أن إطلاق سراحه يعني عودته إلى سابق نفوذه وسيطرته على بيبرس ومن ثمَّ تهديد في المقام الأول لحياتهم؛ لأنهم هم من دبروا له المؤامرات حتى أُعتُقل، وحينئذٍ لن يترك الشيخ الخضر ثأره منهم وسيحاول التنكيل بهم، لذا أسرعوا في تنفيذ حكم الإعدام فيه، ثم أرسلوا للظاهر بيبرس يعتذرون أن البريد وصل بعد وفاته.

وكرد فعل على روايات مؤرخي الصوفية الذين رفعوا بها من مكانة الشيخ الخضر وربطوا وفاته بوفاة بيبرس؛ جاءت رواية مؤرخي أهل السُّنة التي رفعوا من بها -أيضًا- من مكانة الشيخ محيي الدين النووي[٦٦] التي صوروا بها استجابة الله لدعائه على بيبرس بزوال دولته؛ حيث ذكروا أن وفاة الظاهر بيبرس ترجع إلى العديد من السلبيات المتعلقة بظلمه ومصادرته أموال الرعية؛ حيث انفرد المؤرخ ابن الفرات بذلك قائلًا: **"أن بيبرس كان كثير المصادرات لدواوينه، كثير الجبايات من رعيته"**؛ حيث سلط وزيره بهاء الدين بن حنا على المصريين فظلمهم حتى مات كثير منهم تحت طائلة العقوبات ومصادرة أملاكهم، أما النصارى واليهود فتم جباية أموال الجزية منهم أضعافًا مضاعفة بعد أن حفر لهم حفرة ضخمة وأوقدها بالنار وهددهم بالحرق أحياء، كذلك تعرض أهل مدينة دمشق للظلم وجباية الأموال من بيبرس؛ فقبل ذهابه إلى سلاجقة الروم في آسيا الصغرى عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م أمر بيبرس أن يدفع أهل دمشق أموالًا طائلة بهدف تجهيز الجيش للحرب، لكن الشيخ محيي الدين النووي تصدى له فهادنه بيبرس إلى حين، وما إن عاد من غزو الروم منتصرًا حتى فرض على أهل دمشق مبلغ ٢٠٠ ألف درهم، ومن بَرِّهَا ٣٠٠ ألف درهم، ومن قُرَاها ٣٠٠ ألف درهم، ومن جميع البلاد القبلية مليون درهم، فانتشر الحزن بين أهل دمشق، وتمنوا زوال دولة الظاهر بيبرس واشتكوا إلى الشيخ محيي الدين النووي الذي كان كثير الورع والزهد فقيل أنه دعا عليه، **"فما اكتملت جباية نصف الأموال حتى مات الملك الظاهر"**[٦٧]، ويرى الباحثان أن هذه الرواية هي بمثابة رواية لمؤرخي السُنة تُظهر بها فضائل أحد الشيوخ الصالحين في بلاد الشام، الذي كان معارضًا لبيبرس-على النقيض من الشيخ الخضر- وانحاز الشيخ النووي إلى صف عوام الشعب ضد سياسات

(٦٢) علي بن محمد الفيومي، *نثر الجمان في تاريخ الأعيان*، (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ)، ج٥، ورقة٧٠؛ تقي الدين أحمد المقريزي، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. محمد عبد القادر عطا، ج٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ص١٠٢؛ محمد بن إياس، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، ج١، (بولاق: مطبعة الكبرى الأميرية، ١٨٩٣)، ص١١٠.

(٦٣) اليونيني، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، ص٢٦٧؛ النويري، *نهاية الأرب*، ج٣٠، ص٢٤٣؛ العمري، *مسالك الأبصار*، ج٨، ص٢٧٠؛ صلاح الدين الصفدي، *الوافي بالوفيات*، تح. أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج١٣، (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠)، ص٢٠٦؛ الصقاعي، *تالي وفيات الأعيان*، ص٧٠؛ المقريزي، *المقفى*، ج٣، ص٧٥٤؛ المقريزي، *الخطط*، ج٤، ص٣٠٨؛ ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ج٧، ص١٠٣.

(٦٤) ابن الدواداري، *كنز الدرر*، ج٨، ص٢٢٤.

(٦٥) زين الدين محمد المناوي، *الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية*، تح. محمد أديب الجادر، ج٣، (بيروت: دار صادر، ب.ت)، ص٢٧.

(٦٦) هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزَام، النووي نسبة إلى نوى، وهي قرية من قرى حَوْران في سورية، ثم الدمشقي الشافعي، شيخ المذاهب وكبير الفقهاء في زمانه، ولد في عام ٦٣١هـ وقدم مع أبيه إلى مدينة دمشق لتحصيل العلم، وسكن في المدرسة الرواحية الملاصقة للجامع الأموي، له كثير من المؤلفات في الفقه والحديث والمناسك، وتلقى العلم على أيدي كبار العلماء في عصره، وتوفي في نفس السنة التي توفي فيها بيبرس البندقداري ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م. انظر: خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ط١٥، ج٨، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢)، ص١٤٨- ١٥٠.

(٦٧) ابن الفرات، *تاريخ ابن الفرات*، ص٨٤- ٨٥.

الظاهر بيبرس المالية، لذا لجأوا إليه طلبًا للدعاء على بيبرس بزوال دولته بصفته من الشيوخ الصالحين وأحد الأولياء، وتمضي رواية المؤرخ ابن الفرات في استجابة الله لدعاء الشيخ النووي ويموت بيبرس تبعًا لذلك؛ ومن ثمّ أصبحنا أمام فريقين من مؤرخي المذاهب الإسلامية؛ كل فريق يحاول أن يستخدم شيوخه بوصفه أحد الأسباب الرئيسة في وفاة الظاهر بيبرس، وذلك للتأثير على العوام واجتذابهم لصفوفهم.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى بعض النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا : أن الرواية التاريخية عن وفاة الظاهر بيبرس اختلف محتواها في المصادر المعاصرة لبيبرس في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي عنها في القرون التالية؛ فجاءت روايات مؤرخي بيبرس الرسميين المعاصرين له، مثل ابن شداد وابن عبد الظاهر متضاربة عما جاء في روايات مؤرخي القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين؛ حيث طرأت عليها زيادات في محتواها، بل تغيرت كليةً في بعض الأحيان؛ وهو ما يجعلنا نرجح أن ابن شداد وابن عبد الظاهر أرادا تجميل وفاة بيبرس الذي كان يغدق عليهم الهدايا والأموال؛ فلم يشيروا إلى أي روايات توضح ظلم بيبرس لرعيته وقيامه بفرض الأموال على الرعية سواء مسلمين أو مسيحيين أو يهود؛ مما جعلهم يتمنون موته وزوال دولته، كذلك خلت رواياتهم من أية شبهة جنائية أو حربية أو أي رواية لها صلة بالتنجيم، واقتصرت فقط على ذكر مرضه وتعداد فضائله، ويرجح الباحثان أن هذا التضارب في الأخبار والروايات المتعلقة بمرض بيبرس ووفاته كان مرجعه إلى خوف الأمراء منه، لدرجة أنه في حال مرضه كان لا يُسمح لأحد بالدخول عليه إلا بإذنه، وهذا بالطبع أحاط حالته الصحية ووفاته فيما بعد بالغموض.

ثانيًا: أنه على الرغم من ازدهار التدوين التاريخي وثراءه في الفترة المملوكية عامة وعصر الظاهر بيبرس خاصة؛ لكن المصادر لم تعطنا رواية واضحة ومؤكدة عن طبيعة وفاة بيبرس، بل تعددت الروايات والصور الواردة حول هذا الموضوع؛ وتنوعت التفاسير حول وفاته، منها ما هو متعلق بالتنجيم والفلك، فأدى لاغتيال الملك القاهر أحد أفراد الأسرة الأيوبية، ومنها ما هو متعلق بالمرض والسم، ومنها ما هو عسكري بإصابته بسهم في معركة الأبلستين، ومنها ما هو اقتصادي متعلق بظلم بيبرس لرعيته، ومنها ما هو ميثيولوجي غلب عليه الطابع الأسطوري خاصة فيما يتعلق بعلاقته بالشيخ الخضر وتنبؤاته التي يبدو واضحًا أن الرواية الأخيرة هي من تأثير مؤرخي الصوفية الذين أرادوا إظهار قدسية الشيخ الخضر، وأن وفاة بيبرس كانت عقابًا له لقيامه باعتقال الخضر عام ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م، الأمر الذي أدى إلى خلق رواية مضادة عند مؤرخي أهل السُّنة مفادها أن بيبرس توفي بسبب دعاء الشيخ محيي الدين النووي عليه بعد ظلمه لأهل دمشق بفرض الضرائب الباهظة عليهم، ويبدو واضحًا أن هذه العوامل جميعًا أثرت نفسيًا على بيبرس وأدت دورًا كبيرًا في تدهور حالته الصحية التي لم تستمر سوى أيامًا معدودة حتى قضى نحبه تاركًا المصادر بعده لا تتفق على رواية واحدة مؤكدة حول كيفية وفاته، وهو ما يوضح أن بيبرس فرض سورًا سريًا حول حياته الخاصة بحيث لا يعلم الأمراء عنها شيئًا سواءً في حياته أو بعد مماته.

توصيات الدراسة:

أولًا: ضرورة توجيه الباحثين إلى المناهج العلمية الحديثة لكشف الغموض حول العديد من الموضوعات التاريخية الواردة في متون المصادر الإسلامية.

ثانيًا: التوصية بالتوسع في توظيف التكنولوجيا في البحث عن المعلومات الواردة في المصادر والمتوفرة بكثرة على شبكة الإنترنت؛ وذلك للإحاطة بشمولية الموضوع والتعرض لأكبر عددٍ من المصادر، وذلك لن يتيسر إلا إذا كان الباحث ملمًا بالتعامل مع التكنولوجيا والمكتبات المتاحة مجانًا على صفحات الإنترنت.

ثالثًا: توجيه الباحثين نحو الموضوعات الحضارية ذات الإشكاليات المثارة بعيدًا عن الدراسات السياسية التي امتلأت بها المكتبة العربية، حتى لا تكون الموضوعات هي تكرار لما سبق ذكره.

رابعًا: تشجيع المجلات العربية وأوعية النشر العلمي بالجامعات العربية التي تتبنى قبول ونشر أي من الموضوعات الحضارية التي تمثل إضافة إلى المكتبة العربية.

المصادر والمراجع العربية:

ابن الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، *كنز الدرر وجامع الغرر، المسمى الدرة الزكية في الدولة التركية*، تح. هانس روبرت رويمر، ج٨، القاهرة: المعهد الألماني، ١٩٦٠م.

ابن العبري، أبو الفرج جريجوريوس بن هارون الملطي، *تاريخ مختصر الدول*، تح. أنطوان صالحاني اليسوعي، بيروت: دار الشرق، ١٩٩٢م.

ابن العسال، مفضل بن أبي الفضائل، *النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد*، تح. محمد كمال الدين عز الدين، دمشق: دار سعد الدين، ٢٠١٧م.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد. *شذرات الذهب في أخبار من*

ذهب، تح. محمود الأرناؤوط، أخرجه: عبد القادر الأرناؤوط. ج٧. دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٦م.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، *تاريخ ابن الفرات*، تح. قسطنطين زريق. مجلد٧، بيروت: المطبعة الأمريكانية، ١٩٤٢م.

ابن المغيزل، نور الدين علي بن عبد الرحيم بن أحمد، *ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تح. عمر عبد السلام تدمري، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٤م.

ابن الملقن، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد. *طبقات الأولياء*، تح. نور الدين شريبة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م.

ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفَّر، *تاريخ ابن الوردي المعروف بـ"تتمة المختصر في أخبار البشر"*، ج٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

ابن إياس، محمد بن إياس الحنفي، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، بولاق: مطبعة الكبرى الأميرية، ١٨٩٣م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف. *الدليل الشافي على المنهل الصافي*. تح. فهيم محمد شلتوت. عدد المجلدات ٢. القاهرة: مركز البحث العلمي، ١٩٨٣م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف. *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تح. محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عاشور. عدد الأجزاء ٧، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، (ب.ت).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج٧، القاهرة: دار الكتب المصرية، (ب.ت).

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، *الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق*، تح. علي بن محمد، مراجعة: سعود بن عبد العزيز، ج١، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٩م.

ابن حبيب، بدر الدين أبو محمد الحسن بن عمر، *درة الأسلاك في دولة الأتراك*، القاهرة: مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦١٧٠ تاريخ.

ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر، *الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين*، تح. سعيد عاشور، مراجعة: أحمد دراج، مكة: جامعة أم القرى، ١٩٨٢م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي، *تاريخ الملك الظاهر*، تح. أحمد حطيط، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية،١٩٨٣م.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبد الله بن نشوان. *الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر*، تح. عبد العزيز الخويطر، الرياض: ب. ن، ١٩٧٩م.

ابن علي، شافع. حسن *المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية*، تح. عبد العزيز الخويطر، الرياض: ب. ن، ١٩٨٩م.

ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي، *البداية والنهاية*، تح. عبد الله التركي، ج١٧، الرياض: دار هجر، ١٩٩٩م.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تح. حسنين محمد ربيع وسعيد عاشور، ج٤، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٧م.

أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، *المختصر في أخبار البشر*، عدد الأجزاء ٤، القاهرة: المطبعة الحسينية، (ب.ت).

البرزالي، علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف، *تاريخ البرزالي المقتفي لتاريخ أبي شامة*، تح. عبد الرحمن العثيمين وبشار عواد معروف، ج٢، بيروت: دار ابن حزام، ٢٠١٩م.

الدوادار، بيبرس، ركن الدين بيبرس المنصوري الخطائي، *زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة*، تح. دونالد ريتشاردز، بيروت: الشركة المتحدة، ١٩٩٨م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. *دول الإسلام*، تح. حسن مروة، تقديم: محمود الأرناؤوط، ج٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٩م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، *الإشارة إلى وفيات الأعيان المنتقى من تاريخ الإسلام*، تح. إبراهيم صالح، بيروت: دار ابن الأثير، ١٩٩١م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، *العبر في خبر من غبر*، تح. أبو هاجر محمد والسعيد زغلول، ج٣، بيروت: دار الكتب العلمية، (ب.ت).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تح. عمر عبد السلام تدمري، ج٥٠. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م.

الزركلي، خير الدين. *الأعلام*، ط١٥، ج٨، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد، *المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي*، تح. أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، *الطبقات الكبرى "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار"*، تح. محمد المليجي، ج٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٨٩٧م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. *الوافي بالوفيات*، تح. أحمد

الأرناؤوط وتركي مصطفى، عدد الأجزاء ٢٩، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م.

الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر، *تالي كتاب وفيات الأعيان*، تح. جاكلين سوبله، دمشق: المعهد الفرنسي، ١٩٧٤.

العمري، أكرم، *عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين*، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٩م

العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، ج٢٧، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ.

العيني، بدر الدين محمود. *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، تح. محمد محمد أمين، عدد الأجزاء ٤، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٠م.

الفيومي، علي بن محمد بن علي المقري، *نثر الجمان في تاريخ الأعيان*، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ، ج٥، ورقة٧٠.

الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد. *فوات الوفيات والذيل عليها*، تح. إحسان عباس، ج١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م.

كرد علي، محمد بن عبد الرزاق، *خطط الشام*، ط٣، ج٤، دمشق: مكتبة النوري، ١٩٨٣م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. *الخطط المقريزية*، ج٤، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح. محمد عبد القادر عطا، ج٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، *كتاب المقفى الكبير*، تح. محمد اليعلاوي، ج٣، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١م.

المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف، *الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية*، تح. محمد أديب الجادر، ج٣، بيروت: دار صادر، (ب.ت).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج٣٠، القاهرة: دار الكتب والوثائق، ١٤٢٣هـ.

اليافعي، عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، تح. خليل منصور. ج٤، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي، *معجم البلدان*، ج٤، بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م.

اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد، *ذيل مرآة الزمان*، ج٣، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٩٩٢م.

المراجع الأجنبية:

Holt, Peter. "An Early Source on Shaykh Khadir Al-Mihrani." *BSOAS* 46. No.1 (1983).

Lāmiyah, Zakrī. "Min Aʿlām Tlemcen Ahmad al-Wansharīsī 834 -914 AH / 1430-1508 AD, Sirah wa Masīrah*." Majalat ʿUṣūr Jadīdah* 3. No. 10 (2013): 61-73.

Lea, Henry Charles. *The Moriscos of Spain; Their Conversion and Expulsion*. Philadelphia: Lea Brothers and Company, 1901.

Maíllo Salgado, Felipe. "Consideraciones acerca de una fatwà de al-Wanšarīšī." *Studia Historica* 3, no. 2 (1985): 186-91.

Mármol Carvajal, Luis del (d. 1600). *Historia del rebelión y castigo de los moriscos delreino de Granada*. 2 vols. Madrid: Sancha, 1797.

Marx, Alexander. "The Expulsion of the Jews from Spain (1495)." In *Early Modern Spain: A Documentary History*, 24-28. Ed. Jon Cowans. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2003.

Mu'nis, Ḥusayn, ed. "Asnā al-matājir fī bayān aḥkām man ghalaba ʿalā waṭanihi al-Naṣārā wa-lam yuhājir, wa-mā yatarattab ʿalayhi min al-ʿuqūbāt wa'l-zawājir." By Abū al-ʿAbbās Aḥmad b. Yaḥyā Al-Wansharīsī. Originally published in *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos en Madrid* 5, no.1-2 (1957): 129-191.

Münzer, Hieronymus (d. 1508). "Itinerarium Hispanicum (1494-1495)." *Mitteilungen des Instituts für Osterreichische Geschichtsforschung* 111 (2003): 317-340.

O'Callaghan, Joseph F. *The Last Crusade in the West: Castile and the Conquest of Granada*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2014.

Pastore, Stefania. *Il vangelo e la Spada: l'inquisizione di Castiglia e i suoi critici (1460-1598)*. Rome: Ed. di Storia e Letteratura, 2003.

Pulgar, Fernando del. *Crónica de los Reyes Católicos*. Edited by Juan de Mata Carriazo. 2 vols. Madrid: Espasa-Calpe, 1943.

Pulgar, Fernando del. "Crónica de los Señores Reyes Católicos Don Fernando y Doña Isabel de Castilla y de Aragón." In *BAE* 70 (1788): 223-512.

Rosa Rodriguez, Maria del Mar. "Simulation and Dissimulation: Religious Hybridity in a Morisco Fatwa." *Medieval Encounters* 16 (2010): 143-180.

Roth, Norman. *Conversos, Inquisition, and the Expulsion of the Jews from Spain*. Madison: University of Wisconsin Press, 2002.

Ṣaḥīḥ International: Qur'ān in English. 1997. Accessed 2016.

Vallejo, Juan de. *Memorial de la vida de fray Francisco Jiménez de Cisneros*. Edited by Antonio de la Torre. Madrid: Impr. Bailly-Bailliere, 1913.

Weissberger, Barbara F. *Queen Isabel I of Castile: Power, Patronage, Persona*. Woodbridge: Tamesis, 2008.

Yaḥyāwī, Jamāl. *Suqūt Gharnāṭah wa ma'sāt al-Andalusīīn 1492-1610*. Algiers: Dār al-Hūmah, 2004.

which led the Muslims to unite and rebel against them in a revolution that lasted from 1499 to 1501. Second, those Muslims who remained in the Iberian Peninsula preserved their religion and practised their rituals in ways that protected them and were permissible under Islamic law. The Mālikī jurist al-Maghrāwī issued the Oran *fatwā* in 1504. He provided them some means to practice their rituals safely.

Further studies on this period and areas of research should be undertaken in the future. The efforts of the Iberian Muslims who emigrated to North Africa to support the Barbary pirates in their attacks on the Iberian coasts in the first half of the 16th century have yet to be analysed.

Bibliography

Abū Bakr, Hasūnī. "Makhṭūṭat Risālat al-Imām al-Maghrāwī Muftī al-Diyār al-Wahrāniyah fī al-Qarn al-ʿAshir li Ahl al-Andalus." *Majalat al-Jazā'ir ll-Makhṭūṭat* 6. No.7 (2010): 155-163.

Al-Ḥajarī, Aḥmad ibn Qāsim (d. 1640). *Nāṣir al-dīn ʿalā al-qawm al-kāfirīn.* Edited by Muḥammad Razūq. Casablanca: Dār al-Shurūq, 1987.

Al-Maqqarī, Aḥmad (d. 1578). *History of the Mohammedan Dynasties in Spain, extracted from the Nafḥu al-ṭīb min al-Ghuṣn-al-Andalusī- al-Raṭīb wa Tārīkh Lisān al-Dīn Ibn al-Khaṭīb.* Edited and translated by Pascual de Gayangos. 2 vols. London: Oriental Translation Fund, 1840-43.

Al-Saʿdī, ʿAbd al-Raḥmān. *Bahjat qulūb al-abrār.* Edited by Saʿad ʿAbd al-Ghafār. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, 2002

Al-Wansharīsī, Aḥmad. *Al-Miʿyār al-muʿrib wa'l-jāmiʿ al-Maghrib ʿan fatāwī ʿulamā' Ifrīqiya wa'l-Andalus wa'l-Maghrib*. Edited by Muḥammad Ḥajjī. 13 vols. Rabat: Wizārat al-Awqāf wa'l-Shu'ūn al-Islāmīyah, 1981-83.

Anonymous. *Nubdhat al-ʿaṣr fī akhbār mulūk Banī Naṣr*; *Taslīm Gharnāṭah wa Nuzūḥ al – Andalusīīn ilā al-Maghrib*. Edited by Al-Farīd al-Bustānī. Cairo: Maktabat al-Thaqāfah al-Dīnīyah, 2002.

ʿAṭwā, Fatḥiyah. *Taqīyah fī al-fikr al-Islāmī*. Beirut: Dār al-Islāmiyah, 1993.

Bernáldez, Andrés. *Memorias del reinado de los Reyes Católicos.* Edited by Manuel Gómez Moreno and Juan de Mata Carriazo. Madrid: Real Academia de la Historia, 1962.

Braudel, Fernand. "Conflits et refus de civilisation: Espagnols et morisques au XVIe siècle." *Annales, Économies, Sociétés, Civilisations* 2, no.4 (1947): 397-410.

Carr, Matthew. *Blood and Faith: The Purging of Muslim Spain 1492–1612.* London: C. Hurst & Co Publishers Ltd, 2017.

Chejne, Anwar G. *Islam and the West: The Moriscos, A Cultural and Social History*. Albany: State University of New York Press, 1983.

Dhanūn, ʿAbd al-Ḥakīm. *Afāq Gharnāṭah*. Damascus: Dār al-Maʿrifah, 1988

Dmitriev, Kirill and others. *Insatiable Appetite: Food as Cultural Signifier in the Middle East and Beyond*. Leiden: Brill Press, 2019.

Drayson, Elizabeth. *The Moor's Last Stand: How Seven Centuries of Muslim Rule in Spain Came to an End*. London: Profile Books Ltd, 2017.

Eisenberg, Daniel. "Cisneros y la quema de los manuscritos granadinos." *Journal of Hispanic Philology* 16, (1992): 107-124.

Eugenio Casanova, Domingo. "En la sierra del Segura se mantiene el recuerdo de descendientes de moriscos quepracticaban costumbres musulmanas." In *Fuente: La Vanguardia,* (2006): 56-70.

García-Arenal, Mercedes. "Granada as a New Jerusalem: The Conversion of the City." In *Space and Conversion in Global Perspective*, 15-43. Ed. Giuseppe Marcocci, Wietse de Boer, Aliocha Maldavsky, and Ilaria Pavan. Leiden: Brill, 2014.

Garrido Atienza, Miguel. *Las capitulaciones para la entrega de Granada*. Granada: Paulino Ventura Traveset, 1910.

Gaspar y Remiro, Mariano. "Emigración de los moros granadinos allende." *Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino* 2 (1912): 1-13.

Harvey, L. P. *Muslims in Spain, 1500 to 1614*. Chicago: University of Chicago Press, 2005.

Hendrickson, Jocelyn N. *The Islamic Obligation to Emigrate: Al-Wansharīsī's Asnā al-matājir Reconsidered*. PhD. diss., Atlanta: Emory University, 2009.

https://quran.com.

Ibn al-Qāḍī al-Miknāsī, Aḥmad. *Durrat al-ḥijāl fī ghurrat asmā' al-rijāl.* Edited by Muḥammad al-Aḥmadī. 3 vols. Cairo: Dār al-Turāth,1970.

ʿInān, Muḥammad ʿAbd Allāh. *Dawlat al-Islām fī al-Andalus, al-ʿaṣr al-rābiʿ: nihāyat al-Andalus wa-tārīkh al-ʿarab al-mutanaṣṣirīn.* 4th edition. Cairo: Maktabat al-Khānijī, 1997.

Ladero Quesada, Miguel Ángel. "Mudejares and Repobladores in the Kingdom of Granada (1485-1501)." In *Jews, Christians, and Muslims in the Mediterranean World After 1492*, 53-77. Ed. Alisa Ginio. London: Frank Cass, 2002.

Peninsula, in 1519 and 1563.[54] It remained the only effective solution for the Moriscos, except for a number of evacuation campaigns conducted by the Barbary corsairs to transfer them to North Africa throughout the 16th century.

The Moriscos adhered to fasting during the month of Ramaḍān by deceiving the Castilian authorities. They did this by leaving their homes in the morning and at noon each day of Ramaḍān to avoid being monitored by the Castilian authorities in Granada and Castile and later by the Aragonese authorities in Valencia in the third decade of the 16th century.[55] In this regard, the text of the Oran *fatwā* did not include any guidance for the Moriscos regarding fasting during Ramaḍān. It can, therefore, be surmised that al-Maghrāwī al-Wahrānī wanted the Moriscos to find suitable ways to deceive the Catholic authorities monitoring them during Ramaḍān rather than providing his own suggestions.

With regard to acts forbidden by Islamic law, such as consuming wine and pork, the Moriscos were able to avoid them by providing various excuses to the Castilian authorities. For example, many Moriscos in Castile, including those in Granada, claimed that they preferred to eat dishes other than pork or that they did not know how to cook it.[56]

Several differences can be observed between the positions of al-Maghrāwī al-Wahrānī and al-Wansharīsī. Firstly, the former accepted that the Moriscos of Granada and Castile were Muslims. Al-Maghrāwī al-Wahrānī stated at the end of his *fatwā*: *'We witness for you (the Moriscos) that you were faithful to God'.*[57] By contrast, al-Wansharīsī described the Moriscos as unbelievers despite both jurists following the Mālikī school.[58] Furthermore, al-Wahrānī showed greater sympathy towards the Moriscos than al-Wansharīsī. For example, he prayed that their situation would improve and encouraged them to consult him again if they faced any difficulties related to religious rituals.[59] In short, al-Wansharīsī was a purist, whereas al-Wahrānī could be considered a pragmatist; accordingly, the Moriscos could follow him and his recommendations.

Another key reason that surely guided al-Maghrāwī al-Wahrānī to issue this type of *fatwā*, which contradicted the view of his colleague al-Wansharīsī, was that he considered a certain prophetic ḥadīth applicable to the Moriscos. This ḥadīth states: 'It will come upon the Muslims a time in which the one who is patient on his religion will be like the clutch on the embers'.[60] The main lesson of this ḥadīth is that Muslims should be patient, faithful and careful about their religion in a time marked by the rise of evil and opposition to Islam, as they may be deprived of assistance.[61] Al-Wahrānī began his *fatwā* with this ḥadīth. Furthermore, the Egyptian historian Mu'nis considered that this ḥadīth applied to the Granadan and Castilian Moriscos when he critiqued al-Wansharīsī's *fatwā*.[62]

Conclusion

Before the fall of the last Islamic state in the Iberian Peninsula, the Nasrid Emirate of Granada, in 1492, The Mālikī jurist al-Wansharīsī warned the Muslims of al-Andalus against remaining under Catholic rule, fearing persecution for their religion and religious rituals. He expected in his *fatwā* that they would be persecuted by the Castilians, and his expectations came true.

Many nobles, military men and professionals emigrated from the Emirate of Granada and other Iberian cities to North Africa out of fear of losing their social status rather than for religious reasons. However, many Muslims from the general public remained in Granada and other provinces under Catholic rule and continued practising Islam under persecution. However, Iberian Muslims steadfastly held on to their faith and practised their religious rituals for several reasons, the most important of which are the following.

First, the Catholic authorities in the Iberian Peninsula gradually intensified their persecution,

(54) Maria del Mar Rosa Rodríguez, "Simulation and Dissimulation: Religious Hybridity in a Morisco Fatwa," *Medieval Encounters* 16 (2010): 159.

(55) Jamāl Yaḥyāwī, *Suqūt Gharnāṭah wa Ma'sāt al-Andalusīyīn, 1492–1610* (The Fall of Granada and the Persecution of the Muslims of the Iberian Peninsula) (Algiers: Dār al-Hūmah, 2004), 190.

(56) Kirill Dmitriev et al., *Insatiable Appetite: Food as Cultural Signifier in the Middle East and Beyond* (Leiden: Brill Press, 2019), 233.

(57) ʿInān, 342–44.

(58) Ḥusayn Mu'nis, "Asnā al-Matājir fī Bayān Aḥkām Man Ghalaba ʿalā Waṭanihi al-Naṣārā wa-Lam Yuhājir, wa-Mā Yatarattab ʿAlayhi min al-ʿUqūbāt wa'l-Zawājir," by Abū al-ʿAbbās Aḥmad b. Yaḥyā Al-Wansharīsī, originally published in *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos en Madrid* 5, no. 1–2 (1957): 144.

(59) ʿInān, 342–44.

(60) ʿAbd al-Raḥmān al-Saʿdī, *Bahjat qulūb al-abrār* (The Joy of the Hearts of the Righteous) ed. Saʿad ʿAbd al-Ghafār (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, 2002), 259.

(61) Ibid.

(62) Mu'nis, "Asnā al-Matājir," 144.

death. However, *taqīyah* was a solution adopted by the Moriscos to avoid persecution at the beginning of the 16th century and to legitimise their remaining in the Iberian Peninsula under Catholic rule – a course of action forbidden by al-Wansharīsī's Marbella *fatāwā*. Many Moriscos during this period were unable to pay the emigration fees, and most could not flee. Nonetheless, *taqīyah* sometimes created dangers for the Moriscos, who were obliged to practise two religions simultaneously: Christianity in public and Islam in secret. (45)

Within the first decade of the 16th century, *taqīyah* was widely practised. This was because the Granadan Moriscos had come to realise that the North African political authorities, particularly those from the Kingdoms of Fez and Tlemcen, were not interested in their plight, a reality that rendered al-Wansharīsī's *fatāwā* ineffective. Another reason why Moriscos throughout the Iberian Peninsula continued practising *taqīyah* in the 16th century was the Oran *fatwā*, which legitimised its use further.

Religious Support for Moriscos and the Continuation of Their Religious Practice in 1504

The Moriscos decided to request a *fatwā* from the Mālikī jurist Aḥmad b. Abī Jumʿah al-Maghrāwī al-Wahrānī (d. 1511) regarding ways they could fulfil their Islamic religious duties correctly under the nominal affiliation of Christianity and the monitoring of Castilian authorities. This request emphasised the Moriscos' keenness to carry out their religious duties despite the danger of persecution by Castilian religious authorities.

The Moriscos likely chose to contact this jurist in particular due to his reputation, as represented by his lineage. He was related to ʿAlī b. Abī Ṭālib (d. 661), the cousin of the Prophet Muḥammad; this was indicated in a poem by the Mālikī jurist Abū al-ʿAbbās Aḥmad al-Ṣinhājī in the 16th century. (46) Al-Ṣinhājī described the son of Maghrāwī al-Wahrānī, Shaqrūn al-Wahrānī (d. 1523), in his poem: *'Oh, son of my lord Abī Jumʿah and of the Prophet's descent'.* (47)

Al-Maghrāwī al-Wahrānī responded to the Granadan and Castilian Moriscos' request on 28 November 1504 in a legal statement that became known as the Oran *fatwā*. (48) He approved *taqīyah* and guided the Moriscos on how to practise Islamic religious duties under persecution, such as performing prayer by gesture and fulfilling *zakat*, even if it could only be done by giving gifts to poor Muslims. Furthermore, he instructed that if the time for prayer had passed or coincided with church attendance in Granada or Castile, the Moriscos should go to church and then perform the missed prayer at night. (49) Following this, he advised them on how to avoid sin when forced to engage in practices forbidden by Islam, such as consuming pork and wine or practising moneylending. (50) For example, he urged them to reject pork and wine in their hearts if compelled to consume these items by the Castilian religious authorities.

The Moriscos applied his *fatwā*. This can be confirmed by Carvajal's observation that, although many Moriscos in Granada were committed to attending church every Sunday to protect themselves from Castilian persecution, they were not attracted to Christianity. (51) Some did not wish to go to church at all and instead closed their homes every Sunday to deceive the Castilians into believing they were attending church. (52)

The Oran *fatwā* saved more lives among the Moriscos than al-Wansharīsī's *fatāwā*, including the Marbella *fatwā*. Unlike al-Wansharīsī's *fatāwā*, the Oran *fatwā* legitimised praying at night for Granadan and Castilian Moriscos to avoid Castilian persecution. (53) Performing prayer – the second pillar of Islam – five times per day at the correct time would have drawn the attention of the Castilians and endangered the Moriscos in a period marked by Muslim persecution. Therefore, this *fatwā* was widely applied among the Morisco community across the Iberian Peninsula throughout the 16th century. It was also circulated twice in the Iberian

(45) Aḥmad ibn Qāsim al-Ḥajarī, *Nāṣir al-Dīn ʿalā al-Qawm al-Kāfirīn* (Supporter of Religion Against Non-Believers), ed. Muḥammad Razūq (Casablanca: Dār al-Shurūq, 1987), 21.

(46) Aḥmad b. Muḥammad b. al-Qāḍī al-Miknāsī, *Durrat al-Ḥijāl fī Ghurrat Asmāʾ al-Rijāl* (The Names of Men), ed. Muḥammad al-Aḥmadī (Cairo: Dār al-Turāth, 1970), 1:93.

(47) Ibid.

(48) Harvey, *Muslims in Spain*, 60-63.

(49) See Muḥammad ʿAbd Allāh ʿInān, *Dawlat al-Islām fī al-Andalus, al-ʿAṣr al-Rābiʿ: Nihāyat al-Andalus wa-Tārīkh al-ʿArab al-Mutanaṣṣirīn*, 4th ed. (The Islamic State in the Iberian Peninsula, the Fourth Era: The End of al-Andalus and the History of Arab Converts) (Cairo: Maktabat al-Khānijī, 1997), 342–44.

(50) Ibidem.

(51) Mármol Carvajal, *Historia del rebelión y castigo de los moriscos del reino de Granada*, 1:124–32.

(52) Fernand Braudel, "Conflits et Refus de Civilisation: Espagnols et Morisques au XVIe Siècle," *Annales: Économies, Sociétés, Civilisations* 2, no. 4 (1947): 402.

(53) The text of the Oran *fatwā* in ʿInān, 342–44.

result, Ferdinand II appointed Cisneros as a special inquisitor for Granada. (35)

Cisneros initiated an aggressive and oppressive approach to converting the city's Muslim inhabitants to Christianity, which included forced mass conversions and the burning of around five thousand Arabic manuscripts.(36) However, he excluded Arabic manuscripts related to scientific subjects, which were preserved at the University of Alcalá (al-Qalʿah) in the north of the Iberian Peninsula, an institution he himself founded.(37) Additionally, between 18 and 25 December 1499, a total of three thousand Muslims were baptised in the Albaicín district, prompting Pope Alexander VI to congratulate Cisneros on his achievement.(38)

Consequently, a rebellion broke out among Muslims from the Albaicín district in Granada to the Alpujarras, lasting from 1499 to April 1501. In an effort to bring the rebellion to a swift end, the Catholic king and queen decided that the rebels would not be compelled to convert to Christianity. (39) It is likely that they made this decision to ease the pressure on their forces in the mountains while Castilian and Aragonese troops were simultaneously engaged in the Second Italian War.

The Efforts of the Iberian Muslim Community to Preserve Their Religion After the Suppression of Their Rebellion from 1501 to 1504

Following the end of the rebellion, Isabella I and Ferdinand II cancelled the Capitulation Treaty of Granada in July 1501. They then presented the Muslims of Granada with two difficult choices: remain and be baptised or go into exile by departing from the port of Estepona in the southern Iberian Peninsula after paying ten gold doblas.(40) In October 1501, the king and queen ordered the burning of all copies of the Qurʾān in Granada to suppress all evidence of Islam.(41) These choices were imposed on the rest of the territories of the Crown of Castile in February 1502, despite the fact that the Muslims in these areas had not supported the rebels. After 1501, the Granadan Muslims and then the Castilian Muslims were referred to as 'Moriscos' because they had been baptised. During the forced conversion operations, the Moriscos of Granada adopted several religious strategies to protect themselves from Castilian persecution.

In the early years of the 16th century, thousands of Granadan and Castilian Moriscos were baptised; however, most of them secretly continued to adhere to Islam. This course of action is known as *taqīyah*, or 'precaution': in essence, *taqīyah* permits Muslims to obey their enemies' orders or even outwardly demonstrate adherence to their enemies' faith while maintaining their true belief internally. A verse in the Qurʾān allows Muslims to practise *taqīyah* when their lives are in danger. It states: *'Whoever disbelieves in Allah after his belief... except for one who is forced [to renounce his religion] while his heart is secure in faith. But those who [willingly] open their breasts to disbelief, upon them is wrath from Allah, and for them is a great punishment'.* (42)

Taqīyah was first used by the Prophet Muḥammad and his followers in Mecca when they faced persecution by non-believers. (43) Similarly, the Granadan Moriscos applied this principle to their situation. The principle of *taqīyah* was not only used by the Moriscos of Granada and other areas in Castile but also by some Granadan Jews who were forced to convert to Christianity to remain in the Iberian Peninsula. These Jews continued to practise Judaism in secret and were known as Marranos. (44) Al-Wansharīsī did not publish any statement regarding the *taqīyah* of the Moriscos before his

(35) Mercedes Garcia-Arenal, "Granada as a New Jerusalem: The Conversion of the City," in *Space and Conversion in Global Perspective*, ed. Giuseppe Marcocci, Wietse de Boer, Aliocha Maldavsky, and Ilaria Pavan (Leiden: Brill, 2014), 32.

(36) Daniel Eisenberg, "Cisneros y la quema de los manuscritos granadinos," *Journal of Hispanic Philology* 16 (1992): 112.

(37) Juan de Vallejo, *Memorial de la vida de fray Francisco Jiménez de Cisneros*, ed. Antonio de la Torre (Madrid: Imprenta Bailly-Bailliere, 1913), 35.

(38) Stefania Pastore, *Il Vangelo e la Spada: L'Inquisizione di Castiglia e i suoi critici (1460–1598)* (Rome: Edizioni di Storia e Letteratura, 2003), 114.

(39) Andrés Bernáldez, *Memorias del reinado de los Reyes Católicos*, ed. Manuel Gómez Moreno and Juan de Mata Carriazo (Madrid: Real Academia de la Historia, 1962), 395–400.

(40) Henry Charles Lea, *The Moriscos of Spain: Their Conversion and Expulsion* (Philadelphia: Lea Brothers and Company, 1901), 35–40.

(41) Joseph F. O'Callaghan, *The Last Crusade in the West: Castile and the Conquest of Granada* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2014), 247.

(42) *Sūrat al-Naḥl* ("Bees"), Qurʾānic verse 16:106 (*Ṣaḥīḥ International*).

(43) Fatḥiyah ʿAṭwā, *Taqīyah fī al-fikr al-Islāmī*(Beirut: Dār al-Islāmiyah, 1993), 44.

(44) Alexander Marx, "The Expulsion of the Jews from Spain (1495)," in *Early Modern Spain: A Documentary History*, ed. Jon Cowans (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2003), 24.

centuries of Islamic rule in the region. As a consequence, when Boabdil relinquished the keys to the Alhambra Palace, he is said to have asked Ferdinand II to 'be merciful and fair to the Muslims'. [(26)] This statement suggests that Boabdil did not trust the intentions of the Catholic king and queen towards Muslims and Islam in Granada.

By 1495, life for Muslims in Granada had become almost unbearable when the Catholic king and queen imposed special levies on them, amounting to 1,600 doblas per person. The monarchs claimed that this sum had already been imposed and collected from other areas under the Crown of Castile and that Granada, now part of Castile, was subject to the same tax. [(27)] In addition, an ordinary tax (one-tenth of wages) was imposed on Muslims who chose to remain in Granada under Catholic rule. This tax was among the terms of the Capitulation Treaty of Granada. [(28)] However, I suggest that the 1,600 doblas was specifically levied to cover the military expenses of the United Crowns of Castile and Aragon outside the Iberian Peninsula. Here, we see the realisation of another of al-Wansharīsī's fears, as stated in the Marbella *fatwā*, namely that Catholic rulers would financially exploit Muslims through taxation. [(29)] The Muslims of Granada resisted this exploitation through a rebellion in 1499, as well as by refusing to pay. [(30)]

After the rejection of these special levies, Isabella I and Ferdinand II primarily relied on Hernando de Talavera to deal with the remaining Muslims in Granada. Talavera chose a book that was probably written in the first decade of the 15th century by the Franciscan Catalan Francesc Eiximenis (d. 1409), *Vida de Jesucrist* (*Life of Jesus Christ*). He had the work translated into Castilian and distributed among Granada's Muslims in 1496. [(31)] This act did not upset the remaining Muslims because Articles 30–33 of the treaty allowed Talavera to spread Christian teachings widely among them. [(32)] These articles prevented him from forcing Muslims to convert to Christianity, from insulting a Christian who converted to Islam and from compelling former Christians to revert to Christianity.

Talavera realised that persuasion alone would not convert large numbers of Iberian Muslims to Christianity. In March 1498, he therefore began suppressing Muslims socially and economically by prohibiting Christians in Granada from renting property to Muslims, wearing Muslim clothing, visiting bathhouses and buying meat from Muslim butchers. [(33)] The existence of these regulations asserts that Muslims were still present in large numbers in the Albaicín district of Granada at this time. Talavera then worked to compel some former Christians in Granada to re-convert from Islam to Christianity in August 1498. [(34)] This act constituted a second violation of the Capitulation Treaty.

The Rebellion of the Iberian Muslim Community Against Iberian Catholic Authorities from 1499 to 1501

In September 1499, Isabella I and Ferdinand II arrived in the city of Granada, where they remained until the end of November. Upon their arrival, they were welcomed by many Muslims, who believed that the presence of the Catholic king and queen would improve their situation. However, the status of Granada's Muslim community instead worsened when the Archbishop of Toledo, Francisco Jiménez de Cisneros (d. 1517), arrived at the end of November 1499 and expressed dissatisfaction with Talavera's policies. The monarchs were also disappointed with the results of Talavera's approach towards the Granadans, as most of them were still Muslims, and the city remained largely Islamic. As a

(26) ʿAbd al-Ḥakīm Dhanūn, *Afāq Gharnāṭah (The Prospects of Granada)* (Damascus: Dār al-Maʿrifah, 1988), 70. Dhanūn quoted this statement from Pulgar, *Crónica de los Señores Reyes Católicos Don Fernando y Doña Isabel de Castilla y de Aragón*, 509.

(27) Miguel Ángel Ladero Quesada, "Mudejares and Repobladores in the Kingdom of Granada (1485–1501)," in *Jews, Christians, and Muslims in the Mediterranean World After 1492*, ed. Alisa Ginio (London: Frank Cass, 2002), 60.

(28) Anonymous, *Nubdhat al-ʿAṣr fī Akhbār Mulūk Banī Naṣr*, 41.

(29) Al-Wansharīsī, *Al-Miʿyār al-Muʿrib*, 2:141.

(30) L. P. Harvey, *Muslims in Spain, 1500 to 1614* (Chicago: University of Chicago Press, 2005), 212.

(31) Barbara F. Weissberger, *Queen Isabel I of Castile: Power, Patronage, Persona* (Woodbridge: Tamesis, 2008), 79.

(32) Luis del Mármol Carvajal, *Historia del rebelión y castigo de los moriscos del reino de Granada*, 2 vols. (Madrid: Sancha, 1797), 1:87–98.

(33) Matthew Carr, *Blood and Faith: The Purging of Muslim Spain, 1492–1612* (London: C. Hurst & Co. Publishers, 2017), 72.

(34) Aḥmad al-Maqqarī, *History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, 2:391.

the people of Granada to emigrate after the *fatwā* of Al-Wansharīsī that urged them to emigrate.

Archbishop of Granada, Hernando de Talavera (d. 1507) thus commenced Christianisation through education and persuasion. He encouraged his assistants to learn Arabic to enable them to explain Christian teachings clearly to the Muslim inhabitants of Granada. [(18)] He aimed to spread Christianity through persuasion, as he himself had converted from Judaism to Christianity in this manner and had consequently become a critic of Judaism. [(19)] It is, therefore, likely that he was convinced that Muslims could be persuaded to become Christians and severe critics of Islam.

Talavera did not face significant difficulties in this task because the Granadan Mālikī jurists had died during the last siege of Granada and after its seizure. Ibn al-Azraq died in Jerusalem in 1491, while Abū ʿAbd Allāh al-Mawwāq died in Granada in 1492.

According to the German physician Hieronymus Münzer (d. 1508), who visited the Iberian Peninsula in October 1494, Islam was still thriving there at the time of his visit. He noted the numerous mosques in the Albaicín district of Granada, the splendour of the gardens and houses belonging to some remaining Muslim nobility and that a large number of Muslims were still practising Islamic rituals, such as gathering at the mosque for Friday prayers. [(20)]

Islam was still flourishing in Granada in 1494, two years and nine months after the withdrawal of the last Iberian Muslim emir, Boabdil, the emir of the Emirate of Granada (1482–1482/1487–1492), from the Alhambra Palace in January 1492. Under Catholic rule, Granada's economy declined, partly due to the large amounts of gold and silver the Castilian authorities had to spend to fund Muslim emigration to North Africa from 1491 to 1494.[(21)] Castilian officials in Granada were required to prepare ten large ships every sixty days to transport Muslims who wished to emigrate to North Africa, along with their movable goods, free of charge, in accordance with the Treaty of the Capitulation of Granada (Articles 6–7).[(22)]

During this period (1491–1494), Granada witnessed the emigration of the majority of its noble Muslims, military leaders, some craftsmen and a large proportion of the lower class – who had little to lose in Granada – to areas between Fez and Tlemcen. The common people, who formed the majority, remained in Granada, contributing to the continued prosperity of Islam in the city.

The Efforts of the Muslim Community in the Iberian Peninsula to Perform their Religious Duties Correctly from 1494 to 1499

In 1495, Íñigo López de Mendoza y Quiñones (d. 1515) was appointed governor of the city of Granada by Isabella I of Castile (1474–1504) and Ferdinand II of Aragon (1479–1516), banned the call to prayer from the minarets of the mosques in Granada.[(23)] This act was the first violation of the Capitulation Treaty; however, it did not provoke a reaction from the Muslim states in North Africa.[(24)] While banning the call to prayer from the minarets did not mean that Muslims were prohibited from praying in mosques, it did complicate prayer times. We can deduce that one purpose of this decree was to hinder Muslims in Granada from gathering at the mosque during prayer times, which could have posed a threat to Catholic rule in the Iberian Peninsula. Such gatherings could have incited a rebellion against the Castilian authorities. We can, therefore, see that one of al-Wansharīsī's fears was justified when he advised Iberian Muslims through the Marbella *fatwā* regarding the difficulties of correctly performing Islamic rituals under Catholic rule. [(25)] The Granadan Muslims, however, likely determined prayer times correctly after the ban by observing the declination of the sun.

Al-Wansharīsī was convinced that all Muslims in the Iberian Peninsula would face difficulties in fulfilling their religious duties correctly, as the expulsion of the Naṣrid dynasty had ended eight

(18) Anwar G. Chejne, *Islam and the West: The Moriscos, A Cultural and Social History* (Albany: State University of New York Press, 1983), 6.

(19) Norman Roth, *Conversos, Inquisition, and the Expulsion of the Jews from Spain* (Madison: University of Wisconsin Press, 2002), 152.

(20) Hieronymus Münzer, "Itinerarium Hispanicum (1494–1495)," *Mitteilungen des Instituts für Osterreichische Geschichtsforschung* 111 (2003): 317–22.

(21) Elizabeth Drayson, *The Moor's Last Stand: How Seven Centuries of Muslim Rule in Spain Came to an End* (London: Profile Books, 2017), 131.

(22) Miguel Garrido Atienza, *Las capitulaciones para la entrega de Granada* (Granada: Paulino Ventura Traveset, 1910), 269–95.

(23) Anonymous, *Nubdhat al-ʿAṣr fī Akhbār Mulūk Banī Naṣr*, 44.

(24) Aḥmad al-Maqqarī, *History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, Extracted from *Nafḥu al-Ṭīb min al-Ghuṣn-al-Andalusī al-Raṭīb wa Tārīkh Lisān al-Dīn Ibn al-Khaṭīb*, ed. and trans. Pascual de Gayangos (London: Oriental Translation Fund, 1843), 2:389.

(25) Al-Wansharīsī, *Al-Miʿyār al-Muʿrib wa'l-Jāmiʿ al-Maghrib*, 2:138.

In the so-called Marbella *fatwā*, al-Wansharīsī responded that the Marbella Muslim man and other Muslims of the emirate were not permitted to live under Christian rule for even one hour of one day for religious reasons. (9) On the other hand, some Granadan Muslims became vassals of non-Muslim rulers after the forces of Castile and Aragon had captured their territories. One example supporting this view is that after the capture of Vélez-Málaga in 1487, some Muslim inhabitants of the neighbouring villages and the fortress east of Málaga legitimised the Catholic conquest of the emirate's cities. They swore by the words of the Qurʾān that they and their descendants would always remain faithful to the United Crowns of Castile and Aragon, obey their commands regarding war or peace and make tribute payments. Meanwhile, they were prohibited from contacting Muslims who were not under Castilian rule. (10)

As a consequence, in his question directed at al-Wansharīsī, Ibn Qaṭīya described the Muslims who remained under Christian rule as *ahl al-dhimmah* ('tributaries'), a term used for Jews and Christians who lived under Muslim rule and paid tribute to the Islamic authorities.(11) Al-Wansharīsī affirmed that Muslims could live among Christians and Jews only under Muslim rule, but not under non-Muslim rule, as this would prevent them from correctly practising their religious duties.

Al-Wansharīsī's Marbella edict primarily referred to the pillars of Islam, such as prayer, *zakāt* (alms for poor Muslims) and fasting during the month of Ramaḍān; the latter two, in particular, were difficult to observe in the absence of Islamic political authorities.(12) He stated that as many cities of the emirate would no longer be ruled by a Muslim ruler and his deputies – who were entitled to collect *zakāt* – it would be impossible to fulfil this duty.

Furthermore, the month of Ramaḍān requires the sighting of the crescent moon to mark its beginning and end. The crescent moon can only be confirmed through the testimony of a witness, and such testimony must be given before a Muslim ruler and his deputies. As there was no longer a Muslim ruler or deputy in many of these territories, it would be difficult to announce the accurate dates for the start and end of Ramaḍān. (13)

According to al-Wansharīsī, it would also be difficult for Muslims to pray due to the many Christians who had emigrated to the fallen cities of the emirate; these Christians would mock the call to prayer, as many of them did not understand it. (14) As noted above, many of the chief mosques in Granadan cities and towns had been converted into churches during the war. Following the final expulsion in 1609, some remaining Moriscos, particularly those in the former towns and villages of the emirate, continued to fulfil their religious duties correctly for several generations and centuries, albeit in a circumspect manner. (15) They also maintained Islamic traditions in their methods of preparing and eating food. (16)

Despite promoting strict observance, al-Wansharīsī himself did not fulfil the obligation to perform al-Ḥajj (pilgrimage), the fifth pillar of Islam. (17) It is probable that the routes from the Kingdom of Fez to the Arabian Peninsula were unsafe. It seems likely that al-Wansharīsī feared the Portuguese, who were located in the north of the Kingdom of Fez. He may also have feared the roads of the Kingdom of Tlemcen, as he had previously fled from there in 1469. Additionally, it is likely that he did not have enough money for al-Ḥajj.

The Shape of the Islamic Community in the Iberian Peninsula After the Fall of Islamic Rule from 1492 to 1494

Beginning in 1493, the city of Granada became a laboratory for some moderate methods of 'Christianising' – transforming and acculturating the Muslims into Christians. Forced conversion might have induced the inhabitants of North Africa to protest to their rulers in an attempt to pressure them into intervening politically against the Iberian Catholic authorities. In addition, The Catholic authorities in the Iberian Peninsula did not want all

(9) Aḥmad al-Wansharīsī, *Al-Miʿyār al-Muʿrib waʾl-Jāmiʿ al-Maghrib ʿan Fatāwī ʿUlamāʾ Ifrīqiya waʾl-Andalus waʾl-Maghrib*, 2:138.

(10) Fernando del Pulgar, *Crónica de los Reyes Católicos*, ed. Juan de Mata Carriazo (Madrid: Espasa-Calpe, 1943), 2:279–80.

(11) Al-Wansharīsī, *Al-Miʿyār al-Muʿrib*, 2:137.

(12) Ibid., 2:138–39.

(13) Ibid., 2:139.

(14) Ibid., 2:138.

(15) Domingo Eugenio Casanova, "En la Sierra del Segura se mantiene el recuerdo de descendientes de moriscos que practicaban costumbres musulmanas," *La Vanguardia*, 2006, 56.

(16) Ibid.

(17) According to Muḥammad b. ʿAskar, Aḥmad b. al-Qāḍī, Aḥmad al-Manjūr, and Ibn Maryam al-Tilimsānī. In the Marbella *fatwā*, al-Wansharīsī indicated the difficulty of applying this pillar from the Iberian Peninsula under Catholic rule to the Arabian Peninsula. See Al-Wansharīsī, *Al-Miʿyār al-Muʿrib*, 2:139.

Introduction

A few months after the fall of the last Islamic state in the Iberian Peninsula, the Emirate of Granada, in 1492, some Muslims of the city of Granada, particularly nobles, chose to emigrate to North Africa, as they would have lost their prestige and influence under Christian rule. It can thus be assumed that this noble class did not earn the approval of the Mālikī jurist Ahmad al-Wansharīsī (d. 1508), despite applying his Marbella *fatwā*, [1] because their emigration was not for religious reasons. They emigrated because they lost their social and political status.

One source estimates that in 1492, more than a thousand Muslims, including many nobles, emigrated to North Africa – specifically to the Rif and the city of Fez in the Kingdom of Fez and Oran in the Kingdom of Tlemcen – due to the proximity of these territories to their former homes.[2] These emigrants were forced to sell their large properties at low prices, either to Iberian Christian immigrants in the city of Granada or to Granadan Muslims who had decided to live under Christian rule.[3]

This paper concentrates on al-Wansharīsī's predictions in his *fatwā* about the situation of the Andalusians after the fall of the Islamic rule in the Iberian Peninsula, their methods of confronting these predictions, and the extent of their response to al-Wansharīsī's *fatwā.* In addition, it discusses the religious life of the Andalusians under the Castilian persecution.

Previous studies have not addressed this aspect. Jocelyn N. Hendrickson, in her PhD dissertation, *The Islamic Obligation to Emigrate: Al-Wansharīsī's Asnā al-Matājir Reconsidered*, [4] discusses the contents of al-Wansharīsī's *fatāwā*, *Asnā al-Matājir* and *Marbella* and their significance for later Mālikī followers and jurists. The Algerian historian Ḥanīfī Halayālī focuses on *fatāwā* issued during and after the Granada War. In his article *Ḥurīyat al-Iʿtiqād ʿind al-Mūrīskīyūn*, [5] he summarises the contents of al-Wansharīsī's *fatāwā*, namely the Marbella *fatwā*. He also briefly discusses their issuance dates and transcribes extracts from the Oran *fatwā*, but he does not analyse the differences between this *fatwā* and those of al-Wansharīsī.

Additionally, Zakrī Lāmiyah discusses in his article, *Min Aʿlām Tlemcen Ahmad al-Wansharīsī 834 -914 AH / 1430-1508 AD, Sirah wa Masīrah*, a biography of al-Wansharīsī. [6] Hasūnī Abū Bakr examines in his article, *Makhṭūṭat Risālat al-Imām al-Maghrāwī Muftī al-Diyār al-Wahrāniyah fī al-Qarn al-ʿAshir li Ahl al-Andalus*, Oran *Fatwā.* [7]

Teachings of Al-Wansharīsī's *Fatwā*

In the last decades of the 15th century, the jurist Ibn Qaṭīya (d. unknown) asked al-Wansharīsī about another case concerning Granadan Muslims continuing to live under Christian rule. In his question, he inquired whether an unnamed Muslim man from Marbella could remain in the western part of al-Andalus – the territories stretching from Seville to the town of Alosno in the Crown of Castile – in order to assist Mudejars living under Catholic rule in the area. [8]

(1) Marbella *fatwā* Urged Muslims to emigrate to Islamic countries to perform Islamic rituals. For further details see, Aḥmad al-Wansharīsī, *Al-Miʿyār al-Muʿrib wa'l-Jāmiʿ al-Maghrib ʿan Fatāwī ʿUlamā' Ifrīqiya wa'l-Andalus wa'l-Maghrib* (The Clear Measure and the Extraordinary Collection of the Judicial Opinions of the Scholars of Ifrīqiya, al-Andalus, and the Maghrib), ed. Muḥammad Ḥajjī (Rabat: Wizārat al-Awqāf wa'l-Shu'ūn al-Islāmīyah, 1981), 2:138.

(2) Mariano Gaspar y Remiro, "Emigración de los moros granadinos allende," *Revista del centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino* 2 (1912): 1–13; Fernando del Pulgar, *Crónica de los Señores Reyes Católicos Don Fernando y Doña Isabel de Castilla y de Aragón*, in *BAE* 70 (1788): 511. Pulgar stated that the king and queen stayed in the city of Granada from January 1492 to June 1492 to monitor the emigration of the Granadan nobles. He also stated that one thousand five hundred nobles emigrated to the cities of the Kingdom of Tlemcen and Fez.

(3) Anonymous, *Nubdhat al-ʿAṣr fī Akhbār Mulūk Banī Naṣr: Taslīm Gharnāṭah wa Nuzūḥ al-Andalusīīn ilā al-Maghrib* (An Overview of the Era in News of the Naṣrid Kings; the Capitulation of Granada and the Emigration of Muslims of al-Andalus to al-Maghrib), ed. Al-Farīd al-Bustānī (Cairo: Maktabat al-Thaqāfah al-Dīnīyah, 2002), 43.

(4) Jocelyn N. Hendrickson, *The Islamic Obligation to Emigrate: Al-Wansharīsī's Asnā al-Matājir Reconsidered* (PhD diss., Emory University, 2009).

(5) Ḥanīfī Halayālī, "Ḥurīyat al-Iʿtigād ʿind al-Mūrīskīyūn (Freedom of Belief of the Moriscos)," *Algerian Scientific Journal Platform* 9, no. 17 (2008): 163–79.

(6) Zakrī Lāmiyah, "Min Aʿlām Tlemcen Ahmad al-Wansharīsī 834 -914 AH / 1430-1508 AD, Sirah wa Masīrah*," Majalat ʿUṣūr Jadīdah* 3, no. 10(2013): 61-73.

(7) Hasūnī Abū Bakr, "Makhṭūṭat Risālat al-Imām al-Maghrāwī Muftī al-Diyār al-Wahrāniyah fī al-Qarn al-ʿAshir li Ahl al-Andalus," *Majalat al-Jazā'ir ll-Makhṭūṭat* 6, no.7(2010): 155-163.

(8) Felipe Maíllo Salgado, "Consideraciones acerca de una fatwā de al-Wanšarīšī," *Studia Historica* 3, no. 2 (1985): 186–91.

الحياة الدينية للأندلسيين بين تحريم المالكية للبقاء في الأندلس واضطهاد قشتالة بعد عام ١٤٩٢م

مشعل بن محمد العنزي

أستاذ التاريخ المشارك، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت.

(قدم للنشر في ٢٦/ ٧/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ٢٨/ ٨/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-1e

ملخص البحث: في العقدين الأخيرين من القرن الخامس عشر، أصدر فقيه مالكي في شمال إفريقيا فتوى يحذر فيها المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية من البقاء تحت الحكم الكاثوليكي لأسباب دينية. ودعاهم هذا الفقيه المالكي إلى الهجرة إلى أي دولة في شمال إفريقيا لحماية معتقداتهم وممارسة واجباتهم الدينية وشعائرهم الدينية على النحو الصحيح. ومع ذلك، اختار العديد من مسلمي أيبيريا البقاء لأسباب غير دينية. وقد درس العديد من العلماء مضمون هذه الفتوى ووصفوا شخصية الفقيه الذي أصدرها. بالإضافة إلى ذلك، قاموا بتحليل أهمية هذه الفتوى للمذهب المالكي وغيرهم من فقهاء المالكية. ومع ذلك، لم يوضحوا مدى تمكن المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية من الحفاظ على تراثهم وممارسة شعائرهم الدينية بدقة واستمرار في أعقاب توجيه هذا الفقيه. وبناءً على ذلك، يناقش هذا البحث وضع المسلمين الإيبيريين في شبه الجزيرة الإيبيرية تحت الحكم الكاثوليكي، والوسائل التي اتبعوها للحفاظ على شعائرهم وممارساتهم الدينية. كما يُسلّط الضوء على الدعم الديني الذي حظي به الأندلسيون في وهران عام ١٥٠٤. وتعتمد الدراسة على الأدلة التاريخية وتحليلها كما هو الحال في المصدر الأصلي.

الكلمات المفتاحية: الونشريسي، الهجرة، الفتوى، المالكية، الموريسكيون، الشعائر الدينية.

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (٣)، ص ص ١-١١، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٦هـ)

Journal of Arts, Vol. 37 (3), pp 1-11, © King Saud University, Riyadh (2025 /1446H.)

The Religious Life of the Andalusians Between the Malikis' Prohibition of Survival in al-Andalus and the Castilian Persecution after 1492

Meshal Mohammed Al-Enezi
Associate Professor of History, Department of History and Archaeology, Faculty of Arts, Kuwait University, Kuwait.
(Received: 26/ 7/1446 H; Accepted for publication: 28/ 8/1446 H)
https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-3-1e

Abstract: In the last two decades of the 15th century, a Mālikī jurist in North Africa issued a fatwā warning Muslims in the Iberian Peninsula against remaining there under Catholic rule for religious reasons. This Mālikī jurist invited them to emigrate to any state in North Africa to protect their beliefs and practise their religious duties and rituals correctly. However, many Iberian Muslims chose to remain for non-religious reasons. Many scholars have examined the content of this fatwā and described the personality of the jurist who issued it. In addition, they have analysed the importance of this fatwā for the Mālikī school and other Mālikī jurists. However, they have not clarified the extent to which Muslims in the Iberian Peninsula were able to preserve their heritage and practise their religious rituals accurately and continuously in the wake of this jurist's directive. Consequently, this research discusses the status of Iberian Muslims in the Iberian Peninsula under Catholic rule and the means that they used to maintain the rituals and practices prescribed in their religion. It also highlights the religious support that the Andalusians received in Oran in 1504. The study relies on historical evidence and analyses the same as the primary source.
Keywords: Al-Wansharīsī, immigration, fatwā, Mālikī, Moriscos, religious duties.

English Section

Articles:

- **The Religious Life of the Andalusians Between the Malikis' Prohibition of Survival in al-Andalus and the Castilian Persecution after 1492**

  Meshal Mohammed Al-Enezi…….....1

Contents

Arabic Section

Articles:

- **The Slave as a Master: A Study in the Narrative of Slavery**
  Areej Mohammed Alsuwailem…….....4
- **The linguistic reasoning for the inadmissibility of certain forms of Qur'anic readings**
  Abdullah Fahd Al-Dosari.....20
- **The Perceptions of University Librarians in Saudi Arabia on Big Data**
  Saqr Moisan Alotaibi.....40
- **The Image of the Self between the Ego and the Other: Kamsteer by Ja’far Al-Oqaili and The Tartar Steppe by Dino Buzzati as a Model**
  Khaldoun Ahmed Al-Jaafra….....66
- **Internet Addiction and its Relation to Increased Psychological Anxiety among Yemeni Youth: A Field Study**
  Mujeeb Ahmed Al-Shumairi.....87
- **"Ugliness" in Arabic as a Prototype Model: A Semantic and Cognitive Analysis**
  Nadia Sayed Abdulwahid Abdulmajeed.....114
- **The language of Science in the Light Halliday's Systematic Linguistics**
  Laila Muhammad Ibrahim Qahl & Elham Al-Borai Faraj.....136
- **The Impact of Using the Techniques of Cinema on Contemporary Arabic Poetry: (yawmyat Kahl Sageer assen) Diary of a young Elder by Amal Dunqul as an example**
  Samar Kamal Alsaqa.....156
- **Daily speech and conversational speech habits**
  Dhikra Yahya Al-Qubaili.....178
- **The Effectiveness of Meaning Therapy and Its Impact on the Development of Professional Social Work Practice**
  Khulud Burjas Al-Abdulkareem.....198

6. Do not put a space between punctuation marks and the words preceding them. The space is always put between the punctuation marks and the words following them, except for the punctuation marks that encircle what is between them, such as parentheses (), the quotation marks “”, and the two dashes - -, which are separated by a space from what comes before and after them. For example: (the Art Journal), “the Art journal”, - the Art journal -.
7. Do not use punctuation marks from the English language in an Arabic text or vice versa.
    - For example, do not use the English comma in an Arabic text, as in " ياسر, وبدر, وعبدالرحمن...,". Similarly, do not use the Arabic comma in an English text, such as "Yasser ،Bader ،and Abdulrahman,".

Publication Process

The manuscript's submission means that the manuscript has not been previously published, nor submitted / will not be submitted for publication elsewhere until the review process is completed. Any attempt to submit the paper elsewhere during its consideration may lead to an action taken by the Journal that it deems appropriate.

1. The Journal conducts a preliminary review of the paper to decide whether or not it is appropriate to move on to the peer-review step.
2. After obtaining approval from the Editorial Board, all submitted papers undergo a scientific review process in a confidential, double-blind manner, where the reviewers are unaware of the author's identity, and vice versa.
3. The manuscript will be sent to two reviewers who specialize in the paper's subject. If their opinions differ regarding the acceptance of the paper, the paper will be sent to a third reviewer, whose opinion will be decisive.
4. The papers will be returned to its authors only one time to make changes based on the reviewers' suggestions and notes. The author must return the revised paper to the Journal within two weeks. The revised paper will then be sent again to the reviewers to assess if their revisions have been attended to and will either accept or reject the paper based on their assessment.
5. After the paper is accepted, the manuscript cannot be published without official approval from the Journal 's editorial board and a letter from the Editor-in-Chief.
6. The author is informed, upon the completion of the peer-review process, with the decision of the peer-review process, whether the paper is accepted or rejected.

Common Mistakes

Avoid these common mistakes by authors; failure to do so may cause the manuscript to be sent back and forth to the author or to be totally rejected

1. Adhere to the Journal Rules of Publication and Instructions, and make preliminary changes, if necessary, requested by the Journal Administration; failure to do so may lead to the rejection of the paper. The author is granted only two opportunities for making changes.
2. Be aware not to fail to follow the required style manual - which is the Chicago Formatting Style - whether in the body of the manuscript, or in the reference page. However, the Journal is pleased to support authors with the instructions of the Chicago style. For instructions on how to write a paper based on Chicago style, please click here.
3. Be aware to adhere to the allowed word limit, which is 10,000 words for the full manuscript, including the two abstracts.
4. Do not be inconsistent in writing the dates within the text, alternating between the Hijri and Gregorian calendars for source citation. Be consistent in writing dates across all the sources.
5. Do not write the letter "M" or any other abbreviations for the Gregorian calendar in citations.

9. The transliteration of Arabic words and phrases must follow the system used in the Library of Congress on here.
10. The author should use the translated title as it is stated in the Arabic sources that have a translation of its title; however, the author should transliterate the title for those Arabic sources that do not include a translation of the title.
11. Researchers must include reference lists that contain the following:
    - One list of Arabic references.
    - One list of foreign references.
12. In the reference list, the Arabic references are placed first, followed by the foreign references, in alphabetical order.
13. The list of Arabic references must be separated from the list of English references and must appear first if the language of the manuscript is Arabic, and vice versa..

Authors Ethics:

- Taking the ethics of scientific research outlined in the Unified Regulations for Scientific Research into account, and adhering to recognized research norms.
- Respecting the intellectual property rights of others and avoiding plagiarism. It is prohibited to quote anything from the work of others and attribute it to one's self, or present it without quotation marks or documentation, or make a slight change to the original text and attach it without quotation such that the reader thinks that it is his writing and from his own thoughts; this is a form of plagiarism.
- Not using exclusive information without written consent from the entity that owns it.
- Providing access to study guides whenever the Journal requests it, while maintaining their confidentiality.
- Keeping honesty in transmitting knowledge, which implies not intentionally fabricating material or research opinions. The author will bear the consequences of this from both literary and legal aspects.
- Adhering to complete accuracy in citations, in accordance with the established citation rules (the Chicago system, with amendments, as approved by the Journal).
- Adhering to neutrality and objectivity; this is achieved by staying away from personal inclinations in everything related to research.
- Avoiding attempts to influence the editorial board members, and not attempting to communicate with them in order to be distinguished from other researchers at the time of review or publication.
- Taking originality in research into account, it may not be published in another journal, and it may not be republished later or submitted at the same time of its submission in another journal, and a part of it may not be published in any other medium, whether by completely copying it, changing the title of the study, or changing some of its parts.
- Not being biased in the research results, but rather affirming them as they are without modification or change, and not establishing inaccurate conclusions influenced by personal inclinations.
- Being committed to amending and improving the research in light of the reviewers' comments.

Publishing Regulations

Journal Scope

The Journal publishes research papers in Arabic and English that have not been formerly published within the field of the arts, humanities, and social sciences. This involves the following areas:

- Arabic language and literature
- English language and literature
- Social studies
- Media/press
- History
- Information science
- Geography.

Published Materials

The Journal of Arts publishes only scientific research papers that contribute new knowledge to their domains. The Journal does not publish thesis/dissertation chapters, commentaries, reports, or critical reviews.

Publication Requirements

1. The paper's submission to the Journal is a pledge that the paper has not been published elsewhere, nor will it be submitted for publication elsewhere, until the Journal's review process is completed.
2. Manuscripts should not exceed a maximum of 10,000 words, including the abstracts (both in Arabic and English), keywords, references, and appendices.
3. The official citation formatting system used by the Journal is the Chicago Formatting Style with a few journal-specific modifications; it should be used for both in-text citations and the reference list. Any manuscript that does not adhere to the Chicago style will be returned to the author(s). Quick Guide to the Chicago Manual of Style
4. The author should only use footnotes, and he should restart numbering in each page.
5. The manuscript must contain two abstracts; one in Arabic and one in English. Each should be no less than 100 words and no more than 200 words.
6. Each abstract must be preceded by no more than six keywords representing the major research topics. The keywords should be placed after the title and before the abstract.
7. The author’s name or any indication of identity must not be mentioned implicitly or explicitly anywhere in the body of the research; instead, the author may use neutral terms such as “the researcher”.
8. The abbreviated titles of periodicals must be used in the form provided by the World List of Scientific Periodicals. Technical abbreviations (e.g., cm, km, mm, kg) should also be used.

Correspondence

Journal of Arts - College of Humanities and Social Sciences
P.O. Box 2456, Riyadh 11451
Kingdom of Saudi Arabia
Tel. : 011-4675408, Fax. : 011-4675402

Manuscripts must be submitted via the online editorial system at:
https://japksu.com/index.php/jarts/index

Website: https://chss.ksu.edu.sa/ar/content/journal-faculty-arts

Subscription and exchange

King Saud University Press, King Saud University, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

P.O. Box: 68953, Postal Code: 11537

Price per issue: 15 SAR or its equivalent (excluding postage).

Deposit No. (Print): 1416 / 3552

ISSN(Print): 1018-3612

Deposit No. (Electronic): 1440 / 9802

ISSN(Electronic): 1658-8339

Journal of Arts

Journal of Arts is a Quarterly peer-reviewed academic journal published by King Saud University - College of Humanities and Social Sciences. The journal publishes original research articles and welcomes theoretical or empirical manuscripts from the following broad categories: communication studies and journalism, geography, history, information science, social studies, and Arabic or English language, linguistics, and literature.

The first volume (titled “the Journal of College of Arts”) was issued in 1390 AH/ 1970. From then until 1404 AH/1984 it was published annually. In 1409 AH/1989 it was issued under the title “Journal of King Saud University: Arts”. In 1434 AH/2013 it was renamed “Journal of Arts” and now publishes triannually, In 1443 AH/2022 it became to be published Quarterly.

Vision

To be a leading journal among the most well-known international databases publishing refereed research in the arts, social sciences, and humanities.

Mission

Publish refereed research in accordance with international distinguished professional standards in the arts, social sciences, and humanities.

Objectives

1- To be an academic reference for researchers in the arts, social sciences, and humanities.

2- To meet the needs of researchers publishing in the arts, social sciences, and humanities at local, regional, and international levels.

3- To contribute to building a knowledge-based society through the publication of high quality research in the arts, social sciences, and humanities that contributes to the development and progress of society.

Journal of Arts

A peer-reviewed academic journal published by King Saud University

Advisory Board

Prof. Abdullah Saad Al-Jasir
King Saud University

Prof. Al-Bandari Abdulaziz Al-Ajlan
Princess Norah bint Abdulrahman University

Prof. Turki Saho Al-Otaibi
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Prof. Dhafer Abdullah Al-Shehri
King Faisal University

Prof. Ibrahim Salem Al-Saedi
Islamic University of Madinah

Editor-in-Chief

Dr. Fahd Abdulaziz Muhammad Alebdha

Managing Editor

Eng. Basem M Hboubati

Editorial Board

Prof. Ramadan Khamis Al-Qastawi

Prof. Salma Muhammad Hawsawi

Prof. Thuraya Ahmed Al-Badawi

Prof. Khawla Abdullah Al-Sabti

Prof. Hessa Zaid Al-Mufreh

Prof. Muhammed Muhammed Bakir

Dr.Abdullah Nasser Al-Habib

Dr. Hind Khaled Al-Otaibi

Dr.Rachid Ould Boussiafa

Dr. Lamia Abdulaziz Al-Jasser

Secretary

Muhammad A. Al-Mas

Secretary & Production

Eng. Basem M Hboubati

© 2024 (1446H.) King Saud University

All publishing rights are reserved. No part of the journal may be republished or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or via any storage or retrieval system, without written permission form King Saud University Press.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

Journal of Arts

Peer-Reviewed Academic Journal

Published by
King Saud University

Volume 37, Issue No. 3 (Paper)
Volume 6, Issue No. 3 (Electronic)
March 2025 \ Ramadan 1446H

https://chss.ksu.edu.sa/ar/content/journal-faculty-arts
theartsjournal@ksu.edu.sa

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

IN THE NAME OF ALLAH,
MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL